

قلادة النحر
في
غرائب البر والبحر

الجزء الاول

في غرائب البر

لمؤلفه سليم كساب عفي عنه

بالرخصة الرسمية من مجلس معارف ولاية بيروت الجليلة نمرة ٤٧٠

٢٤ تشرين الثاني سنة ٢٠٧

حتى اعادة طبعه مخفوظ للمؤلف

طُبِعَ في مطبعة الامبركان في بيروت سنة ١٨٩٢

مقدمته

حمداً لمبدع الأكوان الحكيم. المتنوع الحيوان والنبات والاقليم. أما بعد
فلما كانت غرائب الخلق العجيب. مما يصبو اليه كل عاقل لبيب. للوقوف
على نخبه انواع النبات والحيوان. وعجائب الاقاليم والانصار والبلدان. واستطلاع
نبا العوائد الغريبة عند بعض الشعوب. والالام بما لها من الانواع والضروب.
وكانت لغتنا العربية خالية من مجموع مثل هذه النصول. التي توسع دائرة
المعارف والعقول. خصوصاً لفتيان وفتيات المدارس والعيال. المنوط بهم
ترقي الوطن في الحال والاستقبال. رأيت ان أؤلف كتاباً يجمع شتات هذه
النوائد. وينظمها نظم اللآلئ في القلائد. يحوب بقارئ غياض البسيطة ويأديها.
ويطوف به بين شامق طودها وغور عقيقتها ويأديها. ويتراء ابصاره في ابداع
خائلتها وجناتها. ويريه نوادر حيلها ونباها. ويكشف لديه الستر. عن كل
اقليم وقطر. من جدد التطبين الى هير خط الاستواء. وما فيها وبينها من
غرائب الجادات والاحياء. ويغوص به قرار البحار. فيعان ما سيج فيها وطار.
من حيوات لا تراء الا بالمجهر. الى التين والمحوت الاكبر. فكانت جاب العالم
الوسيع. وشاهد اعجب ما تحت الرقيق. وهو متوسد اريكة راحته وسكوته.
يقطف ثمر الخفايا من افئدة وغصونه. ويجمع البسائر والابصار. بما يغنيه عن
مشقة الاسفار. وقد جمعت أكثره بعد الدرس والتفتيش والامعان. من افيد
الكتب واحسنها بهذا الشأن. وراعت به الاختصار والبساطة والانجام. كي
لا يمل من درسه شيخ ولا كهل ولا غلام. وهو يصلح ان يستعمل بعد كتب القراءة

كالدرّة الثريّة والملاّج . يترجّح به الأولاد ويتطرقون الى اقوم المناهج .
 وطبعتُ بعضُ فصوله بالحرف الكبير والشكل الكامل لضبط الكلام .
 واتصرتُ في غيرها على الحرف البسيط كما يقتضيه المقام . وزيتته بَصُور بعض
 النبات والحيوان . ما يزيد مطالعته وقمًا في الاذنان . والتفضل في ذلك
 لجباب انتم الفاضل الدكتور فزري حسب مدير المطبعة الامبركيّة . الذي
 بذل جهد المتطوع في جلب هذه الرسوم البنيّة . ولم يسنّ بالنقّات ولا تعاب .
 حرصاً على اكمال فائدة الكتاب . نشأته في كل مشروع مفيد يأتي بالنائدة
 والنجاح . ويعود على الوطن بالترقي والصلاح . فحق له الشكر الجزيل . والثناء
 العاطر الجميل . وقد سميتُ كتابي هذا قلادة النحر في غرائب البر والبحر .
 وجئتُ مائلاً للقراء الكرام العفو . عن كل زلل وقع فيه وسهو . فان لله وحده
 العتمة والكمال . وعليه الاتكال في كل حال . وهو المسؤول ان ينفع به
 مطالعيه . وتروق لم فصوله ومعانيه . فأحسب ذلك خيراً منه تستوجب الشكر
 المحسن . ونشجع على خدمة العلم والوطن . في عصر سيدنا ومولانا الخليفة الاعظم
 الجليل . المسيح علينا مطارف نعمته الوارفة الظليل . والمهد لنا
 تحصيل العلوم والمعارف في اقوم سبيل . دامت تقيدي
 لنا به دواربي العدل والسلام . وأيدّه
 المولى بركاته الكرام
 على مرّ الأيام
 آمين

الجزء الأول

غرائب البر

العالم القطبي

هَلَمْ بِنَا نُغْذِ السَّيْرَ إِلَى إِقْلِيمِ الْمِنْطَقَةِ الْمَجْهَدَةِ وَنَرْفِئَ
عَلَى سُلْمِ الْأَفْكَارِ ذِرْوَةَ خُشَامٍ^(١) يَنْطَحُ رَأْسُهُ السَّحَابَ وَنُجِثُ
الْطَّرَفَ فِي إِقْلِيمِ الْقُطْبَةِ الشِّمَالِيَّةِ نَزَحَتْ أَقْدَامُنَا بِحَرَاسَاتِنَا
عَجَاجًا لَا تُلْجُ فِيهِ وَلَا جَهْدَ وَفُرْتُ فِيهِ الْحَيَاةُ الْحَيَوَانِيَّةُ. وَقَدْ
انْبَجَسَ^(٢) يَنْبُوعُ هَذَا الشَّهِرِ الْمُحَيَّبِ عَلَى رَأْيِ أَكْثَرِ الْجُغْرَافِيِّينَ
مِنْ خَلِجِ الْمَكْسِيكِ فِي خَطِّ الْأَسْتِوَاءِ وَجَرَى تَبَارًا حَارًّا إِلَى
مَا وَرَاءَ الْمِنْطَقَةِ الْمُجْهَدِيَّةِ عَنْ طَرِيقِ سِبْتَرِيَجِنَ وَزِمْبِلَا
الْمَجْدِيدَةِ. وَكَانَ هَذَا الْجُرْفُ فِي طَرِيقِ الْخِتَاءِ إِلَى أَنْ كَشَفَتْهُ الْأَكْتُورُ
مَانَزُ فِي تَجْرِيدَةٍ كَيْنِ الْعِلْبِيَّةِ سَنَةَ ١٨٥٢. ثُمَّ نَشَأَتْ وَرَاءَهُ هَذَا

أَيْمُ نَزَلَتْ دَوَائِرُ وَفَحِجَةٍ تَنَالُ مِنْهَا الْمِنْطَقَةُ الشَّمَالِيَّةُ
الْبَارِدَةُ رَفِي حَاجِزٌ أَوْ سُرٌّ جَبَدِيٌّ وَمَنَازِرُ وَفَدَائِدُ جَرْدَاءُ^(٥)
وَوَيْغَاضُ خَضِرَةٌ فَسِيحَةٌ

وَيَبْخُرُ عَنْ فِطْنَةٍ مِنْ طَالَعٍ تَارِيخِ الْقُطْبِيِّنَ أَنَّ نِطَاقَ
أَجْمَدِ الْمِنْطَقِيِّ الْخَمَرَ الْقُطْبِيَّ بَلِ الْقُطْبَةُ نَفْسُهَا كَانَ مَشْهَدُ
كَدَاجٍ وَصِدَامٍ تَتَفَيَّ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَجَبَّارِ الثَّلُوجِ الصَّنَدِيدِ^(٦)
السَّيِّدِ سَيَادَةِ مُطَافَةٍ فِي تِلْكَ الْأَقْطَارِ الْقَصِيَّةِ الْهَوَاجِلِ^(٧) وَكَانَ
خَرَقُ دِنَا الْحَاجِرِ مَطْمَحَ أَبْصَارِ الْهَكْشَفِيِّينَ الْعِظَامِ وَمَصْرَعِ
أَلُوفٍ مِنَ الرِّجَالِ الْبُسْلَاءِ . وَأَنَّ أَقْصَى نُقْطَةِ شِبَالِيَّةٍ بَلَخَهَا
الْإِنْسَانُ لِأَنَّ تَبَعْدَ عَنِ الْقُطْبَةِ سِتُّ مِائَةٍ مِيلٍ . وَلَمْ يَبْلُغِ
الْهَكْشَفِيُّونَ إِلَى هَذَا النِّجْمِ إِلَّا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا فَقَطْ . لِأَنَّ
عُسْرَ الْمَسَالِكِ وَوَقْرَةَ الْأَخْطَارِ وَقَرَسَ الْبَرْدِ كَانَتْ وَلَمْ تَزَلْ
مَوَاقِعَ كَبِيرَةٍ تَحُولُ دُونَ تَقْدِيمِهِمْ إِلَى مَا وَرَاءَ هَذَا الْحَدِّ . فَقَدْ
يَهْبُطُ التَّرْمُوزِيُّ مِنْ الْمِنْطَقَةِ الْبَارِدَةِ وَفِي دَاخِلِيَّةِ أَسْيَا
وَأَمِيرِكَا وَفِي مَا وَرَاءَ ذَلِكَ إِلَى ٥٠ أَوْ ٦٠ فَوْقَ^(٨) تَحْتَ
الصُّفْرِ . وَكَثِيرًا مَا يَجْعَدُ الزَّبَنُ أَكْثَرَ أَيَّامِ السَّنَةِ بَلْ يَهْبُطُ
تَرْمُوزِيُّ الْأَلْكُحُولِ فِي أَقْصَى تَحُومِ وَطَنِهَا الْإِنْسَانُ مِنْ

الْمِنْطَقَةُ الشِّمَالِيَّةُ الْمَجْدِدَةُ إِلَى ٩٠° أَوْ ١٠٠° ف° تَحْتَ
الصُّفْرِ . وَكَأَنِّي بِمُعْزِضٍ يَقُولُ "فَكَيْفَ يَسْتَطِيعُ
الْإِنْسَانُ الْحَيَاةَ فِي هَذَا الصَّرْدِ^(١) وَالْهَوَاءِ الزَّمْهَرِيِّ^(٢) وَحَجَرِ
ذِكْرِهِ يَكَادُ يَحْمِلُ ابْنَ الْبِلَادِ الْمُعْتَدِلَةِ عَلَى الرَّعْشَةِ وَالرَّعْدَةِ^(٣)
فَنَجِيهِ يَقُولُنَا إِنَّ كِسَاءَ الْفَرَسِ وَالْأَغْنِيَةَ بِالْأَذْهَانِ وَالزُّبُوتِ
وَسَكَنَ الْأَحْفَاشِ^(٤) الْوَاطِئَةِ السُّقُوفِ الْمَشْتَعِلَةِ فِيهَا الْكَوَاكِبُ
أَوْ مَصَابِيحُ الزَّيْتِ وَبُنْيَةُ الْإِنْسَانِ الْعَجِيْبَةِ الْمَلَأِيَّةُ تَغْيِرَاتِ
سَائِرِ الْأَقَالِيمِ وَحُبُّ الْوَطَنِ أَوْ الْإِكْتِشَافِ مِمَّا يُجَوِّلُ
الْبَشَرِ قُوَّةَ عَلَى تَحْمِيلِ دُلْبَةِ الْفَرَسِ^(٥)

- (١) نسرع (٢) الجبل العظيم (٣) بنجر (٤) الفلاة لا عشب
ولا ماء فيها (٥) السيد الشجاع (٦) الأرض الخالية (٧) فخرت
(٨) البرد (٩) الفارس (١٠) البيوت الصغيرة (١١) شدة البرد

منطقة القطبة الجرداء

أما المنطقة الجرداء أو السباسب^(١) الباردة فتتمدُّ جنوباً من السواحل
المجدبة إلى البحر القطبية فتتأخَّم إقليم الغياض المكتنف بأكاليل الاخضرار
الدائم. أما تجرد هذا الإقليم من الأشجار فلم ينشأ في الغالب من ارتفاع الأطوال

الثالثة بل من المراسر^(٢) المأبة على جرائر الاوقيانوس القطبي وبر السواحل
انسيب^(٣) ميويا لا يصدّه معقل ولا حاجر . فتفتى اصلب الاشجار واضخمها تحت
صدماها الشديدة الى الارض . فلا ترى شيئا بصميك^(٤) بكأبة القلب مثل
حزون^(٥) سيبريا ويراد بها الجرداء الواسعة الاكاف . فانك تشاهد هناك
الخشاب الظليلة والعرج والثام^(٦) وفي النباتات الوحيدة النامية في تلك
البطائح . وترى الخي^(٧) الزهيد والازهار الصغيرة لاجئة الى المحال الظليلة
للشود^(٨) عن حياتها . ولكنها لا تكاد تلتطف وحشة تلك الصفاصف^(٩) الغمة
فتمى عبر الحيران ذلك التطر شتاء ورحل يطلب ملجأ في الكهوف والاعوار
والسفوح ساد هناك الصمت الطويل . غير انه يتخلل ذلك السكون نعب
انيم وضباب^(١٠) الغالب . لكن متى برزت الارض في الربيع من تحت بحجوف
الشيخ الثائب واخذ جمد البطائح بالدوبان عادت اسراب الطيور والكواسر
فتبدل المشهد الكئيب بضعة شهور باجل منه . فان النظرة العجيبة تعلم كئائب
البحيرات هذه وتودها من الاقاليم البعيدة الى الصحاري القطبية حيث تجد في
الغمامات والبحيرات وعلى ضفاف الانهر والاضحال^(١١) والارياض الغاصة بالانماك
زادا وافرا . فهناك تبني اوكارها وتاوي اوكنها^(١٢) وترى فراخها بغاية الامن
والسكون . ويكث بعضها في ضواحي الادغال ويطير غيرها شاملا فتضع بيوضها
على اديم الصحراء

وتسبح النور والبواشق آثار الطيور الساجنة والماعلطة فتري اسرابا من
العقبان تحوم بين العليق والتناد . ومتى بزغت الغزالة سمعت جميع الزفافية
وطائر الخ

غير ان حرارة الصيف لا تجذب هذه الطيور الراحة فقط الى هذه
الصحاري القطبية بل تدخل الانماك الانهر اطاعة لطيرها التي تضطرها الى
مغادرة البحر والبحري الى الانهار لوضع صغرها^(١٣) في مياه الانهر والبحيرات
العذبة . وفي هذا الزمان ترحل الرنة عن الادغال لتنتج كلاً المناوز وتطلب

منطقة القطبة الجرداء

٩

في السواحل ملجأ من الذباب اللذاع الذي يطير جيوشاً لا تُحصى في تلك البطاح
ومكنا تبرز هذه البوادي شهوراً بجلّة حية جديدة . وكان للانسان من
ذلك النصب الاوفر . لان طيور السماء وامساك الماء وحوانات الارض تؤدى
له جزية الخضوع لاشباع جوفه وكسوة جسمه ووفرة ارباحه

ولكن حالما ينذر صقيع ايلول بوشك قدم الشتاء تسرع سائر الحيوانات
ما عدا التتر اليسير الى هجر اقليم يسلب المكث فيه حياتها . فيعود الأوز والبط
اسراباً . وتشد الطيور الساحلية في الاقاليم الواصلة ارضاً رفاقاً حيث تمكّنها
مناقلها الحادة من ثقب الارض تنميشاً عن طعامها . ويرحل دجاج الماء عن
البحر والبراغيز التي كادت تُسدُّ بالجمد وتووب الرنة الى الغابات . فلا تنقضي
بردة حتى لا يبقى شيء يحمل الانسان على المكث في هذه الصحراء القاحلة . ولا يمر
زمن يُذكر حتى ترى الثلوج الكثيفة قد غطت الارض الصلدة (١٢) والبحيرات
المتجلدة والانهر المنطقة بالجمد فاحتجبت تحت برقعها الابيض سبعة اشهر او ثمانية
او تسعة الا حيث هبّت الرياح الشمالية وجرفت بهبوبها بعض الثلوج فبدت
جلاميد الصخر للابصار

فمنه الثلوج التي تدوم كاسية اديم الثرى الى ان تذيبها ايام الصيف تحي
نبات الاقاليم العليا من برد الشتاء الطويل الفارس حامية نافعة جداً . فلها
الكساء الثلجي ولحرارة الشمس المحيطة بالافق ربع ايام السنة او ثلثها فضل عظيم
على ذلك الاقليم . فانها بنيمان القوة النباتية في زمان يكاد لا يصدق نمو عجيبي
حتى تشبى ارض واشطون وغرينل وسبتبرجن بازهارها ورياحيتها

- (١) الارض البعيدة المستوية (٢) الرمح الباردة (٣) يحل بك
- (٤) سهول (٥) انواع من النبات (٦) الحنيش الرطب
- (٧) للحماية (٨) المستوي من الارض (٩) صوت القعلب
- (١٠) المياه الرقيقة (١١) يوعها (١٢) يعضها (١٣) اليابسة

غابات الاقاليم القطبية

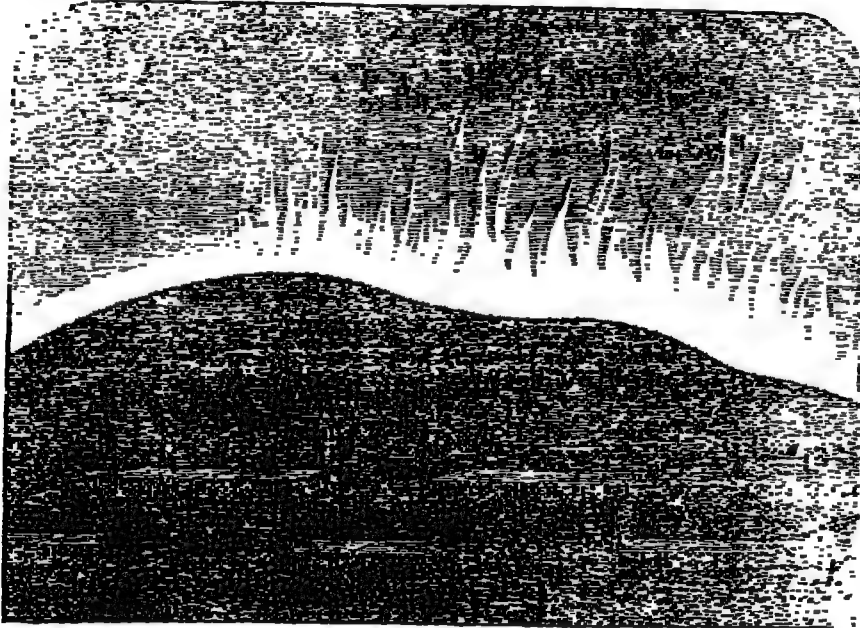
ان مساحة هذه الغياض اعظم من السهول التي تطوقها . فاذا تصورنا عرض هذه المنطقة البالغ من الف الى الف واربع مئة ميل رأينا ان غابات الامازون التي تغطي مساحة تزيد عن بريطانيا خمس عشرة مرة مجالا لا يُعَدُّ به بالنسبة الى هذا الاتساع الجسم . وهذه الآجام تبين^(١) غياض الاقاليم الاستوائية . فان اشجار تلك متنوعة الاشكال والاجناس واما هذه فمؤلفة في الغالب من جنس واحد تحمل اثمارا مخروطية الشكل كالصنوبر والشرين وتغطي مساحة ارض عظيمة

وما يميز هذه الغياض ايضا علامات الصبا البادية على ظواهرها والتضاضة^(٢) الطبيعية . اما علة ذلك فظاهرة وهي قصر مدة الصيف فانها وان اطلعت فروعها جديدة لا تنطفيها الحرارة وقتا كافيا لانماء الخشب وتخصيبه . ولذلك كان نمو الاشجار يبطؤ كلما تقدمت شمالا . اما صفة الآجام القطبية الثابتة فهي سلامتها من البراكين^(٣) والافات . فان السامح لا يصادف هناك نباتات سامة . ولا افاعي قتالة تنساب بين الجبطل^(٤) ولا تماسيح تكمن في الغمقة ولا عقارب لذاعة حتى ان الضواري كالذئب والذئب في اقل فتكا وظلماء للدماء من وحوش المنطقة الحارة المائلة بل يندر وجود الشوك والعليق في تلك البقاع

(١) تخالف (٢) الطرارة (٣) الدواهي (٤) الشجر
الكثير المتلف

انوار الافق الحمراء والشفق الشمالي

ان الطبيعة وإن اكتست في القطبتين بكساء الجفاء والعبوسة ترى
لاوضاعها العالية جمالاً بديعاً خاصاً . فلا شيء يفوق غروب الشمس القطبية
بهاء . ولا الجبال الشاهقة^(١) المكسوة بالثلوج والافق الزاوي بألوان الالوان ولا
ابعد من تألق^(٢) الدراري ليلاً المزودة بالقمر المثلث الذي يمتلئ الافق



الشفق القطبي

اياماً كاملة . ولا يغيب حتى يكمل دورانه الطويل الهبي . وما يزيد محاسن هذا
المشهد النفيس بياض تلك المواد الناصع^(٣) وشفافية الجلد الصافي . ذلك كله
يقود سكان تلك الانحاء عند ما يضربون في تلك البوادي والبطائح والانجاد
ويرشدون الى المصائد وابواب الرزق
ومن غرائب الطبيعة هناك ركام^(٤) الجهد وجباله وذلك منظر بديع

يذمل العقول . فلا تظهر هذه الجلايد البلورية باهى جمالها الا متى كسها
شمس نصف الليل بمطارف^(٥) الشفق الباهر فتراها عن بعد ككل معادن صقيلة
لامعة او مشاعل ملتهبة صلدة . ولكن متى تفرست بها عن قريب رأيتها مضاب
مرمر شفاف مرصع باللاتى والجواهر الكريمة . وعابثت آفاقا من الخنادل^(٦)
البلورية لامعة تدفق في البحر من جوانبها . وهذه المياه تنطلق شائب^(٧) من
بحيرات الثلج والجهد اللاتب المستقر ساكنا في اوديتها

ولكنك لا تشاهد بين كل تلك الصور الجميلة منظرا اجل من الشفق
الماحر الالباب . فتبى سدل الشفق ذبولة على الارض المكسوة بالتلوج ورأيت
النجوم تلعب لمعانا فائما بين الغمام الذي يعم نورها في الاطوال العالية لاح لبصرك
فجاءة قوس انوار عريضة صافية منتشرة على الافق في الجهة التي اجازها خط
نصف النهار المنطبي . فقد تمكك هذه القوس ساعات تموج وترقص وبهتت
ذمابا وايابا فتربل نحو ذروة الافق جلال انوار بارقة حمراء وصفراء وزرقاء
وارجوانية . وقد ينبعث هذا الوميض من تلك القوس فقط . وقد تراسل هذه
الانوار وتتموج في جهات الافق المتخاذية وتولف بجرا ناريّا فسيحا لا تنفك
امواجه تثير اوضاعها وحركاتها . ثم تجتمع اخيرا فتنبثق منها قبة نارية مدهشة
او اكبل غاية في البهاء . وحينئذ يبلغ المشهد اسمى جماله فيأخذ يجامع القلوب
ثم يزداد لمعان الانهر فتزهر واسطها بالاحمرار وقواعدها بالاختضرار
وسطوحها بالاصفرار الذهبي ثم تنشب في الجو كوميض البرق اما هذه الالوان
فشقائقه شغوقا يجب منه . فتري اللون الاحمر ورديا كالدم الصافي والاختضر
زمرديا صافيا . ثم اذا التفت من الفلك الملتهب الى الارض رأيتها مشاعل
انوار سحرية تسمي ابصار الناظرين . وشاهدت البحر المظلم اسود خالكا كالنقى
البهم ياكس لونه لون السهول الثلجية البيضاء وجبال الجهد البعيدة . فتقال
هذه المشاهد كلها احلاما بجمه او رؤى مبطت عليك من عالم الارواح
فكانت تلك الانوار وجدت هنالك لتمزيق حجب الظلام الكثيفة المسدولة

على سكان تلك الاقطار والتعويض لم عن احتجاب نور القزاة اشهرًا متتابعة. فان الشمس تغيب هناك عن الابصار اسابيع متوالية وتختبئ ليس باليوم المتلبدة بل تقرب غروبًا مديدًا ولا تبرز من خدرها الشتاء برمتيه. فلا تشاهد هناك الاصباح البهية والامساء البهيمية ولا مواجر النهار بل ترى النجوم تاتى كل آن تألقها في النهار الدامس^(١) ونضيء بلعمان اوفر مما في سائر الاقاليم وفي خلال ذلك تبرز تلك الانوار البديعة التي المعنا اليها وترقص وتوج في الافق فيسير القوم بنورها بل يشتغلون ويبدأون ويصيدون ولولا هذه الانوار لكان سكان تلك البلاد في شر حال واسوأه. ثم يغيب ذلك الاكليل تدريجيًا وتحل قوس الانوار. فترى الانهر قصرت مجاريها وقل حججها وسرعتها وخيمت ظلمة الشتاء على تلك الصحاري الشمالية

- (١) العالية (٢) لمعان (٣) الشديد (٤) القطع الكبيرة
(٥) رداء من خز (٦) الترع (٧) الدفعة من المطر (٨) المظلم

بعض حيوانات الاقليم القطبي

ان الانسان سيد الارض في سائر جهات المسكونة قصير الباع ضيق ميلان السعي في هذه الاقاليم القارسة البرد فيجول على اديمها^(١) صائدًا او قانصًا او راعيًا. فليس هنالك سوى معمرات صغيرة تنصلها صحاري فسيحة وهذا دليل على ضعف حركته في ترسيخ اقلامه على تلك الاصقاع ولندرة الزراعة والصناعة في تلك الاقطار يلجأ الانسان الى الانتفاع بالحيوانات الدنيا سداً لحاجته. فهي مولد رزقه وثروته وموضوع عنايته. فتعطيه طعامًا وكساءً وموادًا للأواني وصنع ادواته القليلة والحلوة. فقد سلحت

الطبيعة هذه الحيوانات سلاح تدفع به عن نفسها من البرد القارس. غير ان ذلك السلاح يعرضها لهجوم الانسان عليها ويجذبها الى قصصها. فان فرو الدب الكيف والتعلب والسحاب والمخلد وعجل البحر والحيوانات الاخرى القطبية من مواد التجارة الثمينة. وهي ابواب رزق بدوسبيريا واسكيمو اميركا الشمالية. ولا يخفى ان مصائد كرينلاند ونروج وريش طيور ايسلاند من اعظم وسائل رزق تلك الاقطار

اما الرنة فانفع سائر الحيوانات القطبية. ولا غنى عنه للآبلاندي والمبييري والاسكيمو. كما ان لا غنى للبدي عن الابل وللبيروفي عن البغل ولهندي اميركا عن الجاموس ولساكن جزائر الاوقيانوس الهندي عن نخيل جوز الهند. فذلك الحيوان العجيب حيا كان او ميتا يزود الابلاندي المجد بمنافع اربعة حيوانات مفيدة وهي الفرس والبقرة والغنم والماعز المتمتع بها سكان الاقاليم المعتدلة وهو حيوان يسهل دجه^(٢) وتأمله. بل يدرا^(٣) عن صاحبه تسب ملو وتفتق. لان العناية خصته بساكنة غريبة لا تحصى وفي الخبر برجله على الطلح والعشب بين الثلوج لفصيل قوته. فكما ان الجمل يحب سفينة اوقيانوس الرمال بعد الرنة حمل بحر الثلوج

(١) وجهها (٢) جملة البقا (٣) يدفع

القطب الجنوبي

إِنَّ وَحْشَةَ الْقُطْبِ الْجَنُوبِيِّ تَقُوقُ عَلَى الشَّمَالِيِّ. فَلَا تَرَى
هُنَاكَ صَائِلًا يَدَّابُ كَالْأَسْكِييِّ وَيُطَارِدُ الدَّبَّ وَعَجَلُ الْبَحْرِ
وَلَا قَانِصًا صَبُورًا كَالْآبْلَانْدِيِّ يَتَأَثَّرُ الرُّنَّةُ إِلَى ضِنَافٍ

الْأَوْقْيَانُوسِ الْقَلْبِيِّ. وَلَا تُشَاهِدُ إِلَّا مَنَازِرَ مُوحِشَةً غَرَبَ
عَنْهَا الْإِنْسُ وَبَلَّافٍ^(١) لَا سَاكِنَ فِيهَا وَلَا سِيرَ إِلَّا بَعْضَ
الْطُّبُورِ الْغَرِيبَةِ الْأَشْكَالِ. فَإِنَّ ذَوَاتِ الْأَرْبَعِ لَا تَعِيشُ
هُنَالِكَ وَلَا يَرَى شَيْءٌ سِوَى ثُلُوجٍ مُتَلَبِّدَةٍ إِلَى حَافَةِ الْبَيَادِ
وَلَا جَرَمَ إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ مَنَاطِيرِ الطَّبِيعَةِ فِي تِلْكَ الْأَقْطَارِ
سِلْسِلَةُ جِبَالٍ بَارِيٍّ إِلَيَّ تَبَعْدُ عَنْ زِيلَانْدَا الْجَدِيدَةِ ١٧٠٠
مِيلٍ. وَمِنْ أَرْفَعِ فِيهِمْ هَذِهِ السِّلْسِلَةِ جَبَلُ إِيرِيُوسَ وَهُوَ
بَرْكَانٌ دَائِمٌ الْهَيْجَانِ. فَقَدْ أَسْعَدَ الْحِطَّ السِّرَّ جِيَمَسَ رُوسَ
أَعْظَمَ الْمُكْشِفِينَ فِي تِلْكَ الْأَنْبَاءِ بَأَنِّ شَاهِدَهُ ثَابِتًا سَنَةً
١٨٤١ فَكَانَ عَهْدُ اللَّيْلِ وَالذَّخَانِ مُرْتَفِعًا ٢٠٠٠ قَدَمٍ
فَوْقَ فُوْهِهِ الْبَرْكَانِ الْبَالِغِ عُلُوُّهَا ١٢٤٠٠ قَدَمٍ فَوْقَ سَطْحِ
الْبَحْرِ. وَكَانَ مَنَظَرُ تِلْكَ السِّلْسِلَةِ الْمَكْسُوفَةِ بِالثَّلُوجِ
وَالْأَوْقْيَانُوسِ الْأَزْرَقِ مِنْ أَبْدَعِ الْمَنَاطِيرِ. وَقَدْ أَجْمَعَ رَأْيُ
الْعُلَمَاءِ عَلَى وُجُودِ قَارَةٍ وَسِيعَةٍ جَنُوبِي هَذَا الْقُطْبِ. غَيْرَ أَنَّ
الْمُكْشِفِينَ لَمْ يَلْغُوا تِلْكَ الْأَقَالِمَ الْبَلَقِيَّةَ. وَلِذَلِكَ كَانَتْ
مَعْرِفَةُ الْعَالَمِ بِأَرْجَاءِ الْقُطْبِ الْجَنُوبِيِّ مَبْأً لَا يُعْتَدُّ بِهَا

الزقاق الشمالي الغربي والسفن المسجونة في الجهد

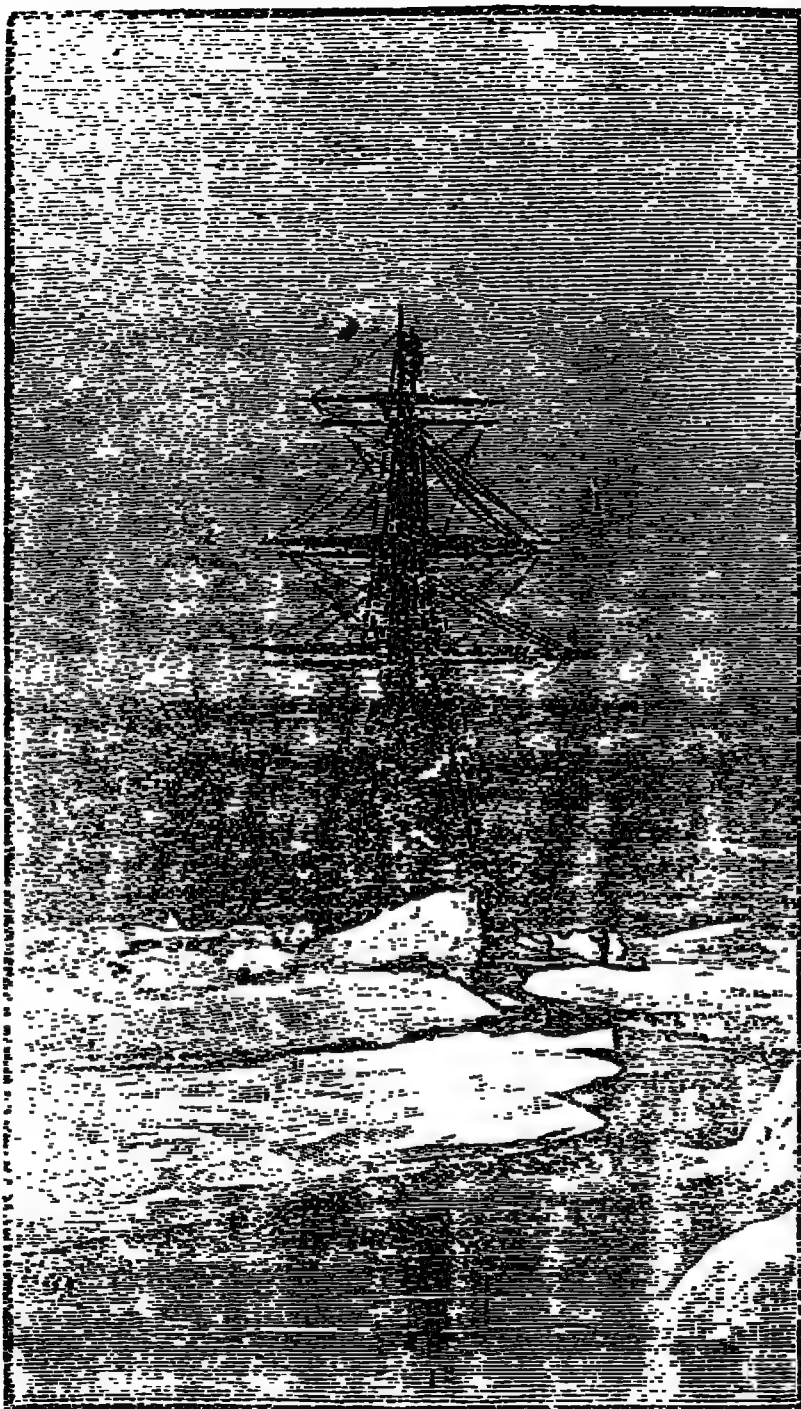
استخدم القوم البخار صانعا وناقلا بدلًا من الأيدي والخيل والبرق رسولاً عوض البريد . ولكنهم لم يكتفوا بذلك بل راموا الوقوف على مجاز يؤدي من الأوقيانوس الأتلاسيكي إلى الباسيفيكي اقتصاداً بالوقت والثقة . فرغبوا في العثور على زقاق شمالي غربي يسهل لهم الطريق ويقصرها بدلاً من الطواف بأميركا الجنوبية عند رأس القرن أو حول إفريقية عند رأس الرجاء الصالح فذهب البعض إلى إمكانية السفر في أقصى شاطئ أميركا الشمالية وبلغ الأوقيانوس الباسيفيكي وسبوا هذه الطريق بالمجاز الشمالي الغربي . فلو تسنى الأمر لقصر الطريق أميالاً هائلة وإنشأ اقتصاداً جسيماً بالوقت والثقة فشرع العلماء بالسلاह بالجهد والتفتيش وعثروا على عدة خلجان وأجوان نمت باسمهم منها زقاق باقن وخليج مدسن وبوغاز داقس . غير أن عدواً لدوداً ما زال يتعرضهم ويصدّم عن انغام مشروعاتهم الخطيرة وما ذلك إلا البرد الفارس

فإن البحر يتحوّل في المنطقة المتجمّدة إلى جدي صلب يذوب بعضه صيفاً وتنصل منه قطع كبيرة تعوم على سطوح كالاطراد^(١) وتسبب للمسافرين أخطاراً جسيمة . فإذا صدمت سفينة كسرهما قطعاً . وقد تطلّون تلك القطع بالوانٍ بيضاء خضراء وزرقاء وحمراء كالبلور الصافي تفتن الناظرين . أمّا الملاحون فيجاولون أبداً بجانبها والجحلمان عن سبيلها

وأظنك سمعت بذكر القبطان فرنكلين الذي كان شجاعاً متعلماً مغامراً^(٢) أنه عند النية على اكتشاف الزقاق الشمالي الغربي وحاول ذلك مراراً ولكنه ذهب

الزقاق الشمالي الغربي والسفن المبحرة في الجهد

١٧



سفينة عرسها الارياح

فريسة هذا الاكتشاف. فان سنة لصقت بالجهد ونجحت فيه امدا طويلا كان يتوقع في خلاله ذوب الثلوج واطلاق سراحه فلم يفرز بالمرغوب. غير انه اخذ يشجع رجاله ويحثهم على الصبر والتجهد ويسلمهم بالالعب والانشاد والتمريعات على غير طائل. فاقبل الصيف وكاد يقتضى ولم يذوب الجهد. وفرغ الزاد واشتد البرد وهجرت الذئب والبعاب ذلك القطر ورحلت عنه الى بلاد ادفأ وتعذر الصيد في الثلج. فاضطر فرنكلين وجماعته الى مغادرة السفينة وجرّ القوارب على الثلوج ونقلها الى مجر سائل لاجد فيه

فكشّر البرد القارس لم عن ناب المنية ينفام يحاولون ذلك وفكك فرنكلين واكثر قومه فتكا ذريعا. غير ان الباقيين ومن اتى بعدهم بلغوا البحر السائل وراء البحر التجهد بعد معاناة اشق الالعاب والخطاطر وفازوا بما كانوا ينامون لاجله ذلك الزمان المديد. ولكنهم رأوا عقيب تلك المصاعب واكتشاف الزقاق الشمالي الغربي انه يتعذر اجتياز تلك الطريق لتراكم الثلج والجهد في سبيلها. فذهب البعض بعدئذ الى امكانية التعويض عن هذه الطريق بترعة تفصل بين اميركا الشمالية والجنوبية بترع البرزخ الضيق بينها. فاذا تم هذا المشروع امكن المسافرين الانتقال تولا من الانلاقيكي الى الباسيفيكي بايسر مرام واقصر وقت

ثم زاد الدكتور كين الرحالة^(٢) الشهير على اكتشاف القبطان فرنكلين بأن بلغ فعلا البحر السائل وراء البحر القطبي التجهد. وكان الموما اليو قد مكث الشتاء كله معجونا في الجهد. فلما اقبل الربيع وذاب الجهد أمب سنة وسار نحو القطب. وماخر^(٣) فحواربع مئة ميل حتى رأى قطع الجهد غابت عن العيان واصبح في وسط مجر سائل صاف يحاكي ماء مياه البحور المعتدلة. وكان لون ذلك البحر ضاربا الى الاخضرار وماءه يكاد يكون حارّا. وكانت طيور الدجاج البرّي والراغ والقواص تطير عليه مجبور ولديناج

اما المواد فكان عليها لا بشوية^(٤) برد قارس حتى كاد الدكتور كين

لا يصدق كونه مدانياً القطب الشمالي. فابتهج ابهاجاً لا مزيد عليه بالشور على
هذا الجبر والكرامة والشهرة التي سوف يفوز بها عند ابايه الى الاوطان حاملاً
بشائر هذا الاكتشاف. فرفع في السفينة الرابطة الاميركية اشارة الى النصر
والسرور. ولما كانت قد خارت قوى البحارة من الاتعاب والمشقات ابوا
التقدم الى الامام. فاجتزأ برفع اعلامهم فوق تلك الجبار والتمتع بمنظر ذلك
الجبر القطبي الذي غامر العدد العديد من العلماء الاعلام تنقيساً عنه وذهب
اكثرهم فريسة البرد القارس والمحنتان الكبيرة. ثم عاد المكتشف يجماعته
الى الوطن

غير ان قوماً آخرين اقتفوا خطواتهم وما زالت المغامرة الى تلك الانحاء
ترداد بزيادة الاكتشاف والوقوف على حقائق جديدة. ويظن ان نهراً من رفاق
المنجج الحار يجري الى القطب الشمالي وان هذا هو علة وجود هذا الجبر السائل

(١) الجبال (٢) مخاطر (٣) الكثير الاسفار (٤) سافر
بحراً (٥) يصيبه

— ١٠٠١ —

كلاب المركبات والدب الايض

الاسكيمو قوم قصار القامة يقطنون المنطقة النجمية حيث يشتد البرد
فيتدثرون^(١) بالقرو والجلود

اما القرو فمن الدب الايض الموجود في ذلك الاقليم. والجلود من عجل
الجبر اضعف الجثة المستدير الرأس القاطن تلك الجبار فيصنعون منها لباسهم
اما الكلاب فاعظم الحيوانات نفعاً للاسكيمو لانها تقوم عندهم مقام الخيل
العديّة الموجودة في تلك الاقطار لتعذر عليها وطريق تسير عليها

فانما شاء الاسكي^١ اضطر الى الركوب في مركبة نجحها الكلاب. وفي مركبة
لا دولاب لما يصنعها ينمو من عظام البال^(٢) ويغطيها بجلد عجل البحر. ثم
يشدها الى الكلاب بسور قدما من الجلد المذكور. ويسوقها بالسوط^(٣) فتسير
في المسافات الشاسعة

ولما كان الدب الايض عدوا للدودا^(٤) لهذه الكلاب كانت مفرمة
بطاردتو والتك في ونجدة اسيادها على صيده للفوز بقوت وكساء من لحم
وجلد. فانارام صاحبها حثها على العدو نادى باسمه (نانوك) فتخرج^(٥) في
طعما بصيده

وتقدم هذه الكلاب كلب قطن كبير الجثة خبير بمجامل تلك الارض
ومعالمها تلما يخطى الطريق فيضع خطه^(٦) على الارض ويشد وراءها
وكثيرا ما يقسو السائق على هذه الكلاب ولا يشبع اجوافها خاصة في
الشتاء. وذلك لثقل الزاد في هذا الفصل اذ يعسر عليه اشباعها. غير ان زوجته
ارقت منه قلبا ولوفر عناية بها. فتضع لما كل ما تستطيع وتسمح لما بالاضطجاع في
جشها^(٧) وتعني بتمريضها حين الحاجة. ولذلك كانت تحب ربة المنزل محبة
شديدة وتبها ابنا سارت ومتى نادى بها بادرت اليها وسحبت لما ان تنوطها
بالمركبة

واذا رأت هذه الكلاب ما يترك عدت اليه فتعذر على السائق صدها
ولو نزل عليها بالسياط بل لا تزاح من مكانها حتى تنتهي^(٨) عن آخره.
اما الدب الايض فيسكن البر والبحر معا واسمه دب الجدل لانه يعيش
على الثلج. وفروه ابيض اللون لين الملمس واصابة متصلة ببعضها كالبط
والاوز ويستطيع السباحة كالسمك. ومتى صعد الى البر سبق الانسان عدوا
وطرادا فاستحال عليه قصة الا بالحيلة والدهاء والكون

وطعام الدب الايض الاسماك والطيور والتمالاب والرتة متى ظفر بها.
وهو شديد الضرى^(٩) ولا سيما حين السغب^(١٠). والدب يصيد عجل البحر حين

يكون نائماً على الثلج . فينسلل اليه تسللاً لا تسمع به وقع اقدامه . فلا يشعر الجمل
الأ وقد امسى غنمة الدب فيقتدره ولا يغادر لأعضائه أثراً

- (١) يلبسون (٢) الحوت (٣) كراچ (٤) شديداً
(٥) شدة العدو (٦) فة (٧) البيت الصغير (٨) نبتلة
(٩) التفك (١٠) المجموع

بيوت الثلج

ان المنطقة المتجمدة خالية من البيوت الحجرية والخشبية لخلوها من مواد
البناء ولجمل الاسكي واللابندي صناعة العمار . فلا مدن هنالك ولا اوصار
ولا صروح ولا قصور بل بيوت ثلجية يسكنونها شتاءً وهجرونها صيفاً . والتجبد
عندهم بمثابة الحجر الصفيح الناصع ^(١) يبنون منه مساكن يأوونها من صبرارة ^(٢)
البرد . فتمى كان البيت جديداً رأيت نظيفاً ايضاً . وكأنه لا يلبث حتى يشع
ويكدر لونه . ومتى اقبل الصيف يذوب

ويضيئون في تلك المنازل الثلجية سرجاً وقودها شم الحوت وعجلى البحر
ودهن الأسماك . بضرته في صحاف ضمها فتناديل عديدة . ويستعملونها كجدار
للدفء والطبخ والانارة . وذلك بان يعلقوا الطاجن ^(٣) فوق الصفيحة المنضبة
فيطهون ^(٤) عليها اسماكهم التي كثيراً ما يأكلونها نيئة ولما لم يكن لهذه البيوت
مداخل يتساعد الدخان ويملا الغرفة ظلاماً وكثناً وقناراً ^(٥) ورائحة كريهة .
وكوى البيوت مصنوعة من جمد ايضاً . لا ترى فيها كراسي ولا موائد ولا
خزائن . لان القوم هنالك يجهلون صنع هذه الادوات والامثلة وتعوزم موادها .
فيشيدون حول الحجرة دككاً ^(٦) ثلجية او مقاعد يغطونها بجلود اللجوس والاضجاع

والثلج يحوّل في هذه الاقطار الى جسد صلب يكاد يحاكي الحجر ويدوم
الشتاء كله . ومتى حي اليت بالاضواء وانفاس البشر اخذ يدوب . فيمسك
الاسكي قطعة ثلج جديدة ويدلك بها محل القطر فيصلح الخلل في الحال



الزبداني على الثلج

ومتى جاء الصيف يُسرّ الاسكي بالخروج من بيت الثلج لانه يفتا يكون
مضطجعا في فراشه ياخذ الثلج بقطر عليه . فيورثه الزكام او التلة الصدرية

فيقادره الصيف بأسره ويسكن في مضرب بضربة لنفسه في انجاء ذلك انظر
وصعوده

وقد يثر الاسكي على اخشاب تأتيه عنوا من بلاد غرية محمولة على
مجاري المياه ومجروقة على السواحل . فيأخذها ويبنى بها مسكنا . واذا تعدر
وجودها بني مأواه من الجمد كما تقدم القول

ولما كانت هذه الاصناف قارسة البرد وافرة الجمد طويلا الشتاء استحال
نمو الاشجار والنباتات في تربها . ولذلك خلت من الغلال والبقول والثمار .
وكان قوت سكانها الغالب الاسماك وعجول البحر والادمان الملائمة برد ذلك
الاقليم

فاذا قابلت ايها القارئ نفسك بهؤلاء النوم وتأملت مجرماتهم من أكثر
وسائل الراحة والرفاه والنعيم وبما انت متمتع به من تضارة العيش ورخاوي
الآلات قلبك سرورا تشكر الخالق الجواد الذي ميزك بهذه النعم الثمينة
والمواهب الثمينة

- (١) الشديد البياض (٢) شدة (٣) نوع من القدر (٤) يطبخون
(٥) دخان اللحم (٦) مصاطب

الكرينلندي والحوت

ان الكرينلنديين همجرون ميونهم صيفا لصيد الحوت او البال المسى
ولرس . ولها الحوت في شفته العليا عضو مستطيل يشاكل الحربة . فيركبون
القوارب المصنوعة من عظام الحوت والمغطاة بجلود عجل البحر ليدراوا^(١)
عنهم البال

ثم يأخذون بطاردة ماته الحيتان التي تعيش في البر والبحر على السواء .
فتساقط الى الماء بعضها فوق بعض وتعدو فراراً من حرية الصياد . غير ان
القائمين يجذفون وراحمات القوارب فيأخذ منها الغنيظ كل مأخذ وتبدي شجاعة



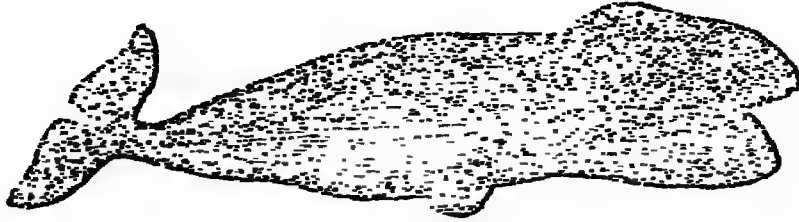
ولرس

وتحمساً لا مزيد عليها . فتخط بالزورق^(٢) وتحاول قلبه بمن فيه . فيجاهد
الصيادون معها جواد الابطال ويرشقونها بالحرايب والنبال ويطعنونها
طعنات كثيرة الى ان تنضب المياه بدمائها وتسقط مائة
والكرينلندي مغرم بصيد هذه الحيتان لانها نافعة له كل النفع ولا سيما
اسنانها البيضاء اللامعة . فانها عاج نفيس يتاجر به ويقتات بلحمها ويستضيء
بشحها ويكنى بجلدها

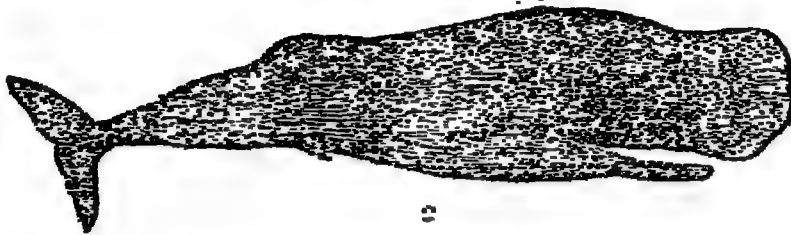
ولمذه الاسنان فائدة كبيرة للحوت فانه ينشعبها في الجهد ويمجر نفسه
بواسطتها . ومع ان هذا البال ضخم الجثة واسنانه هائلة المنظر فلا يضرب الصيادين
ضرراً فادحاً^(٣) . اذ ليس له في مقدم فم اسنان ويعدر عليه اكل اللحم
فياكل اعشاب البحر والحويوانات الصدفية . واذا هاجم الدب الابيض دافع
عن نفسه باسنانه التي في سلاحه الوحيد

اما يوت الكرينلنديين فبلية من حجار ضخمة ومعقوفة باخشاب تسوقها

مجارى المياه. ولا كان برد تلك البلاد قارساً خلت من الأشجار والمحجوب واضح
الكرينلندي ضيقاً^(١) جداً باخشاؤه فلا يستعملها وقوداً بل يدفى بيته بالمصباح



١



٢

البال

الكثير الفئائل كالاسكي ويقطن المتزل الواحد عديم عيال كثيرة تفصل
كلّاً منها حواجر خشية. ولما هذه السيوت طاقات وكوّنى ضيقاً جداً لا يدخلها
الآ التمر^(٥) القليل من الهواء. ومتى دخلها احد يجب ان يزحف على بطنه في
دهليز مظلم

والكرينلندي مولع كالاسكي بصيد عجل البحر طعماً بلحمه. ولا يفتأ معلقاً
وعاء الطخ على المصباح النهار كله. واذا زار زائر قدّم له قليلاً من اللحم على
سيل الضيافة. ويستعيز الكرينلندي بهذه اللحم وبما يصيده من الرنة عن
المحجوب والبقول اذ لا وجود لما فيه تلك الربوع

(١) ليحبوا (٢) سفينة صغيرة (٣) شديداً (٤) بجيلاً

(٥) ما لا يعتد به

لابلندا والابلنديون

لابلندا واقعة في أقصى شمالي أوروبا عند المنطقة المتجمدة. وإهلها قصار القامة يسكنون المضارب. فتراهم تارة يستنهمون^(١) الجبال ولونة تبتطنون الوهاد^(٢). حرصاً على حيوان ثوقف عليه معيشتهم وهو الرنة. فتى اقبل الصيف يظهر بعوض لذاع يلذع الحيوان المذكور فيؤله فيفرّ الى الجبال فيتبعه الابلندي حيث يضرب خيمته. ومتى جاء الشتاء يغيب البعوض فيسوق الابلندي رنته الى السهول

اما خيمة الابلندي فصغيرة ضيقة الباب حتى لا يكاد الانسان يدخل فيه. وليس لتلك الخيمة مدخنة فيخرج الدخان من منفذ صغير في اعلاها ومتى خرج سود وجوه سكانها فامسوا كالزئوج. ولا يضيئون في تلك الخيام مصابيح او شموعاً بل يقتضرون على ضوء النار. ويجلسون ويضطجعون على جلود منشورة على الارض. ولا اناث عندهم ولا رياش^(٣) الا ما ليس جذيراً بالذكر ولا ساعات عندهم لمعرفة الوقت بل يستدلون عليه بالنظر الى الشمس والغني عندهم من وفر عدد ما يملكه من حيوان الرنة. لان الابلندي قلماً يأكل سوى لحنها ولبنها ومتى قدم الشتاء وطار الدجاج البري الى اقطار اخرى وجمد ماء البحر حتى تعذر صيد الاسماك يذهب الى قطع الرنة ويذبح منه حيواناً فيقوم عنده مقام الغنم والبقير

ويحلب الابلندي اناث الرنة مساءً ويصير منها لبناً خائراً حلواً تفوق لذته لبن البقر وتصنع منه زوجة جيتا. غير انه لا يصنع اللبن ولا يستعمله في طعامه

وفضلاً عن نفع الرنة للحم والالبان يجر المركبات على الثلوج بدلاً من الخيل اذ لا وجود لما عندهم. فينوط الابلندي قرونها بسير جلدي عوضاً

عن اللجام ويسافر اميالاً عديدة بدون مانع . ويصنعون هناك من جلد الرنة
كساءً وبساطاً ودثاراً وكنما يتفرون اليه من الرياش . وعليه اصبحت حياتهم
مرتبطة كل الارتباط بهذا الحيوان لانه يكسوم ويقونهم ويقلمهم من مكان الى
آخر فلا بدع اذا احبوه وقدروا به غنام

اما قوت هذا الحيوان فالاشنة النابتة تحت الثلج . ومعنى اقبل الشتاء
وكثير الجمد يحول بفتش عن الطخاب . فيبتش بخطبه الثلج وبلغ سميت الاشنة
ويأخذ بيلع بها قانماً . وليس لهذا الحيوان مأوى اوزربية فيحول في القلوات
فوق الثلج تحت البرد القارس ولا يلتم به ضرر . ولو عاشت الخيل والابنار
هناك على هذا المنوال لتبعت عن آخرها . اما الرنة فقد خص بها الخالق
الحكيم تلك الاقطار لنظام حياة الابلنديين وعزائهم

(١) يرقون (٢) يسبرون وسط الوديان (٣) اللباس
الفاخر (٤) نوع من النبات

—xxx—

ايسلاندا والغياسر وجبل هيكلا

إِنَّ أَيْسْلَانْدَا وَابْنَةَ قُرْبَ الْهَيْطَةِ الْمَجْدَّةِ . فَوْقَ هِضَابِ
وَأَكَامٍ وَصُخُورٍ تَكْثُرُ فِيهَا أَشْجَارُ السُّودَانِ وَالْمَوَادُّ الْخَرَقَةُ
الْبُرْكَانِيَّةُ . وَفِيهَا جَبَلٌ هَيْكَلًا أَلْيَضُ الرَّأْسِ الْمُسْتَعْلِ
الْمُجَوِّفِ

وَتَمْتَدُّ النِّيرَانُ فِي جَوْفِ هَذَا الطُّورِ "الْبَادِخِ" إِلَى أَمَدٍ

بَعِيدٍ . فَتَلْتَفِي فِي سَبِيلِهَا بِيَاهٍ غَرِيبَةٍ نَلَّا نُنْعِمُ^(١) هَذِهِ الْبِيَاهُ حَتَّى
تَعْلِي وَتَحِيشُ^(٢) مِنْ فِعْلِ النَّارِ . وَإِذَا وَضَعْتَ أذُنَكَ قُرْبَ الْأَرْضِ
سَمِعْتَ أَزْجَرَ الْخَارِ وَزَمْزَمَةَ^(٣) نَحَاكِ هَزِيمِ الرَّعْدِ . وَذَلِكَ لِأَنَّ
الْمَاءَ وَالنَّارَ أَخَذَا بِلَتْفِيَانٍ بَعْضُهَا . وَمَنْ وَجَدَ الْمَاءَ مَنفَذًا خَرَجَ
شَوْبًا^(٤) كَمَا مِنْ بَنُوعٍ وَتَسَاقَطَ حَارًّا جَائِشًا فَتَسْتَطِيعُ سَلْقَ
بَيْضَةٍ فِيهِ . وَيَظَلُّ نَاشِئًا وَمُرْتَفِعًا إِلَى أَنْ يَكُونَ بُرْكَهَ صَافِيَةٍ
حَوْلَهَا الْحِجَارُ الْهَرَابِيَّةُ مَعَ الْبِيَاهِ . ثُمَّ يَكْفُ بُرْهَةٌ وَيَعُودُ إِلَى
عَمَلِهِ بِقُوَّةٍ . وَهَكَذَا عَلَى التَّوَالِي وَالْتِفَافِ

وَيَقْصِدُ السَّيَاحُ هَذِهِ الْبِنَايِعَ لِلْفُرْجَةِ عَلَيْهَا . فَيَرَوْنَ عِدَّةَ
شَايِبَ وَمِيَازِبَ تَطْرُحُ أَمْوَالَهَا إِلَى عُلُوِّ شَاهِقٍ . وَيُعَايِنُونَ
بِلَكَ الْبَرَكِ الْحَارَّةَ تَحْتَهَا نَزْرُ^(٥) وَتَحِيشُ . وَالْأَرْضُ تَدْمِيمُ كَالرَّعْدِ
وَالدُّخَانُ يَتَصَاعَدُ مِنْ دُرُورَةِ^(٦) أَهْلِ الْمَكْسُورِ بِالثَّلُوجِ . فَيُؤَلَّفُ
مَجْمُوعُ ذَلِكَ مَشْهُدًا يَأْخُذُ بِجَمَاعِ الْقُلُوبِ

وَقَدْ أَشْتَعَلَ جَبَلُ هَيْكَلَا مِذْ عِشْرِينَ سَنَةً أَشْتِعَالًا هَائِلًا
حَتَّى لَمَغَ رِمَادُهُ جَرَائِرَ أَوْزَكِي بِقُرْبِ سَاحِلِ إِيْفُوسِيَا فَزُلْزَلَتْ
الْأَرْضُ وَسَمِعَتْ أَصْوَاتَ رَائِعَةٍ تَقُوقُ هَزِيمِ الرَّعْدِ قُوَّةً . وَإِذَا
بِالْجِبَلِ انْشَقَّ وَتَفَجَّرَ وَأَخَذَ بِإِقْمَاءِ النِّيرَانِ وَالْدُّخَانِ وَتَسَاقَطَتْ

الْمَصْهُورَاتُ وَالْمَحْمَمُ^(١) تَجْرِي عَلَى جَوَانِبِهِ وَحَرَقَتْ كُلَّمَا صَادَفَتْهُ
فِي سَبِيلِهَا. وَكَانَ مَنْظَرُ ذَلِكَ الْجَبَلِ مِثْلًا يَهْلَعُ الْقَوْمَ مُلْتَمِعًا
بِضَبَابٍ وَبُخَارٍ وَرِمَادٍ. وَكَانَ هُنَاكَ نَهْرٌ بَارِدٌ جَارٍ قُرْبَهُ فَتَحَنَّنَ
مَائُهُ وَبَاتَتْ أَسْمَاكُهُ فِي الْحَالِ

وَلَمْ يَنْقُضِ أَسْبُوعَانِ مِنْ ذَلِكَ الْحِينِ حَتَّى آسَأَتْ أَنْجِلُ
عَمَلَهُ الْهَائِلَ. فَارْتَعَدَتْ قُلُوبُ أَهْلِ الْجَزِيرَةِ فَرَقًا^(٢) وَجَرَتْ
الْمَصْهُورَاتُ مَسَافَةً تَزِيدُ عَنِ الْعِشْرِينَ مِيلًا. وَحَاكَتْ نَهْرًا نَارِيًا
عَرِيضًا يَزِيدُ عَنِ الْبَيْلِ. ثُمَّ ذَابَ الْجَهْدُ وَالْقَلْبُ الَّذِي عَلَى
الْقِيَمَةِ. وَأَجْرَى سَبِيلًا عَرَمَرَمًا طَغَى عَلَى تِلْكَ الْبِلَادِ فَتَلَقَّتْ
الْغِلَالَ وَالْعَصُولَاتُ وَبَاتَتْ الْهَاشِيَةُ. وَلَمْ يَبْقَ السَّكَّانُ أَرْزَاءَ
فَادِحَةٍ^(٣)

وَمِنْهَا كَانَ الْجَبَلُ يَلْقَى تِلْكَ الْمَصْهُورَاتِ كَأَنَّ الرِّعْدَ
يَدْمِدُمُ وَالْبَرْقُ يُومِضُ وَالْأَنْوَارُ تَحْمَرُّ ثُمَّ صَاعَدُ إِلَى عَيْنَانِ
الْجَوْ. وَكَانَتْ بَعْضُ أَنْجَارِ الْهَرَامِيَةِ مِنْ ذَلِكَ الْأَيَّامِ^(٤) ضَخْمَةً
جِدًّا تَحْمِلُهَا قُوَّةُ النَّارِ إِلَى مَسَافَةِ خَمْسَةِ أَمْيَالٍ أَوْ يَزِيدُ
وَلَا يُوْجَدُ فِي أَبْسَلَانِنَا سِوَى مَدِينَةٍ وَاحِدَةٍ بِقُرْبِ شَاطِئِ
الْبَحْرِ أَشْبَهَ بِقَرْيَةٍ كَبِيرَةٍ. وَلَا يَقْطُرُ الْقَوْمُ هُنَاكَ إِلَّا عَلَى

السواحل البحرية لصيد الأسماك
 أما بيوتهم فصغيرة ومبنية من الخشب ينقشون أبوابها
 ويلوثونها للزينة. ولما لم تكن فنادق للمسافرين في هذه
 البلاد استعملوا الكنائس لهذه الغاية. والعجب أنك ترى في
 هذه المعابد صناديق جهة يضعون ضمنها الثياب. وليست
 لهذه الكنائس أقبال ولا منافع فيدخلها من شاء بلا معارض
 ويضع في صندوقه ويأخذ منه ما يريد. ويودع الفلاح عماله
 وجوالته في الكنيسة. ويأكل المسافرون فيها ويسبتون
 وللإسلانديين جياذ صغيرة سريعة الجري تحب وتهمج^(١)
 في عتاب ذلك الصعيد وعراقيبه ويندرون تعثر. وهم يصيدون
 الأسماك صيفا ويحسونها ويقيدونها للشتاء ويأكلونها بالسمن.
 ويكاد يكون ذلك طعام الفقراء الوحيد. أما الأغنياء
 فيأكلون لحم البقر والضأن وخبز الذرة. لأن الخنطة
 لا تنمو في ذلك القطر

- (١) جبل (٢) حال (٣) تبطي (٤) تهمج
 (٥) دفعة من المطر (٦) يشتد غليانها (٧) المواد اللاتية
 (٨) كلما احترق من النار (٩) فزعا (١٠) ثقبلة
 (١١) الجبل العظيم (١٢) نجد في السير

هنود اميركا او سكانها الاصليون

ولباسهم ومعبوداتهم وطبهم

هنود اميركا طوال القامة حسان المنظر لولا وثم^(١) اجسامهم وتلوينها. وثم^٢ يجتذون بسيور يلفونها حول اقلامهم. ويلبسون جوارب من آدم^(٣) او نسيج يحيطونها حول ارجلهم ولا يترعونها قط. ويرتدون قميص قصير يلفون فوقه معطفة من جلد. ويرتدون رؤوسهم بريش الطيور الملونة. ويتشون اجسامهم بالالوان والصور الغريبة

ولم كساء للزينة يليهونة في اعياد واحتفالات معينة فقط. وهو مصنوع من جلد الجاموس او الابل وله على اطرافه حواشي من شعور البشر الذين قتلهم في الحروب

وبعد هزله الهنود الما يسمونه الروح العظيم ويدعونه ابا. ويذهبون الى وجود روح شرير يستطيع الغلبة على الروح الصالح فيهربونه ويتقنون بأنة خشية اصابتهم بالاضرار والاسماء. ومتى مرض الهندي وشعر بدنوا اجلو بعث فدما برجل العلاج او الطبيب فيصف له هذا الدجال او المشعوذ ملاجات صنعها من اعشاب الغابات. اما هذا العلاج فاما ان ينفع الليل او بضرة لكنه مضطر الى اخذه في كل حال لان لا طبيب غيره (من نوعه) هناك. ويدعي هذا الرجل بالسلطة على الروح الشرير ولذلك يدعو الهندي ساعة احتضاره^(٤) فيأتي لابسا جلد وحش كاسر حتى تخافه^(٥) الوحش نفعة داخلا. ويأخذ بصوت اصواتا قبيحة هائلة ويهز رعدة ويرقص ويقضض^(٦) العظام ويهز

ونفج . فلو نظرت على تلك الحالة لما لك منظره وطرده على الفور . غير ان
الهنود ينظرون صامتين صمت الرمة والمهابة لاعتمادهم ان تلك الهبة والاصوات
خاصة طرد الروح الشرير
فانما قضى^(١) الليل وسط ذلك الضجيج والجلبة^(٢) قال هذه هي مشيئة
الروح العظيم ورزم ادواته وانطلق يارس اعماله القبيحة عند فراش طيل آخر

- (١) غرز الابرة في البدن لتلويته (٢) جلد مذبوغ
(٣) قرب الموت (٤) قطة (٥) التفضضة صوت كسر العظام
(٦) مات (٧) اختلاط الاصوات

— ١٠٠١ —

هنود اميركا

اطفالهم وفتيانهم وشيوخهم ومسكنهم

وتحمل النساء اطفالهن على ظهورهن في شبه اسرة خشبية مستطيلة مكشوفة
لما اطارات^(١) خشب ضيقة لضبط الطفل متصباً لا يستطيع الحراك . فتربط
المرأة الإطار الاعلى بعير وتعلق برأسها وتذهب به اينما شامت . وتحب المرأة
الهندية طفلها عجة شديدة واذا مات ابدت من الاشجان والاحزان والعويل
ما يقصر عن وصفه اليراع وملأت صريره الفارغ بالريش وحلته على ظهرها
شهوراً . ومتى جلست وضعت بقرها مستنداً الى جدار خيمتها . وتندبت صاحبة
المتوفى وفئة ورثة رثاء شجياً

ومتى كبر الطفل اخرجته والدته من السرير وصحت له بالزحف على

الاعشاب وعمل ما يريد . ثم متى شب واستطاع المشي يطلق ابواه له العنان فيذهب للسباحة في النهر والطراد مع امه في البوادي لقص الوحوش وسماع قصص الشيوخ المبحثة عن المعارك التي خاضوا غارها^(٢) وعدد القتلى الذين اجمعوا بهم الاعلاء

غير ان الغلام لا يكون قد بلغ حقت السن الذي يؤم له للانتظام في سلك رجال البأس والحرب . فيقتنم عليه التربص والانتظار ريثما يبلغ السادسة عشرة . فيغادر^(٣) اهل بيته للعب مع الاولاد ويحاول الانخراط مع رجال الحرب . فينكرون عليه ذلك ولا يسمحون له بما يروم حتى يأتي يجرب العلاج اما كيفية حصوله عليه فمن غرائب الامور

وذلك بان يذهب القتي الى غار بعيد عن عشيرته ويجلس على الارض صائماً اربعة ايام متوالية . فتشرق عليه الشمس وتغيب بدون ان يذوق طعاماً او يشرب ماء لانه عزم على الصيام الى ختام هذه الايام ولو أدى ذلك الى حشوه . فتأخذ قوته بالانحطاط وميته بالتور ويتجوع على الثرى منمضاً عينيه . فيتصور في نهاية الزمن المبين ان الروح العظيم انباه عن سر صنع جواب العلاج وتكون حاله وتقدر حال سبات تظله احلام عن امور عاينها في البقطة كهيد الجاموس ونحوه . ومتى استيقظ تنجبل ان الروح العظيم انباه عن صنع الجراب من جلد الجاموس غير ان ذلك لم يكن سوى اضغاث احلام . لانه اذا رأى في نومه كلباً او فرساً او جرذاً يخطر له ان قد اوجى اليه بصنع الجراب من جلده

وعلى هذا يصنع الهنود جرهم من جميع المواد الموجودة تحت الشمس . فيمض ذلك النتي المسكين خائر الزم مصاباً بالدوار ويخرج من الغار مترجماً^(٤) مرتجماً كالشوان^(٥) . ومتى بلغ المضرب^(٦) طلب طعاماً فتأنيه له به أمة في الحال . فيلثم منه قدراً كبيراً ثم يتأهب لهيد الجاموس . فيمتطي جواده ويطلق له العنان الى البادية

ثم متى وقع بصره على جاموس لا يهولة منظره الرائع ولا شعره الكث^(٧)
المتلبد وزفرناة اذاتلان وعيناه البراقتان بل يمحث نحوه فرسه السريع ويسبقة
دنيا^(٨) واباجا^(٩) ثم يصوب اليه السهم القاتل ويرمي بأسرع من لمح البصر.
ثم يفتنى عليه سهبا آخر ثم آخر الى ان يقع مجذولا^(١٠) على الأرض

ولا تغوز الغلام مواد لصنع ذلك الجراب فيبادر لملءه. وحيتئذ يبتنى له
الانتظام في سلك رجال قومه وشجعانهم. ويذهب الهندي الى ان هذا الجراب
يقيه من اضرار الروح الشريرة ولا يجب ابداله بال العالم ولا تستطيع شرادة منه
باندراهم ولو أدبت له ملكة ذهبيا. الا اذا صادف احد دعاة الانجيل واتدى
الى الذين المسيحي وعرف عن الاله القديم ووقايته له تمارا وليلا فيغادر ذلك
الجراب ويطره الى الرياح

ومنى طعن الهندي في السن وهم وتعدّر عليه الصيد والسنر والتمثال
والرقص اصبح كذا^(١٠) على اولاده وعشيرته فيختصون منه بالطريق الآتية. وذلك
بان يأخضوه الى البادية حيث ينصبون له مظلة ويزودونه بقليل من الطعام
والشراب ثم يودعونه ويطلقون. فيظل وحده في تلك الصحراء لاسمير له
ولا جليس محاطا بحيلة الثور وخوار الجواميس وهو غير مبال بذلك بل يرضخ^(١١)
للتندر المخبوم صابرا. لانه حين كان شابا غادر ابيه على هذا المنوال نفسه.
فيقول لاولاده ان يذهبوا ويتركوه لانه امسى ثقلا عليهم وتجدر به المواراة عن
ابصارهم. قيموت ذلك المنكود المحظ جوعا او قترسة الضواري. وكثيرا ما يمر
السباح في تلك الطريق فيشاهدون خيمة جلد صغيرة فيدخلونها واذا برمة
عظام منتشرة على ثراها. وفي قد باتت جدتا لذلك الشيخ الذي دفن فيها حيا
والهنود يقطنون خصاصا خشبية او خياما مصنوعة من جلد الجاموس.
يرفعونها على اعمدة طويلة ويدفون بها دبقا حسنا حتى تصبح لينة الملمس جميلة
المنظر لا تؤثر بها الامطار بل تسيل عليها فتجف في الحال وتزداد ليئا.

فينيطون هذه الجلود بعضها مع بعض ويسنعون منها مفرجا فسيكا بتشوته بصور
اشخاص وحيوانات وطيور مختلفة

- (١) خشب الخمل وكل ما احاط بشيء (٢) الماء الكبير (٣) يترك
(٤) متابلا من سكر وغيره (٥) سكران (٦) الخبثه الكبيرة
(٧) كثيف (٨) اسراغا (٩) صريعا الى الارض (١٠) ثقلا (١١) ينفض

هنود اميركا

اعبادهم

لهنود اميركا عيد يسمى عيد الذرة الخضراء. يتأهبون له
بالانقطاع عن الاعمال والقتال حتى عن تناول الطعام
فيتصورون جوعا اضراما لشهوتهم. ثم متى ان الاوان وجس
النساء المحبوب فرأيتها صالحة للاكل يجشدا ابل القرية
معا الى الساحة الفسيحة ويضرمون نارا يضعون عليها مرجلا
كبيرا يهلاونه بالذرة. ثم يأخذون بالرقص والغناء حوله
حين سلق الذرة محطين به احاطة السوار بالمتصر.
فيرقص ضمن هذه الحلقة اربعة رجال من اطبايهم أو

مُسْعُوذِيهِمْ^(١) حَامِلِينَ بِأَيْدِيهِمْ سَنَابِلَ الذَّرَّةِ وَأَجْرًا سَاكِنًا^(٢) يَجْلُونَ^(٣)
بِهَا. وَيَطْوُونَ هَذِهِ الْخَلْقَةَ زُعَمَاءَ الْقَوْمِ وَرِجَالُ الْحَرْبِ حَامِلِينَ
سَنَابِلَ الذَّرَّةِ أَيْضًا رَاقِصِينَ وَمُنْشِدِينَ نَشَائِدَ الشُّكْرِ لِلرُّوحِ
الْعَظِيمِ وَيَقْدُمُونَ لَهُ مِرْجَلِ الذَّرَّةِ الْأَوَّلِ

ثُمَّ يَضْرِمُونَ نَارًا غَيْرَهَا يَضْعُونَ عَلَيْهَا الْهَرَاجِلَ. وَمَتَى
نَجَزَ الطَّيْحَ شَرَعَ الزُّعَمَاءُ بِاللِّقْمِ^(٤) أَوَّلًا مِنْ جِفَانٍ يَضْعُونَهَا عَلَى
الْأَرْضِ وَيَدِ كُلِّ مِنْهُمْ مِلْعَقَةٌ مَصْنُوعَةٌ مِنْ قَرْنِ الْجَامُوسِ.
وَمَتَى فَرَغَ هَؤُلَاءُ مِنَ الطَّعَامِ أَحَاطَ سَائِرُ رِجَالِ الْعَشِيرَةِ
وَأَوْلَادُهَا بِتِلْكَ الْجِفَانِ فِي تَوْبَتِهِمْ وَالتَّهَبُوا قَدْرًا مَا اسْتَطَاعُوا بَيْنَهَا
رِفَاقَهُمْ يَرْقُصُونَ وَيَغْنُونَ وَيَفْرَحُونَ. وَيَدُومُ هَذَا الْعِيدُ إِلَى فِرَاقِ
الذَّرَّةِ الْخَضِرَاءِ. أَمَّا الْفَضْلَةُ الْبَاقِيَةُ فَيَبْرُكُ كَوْنُهَا فِي الْحَقُولِ إِلَى
أَنْ تَنْضَجَ لِلْحَصَادِ

وَاللَّهُوْدِ عِيدٌ آخَرٌ يُسَمُّونَهُ عِيدَ الشَّرَابِ يَدُومُ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً
يَنْقَطِعُونَ فِي خِلَالِهَا عَنْ مُنَاوَلَةِ الطَّعَامِ وَالْعَمَلِ وَلَا يَشْتَغِلُونَ
بِشَيْءٍ سِوَى نَهْلِ الشَّرَابِ. وَهُوَ مُسْكِرٌ قَوِي تَصْنَعُهُ النِّسَاءُ مِنْ
أُصُولِ نَبَاتٍ اسْمُهُ مَايُوقُ. وَذَلِكَ بِأَنْ يَقْطَعْنَ هَذِهِ الْجُذُورَ
قِطْعًا وَيَغْلِيْنَهَا عَلَى النَّارِ حَتَّى تَلِينَ. وَمَتَى بَرَكَتْ يَبْضَغْنَهَا

بِأَفْوَاهِهِمْ. ثُمَّ يَضَعْنَهَا بَعْدَ الْهَضَعِ فِي وَعَاءٍ مَاءٍ وَيَغْلِيهَا ثَانِيَةً
عَلَى النَّارِ وَمِنْ مَجْرَكِهَا. ثُمَّ يَصْبِيْنَهَا فِي جِرَارٍ وَيَذْفِيْنَهَا تَحْتَ
أَرْضِ الْبَيْتِ بَعْدَ سَدِّهَا سَدًّا مُحْكَمًا. وَبَعْدَ بَضْعَةِ أَيَّامٍ يَأْخُذُ
الشَّرَابُ بِالْإِخْتِهَارِ وَحَيْثُ يَبْدَأُ الْعِيدُ
فَتَضُرِمُ النِّسَاءُ النَّارَ حَوْلَ تِلْكَ الْجِرَارِ لَتَسْخِيْنِهَا. ثُمَّ يَهْرُولُ^(١)
رِجَالُ الْقَرْيَةِ إِلَى الْبَيْتِ بِالرَّقْصِ وَالْغِنَاءِ. فَتَدُورُ النِّسَاءُ
عَلَيْهِنَّ بِطَاسَاتِ الشَّرَابِ الْمَصْنُوعَةِ مِنَ الْبَقِطِينِ. فَيَظْلُونَ
يَنْهَلُونَ وَيَرْقُصُونَ وَيَعْرِبُدُونَ^(٢) حَتَّى يَأْتُوا عَلَى آخِرِ قَطْرَةٍ مِنْ
ذَلِكَ الشَّرَابِ. وَتَمَّتْ فَرَعَتُ جِرَارِ الْبَيْتِ الْوَاحِدِ أَنْظَلُّوا
إِلَى غَيْرِهِ وَاسْتَأْنَفُوا الْعَمَلَ إِلَى أَنْ يَنْفَدَ^(٣) الرَّاحُ مِنْ جَمِيعِ
الْبُيُوتِ^(٤)

- (١) تَلَوَّى مِنْ أَلْمِ الْجُوعِ (٢) مَنْ يَرِي الشَّيْءَ بِغَيْرِ مَا مَوْطُوهُ لِحْتِ
فِي الْيَدِ (٣) (شَامِبِط) (٤) يَصَوْتُونَ شَدِيدًا (٥) قِصَاعٌ كَبِيرٌ
(٦) يَسْرِعُ فِي الْمَشْيِ (٧) نَسْوَةٌ اخْتَلَفَهُنَّ مِنَ السُّكْرِ (٨) يَفْرُغُ

هنود اميركا

جاموسهم وصيده

قد خصّ الخالق ائقديركل امة برزق يلائم قطرها وهواء بلادها .
واعطى الالابندي الرنة والاسكي عجل البحر والحوت والبدوي الحجل والشم
وابن المنطقة الحارة جوز الهند والامثار الرطبة والهندي الاميركي الجاموس



وهو حيوان واقر العدد في تلك الاقطار يتألب^(١) قطعانا تعد بعشرات
الالوف تسرح وترج في تلك الراحات والمنازل^(٢) القسية المرجاء وتعد عشائر
المنود بطعام دائم فتعذر عليهم الحياة بدونه . فيولون الولايم صيناً ويقدون
لحبة شتاء ويصنعون من جلده لباساً حصناً ومضرباً فضيحاً وفراساً ودثاراً^(٣)
واحذية وسروجاً ولجماً واسواطاً . ومن عظامه قنباً^(٤) ومقامع حرب وآلات
موسيقية وملاعق ومنغارف ودبابيس وحرايا . ومن عروقه اوتار اقواس وخيوطاً
لخياطة الثياب والخيم . ومن حوافره القراء النفيس . ومن فله^(٥) الحبال

والفارد والبرشات . والخلاصة انك ترى معيشة هنود اميركا جميعاً تتعلق على
الجاموس

والهنود براعة فائقة بدفع الجلود ومعالجتها حتى يسعاد بفحصها رزقهم
واناثهم وادوات مسكنهم . وهم يصيدون الجاموس على خيل سريعة الجري
يقصونها في البرادي . وذلك بان يمتطوا صهوات الجياد المطبوعة ويطاردون
الخيل البرية ويرمون بها باحولة^(٦) تحاكي الشبكة لما انشوطه^(٧) يشدونها حول
اعتناقها شداً وثيقاً ويجرينها الى خيامهم حيث يداًبون بتطعيمها فتصبح اليقة سهلة
القياد . وعلى هذا كانت البادية تمد الهندي بالخيل والجاموس معاً

ومتى ذهب الهندي الى صيد الجاموس اطلق العنان لفرسه حاملاً على
ظهره جعبة المأوى بالسهم فينطلق به الجياد ينجب على ذلك الصيد . حتى
اذا لحق بقطع الجاموس سدّد نحوه النبال ولا يكاد يخطئ المرمى . ويظل
يشب السهم كوميض البرق الى ان يصيب مقاتلها ويظهر منها بالرزق الواسع
والهنود ايام صيد مذكورة يحشد فيها رجال انثريه متمطين جيادهم يتهبون
الطريق حتى يبلغوا الواحة حيث قطع الجاموس يرعى الاعشاب . فيحيطون به
احاطة المالة بالتمر ثم يزارون كالاسود ويجهون عليه مصويين نحوه السهام
ويرشون بها من كل صوب . فتسمع حينئذ ضجيجاً وضوضاء وجلبة تكاد ترميك
بالصم . ويرتفع الغيثر^(٨) الى عنان الجوّ . وتختلط الخيل والجاموس والرجال
معاً اخلاطاً هائلاً . وتشاهد عراقاً وملحة دموية تيلي غالباً عن نصرة
الصيادين . لان للهنود حفة غريبة ورشاقة ومهارة بري السهام وركوب الخيل .
واذا سقط احدهم عن جواده عاد فعلاً متنه باسرع من لح البصر وبلغ مكان
الآن

ويدوم القنص الى ان تفرغ الجعب ويصرع القطيع عن آخره الى الترى
مضرجاً بدمائهم . ومتى فجز الصيد ذهب الصيادون تاركين الجاموس ركناً
متلبدة في ذلك الميدان . ثم تأتي النساء في اليوم اشابع لاكمال العمل . لان الرجال

يظنون انهم آكلوا ما فُرض عليهم فيجلسون في المضارب بدخون. وتأخذ النساء بسلخ الجواميس وتقطع لحوها. وملا على شاق يشغل زماناً مديداً ثم يرجعن الى الخيام حاملات احمالاً ثقيلة يوشكن السقوط تحتها فتتلو اصوات الفرح في العشرة لوفرة الطعام. ويحمل الرجال رؤوس الجواميس الكبيرة وقرونها على اكثافهم ويرقصون رقصاً جنونياً. ومتى اعيا احد من شدة الحركة وعزم على الانحناء او التوكؤ يرميه احد الحضور بهم مكسور الطرف فيتناوت ما قطعاً الى الارض فتشخذ النساء ملأهن لذبحه كأنه جاموس ويحررته الى الخارج. ويدوم الرقص الى ان تجر تلك الجواميس البشرية الواحد بعد الآخر وتغيب عن العيان. ثم يأمر المشعوذ باستئناف الرقص فيدخل الرجال ويرقصون اياماً متوالية الى ان تأتيم انباء تبشرهم بحضور قطع آخر من الجاموس. ويتقدمون ان الرقص على دلا المنوال كان باعثاً على جديده. فتى وردت اليهم البشائر ينتهي الرقص ويقبض الرجال اعنة الصافنات^(١) وينطلقون ركضاً الى الصيد. وحينئذ يهتف الطبيب الدجال متاف الشكر والامتنان. ويحري الصيادون في صيدهم على المهاج الآف الذكر

- (١) يتجمع (٢) الفلوات لامة فيها (٣) ما يتغطي به النائم
(٤) برذعة الحمار (٥) الشعر الغليظ (٦) مصيدة من جل طويل
(٧) عقدة يسهل انخلاها (شوطة) (٨) التراب والغبار (٩) من الخيل القاتم على ثلاث قوائم

الارياف المشتعلة في اميركا

ان غرائب الطبيعة في هذه القارة العجيبة وافرة جداً . ففيها الانهر الكيرة والغياض القسيمة والطيور البديعة الالوان والاشكال والوحوش والجوارح النادرة الخال . والواحات او السهول الواسعة الممتدة اميالاً لا يدرك البصر نهايتها . فهذه السهول تكثر فيها الاعشاب والنباتات التي نجفت صيفاً وتتحرق بحيرة تستقط من اثافي^(١) الهندود او شرر يتناثر من غلايتهم او من احتكاكها بعضها ببعض فتشتعل اشتعالاً هائلاً

واذا لم يتلارك الهندود النار بتجريد الارض حولها من الاعشاب منعاً لانتشار اللهب اندلع لسان النار الى سائر الجهات وانتشر انتشاراً يروع الابصار ويهلع^(٢) القلوب . فتدرك وحوش تلك السهول بالسليقة شيوخ النيران فتعدو عدواً شديداً الى كل الجهات فراراً من لمبيها . فتعاين النجل البرية تجري كهبوب الرياح واعرافها طائفة في الهواء . والجواميس تركض باشد قوتها . والنمور تحق الخطى قطعاناً في عوا وهريم . والنسور تحوم في الهواء . وسائر الحيوانات في سباق وطراد وصباح وزعيق وتعب ولربناك والنار تزداد شوباً واضطراماً وزمزمة^(٣) وامتداداً . فتحالما امواج بحر حمراء او سيولاً قرمزية متدفقة يتعذر^(٤) حصرها او اطلاقها . واذا اقلت التقادير السياج وابناه السيل في تلك السهول المشتعلة بانوا فريسة حرماً ان لم يتلاركوا الخطب^(٥) بالفرار السريع او بتجريد الارض حولهم من الاعشاب قبل وصول النار اليهم

(١) حجار توضع عليها القدر للطبخ (٢) يلقى جداً (٣) صوت
بميلة دوي (٤) يتعسر (٥) اسمر كروه

آجام اميركا والحداة

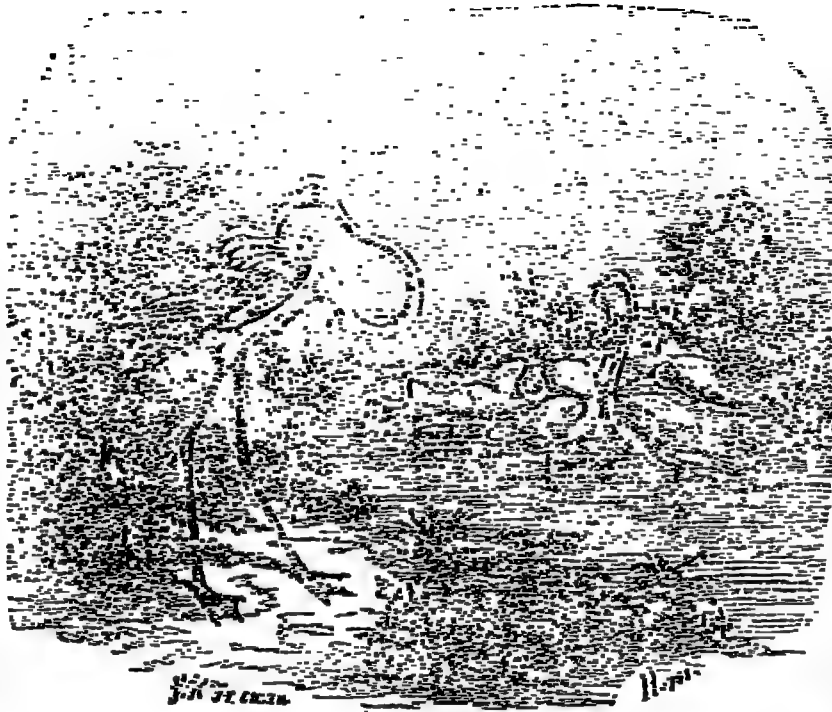
آجة الارز في اميركا دغل^(١) مظلم ملآن باشجار الارز الباذخة^(٢). وهذه الاشجار اثينة^(٣) متلاصقة ببعضها حتى يتعسر المرور بينها . وهي ذات جنوع مجردة الأ عند رؤوسها حيث ترى اغصاناً مشتبكة اشتباكاً يحجب النور عن الابصار . متى هبّ الريح يهتز تلك الجنوع وتنفث ببعضها وتصوت اصواتاً رائعة^(٤)

فهذه الآجام يصعب على الانسان اختراقها . اما ارضها فتخمة^(٥) موحلة اذا حاول الرجل المشي عليها غاص في الوحل الى ركبته . وهناك قطع حطب كبيرة تسد الطريق وتناد^(٦) وسياح وغار وتطيق كثيف مالى السيل يتخلل تلك الآجة كلها . وفيها ايضاً برك وبحيرات كبيرة تسبح فيها الناسخ والكركدن وتمكن في الوحول لانها تحب ظلام تلك الغابات

وهناك ايضاً مالك الحزين والحداة او الرخم المولدة كالتساج بأجة الارز . وهي طائر ليلي كالبيوم يطير في دجى الليل اليهم . وترد منه اسراب في فصل الربيع الى هذه الآجة وتستقر على اطراف الاشجار . اما الفراخ التي لا اعشاش لما تفترع في المل وتبنى اوكارها في رؤوس الاشجار العالية

اما اثني الحداة فتضع اربع بيوض أكبر قليلاً من بيض الدجاج . ومتى تفقت^(٧) البيوض عن الفراخ وتفتق عليها بضعة اسابيع تأخذ بالتسلق^(٨) على الاغصان . فلا يجتم الظلام حتى تخرج الحداات من اوكارها في طلب الطعام فتعوم على الماء وتنصب على قدميها مترقة الاسماك والضفادع . حتى متى لمحت سمكة تلانها تذب عليها وتخطمها بمناقدها الطويل وتقتربها . ولا يعوز هذه الطيور زادا لوفرة الاسماك والحشرات في تلك البحيرات . غير ان الضفادع اشد يقظة وحذراً من الاسماك فانها متى رأت الحداة تقوص في الوحل وتنجب

زمانا راجية ان بطول على الحداة امد الا تظار فتصرف . غير ان الحداة
شديدة المكر والدناء جريئة الصبر . فلبث هناك في ارتقاب وسهر الى ان



يخطر للضفدعة انصراف الحداة عن وكرها فتبد رأسها الصغير من الشق فتشب
به الحداة على النور متقادها الطويل وتجرها من الوكر وتقرسها
والحداة قرم^(١) شديد للطعام فتصيد اسماكاً وضفادع وافرة العدد . ثم
تذهب الى الآجة حيث تقف على رجل واحدة حتى يهضم الطعام . ثم تستأنف
الصيد . والهنود يستعملون ريش الحداة ويضعونه على رؤوسهم للزينة

نرى بالحداة الصبر الجميلا فترقبُ صيدها وقتاً طويلا
وتتظرُ القرائسَ في تأنٍ نعلمنا به الصبر الجميلا
فكم خسر العجول بطيش طبع . ومن يأن جنى خيراً جريلاً

وَمَنْ رَقِبَ الزَّمَانَ بَرُطَ صَبْرٍ رَأَى لُجْجًا مُنْقَدِرَ سَيْلًا
فِي الْقُرْصِ الثَّمِينَةِ كُلِّ رَجٍ نَرَى طُولَ الْأَنَاءِ لَهَا دَلِيلًا

- (١) شجر كثيف ملتفت (٢) عالية (٣) كثيرة ملتفة
(٤) منزعة (٥) ذات ندى (٦) شجرة شوك (٧) تثبت
(٨) نسر (٩) شهوة شديدة الى اللحم

حمام اميركا والكستور وشجرة الماهوكاني

اما غابات اميركا وادغالها فيأوي اليها اسراب حمام تعد بالملايين حتى
يلغ طول السرب منها حين طيرانه مشين ولربعين ميلاً وعرضه ميلاً واحداً
فيجب نور الشمس . ويدوم اجنيازه من مكان الى آخر ثلاثة ايام متوالية .
فتراه يتلأأ في نور الشمس بالوان حمراء وخضراء وزرقاء وله خفيف^(١) وهزم
يحكي الرعد . تذر الخيل وتجل وترقص اهاجاً . ومتى بلغ السرب الغابة
المقصودة يستقر على الاغصان ويأخذ بالتهام الفواكه والمحبوب حتى لا يبق لها
اثراً . وتلف من الاثمار والفروع ما يزيد عما قد تناوله . وهذه الطيور تخلق في
الجو كثيراً حتى لا يستطيع الصيادون اصابتها ورميها بالنار والسهم . ولكن متى
استقرت على الارض تلتقط الجوز والبوط بسدون نحوها المرامي فيصيبون
منها عدداً وافراً يزيد عن حاجتهم

وهناك ايضا الكستور البناء والمهندس . فهذا الحيوان يبني بيته في مجرى
الماء من الرداغ^(٢) والصلصال^(٣) واغصان الشجر . فتجمع هذه الحيوانات

قطعاتنا وتأخذ في بناء مساكنها معا. وتشيد لها غُرُفًا وَجَرًا ونوافذ ومداخل مُتَفَتَّة تكدد تضارع ميوت البشر. ولما كانت تَحْشَى طغيان الماء على بيوتها ويهددها بسيلول الامطار شتاء تبنى لها حواجز متينة من قضبان ولزناد تفرزها في ارض النهر وتسدّها بالطين .

وتقوم اسنانها الحادة مقام المنشار. ولا يقر لها قرار حتى تكمل بناء هذه السدود . متى كملت تشرع ببناء البيوت العجيبة المنظر. وذلك بأن تنضد^(٤) الاغصان بعضها فوق بعض وتلتصق اعلاها بما تحته الصاقاً محكما لا ينفصه شيء مما يحتاج اليه من هندسة البناء. فيحكم الناظر اليه ان جهال الاملين دونها فطنة. ويظن ان حمل تلك الاغصان لا يأتي لها من الحيوان الخفير لغلظها وضخامتها. وفي هذا المأوى تلد وتأنث. ويقع بينها من التواد والناس ما يميل به كل الى صاحبه

وهذه الحيوانات تاكل اعشاب المياه وقشور الاشجار والحبوب والحبلى^(٥) وما تستطيع العثور عليه . وفي الصيف تقطع اغصاناً وعسالج^(٦) وانجبا وتضعها قبالة بيوتها لتفحات بها شتاء. ويصنع من جلودها كبات^(٧) وقبعات للرجال والنساء والهنود يمتطيون لحومها فيقتصونها لهذه الغاية . اما الاميركيون البيض فلا تتفاد مجلودها التي تولف صقاً لها في التجارة . ولها الحيوان عند عاتق كسب يستخرج منه علاج ثمين يدعى جند بادستر نافع لاسترخاء الاعصاب وخاصة للثنيان الذي يعرض للنساء وغير ذلك من امراضهن

وهناك ايضا شجر الماهوكاني الخشب النفيس . اما مناجة فبقرب خليج هندوراس . وهذه الاشجار ذات جنوع ضخمة واغصان كالاذرع مشرفة انتشاراً اقياً اوراقها خضراء لامعة ولزهارها بيضاء صغيرة . تصنع من اخشابها موائد وكراسي وخزائن وادوات فاخرة يتنافس باحرازها الكبراء والسراة^(٨) والامراء لصقاله لونها واين ملمسها ومثانة مادتها وارتفاع اثمارها . وتعد اخشابها صقاً ثميناً في التجارة . قيل ان شجرة ماهوكاني واحدة بيعت بثمن ليرة

ويكثر في تلك القارة أيضاً قصب السكر والقطن والحبوب والثمار على
تمدد اصنافها . فيرسلون منها ومن مصنوعاتها الى الخارج اقلاراً جسيمة للتجارة
والربح فضلاً عن المناجم الغنية والمعادن الثمينة التي تُستخرج منها

(١) صوت الرياح بلا حجة (٢) طين او وحل شديد (٣) الطين
المخلوط بالرمل (٤) تيجل (٥) الرطب من النبات (٦) اول ما
يبعث من الاغصان (٧) فلنسوات مدورة (٨) الاسياد الشرفاء الامنياء

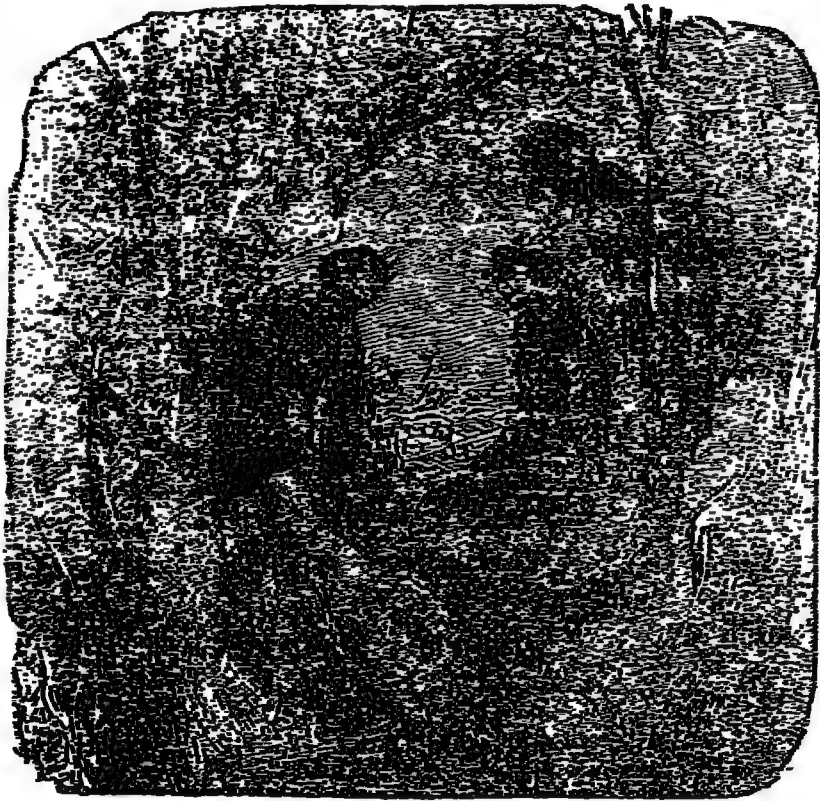
غِطْلُ البرازيل وهنودها

غِطْلُ "البرازيل" تعدُّ من عجائب الله في خلقه. ففي هذه
الأقاليم أدواحٌ باذخةٌ أثباته^(١) تقوُّ منابرَ الكنائس ارتفاعاً.
وهي أثباته الثمانيات غنياء مشبكةٌ تخللها أنجمٌ وشجيراتٌ
وأعشابٌ متليدةٌ بتعدُّ أخيراً فيها والبرور بينها الأعلى الهندي
المنهري منذ الجذائفة على أجنيارها

وبعشرٌ على أغصان تلك الأشجار الباف ولحائم منها ما
يحكي الجمال ومنها ما يضارع الآلوية تملُّ بعضها بعض
من فرع إلى آخر وتدعى أسادا^(٢) نباتية. وتلتف على سوق
الأشجار وأغصانها إلى مسافة أميال عديدة تهشي عليها القروء

وَتَحْتَلِقُ بِهَا أَوْ تَطِيرُ وَتَوَاتِبُ وَتَلْعَبُ بِحَرَكَاتِ جُيُونِيَّةٍ تُضْمِكُ
النَّكَلِ

وَتَكْثُرُ فِي هَذِهِ الْغَايَاتِ الْحَيَوَاتُ النَّادِرَةُ الْبَيْتَالِ وَالطُّيُورُ
الْبَدِيعَةُ الْأَلْوَانِ كَالنِّمْنِمَةِ وَالْبَرَّاقِ وَالْقَلْقَلِي وَالْكُرْكِي وَالْبَيْغَاءُ
وَالطُّوِيرُ الدَّنَانِ. وَهُوَ أَصْفَرُ الطُّيُورِ حَجْمًا وَأَجْمَلُهَا لَوْنًا. وَمَتَى



أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ رَأَيْتَ رِيشَ هَذِهِ الطُّيُورِ بَيَّالَتْ فِي نُورِهَا
تَالِقًا بِهَا يُبْهِرُ الْأَبْصَارَ وَسَمِعْتَ لَهَا تَغْرِيلًا شَجِيًّا مُطْرِبًا يُنْجِدُ

الْأَقْنِدَةُ. وَهِيَ تَطْبُرُ مِنْ شَجَرَةٍ إِلَى أُخْرَى بِهَزِيدِ الْحَبُورِ
وَالْجَنْدِلِ. وَهَنَّاكَ أَيْضًا الْوُحُوشُ الْكَاسِرَةُ كَالنَّهْرِ وَالْفَهْدِ
وَالضَّبْعِ وَالذَّبِّ وَمَا أَشَبَهُ

وَهَنَّاكَ بِتَلْطِئِ الْفَحِيرِ وَتَشْدُ الْحَرَارَةُ لِانْفِجَاسِ الْهَوَاءِ
بِسَبَبِ اشْتِبَاكِ الْأَغْصَانِ. فَتَرَى بَعْدَ وَكْفِ عَوَارِضِ الْهَزْنِ
الْهَيْئَةَ الْأَضْبَابَ مُعْلَفًا عَلَى فِئَمِ الْأَشْجَارِ يَكْلُلُهَا بِأَكَالِيلِ
بَيْضَاءَ وَسُودَاءَ

وَسُودُ عَلَى ذَلِكَ الْأَيْكِ فِي هَوَاجِرِ النَّهْرِ السُّكُونِ وَالصَّمْتِ
الْكَامِلِ. فَإِنَّ الضَّوَارِيَّ وَالْكُؤَاسِرَ وَالْجَوَارِحَ تَأْوِي أَوْجِرَهَا
وَلَوْ كَارَهَا. غَيْرَ أَنَّهُ يَخْلُلُ ذَلِكَ السُّكُونُ أَوْنَةُ صَوْتِ انْقِصَافِ
شَجَرَةٍ أَوْ زَعِيقِ حَيَوَانٍ وَثَبَّ عَلَيْهِ وَحْشٌ وَأَقْتَرَسَهُ. ثُمَّ يَبُودُ
الصَّمْتُ النَّامُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ

فَلَا يَدْنُو الْغُرُوبُ حَتَّى تَهْبِ الْبَهَائِمُ وَالْوُحُوشُ وَالطُّيُورُ
مِنْ رُقَادِهَا. وَتَأْخُذُ الْحَيَوَانَاتُ بِالْجَوْلَانِ وَذَوَاتُ الْأَخْنِجَةِ
بِالطُّبْرَانِ. فَتَسْمَعُ زَمْجَرَةً وَتَعْبًا وَعِوَاءً وَفِجْجًا وَزَيْرًا وَمَوَاهٍ وَهَرْجًا
وَمَرْجًا يَكَادُ بِرَمِيكَ بِالصَّمِّ. وَيَعْصُ الدَّوْحُ بِسَكَاةٍ فَتَطْفِرُ
وَتَوَائِبُ وَتَرْخَفُ وَتَكْنِي وَتَصَارِعُ وَتَعْدُو لِأَقْبِرَاسٍ بَعْضُهَا بَعْضًا

أَمَّا أَرْضُ تِلْكَ الْغِيَاضِ فَعَلَى غَايَةِ الْخَضْبِ وَالْحُودَةِ.
فَتَعَايُنُ فِيهَا طَبَقَاتٍ كَثِيفَةً مِنَ السِّمَادِ النَّبَاتِيِّ بِسَبَبِ أَرْتِكَامِ
الْأَشْجَارِ الْقَدِيمَةِ الْمُنْكَسِرَةِ وَالنَّبَاتَاتِ الْمُخْلَقَةِ الْمَتَعَفِنَةِ. تَقَضَّتْ
عَالِمَهَا قُرُونٌ مُتَوَالِيَةٌ إِلَى أَنْ بَلَغَتْ الْإِخْتِمارَ التَّامَ. ثُمَّ أَخَذَتْ
بِالْإِنْخِطَاطِ وَالْفَنَاءِ وَالتَّعَفُّنِ بَعْدَ أَنْ مَرَّ عَلَى بَعْضِهَا أَلْفَا عَامٍ أَوْ
بِزِيدٍ. فَلَوْ بَسَطَ خَمْسَةُ عَشَرَ رَجُلًا هِنْدِيًّا أَيْدِيَهُمْ حَوْلَ
إِحْدَى هَذِهِ الْأَدْوَاخِ لَهَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يُطَوِّقُوهَا. فَلَا عَجَبَ
إِذَا ضَلَّ طَارِقُ هَذِهِ الْغَابَاتِ وَنَاهَ بَيْنَ أَشْجَارِهَا. فَإِنَّهُ وَلَوْ صَاحَ
بِهَيْلٍ صَوْتَهُ مُسْتَجِيرًا وَمُسْتَجِيرًا بِرِقَافِهِ لَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ. فَيَقْضِي
عَلَيْهِ التَّنَدُّرُ الْمَشُورُ بِالْتَّيْبِ وَالْجَوْلَانِ إِلَى أَنْ يَهْوَتْ هُنَاكَ
كَهْدًا أَوْ يَهْبِي فَرِيضَةً الضَّوَارِي

وَتَجْرِي بَيْنَ تِلْكَ الْأَشْجَارِ أَنْهَارٌ كَبِيرَةٌ وَجَدَاوِلٌ. وَتَحُلُّهَا
أَيْضًا بُرُكٌ وَبُحَيْرَاتٌ وَأَجْلُمٌ كَثِيرَةٌ وَقَرَّتْ فِيهَا الْأَسْمَاكُ
وَالْتَمَاسِجُ يُسَجُّ فِيهَا الْهُنُودُ بَغْيَةَ الصَّيْدِ وَالْقَنْصِ. لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ
قَطَعَ تِلْكَ الطَّرِيقِ فِي الْبِيَاهِ أَبْسَرَ مِمَّا عَلَى الْبَابَةِ الْغَاصَّةِ
بِالْأَنْجِمِ وَالْأَشَابِ
أَمَّا هَؤُلَاءِ الْهُنُودُ فَيَخْتَلِفُونَ عَنْ هُنُودِ أَمِيرِكَ الشِّمَالِيَّةِ.

بأنهم منشرون زرافات^(١) في قري أو أكثنان متفرقة أو في
هذه الأدغال نفسها

ولها كان هوا هذه البلاد حاراً وفرت في غاباتها الأثمار
فكانت قوتاً لهم يغنيهم في الغالب عن تجشم^(٢) مشاق
الصيد . فيختلون بالهوز وجنور نبات الهانيوق
وسياتي الكلام عليه



حوت الطير بالافراخ ظاهراً بديع مثالي بسي البصائر
وقد اسي الارض لنا مثلاً بفرط حوت نحو الاصاغر
فيعلم على الاكفاف رفقا ويحبها باضوب العزم باثر

اذا هم العدو قدى نفوس ال
يحق لنا التمثل في اوزر
نطوق عتقنا بصفات رفيق
ندافع عن ضعيف من ظلوم
ونصنع في الحياة فعال خير
اذا شالت نعمتنا تركنا
صغار بنفس كالسبع كايـ
يحب خالص سام وياهر
ولطف ساحر طوق الجواهر
ونفذه ببأس العزم ظافر
تجل وذكرها كالطيب عاطر
لمن يأتي النضائل والمائر

- (١) الشجر الكثير الملتف (٢) الاشجار العظيمة (٣) متصلة
(٤) ملتقة (٥) قشر الشجر (٦) حبال من ليف (٧) منصبة
كثيراً (٨) الشجر الكثير الملتف (٩) جماعات من الناس
(١٠) تكلف على مشقة

نبات الدقيق البرازيلي وحيوان

التابن

يسمى هذا النبات في لغتهم مانيوق اما استخراجُه واعداةُ للطعام فتقوم
به نساؤهم على الاسلوب الآتي

وذلك بأن تقلع أولاً الجذور من ارض تلك الغابات . ثم تقسل وتُحقق
بمدقة خشية الى ان تفحول الى لب حروس . ثم يوضع ذلك اللب في كيس
مصنوع من ورقة خضراء كبيرة وتُعلق بعود فوق النار . فيسبل العصير ويمجري
الى بقطينة مجرّفة معدة لقبوله . وهو عصير سام قمس النساء فيه سهام رجائين .
ثم يصفو العصير بعد هنيئة ويحفظ ويحول الى قنات يضاف تشبه النشا يفسلها

بالماء لترع العصير السام عنها . ثم يصنع منها كمكاً للطعام . والبرازيليون البيض يستعملون هذا الحبيث أيضاً بمثابة ^(١) الدقيق ويطحونه في مطاحن ويصنعون منه خبزاً . ولا تكاد تخلو صحنة طعام منه

وتعدُّ نبال دولاه الخنود قتالة لأنها مغنوسة بعصير هذا النبات البالغ ارتفاعه قامة الانسان . وهو مشتمول الجذوع مبرومها مُغطى بقدر . ويضع الرجال اشق الأعمال على طاق النساء . فبن اللواتي يجعلن هذا النبات وبعددته ويمارسن أكثر الخدم . اما الرجال فيضطجعون خلال ذلك على مهد الراحة يدخنون . ولما كانت هذه البلاد شديدة الحرارة أكتفى اهلها باقل لباس ولرقه . ولكن لابد من تزيين رؤوسهم بريش الطيور وحل المدي ^(٢) والمخناجر في مناطقهم

وما يقتضيه الخنود في تلك الغابات وحش يُسمى تابر يفوق الثور شراسة وشاقة حديد السمع والشم . فيضطر الصياد الهندي الى الكون له والترص زماناً بصير وجلادة لامزيد طليها . فيتق على دكة من خشب ينصبها بين الاشجار ويمد البندقية والقوس والسهم حيث ينتظر قدومه ساعات متوالية بدون ادنى حركة ولا يعرف الملل . ومتى سمع خيفاً بين الاشجار حث خطاه متوارياً ^(٣) الى ان يقع بصره على الفريسة فيرميها بالنبال المسمومة او البندقية وقتلاً ينجث الغرض . واذا اخطاه بهم عليه الوحش فيتعاركان عراكاً مائلاً الى ان يستظهر ^(٤) الهندي على خصمه في الغالب فيقطع بالمدي طعنة قتالة ويحرقه الى خصه للاقتناع بلحمه وجلده . ويستطيب البرازيليون لحم هذا الحيوان ويحبسونه طعاماً ايضاً

(١) مكان (٢) شفرات (٣) مخنقاً (٤) يغلب

البرازيل وسكانها وصيد هنودها

بلاد البرازيل وافرة الانهر الكبيرة والجبال الشامخة ومناجم الذهب والفضة وتكثر فيها وابل الامطار وعوارض المزن^(١) فتنمو فيها الاعشاب والبقول غمًا غريبًا حتى لا تكاد تجد قنارًا ولا صحاري في ذلك الاقليم البديع الجمال . ولا تلم^(٢) به الزلازل المادمة المنازل والامصار . ولا تتأوب^(٣) الرياح القارسة ولا الرعازع الشديدة . فهو اقليم خصه الخالق بالمخصب وغزارة المياه والنضارة

اما سكانه فمن القوم البيض والسود والهنود النجاسو الالوان . اما البيض فمن نسل الاسبانيين والبرتغال . والسود من نسل الزنوج الارقاء . والهنود سكان البلاد الاصليون . يقطن بعضهم الآن البيوت الخجيرية ويعاشرون البيض ويعاملونهم وتلوح عليهم سمات التدين . غير ان فطرتهم الاصلية لا تختلف عن اخوتهم في شمالي امريكا اختلافًا يذكر . لان الفريق الاكبر يفضل الانسلال عن البيض والسكنى في الغابات ولا يرد ان يزج نفسه بالتعلم والاقلاء بغيره . وقد انحط بعض كبراء الاسبانيين الى القفر المدقع^(٤) فتوطنوا الغابات والادغال كالمهنود وهجروا منازل البشر واتخذوا لم اكنافا^(٥) في اشجار الغاب . يجتفون الصيد نهارًا ويقوسدون الاشجار ليلاً فراراً من الوحوش . ويكتفون بأحسن الدثار واللباس والاثاث مترقبين عن الشغل ومزاوله الاعمال وقد برع هؤلاء المهنود في صيد الطيور بالسهام القتالة . فيضطجع المنيدي على اثرى ويجني القوس برجليه وجعبته ملأى بالنبال على جانبه . فلا يمان الطائر يرف في كبد الفضاء حتى يترع^(٦) بالقوس ويرمية بأسرع من لمح البصر وقتلاً ينجلى المرى حتى انه يصيب السحفة في سباحتها لانها تسبح وتغطس تحت سطح الماء ثم ترفع خياشيمها بغية الشمس فيجعد الماء تجمداً فلما يلاحظه

الناظر. غير ان بصر الهندي سريع التمييز فيري سهمة في الهواء. فاذا زاغ السهم وانحرف سقط على ذبل^(٧) الخنفاة ولم يضرها. ولكن اذا حلق^(٨) السهم في الجو متصباً اقلب في نزوله واصاب ظهرها فيثبته فتغوص في الماء. غير ان السهم خيطاً طويلاً ملتناً عليه حتى الرأس. فيأخذ بالانحلال عن السهم ويعزم ريش النبله على الماء. فيثب الهندي الى قاريه في الحال ويحذب الخيط ويجر الخنفاة اليه. ثم يطلق بنعيمه فاتراً

وللهنود هناك عدا القوس والسهم سلاح آخر غريب وهو قصبة النخ. وهي انبوبة طويلة مصنوعة من قطعتي خشب النخل مجوفتين ملتحمتين ببعضها كل الالتحام. والقصبة كلها مطلية بالشمع وهي ثقيلة جداً ولا يطبق حملها الا الرجل القوي. اما غلمان الهنود فيتمرنون بقصبات صغيرة

وليست هذه السهام كبيرة بل حادة الاطراف ومثبوسة بالسهم. فيطلقها الهندي من تلك القصبة بالنخ فتسمع لما دويّاً وصليلاً^(٩) موستدداً على الطريقة بإحكام فيصيب مقاتلها. وتنفوق هذه القصبة البندقية من بعض الوجوه. منها انها لا تصوت مثلها صوتاً قوياً يزعج الطرائد

فاذا صوب الهندي هذه القصبة على سرب قروء او يبناء وماها اخذت تشاقت فتلي او جرحي فلا يعم^(١٠) حتى يركم من صيده ركماً. اما الرجل الابيض فلا يحسن استعمالها كالهندي. لانه لا يستطيع ضبطها وتسديدها نظيره. ويتعذر عليه تحويرها بمن حيوان كما فعل ذاك

- (١) السحاب (٢) تتل (٣) تأتي مرة بعد اخرى
(٤) مذل (٥) ميوت (٦) بري (٧) صدقة الخنفاة
(٨) اوقع (٩) صوت وقع الحديد (١٠) يكف او يطلق

وصف الصيد

من قصيدة لآبي الطيب المتنبي

.
 وفي رفاق الأرض والرمال
 مفرد المهر عن الرمال^(١)
 وشدة الضن لا الاستبدال
 فمن يضربن على التصال
 يسك فاه خشية السعال
 فلم يلب^(٢) ما طار غير آل
 وما احتفى بالماء والدحال
 أن النفوس عدد الآجال
 بين المروج النج والأعمال^(٣)
 داني الخنايص^(٤) من الأشبال
 يجمع الاضداد والاشكال
 خاف طيها عوز الكمال
 فقيدت الأبل في المجال
 تسير سير النعم الأرسال
 ولدن تحت اقل الاحمال
 لا تشرك الاجسام في الهزال
 أربعين أشع الأمثال
 زبادة في سبة الجمال
 مار لصيد الوحش في الجبال
 على دماء الانس والأوصال
 من عظم الهبة لا الملال
 مما يفر كن سوى انسال
 كل طيل فوقها تحال
 من مطلع الشمس الى الزوال
 وما عدا فانقل في الادغال
 من المحرم اللحم والحلال
 سقيا لدشت الارزن^(٥) الطوال
 تجاور الخنزير للربال
 مشرف الدب على الغزال
 كان فناخمر ذا الافصال
 فجذما بالليل والقبال
 طوع وهوق الخيل والرجال
 معتبة ييس الاجال^(٦)
 قد منمن من الغالي
 اذا تلفتن الى الأظلال
 كأنما خلن للإذلال
 والعضوليس ناعما في حال

لسائر الجسم من الخبال
مرتديات بقي الضال
يكدن يغدن من الأطال^(١)
يصلحن للأصحاء لا الأجلال
لم تكد بالمك ولا الفوالي
ومن ذكي الطبيب بالدمال
لعدما من شبكات المال
شبهة الإدبار بالافعال
فاختلفت في ولي نبال
قد اودعها عتل^(٢) الرجال
فهرت يهوين من القلال^(٣)
يرفلن في الجؤ على المحال
ينن فيها نية المكسال
لا يتشكن من الكلال
فكان عنها سبب الترحال
فوحش فجد منه في بلال
نوافر الضباب والأورال
والظي والخشاء والذبال

وأوقت القدر^(٤) من الأرجال
نواخر الأطفال للأكفال
لما لى سود بلا سبال
كل اثبت نبتها متقال
نرضى من الأدهان بالاسال
لوسرحت في عارضي محال
بين قضاة السوء والأخفال
لا تؤثر الوجهة على القفال
من اسفل الطود ومن معال
في كل كبد كيدي فعال
مقلوبة الأظلاف والأرقال^(٥)
في طرق سريعة الأبدال
على القفي^(٦) اعجل العجال
ولا يحاذرن من الضلال
تشوق إكثار إلى اقلال
يجتن في سلى وفي قبال^(٧)
والخاضبات الربد^(٨) والرال
يسمن من اخبار الأوزال

- (١) قطمان من الخيل (٢) ينج (٣) اسم مكان (٤) الأجام
(٥) اولاد الخنازير (٦) اصول الشجر (٧) اشرفت المسنة (٨) الخواصر
(٩) القسي الفارسية (١٠) اعلى الجبل (١١) ضرب من المشي
(١٢) جمع قفا (١٣) جبال في البادية (١٤) في لونها غبرة

جسر القروء

للقروء في ادغال البرازيل حركات غريبة منها التسلق على غصون الاشجار والوثوب من شجرة الى اخرى . ولما كانت الاشجار هناك متباعدة امكها السير عليها ايالاً بدون ان تمس اقلها الارض . ولا يوقنها عن السير سوى اعتراض الانهر فانها لا تحسن السباحة . واذ ذاك تولف من افرادها جسراً لحياً تقطع عليه من جهة الى اخرى

فتى بلغت النهر تحت قيادة الزعيم السائر في الساقه ^(١) تربصت ^(٢) للتشاور والانتظار ^(٣) واخذت تصوت اصواتاً غريبة كأنها تبحث في الامر ثم قسمت النية على العبور بأن تركب من اجسامها جسراً تتجاز عليه الماء بالوسيلة الآتية . وفي ان يتشبث القرد الاول بأعلى شجرة ضابطاً احد اغصانها يديه ورجليه وذنبه ثم يمسك به رقيقة على هذا المنوال نفسه ثم يتشبث الثالث بالثاني كذلك ولم جراً . ويصبح الجميع كجبل طويل يهتز ويخطر عدة خطرات تقوى بالتتابع الى ان يُحذف الى الجانب الآخر فيتمسك الاخير باغصان الشجرة الواقعة على الضفة المقابلة فيكمل بناء الجسر ثم تأخذ سائر القروء الواقعة لمعاينة العمل بالعبور . واذا انقطعت احدى حلقات هذا الجسر يهبط القروء في الماء ويغرق بعضهم . واذا اسعفهم الحظ بعدم انقصاص ^(٤) عرى هذا القطار ^(٥) تمر عليه تلك القردة سالمة . ثم يفك الاول نفسه من الغصن المسك به ويهتز تلك الأرجوحة خطرناكاً متابعاً الى ان يصل الجميع بسلام الى الشجرة على الضفة ^(٦) الاخرى

- (١) مؤخر الجيش (٢) انتظرت (٣) المشاورة (٤) انقطاع
(٥) قطعة من الايل على نقي واحد (٦) جانب النهر

زنايق الماء الكبيرة

تموه الزنايق العجبية في البحيرات والبحر المتجمعة من نهر الامازون .
ومحيط اوراق هذه الازهار ثنائي عشرة قدماً . اما الزنايق الكبيرة البيضاء
فتنصب فوق الماء . والاوراق متينة جداً حتى يستطيع الولد ان يقف عليها
بدون ان يغرق وتشتي عليها الطيور الكبيرة

واسم هذه الازهار بلغة تلك البلاد جا كانا وموطنها في الغابات والاحام
الواحة قرب النهر . فتمت خيم القسق (١) اخذت اكاعها (٢) بالتمخ . فتراما اولاً
يضاء ناصعة (٣) ثم تلون باللون الوردي ثم القرمزي القاتم وتطر الهواء بأرج (٤)
ذكي الرائحة . ومتى بلغت ثلاثة ايام من عمرها ذبلت وهبطت تحت الماء لانفاج
بزور جديدة . فيأخذ الهنود هذه البنور ويقلونها ويستعملونها طعاماً . وقد وضع
احد السياح بعض هذه البتلات (٥) في قارب فلم يسع اكثر من اثنتين منها

(١) شدة ظلام الليل (٢) جمع كم وهو الغلاف الذي ينشق
عن الثمر ويحيط به (٣) شديدة البياض (٤) الریح الطيب
(٥) فبلات مقطعة عن احما

حمام الأطفال النخلي وشمع النخل

شجر النخل في البرازيل غياذ كبيرة قرنية تغلف ككاج
الزهر قبل تفجئها . فهو نصبت الازهار شقت الغلاف

وَفَتَحَتْ أَكْهَامَهَا . فَتَنَصَّبُ بِلَكَ الْأَغْهَادُ^١ أَوْنَةً وَتَذَلِّي أُخْرَى
وَتَلَالَا فِي نَوْرِ الشَّمْسِ ثُمَّ تَسْقُطُ مِنْ نَفْسِهَا . فَتَلْقِطُهَا الْهَرَاءُ^٢
الْهِنْدِيَّةُ وَتَسْتَعْبِلُهَا حَبَامًا تَغْسِلُ فِيهِ صِغَارَهَا . وَتَسْتَحْدِمُهَا^٣
لِغَايَاتٍ مَتَرِلَةٍ أُخْرَى عَلِيْدَةٍ تَقُومُ عِنْدَمَا مَقَامَ الْفِصَاعِ
الْكَبِيرَةِ وَالطُّسُوتِ . وَلَا تَضْطَرُّ لِشِرَائِهَا بَلْ تَغْنَمُهَا مِنْ
الْغَابَاتِ

وَيَسْتَعْبِلُ الْبَرَزِيلِيُّونَ وَالْهُنُودُ^٤ أَشْجَارَ النَّخْلِ لِمَنَافِعَ فِي
أُمُورِ شَتَّى كَالطَّعَامِ وَالْخَبْرِ وَالثِّيَابِ وَالْأَثَاثِ وَبِنَاءِ الْبُيُوتِ
وَهَلُمَّ جَرًّا

وَقَدْ وَفَرَتْ عَلَى ضِئْفِ أَنْهْرِ الْبَرَزِيلِ أَشْجَارُ تَدْعَى النَّخْلُ
الشَّمْعِي^٥ يَسْتَخْرِجُ الْهُنُودُ مِنْ أَوْرَاقِهَا الْغَضَّةَ شَبْعًا بَانَ يَقْطَعُونَهَا
بِلَكَ الْأَوْرَاقِ وَيَحْفَفُونَهَا فِي الشَّمْسِ . فَيَسْقُطُ مِنْ سَطْحِهَا بَعْدَ
الْجَنَافِ حَرَائِيفُ يُذَيِّبُونَهَا عَلَى النَّارِ فَتُصْبِحُ شَبْعًا أَيْضًا حَسَنًا
ثُمَّ مَتَى بَرَدَ جَهْدَ وَصَلَبَ وَعَمِلَ مِنْهُ شَمْعٌ لِلْإِضَاءَةِ

وَيَسْتَخْرِجُ الْأَهْلُونَ مِنَ النَّخْلِ الشَّمْعِي أَيْضًا طَعَامًا . لِأَنَّهُ
يَجِبُ نَهْرًا أَسْوَدَ لَامِعًا يَقْدَرُ حَجْمُ الْبَيْضَةِ . فَيَغْلُوهُ عَلَى النَّارِ
وَقَتًا طَوِيلًا ثُمَّ يَأْكُلُونَهُ مَعَ اللَّبَنِ . أَمَّا جُذُوعُ هَذَا النَّخْلِ

فَمَلَأَى مِنْ لُبِّ لَيْنٍ أَيْضَ لَذِيذِ الطَّعْمِ . فَتَنَى جَاعَ الْهِنْدِيِّ
وَطَلَبَ الطَّعَامَ عَمَدَ إِلَى أَحَدِهَا وَقَطَعَ جِذْعَهَا وَاسْتَخْرَجَ
الْلُبَّ وَأَقْنَتَ بِهِ .

(١) غلاف الزهر

سهول اللانوس في اميركا الجنوبية

ان هذه القارة تدهش العقول بفرادة انهرها واتساع غاباتها وعلو جبالها
وامتداد سهولها ووفرة نباتها . فان فروعا كثيرة من نهر الامازون تفوق الانانوب
جمعا ، وغياض كيانا وحدها تسع عدة ممالك كبريطانيا . وارقتاع جبال الالب
يعد جريا بالنسبة لجبال الاندس . وسهول المانيا الشمالية وهولندا تحسب
كلانها بالمقابلة مع سهول اللانوس في فينيترولا وغرناطة الجديدة البالغة
مساحتها ٢٥٠٠٠٠ ميل مربع

فترى هذه السهول مجرا لاحد له نارة مغطاة بالاعشاب والبقول وطورا
جرداء بلقما محترقة من القبط لا جدول يجري فيها لتبريد ظمها المسافرين ولا
بر فيها ولا ينبوع ولا ظل سوى بعض شجيرات فخل لا تكاد تظل السائح
المحرو

وهذه السهول تمتد من سفح الجبال الى شاطئ البحر والى مصب نهر
اورينوكو العظيم . وهي واقعة بالقرب من خط الاستواء . ولكنها تختلف عن
صحاري خط الاستواء الافريقية بكثرة امطارها شتاء واكتسائها بالاعشاب
الخضراء شتاء وريعا

ولكن متى أتى الصيف لمخ القبط الأعشاب وجثث البنايع والبرك وثارَت
الاعاصير^(١) الرملية . فتهتز الأرض قبل قدومها وترتجف كمن زلزال عنيف .
ثم يكفهر^(٢) الجو من غيوم الرمال المرتفعة في الهواء . وهب الرياح من كل
الجبهات دفعة واحدة فتلاطم مجاريها بعضها ببعض تلاطم أمواج البحار . ويرتفع
الرمل ارتفاعاً عمودياً الى عتاق^(٣) الأفق كالاعاصير المائية . يأخذ هذا العمود
بالانكشاف والتقدم الى الامام مسافة شاسعة . ويلوح كأنه على شفاة^(٤) الانهيار^(٥)
ومنتظماً ما يصادف في سيله . فتدعر^(٦) الكواثر والبهائم والطيور وتلجج الى
مكان تستتر فيه . ثم تسكن الزعازع بعد حين فتشتع الغيوم وتبعث الغزاة^(٧)
بشاعها فتطلي الرضاء^(٨) كما كان قبيل تلك الصرصر^(٩)

ومتى انقضى فصل الصيف تكبد زرقه الجو وتشتت الغيوم وتلغف
الفلك بالضباب وتدمدم الرعود ويحوي^(١٠) الغيث وابلله^(١١) فتيها الطبيعة
وتتمض من سباتها بسرعة غريبة وتكسي تلك السهول كأنه بقوة بحرية يسط
الاخضرار الزبرجدي وتنبث ازهاراً تبهل الابصار وتطير الهواء وتجمع الاطيار
ويرد الحيوان الماء ينهل ما يروي أولاه^(١٢) بعد ان يهب من رقاده . فترى
الخيل البرية والثيران في المرعى والنمر يكن للوثوب عليها . والحاسح الكبيرة
والاقاعي المائية المدفونة في الوحول تنشط من وسطها^(١٣) وتعدو الى الانهر .
وتسابق البرك والبحيرات الجديدة غاصّة بالحياة الحيوانية تسبح فيها اسراب
لا تحصى من طيور الماء . وتبرز خلائق جديدة من الهواء والحشرات من كل
الانواع والاشكال وترحف الى خصاص^(١٤) الهند . ثم يقول ذلك السهل
التصيح بالتدرج الى بحيرة يعود الطرف عنها كليلاً

فقد يضطجع الهندي حثيثاً او المسافر في احد الخصاص على تلك الضفاف
فيرى الأرض تحث تحرك فيعروى العجب والذهول . فيلتمت للوقوف على
حقيقة الامر واذا بتساج كبير بارز من الطين بطاول بعضه للخروج من ذلك
المحدث^(١٥) ولتشمس الهواء . فيجلى بعينه كأنه دُش ما يراه امامه . فيفر سكران

المُخَصَّن مَذْعُورِينَ وَيَفْشَحُونَ لَهُ جِبَالًا لِلْأَفْلَاتِ . فَلَا يَنْتَمِ حَتَّى يَنْقَلِسَ مِنْ قَبْرِهِ



الصَّلَاحِي وَيَرْحَفُ زَحَاً بَطْنًا ثُمَّ يَغْرُصُ فِي الْجَبْرِ وَيَتَوَارَى عَنِ الْعِيَانِ

- (١) الرِّيحُ تَهْبُتُ مِنَ الْأَرْضِ كَالْعُمُودِ إِلَى السَّمَاءِ (٢) اللَّيْلُ تَرَاكُمُ
وَأَشْتَدُّ ظِلَامُهُ (٣) مَا عَلَا وَارْتَفَعَ (٤) حُرُفُ الْمَكَانِ وَحْدَةٌ
(٥) سَقُوطُ (٦) تَخَافُ (٧) الشَّمْسُ (٨) الْأَرْضُ الْحَامِيَّةُ
الْحَارَّةُ (٩) رِيحٌ شَدِيدَةٌ الْمَهْبُوبُ (١٠) مَطَرُ الرَّيْحِ الْأَوَّلِ
(١١) الْمَطَرُ الشَّدِيدُ الضَّخْمُ الْقَطَرُ (١٢) عَطَشُهُ (١٣) نَوْحُهُ
(١٤) يَمُوتُ مِنَ الْقَصَبِ (١٥) قَبْرِ

حيوانات سهول لانوس وبطنج الكاكس وحرق الاعشاب

اما البهائم والكواسر في تلك السهول فوافرة جدًا . منها المواشي البرية
والخيل والبقال والوحوش الضاري كالنمر الاميركي والاسد المسمى بيوما
والتمساح . فتحي حي البهيمير^(١) صيفًا تجف النبايع وتنشف البرك ويشد القيظ .
فيظلم الانسان والحيوان ويدفن التمساح نفسه في الوحل عند ضفاف الانهر
وتجتم الخيل تسابق الرياح مدودة الاعناق وتجول البقال تنفض عن نبات
غزير العصارة باردها كبير الزهر والحجج لذيد الطعم شائك اسمه بطنج الكاكس
ينمو هناك حتى على الرمضاء

فتشر البقال الصادة^(٢) بفطرها الطبيعية الشوك عن هذا الثمر بجوافرها
القوية وتمتص عصيره فتبرد غليظها . وقد تدخل الاشواك الكبيرة في جوافرها
فتجرحها وتجعلها تتجمع^(٣) . ومتى خيم الغسق ثناتفص حرارة الهواء وتنفوز الاحياء
ببعض الراحة . غير ان البهائم قلما تمتنع بالجوع^(٤) . فان خفافيش كبيرة تحوم
حولها فاذا استقرت على فرس او بقرة عضتها عضًا لا تكاد تشعر باليه فتأخذ
تمص دمها الى ان تأتي على آخره . فيقع الحيوان المنكود الحظ ماتًا . وقد تمص
هذه الخفافيش دماء البشر وهم رقود في القلاة ومستغرقون في النوم فتنتكهم
فتكها بالحيوان

ويستغرق الكركدن والتمساح في سبات النوم صيفًا استغرق دب الشمال
شتمه . وتجر سائر الحيوانات تلك الحزون^(٥) الى الغابات والانهر . وهكذا يفعل
المنود سكان ذلك الاقليم . وقد تخرق تلك الاعشاب الجافة احتراقًا هائلًا

الى مساحة مئات من الاميال . فتشاهد النار والليهب يرتفعان الى عنان الجوى
ويسيران كوميض^(٦) البرق . وينشر الدخان كحجاب كثيف متلبّد فيظلم
الفضاء وتسمع لخفيف^(٧) الاعشاب اصواتاً راقية . فاذا لم تشارك الامر بالصعود
على راية او يميز النبات حولك على النور تدرك النار وتلتهمك في الحال

(١) شدة الحر (٢) عطشانة (٣) نخرج (٤) النوم
(٥) السهول (٦) لمخفيف (٧) صوت الرياح والاصحجة

الانوار في الاشجار

من سهول لانوس ما هو آمل معمر بالقرى ومنها ما هو مقفر خالٍ من
السكان مملوء بالمحيوانات البرية

ومن غرائب النبات النامي فيها نخل ناضر عند مصب نهر اور ينوكو
يدعى نخل المروحة لامتداد فروعه كالمرح وهو مصدر ارزاق الهنود فيصنعون
من لبّه خبزاً مخدّباً ومن عصيره خمرّاً ولا يخشون معه جرّاً

وعند ما قهر السيل تلك السهول شتاء . ماذا يصيب الهنود وكيف
يعيشون . انهم يعلقون احفاشهم^(١) بالاشجار وهي خصاص ارضها حصر منموجة
من الياف القتل . فينوطونها^(٢) بالاعصان ويصنعون لها جدراناً من طفال^(٣) .
فيذخرون فيها المؤونة ويرتّبون اثاثها الزميد ويضرمون فيها النيران للاستدفاء
والطبخ . ولما كانت ارضها رطبة امسوا لا يخشون احتراقها . فاذا نخرت القوارب
والسفن في النهر رأى ركابها ليلاً الانوار تشتعل في الاشجار فيعلمون ان الهنود
ساكنها بطون^(٤) طعاهم ويستدفئون

(١) ميوت صغيرة (٢) بربطون (٣) طين بابي (٤) بطنجون

ارض الجبابة

فِي أَفْصَى قَارَةِ أَمِيرِكَا الْجَنُوبِيَّةِ بِلَادٌ وَاسِعَةٌ أَسْمَا بَانَا كُونِيَا
وَهِيَ بِلَادٌ مُتَبَدِّلَةٌ قَارِسَةٌ الْبَرْدِ. لَيْسَ فِيهَا سِرَى حُرُونٍ يَرْتَفِعُ
بَعْضُهَا عَنِ الْآخَرِ أَرْتِقَاعَ صَعِيدٍ مُنْضِدٍ. تَنْبُتُ فِيهَا الْأَعْشَابُ
الْمُخْشِنَةُ الْهَيْلِيَّةُ وَتُخَلَّلُ سَهُولُهَا أَوْدِيَّةٌ تَنْبُتُ فِيهَا الْبُقُولُ أَيْضًا
وَتَهْبُثُ فِي هَذِهِ الْبِلَادِ شَتَاءُ رِيَاحٌ صَرَصَرٌ وَصَيْفُهَا قَصِيرٌ
حَارٌّ يَلْفُحُ بِقَيْظِهِ الْأَعْشَابَ وَالْبُقُولَ. وَهِيَ قَلِيلَةُ الْأَمْطَارِ
وَالْأَنْهَارِ وَالتَّجْدَاوِلِ إِلَّا فِي الْأَوْدِيَّةِ حَيْثُ تَوْجَدُ يَنْابِيعٌ وَبُرُكٌ
يَعَافُ طَعْمُهَا النَّوْقُ إِنَّهَا يَضْطَرُّ سُكَّانُ الْبِلَادِ إِلَى الْإِسْتِقَاءِ
مِنْهَا

وَتَقُطُنُ فِي ذَلِكَ الطَّرِيقَةِ هِنْدِيَّةٌ هَمِيَّةٌ طَوِيلَةُ الْقَامَةِ
حِدَا حَتَّى تَخَالِفَهَا مِنْ نَسْلِ بَنِي عِنَانِي الْجَبَابِرَةِ الْأَقْدَمِينَ. لِباسُهُمْ
بَرَانِسُ جِلْدٍ مِنْ حَيَوَانٍ يُجَاكِي اللَّامَا يَعِيشُ فِي بَانَا كُونِيَا وَهُوَ
سَرِيعُ الْجَرِيِّ بَسْرُحٌ قِطْعَانَا وَاسْمُهُ غُونَا كُو. يَكْسُو الْأَهْلِيْنَ
بِجِلْدِهِ وَيَقُوْنُهُمْ بِلَحْمِهِ

وَمَعْنِدُ دُنْهِ الْبِلَادِ قِبَاحُ الصُّورَةِ وَمَنْظَرُهُمْ رَائِعٌ وَشَعِيرُهُمْ

طَوِيلَةٌ خَشَنَةٌ كَثَّةٌ مَدْلَاةٌ إِلَى أَكْثَافِهِمْ وَرُؤُوسُهُمْ كَبِيرَةٌ وَعِظَامُ
 خُدُودِهِمْ مُرْتَفِعَةٌ بَارِزَةٌ. وَيَنْفُشُونَ أَجْسَامَهُمْ مِنْ فِيهِ الرَّأْسِ
 إِلَى أَسْفَلِ الْقَدَمِ بِالْأَلْوَانِ وَالصُّوَرِ الْغَرِيبَةِ وَيُطَوِّقُونَ
 أَعْيُنَهُمْ بِدَوَائِرٍ بَيْضَاءَ. وَيَسْكُنُونَ فِي خِصَاصٍ أَوْ مَضَارِبَ
 مَصْنُوعَةٍ مِنْ جِلْدِ الْحَيَوَانِ الْإِنْفِ الذِّكْرِ لَهَا مَدْخَلٌ مِنْ
 جَانِبٍ وَاحِدٍ. فَإِذَا زُرَتْ تِلْكَ الْحَيَامَ رَأَيْتَ فِيهَا بَضْعَةً
 جُلُودٌ يَغْدُونَهَا فِرَاشًا وَدِنَارًا وَاسْلِحَةً قَلِيلَةً لِلصِّيدِ وَالْقِتَالِ. أَمَّا
 هَذِهِ الْاسْلِحَةُ فَهِيَ مِنْ مَحْدَدَةِ الطَّرَفِ تُضَارِعُ الْخَنْجَرَ وَمِيقْلَاعٌ
 هُوَ سَيْرٌ مِنْ جِلْدٍ طَوِيلُهُ عَشْرُ أَقْدَامٍ أَوْ اثْنَتَا عَشْرَةَ يَنْتَهِي
 بِنِصْفِ غِلَافٍ جِلْدِيٍّ. فَهِيَ رَامٌ الْهِنْدِيُّ الْقَنْصَ عَلَامَتُهُ^(١)
 جَوَادِهِ السَّرِيعِ وَأَخَذَ حَجَرَيْنِ كَبِيرَيْنِ أَوْ كُرَيْتَيْنِ فَوَضَعَ
 أَحَدَهُمَا فِي الْهِقْلَاعِ وَقَتَلَهُ حَوْلَ رَأْسِهِ وَشَرَعَ يُحْضِرُ^(٢) عَلَى
 فَرَسِهِ. ثُمَّ يَجْدِفُ الْهِقْلَاعَ وَالْخَنْجَرَ مَعًا عَلَى الطَّرِيدَةِ. فَيَطِيرَانِ
 فِي الْهَوَاءِ وَلَهُمَا دَوِيٌّ وَخَفِيفٌ فَيُصِيبُ الْخَنْجَرَ الطَّرِيدَةَ وَيَقْتُلُهَا
 عَلَى الْقَوْرِ غَالِبًا. وَإِذَا أَخْطَأَ الْخَنْجَرَ الْهَرَمِيُّ أَلْتَفَ السَّيْرُ حَوْلَهَا
 وَلَوَقَفَهَا عَنِ الْفِرَارِ. فَيَتَرَجَّلُ الْهِنْدِيُّ وَيَتَرَلُّ عَلَيْهَا بِالْمِهْدِيَةِ
 فَيَجِرُُّهَا غِصَصَ^(٣) الْمِهْدِيَةِ^(٤)

وَكَثِيرًا مَا يَنْطَلِقُ الْهُنُودُ إِلَى الصَّيْدِ جِيوشًا مَكْتَبَةً
مُمْتَنِينَ صَهَوَاتٍ جِيَادِهِمْ وَيَهَاجِرُونَ قَطِيعَ الْغَوَانَا كَوْمَعًا.



فَتَسْمَعُ دَوِيَّ الْمَقَالِيعِ فِي الْهَوَاءِ وَتَرَى الْخَيُْولَ تُسَابِقُ الرِّيَّاحَ
وَالطَّرَائِدَ تَسْقُطُ فُرَادَى وَمَشْنَى وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ إِلَى أَنْ يَبُودَ
الصَّيَّادُونَ بِالْغَنَائِمِ الْوَافِرَةِ
وَيَصِيدُ الْهُنُودُ أَيْضًا طَائِرًا طَوِيلَ الرَّجْلَيْنِ كَبِيرَ الْجَنَفِ
بُشَاكِلِ النِّعَامِ إِلَّا أَنَّهُ أَصْغَرُ مِنْهَا قَلِيلًا. وَهُوَ سَرِيعُ الْحَرْبِ

لَا تَكَادُ تُدْرِكُهُ الْخَيْلُ طَرِيءَ اللَّحْمِ لَذِيذِ الطَّعْمِ يَعْتَبِرُهُ الْهِنْدُ كُلُّ الْإِعْنَارِ

وَكُلَّمَا بَرَعَ الْهِنْدِيُّ فِي الصَّيْدِ زَادَتْ كَرَامَتُهُ عِنْدَ عَشِيرَتِهِ وَارْتَفَعَ شَأْنُهُ. وَالْخَيْلُ هُنَاكَ وَافِرَةٌ الْعَدَدِ فَيَسْتَطِيعُ الْهِنْدِيُّ وَبِجُولُونَ عَلَيْهَا مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرَ. وَقَدْ يَسْلُبُونَهَا مِنَ الْبِلَادِ الْجَاوِرَةِ. فَإِنَّ سُرْقَةَ الْخَيْلِ شَائِعَةٌ عِنْدَ هَذِهِ الْقَبَائِلِ الْهَجْمِيَّةِ حَتَّى أَصْبَحَتْ حِرْقَةٌ تَأْتِي مُحْتَرِفًا بِالرُّزْقِ وَالْإِعْنَارِ

- (١) يكره (٢) مكين (٣) ظهر (٤) يركض
(٥) ما غص به الانسان (٦) موت (٧) مجهزة (٨) راكبين
(٩) مناعد الفرس

سهول البامباس وسكانها وجبالها

اذا سُرَّحت الطرف في خريطة اميركا الجنوبية رأيت في جنوبها ولاية كبيرة تُدعى بونس ايرس . وفي الناحية السفلى منها سهل فسيح جداً يُدعى بامباس قسمة الاول مغطى بالعوج والعليق الطويل الكثيف الشائك الذي يتعدَّد خرقة حتى على الحيوان . لكن متى انقضى زمان تذبل الازهار والسوق ويحترق بعضها ببعض فتتماقط . ثم تنثر في الهواء . ويسبح الغيث مدراراً (١) ونصف الريح فلا يبقى لذلك النبات اثر . ويبتئ مكانه البرسيم (٢) الغض الاخضر الجميل

اما القسم الثاني فمكسو بالاعشاب . ومتى اجترت العليق والبرسيم اتيت
بحراً من الاعشاب المتوجة الى آمد اميال اسمها بامباس . وعابت وراءها غياضاً
كيرة متفرقة الاشجار . ولذلك كان هذا السهل المكسو بالعويج والنفل^(٤)
والبرسيم والاشجار غاية في الغرابة

اما عشب البامباس فجبل جناً تحاكي اوراقه الريش وفي فضية اللون
ومتى هبّ الهواء ترى الازهار تلعب وتنبج كزبد البحر الابيض المتألق في شعاع
الشمس . وشاهد الخيول البرية تعدو خيلاً وإهاجاً في سائر سهول هذه القارة
ويقطن ههنا الاقليم جبل^(٥) مغرم بقص الخيل البرية . فلا تكاد صغارهم
تدب على الارض حتى يركبهم متون الجياد ويعرثونهم على الطراد والصيد . ومتى
شبهوا ركضوا وراء الخيول وقصروها بالوهق^(٦) . ويقضي هؤلاء القوم زمانهم على
ظهور الخيل . اما اصلهم فمن بقايا الاسبانين ولا يعيشون معيشة الهنود فلا يحولون
ويرحلون نظيرهم . لان معيشتهم تعلق على الابتار البرية المتيسرة في تلك السهول .
فتمنى فرغ زاد احدهم يعلو جواده وبأخذ يده الرمح ويتطلق الى البادية
ويرمي الرمح حول قرني الطريدة فيصرعها الى الارض . ثم يخرج مديته
الطويلة وبذبحها فيتنفع بلحمها وجلدها

ولا يهتم هذه العشيرة بزرع القطن والبقول وغرس الحقائق وبناء البيوت
بل تفرحاً شاكاً من تراب مجبول بين الاعشاب اليابسة . ومن الغريب انهم
يصنعون مقاعد من رؤوس الخيل . ويضعون اطفالهم في اسرة من جلد
الجاموس يعلقونها في السقف ويلبسون رداء قصيراً من جلد وتلوح عليهم
ملاعح العجيبة . واذا اطلقوا لحيلهم الاثنت^(٧) سارت بهم كالبرق المخالف
ورأيت شعورهم السوداء تطير مع الرياح

ويأوي تلك السهول ايضاً هنود اشد نوحشاً من اولئك متمنون نظيرهم
على ركوب الصافنات^(٨) بل اقدر منهم على مطاردتها واسرع عدواً فيجربون على
خصاص اليغس احياناً ويجرقونها ويتكون بهم فتكا ذريعاً

وفي جنوبي اميركا ايضا جبال الاندس العظيمة المغطاة بالثلوج الدائمة التي
تطاول شعورها^(٩) السحاب وتمتد الى الساحل الغربي . ومتى اجتاز السياح
تلك الجبال الشاهقة يضطرون الى المسير في طريق وعرة المسالك ضيقها
لا تكاد قدما المسافرين يجلبان فيها مكانا تظاؤون في تشرف على وهاد^(١٠) وهما^(١١)
عميقة ترمي ناظرها بالدوار^(١٢) . واذا زلت بسالكها القدم هوى الى اسفل تلك
الموة فتمزق قطعاً

ولما كانت البغال هناك متمرنة على سلوكها ومطبوعة على شدة الحذر
والتحفظ آثر المسافرون ركوبها على السير مشاة . ولكن لا بد من ان يصحبوا معهم
دليلاً هندياً يهديهم الى آمن المسالك . فيطلقون لبغالهم العنان ويتركونها
تذهب كيف شاعت واثنين يعلقنها وخزفا . فقد تبلغ صخوراً ملساء مرتفعة
بجدار البيت فلا تحاول المشي عليها . بل تطبق قوائمها الاربع معاً وتزج^(١٣) من
قبة الجلود^(١٤) الى حضيض فتصل سائلة

واكثر قمم جبال الاندس بركانية يُحسب احدها اعلى بركان في العالم واسمه
كونتوباكسي . وهذه القبة الباذخة تمس الغيوم وهي مخروطة ملساء . فتى حاج
هذا البركان رأيت مشهداً يروعك هولاً وجماله . فيظلم هذا الجبل وتكثر سائر
الجبال حوله ويدلم^(١٥) الافق بالدخان . ثم يسكب سيولاً من المهورات^(١٦)
البركانية . وتذوب الثلوج وتعمل كطوفان يطغي على تلك البطاج ويجمع منه
برك وجداول . ومتى سكن الجبل تأخذ الانهر الخبوة بالتجمع والجري ويتألف
منها غدران وجداول . ثم تبدأ هذه الجداول بالانساع وتهدر عليها السيول
والمخاد^(١٧) فتطغي طغياناً عظيماً وتسبح فيها الاسماك التي تنفض السمكي في هذه
الحال لتستر عن اعين الاعلاء

وبعد انقضاء بضع سنين تسع هذه البرك وتزداد الاسماك فيها . ثم متى
هاج البركان يتزلزل الجبل ويرجف . لان الزلزال يتقدم انفجار البركان وكلما
اكثر ذلك الطود تشقق وانفتحت الاخاديد^(١٨) واللاع^(١٩) على جوانبه ثم يسكب

سهولاً من الرحل والماء ويطر على تلك الاصفاغ اسماكاً لا عدد لما
فقد امطرت مرة من تلك البراكين اسماكاً واقرة وانتشرت في تلك البلاد
على مساحة ميلين او يزيد حتى كان الناظر لا يرى على مدى بصره سوى
الاسماك الكاسية هذه البقاع . فكان ذلك حاملاً على تلف غلال الخول
ومحصولاتها وبعثاً على الحبيبات الناشئة من فساد المراء برائحة الاسماك المفعنة

- (١) سيلاً غزيراً (٢) حب القرط (٣) نبت طيب الرائحة
- (٤) طائفة من الناس (٥) الحمل في طرفيه انشودة لصيد الحيوان
- (٦) جمع عمان وهو سير الجلام (٧) الخيل (٨) جمع شعة وهي رأس الجبل
- (٩) جمع وهدة وهي الهوة في الارض (١٠) ما انخفض من الارض في سهوله
- (١١) دوران في الرأس (١٢) تتلقى (١٣) صخر (١٤) يكثف
- ظلامه (١٥) مواد ذائبة (١٦) ترع (١٧) جمع اخدود
- وهو الحفرة المستطيلة في الارض (١٨) مسابيل الماء

— ١٠٠١ —

شجرة اللبن وحيوان اللاما

تتو عند - نيفس جبال الاندس اشجار تثبت على الصخور وهي عالية جداً
ولا تثمر اصولها في الصخر بل تثبت في بعض الشجرات ولا انها متينة كالجلد .
ولا نبات اخضر سائماً . ويشتق منها اهل تلك البلاد كثيراً بأن يستخرجوا منها
لبناً يضارع لبن اتيمن

فتم نشرت الفزالة بجوفها (١) الذهبية على تلك البطائح (٢) رأيت جمهوراً
من اليعس والغنود منتصبين حاملين قضاة يقطنون يستندون من تلك الاشجار
لبت شهورهم . فيسبون بنوهم انشرف فيسيل صمير ايضاً يشاكل الخشب لونا

وطعماً فيلأون منه قصاعهم ويرجعون . وقد يجلس بعضهم وينهل اللبن في
الحمال . غير ان أكثرهم يأخذونه لاولادهم في المنزل . وهو احلى من اللبن
الحبيواني وادسم

وفي ييروحيوان نافع مجاكي الجبل بعض الحماكة لكنه اصغر منه حجماً اسمه
اللاما . ولا يوجد في غير اميركا ومواطنة خصوصاً ملكة ييرو وله طباع الابل
من وجه الصبر على العطش وقلة الاكل . ويستخدمه الهنود لحمل الاحمال
والركوب بدلاً من الخيل والجبال

ولما اليهم منية السلوك في الاماكن الوعرة الصخرية فلا يعثر ولا تنزل
قوائمهم . ولما كانت تلك الجبال غنية بمناجم الفضة يستخدمه القوم لنقل ركازها^(٢)
ويتنافس اربابها بتربيتهم رؤسهم بالمجركشات وعتة بالاجراس ويسوقونه قطارات
على تلك الاطواد^(٤) الباذخة^(٥)

واذا بهظ^(٦) رب هذه الراحة متتها بوقر^(٧) ثيل تسقط على الارض فلا
تهض ولو تنزل عليها بالمياط الى ان يجتف عنها الجبل
ومن هذا الحيوان ما هو وحشي يهرج قطعاناً على الجبال ويصعد الى
قممها . وهو اشد نشاطاً وعدواً ومرحاً من الليفة . فيشب ويقفز بين الصخور
كالإيل والوعل والماعز . واذا رأى انساناً ركض مرتقباً الصخر الملاء حتى
يلغ شعبة الجبل

وعلى ظهر هذه المظية كساء صوفي لين يميزه الهنود وينزلونه ويجوكون منه
نسيجاً حسناً . وتصدر منه الى بریطانيا وغيرها مقادير وافرة حيث تنزل الآلات
النجارية وتنجح وتصنع منه النساء اودية جميلة وبروداً

(١) ستامرها (٢) الاماكن المستوية (٣) معدنها المخلقي

(٤) الجبال (٥) العالية (٦) حمل الراحة فانسها (٧) يحمل
ثيل (٨) اثواباً مخططة

النمل الأبيض موطنه وتركيبه واقسامه وطباعه

موطن هذا النمل في الاندلس الغربية والشرقية وإفريقية وإمبركا الجنوبية وسينغال وهو من طائفة النورويترا

ولكل نملة أربعة أجنحة ورأس مثلث الزوايا وفك قوي وشقة صغيرة وصدر منطبق وطرف يضيء مركب من عقد مرتبطة بمفاصل . ولها حُجَات (١) لدأغة خُصَّت بها الاتى والخنى فقط . ولجسمها كيس صغير تخرج منه مادة حامضة تقتل رائحتها الحشرات المؤذية . وله قوة عضلية عظيمة فيجمل ما يزيد على ثقل جسمه بأثني عشرة مرة . ويعيش طوائف وفِرَقًا ويحضن صغارهُ . وهو مؤلف من ذكر واتى وخنى وقلة . فالاول والثاني للتوليد والثالث للحراسة والجندية والرابع للبناء والترميم والتهوين وهو الاوفر عدداً

اما الاتى فأصغر حجماً من سواها وهي مستديرة الرأس قصيرة الفكين بالنسبة لساكنات انواعها كيرة العينين بارزتها واسعة الاجنحة وعلمها اعالة الصغار وترينها . واما الخنى فاقبل عدداً واكبر حجماً طويلاً الرأس والفكين . ويحسب معدداً واحداً بالمتة . وهي حارسة زمن السلم وجندية آن الحرب

ويخرج هذا النمل بعد كمال نموه في الخريف ربوات وملايين زاحفاً في طلب الرزق . ثم يأخذ في الطيران قبلاً الفضاء ويدخل البيوت ويطلق المصابيح . وقد يلج (٢) السفن ويغطي وجه الارض والماء . ثم لا يلبث ويخرج اجنحة فيصبح قريصة اعلاؤه الكثيرين . فتطلبه الطيور والحشرات والحيوانات حتى

البشر طعاماً. قيل انه لذيد الطعم كيتاج محلى بسكر او قشدة محلاة او رفاق بلوز. ولا يكاد يفلت من تلك الكنايب المحصاة بالملايين زوج واحد لوليد طاقعة جديدة. فان اسعد الحظ انشى وفازت بالسلامة عثرت عليها عاملات طاقعة اخرى فاتتبتها ملكة او أماً لمستعمرة جديدة وأدت لها الخضوع والولاء^(١) وشرعت بحمايتها من الاعلاء فتتفظها ضمن حجرة من طفال على قدر حجمها لا يسع مدخلها سواها وخشى فلا تستطيع الخروج منه لانه يضيّق بعد جنافه. فتأخذ باعداد المأذن^(٢). ثم تنقلها النعلة الى حجرة خاصة وتقدم لها الطعام وتني كبرت صفارها وسعت العاملات النفق^(٣) الملكي

وتضع الانثى ٦٠ ذراً^(٤) في الدقيقة او ٨٠٠٠ في ٢٤ ساعة وطول حياتها ستان. اما بيت الملكة فلا يخلو من الحراس والجنود ولها ايضاً غرف خاصة وشغلها الخنارة والدفاع. والنعلة تملأ بيوت الملكة للاعتناء ببيوضها. وتخدم الصغار خدمة عجيبة فتحملها في افواهها وتضعها في اماكن امنية. فتكون اولاً بزوراً يضاء ثم تبلى باللعاب وتكومها كوماً في الارض ثم تحضنها لتدقنها وتنقلها من حجرة الى اخرى وإلى الخارج لتستدق في نحو ربع ساعة. وتنفخ الطعام وترقيها اياه بصبر جريل. فتتمص الصغار بلسانها. فاذا دخلت قرية هذا النمل رأيت بعضه يرق وغيره يحرس ويدافع. وسواه يرم البناء المنهدم وبعضه يعلم وغيره ينقل او يستريح الخ

- (١) ابرة الزنبور وغيره يلدغ بها (٢) يدخل (٣) الحبة والنصرة والقرب (٤) يعض النمل (٥) سرب في الارض لا يخرج الى مكان (٦) صغار النمل

النبل الايض . قراءة العجينة

ان قري هذا النبل عجيبة تلوح لناظرها كقري البشر وهي مخروطية الشكل
تعلو عن الارض خمس اقلام اوست سطحها الخارجي مجرد من كل نبات . غير
ان قمتها مكسوة بالاعشاب . وهي منطاة بقبة خارجية او صفالة متينة تظلل
داخلها من حر الهواء وبرده

واقسام البناء منفصلة بعضها عن بعض بنظام غريب وغرف شتى تذمل
الالباب . منها مخادع للملكات وثرية صغارها وكلها مذخرة بثروة وافرة . وهذه
البيوت ترتفع اولاً كابرار مخروطية^(١) تضارع قباب السكر . والقلعة تشيد البيت
الواحد الى علو قدم او قدمين ثم تشتغل ببناء غيره . وتوسع قواعد تدريجياً
وتكبره من الوسط وغلاً القسمات بينه ثم تغطي الكل بقبة كبيرة . ومتى نجرت من
وصليها نزعت الابراج الوسطى المستخدمة كصفالة او كقالب واستعملت موادها
لبناء الحجر اللاخية

ومتى بلغ البناء الى نصفه وقف الحراس للحراسة واشتغل البنية في العمار .
ثم متى تم البناء اصبحت تلك الابراج صالحة للكاشفة والمراقبة . قيل ان خمسة
رجال وقفوا آوة^(٢) على احلامها واكتشفوا سفينة تخبر في عباب^(٣) البحر . اما
القبة الخارجية فتصلح لتظليل البناء الداخلي وايصال الحرارة اللازمة لنقف
البیوض

اما حجرة الملكة فتفوق غيرها جمالاً واتساعاً . وهي واقعة في مركز البناء
افقية الشكل تمخذي علو الارض ونحائي نصف قشرة بيضة . وقدرها الاولي
عقدة اصبع ثم تزداد الى خمس عقد اوست حسب كبر الملكة ونموها . ومعها
عقدة واحدة او يزيد واكثرها من طفال متين مغطاة بستف ولما ابواب
ومداخل لا تدخلها الا العماكر والقلعة ولا تستطيع الملكة ولا الملك الخروج

منها . وحول تقف الملكة عُرف كثيرة ذات اقلاد واشكال متنوعة وكلها اقواس وقناطر . وفي تنفخ الى بعضها بمناخل ودهاليز تحيط بها مخادع ومخازن لثرية الذرّ ضمنها مؤونة وافرة . وبعض هذه القرى خشبية ملتصقة ببعضها بالصمغ وكلها محيطة بحجرة الملكة

فلما ان غرفة الملكة توسع تدريجيا وكذلك عُرف الذرّ . فان العاملات يهدمن تلك المخادع ثم توسعها حسب حجم الملكة فتراها اولاً بقدر البندقة ثم تُكَبَّر الى ان تبلغ قدر رأس الولد . وبعد توسيع غرفة الملكة تحاط بمخادع القلعة والجناد لحراسة الربيعة والرئيس المنوط بها سعادتها ووجودها . اما موقع قصر الملكة ففي دهليز او الفوص^(٤) متعرج ملتفت محيطة قدم او اكثر . وحوله اروقة وماش ورواشن . والمخادع منفصلة عن بعضها بغرف فارغة ترتفع الى علو ثلاثة ارباع البرج . وفي وسطها تحت القبة ردهة^(٥) تحاكي ساحة الكعبة مطوّقة باقواس غوثية الشكل كاجنحة البناء وحولها تجرّ وغرف عديدة . وهذه الاقواس تسند بعضها بعضاً والبناء الخارجي يسند ما جميعاً . والمخادع سطوح حطّة بعضها كبير بقدر فم المدفع . وكلها مبطنّة بسياج^(٦) متين وتصل بعضها بدهاليز واروقة عجيبة . ويصعد ويُنزل اليها بسلام . وقد تبلغ طبقات القرية الواحدة عشرين طبقة . ومتى اشتدّ الحرّ في الطبقة العليا تأخذ صغارها الى الدنيا . اما سكناها شتاء في الطبقة العليا . ومتى آوت للرفاد توصل الابواب ويقف بعضها خارجاً للحرارة

- (١) مجسم يتدث من سطح ويرتفع مستدقاً حتى ينتهي الى سطح اصغر من قاعدته (٢) حيناً (٣) معظم السيل وارتفاعه (٤) مجسم النطاة (٥) خيرة او بيت كبير (٦) طين بين

النبل الايض بناؤه القرى وحروبها

تقدم الكلام ان سرب النبل الطائر يصبح فريسة الطير والمجملين. والذي يعلم ينطلق لبني قرية اخرى. فيحفر الارض ويهيئ التبن والطين والرمل المبلول وفتات الخشب. ويقسم القرية كما ذكرنا آتفا الى حجر وماشي واحراء ودواليز واقية ورواقات وجدران وسقوف واعمة وطبقات. ويصنع ذلك كله بهندسة غريبة. ومتى حشي العجير ينقل القلعة الذرة الى الطبقة السفلى. وتعمل العاملات مواد البناء باسنانها وتعيها وترسم البناء في عقولها بالمليقة^(١). ثم تشيد^(٢) الجدران وتضع السقف وتقسّم الغرف والمداخل وترفع الاعمة. فاذا زرت هذه القرى رأيت فيها القلعة والمجنود تشتغل بنظام وترتيب. وشاهدت بعضها يحمل الطين وغيرها الخشب او الماء او البحص^(٣). وسواها يحلب الطعام او يحرس وحلم جراً. وتعاين لتلك الخادع جسوراً تصلها ببعضها على شكل اهلبيجي^(٤) ومدعومة باقواس متينة

واذا اصاب تلك البيوت عارض فهدمها اشتغلت بهمة لا تعرف الكلال لاعادتها وترميمها فتبني في ليلة واحدة بيتاً طوله اربع او خمس اذرع. واذا تغير الوف من هذه الغرف اوصدت^(٥) بالظفال الصباح التابع. واذا هدم الكل على شرط بقاء الملك والمملكة في قيد الحياة غطت سائر الاماكن التي تدخلها المياه وسيول الامطار. فقد يبلغ طول القرية خمس عشرة قدماً او عشرين ومحيطها من ثلاثين الى اربعين قدماً

وتنتشر تلك المساكن الى تغبرات شتى دائمة هذا البناء والترميم. وتضطر يوماً الى زيادة محيطها الخارجي وحفر سراديب ودواليز جديدة مغطاة تودي الى مخازن واهراء اخرى حيث فراغ الاولى. ولما حل آخر خطير وهو جمع الطعام واذاخاره

وتبدو حكمة الفل وقطعة وتديره بتعميم الشغل . فان لكل فئة عملاً
خاصاً لا يتداخل به غيرها . فتمى هاجم عدو قرية قل ودنا من الاسوار تولدت^(٧)



الغلة غير القادرة على القتال وانحبت الى الداخل وخرجت العساكر المفروض
عليها اصلاح نار الحرب . فاذنا كان المخطر قليلاً يخرج جندي واحد للكاشفة
ثم يدخل ويعلم قومة . فتبرز بعدئذ اثنتان او ثلاثة زاحية تحت الخفي . ثم يبعها

الجيش المحارب ويأخذ عدده يتزايد تدريجاً . وإذا ذاك تبدو على تلك الكراديس^(٧) الجرجارة ملاح الغبظ وتلدغ كل من صادفته في سبيلها . وإذا دام الهجوم على القرية ازداد المرح^(٨) والمرج^(٩) والمهاج . وإذا لقطت النملة بدأ أو رجلاً لسعتها شديداً حتى يلتقي فكاًها ببعضها فيسيل الدم ولا تقلت ممسكها ولو مَزَقَتْ قِطْعاً . ولكن ان لم يجدد الهجوم الاول يعتزل الجنود وترحف النملة من سائر الجهات نحو الثغرة حاملة باقواها جصاً بقدر جسمها فترم المهدم وتعي مادة البناء مرصوفة كالبحر . ومتى بلغت الثغرة رست كل نملة حملها بسهولة وانتظام واشتغل الجميع بلا ارتباك ولا تشويش وبدون ان تعرق الواحدة الاخرى وان بلغ عدد من الملايين . وإذا ذاك تغيب العساكر الأ بضعة انفار تحول بين النملة والحراسة لا للاعانة في العمل

وترى النملة الجندية تستند على الحائط وتلتفت الى كل الجهات كأنها تناظر على الشغل . وأوتة ترفع رأسها وتضرب بجبهتها حائط الفتق فتسمع لذلك فجيجاً^(١٠) فيجيبها رفاقها بطنين كأن ذلك علامة التعجيل . لانه كلما حدث ذلك ضاعفت خطواتها واشتغلت بأوفر اجتهاد . وكلما تجدد الهجوم تجدد العمل فتدخل النملة الى داخل ويترحف الجيش الى خارج . ومتى خمدت نار الحرب تبرز النملة وتستأنف الشغل وتعتزل العساكر . فلا يحارب الفاعل ولو تاقم^(١١) الخطب ولا يشتغل العسكري ولو عظمت الحاجة

قال احد الساج " بينما كنت جائلاً للصيد وإذا بنحج كنحج الافى فاستغربت الامر ولم اَرِ ثقباً . ولكني ما عثمت^(١٢) حتى شاهدت جيشاً من النمل خارجاً من نفق لا يزيد عرضه على خمس عتداوست وكان عدده واقراً جداً . ثم انقسم سطران وشئ بترتيب يُجَبُّ منه . ثم تشعب فرقاً كل منها خمس ثلاث اوست وزحف باستقامة بلا انحراف بمنة أو بسرة . وكان هذا الجيش من نوع النملة ومع كل فرقة جندي واحد كبير الحجم . ثم نظرت سطوراً من الجنود زاحفة بينما وشالاً للحراسة والمراقبة . وإذا بها علت اوراق النبات للكاشفة . وكانت هذه

الجنود تفتح بصوت شديد فيجيبها الفعلة بمثل ذلك فتصرع خطاما دلالة على انها فهمت المعنى واطاعت الامر. وكان اولئك المخفراء ساكنين لا يأتون حركة بينما كان الفعلة يشتغلون مهمة لا مزيد عليها. ثم اتى جناحا الجيش ببعضها على مسافة خمس عشرة خطوة من نقطة الاتصال وظلت تسير ساعة او اكثر وانا اراقبها وفي لا تزيد ولا تنقص ولا تحرف عن سيرها الا الجنود فانها كانت تزدد عددا وتقف احيانا على الحال المرتفعة لحفظ المراقبة والنظام

قوة الاتحاد

حبل السفين من الالياف قد صيغا
من كل خيط دقيق بالماء هوى
لكن اذا التهمت تقوى على الحج
هذا مثال لشدة الازر معتبر
فالضعف بالحبي يسي قوة عظمت
فهي الضعيفة لكن عزها اجتمعا
لو مئة ولد بالاصبع انقطعا
لو مئت الصخر في صدامها انصدعا
بالآكل والصب ان أصغى له نغما
والياس بالبغيض من اربابه انتزعا

الفنعة

ان الفنعة كثر فائق الدين
والمرتضى بقضاء الله مغتبط
يرضى ويشكر مولاه القدير لما
أنظر ترى الطير في اقفاصها ابتجت
من كان من نعمة الرحمن مكثيا
فهي الغنى وهناء العفل والبدن
يسرا وعسرا وفي الخيرات واليمن
أولاه من نعم في السر والعلن
اذ تطرب الممع في تغريدها الحمن
فهو الغنى بما قد نال من من

- (١) طبيعة (٢) ترفع (٣) الجبين او ما يعمل من مطبوخه حجارة
- (٤) ذي دائرة الى الطول على شكل الاهليج (٥) اطبقت وانغلفت
- (٦) اخفت (٧) جمع كردوسة وهي القطعة العظيمة من الخيل
- (٨) فتنة واختلاط (٩) اختلاط واضطراب (١٠) صوت الانقي
- من فيها (١١) عظم واشتد (١٢) لبثت وابطأت

النمل الأبيض . أضراره

النمل الأبيض من الحشرات الجزيلة الضرر في الإندس
 الغربية والشرقية. فينزل تحت أسس البيوت والتخازن إلى
 عنق أقدام كثيرة ويشق ما يصادفه في سبيله. أو يدخل
 من أسافل الأعيدة الواقعة على جوانب البناء ويشق متبعاً
 آثار الألياف إلى الأعلى. أو يصنع ثقباً مستطيلاً وتجاويف
 ويبرز من الجانب الآخر. ومنه ما يشق الخشب في الأعيدة
 ويصعد غيره إليه. وهو يستطيط اللبن وتشارة الخشب
 وباني برداغ^١ ويصنع أنابيب في أماكن وافرة ويقرض
 الأخشاب والجسور ويساعده الجرذان على ذلك. فلا يعلم حتى
 يخرب البيوت يخرب الأعيدة وتوهينها كخرب الدود الشجر. وإذا
 رأى أن العود أو الجسر أو شك الهبوط لخبره أني بالخص وسد
 الثقب بحذافة تعجز عنها القرائح البشرية

وقد يرى أرباب المنازل عند هدمها أن الأعيدة
 والدعائم تحولت إلى ما يشبه الصدف وأصبحت صلصالاً^٢
 مينا كالقزميد. فقد وضع أحد العلماء في مكان مجهراً وغاب

بِضْعَةِ أَشْهُرٍ فَوَجَدَ عِنْدَ آبَائِهِ ^(١) أَنَّ النَّمْلَ الْأَيْضَ نَوَظَنَ فِيهِ
وَنَحْرُهُ حَتَّى لَمْ يَبْقَ إِلَّا الْمَعْدَنُ وَالزُّجَاجُ . وَأَوَى بَعْضُهُ مَرَّةً
بِرَامِلِ خَيْرِ فَنَقَبَهَا وَسَالَ مِنْهَا الشَّرَابُ وَعَلَى هَذَا النَّمَطِ يَنْخَرُ
الرَّقُوفُ وَالْمُخْرَزِينَ وَغَيْرَهَا . فَتَرَاهُ يَشْتَغِلُ أَبَدًا بِالنَّقَبِ وَالنَّقَبِ
وَيَسْتَقِيلُ مِنْ دِعَالَمَةٍ إِلَى أُخْرَى حَتَّى يَأْتِيَ عَلَى آخِرِهَا
وَهُوَ مُوَلِّعٌ بِشَجَرِ الْأَرْزِ وَالسَّرْوِ فَيَقْطَعُهُ وَيَقْلَعُهُ بِسُرْعَةٍ غَرِيبَةٍ
وَيُجَوِّفُ الْعُودَ بِدُهَاةٍ جَرِيلٍ حَتَّى لَا يَبْدُوَ عَلَى ظَاهِرِهِ شَيْءٌ
مِنْ أَثَارِ النَّقَبِ . وَلَكِنَّكَ إِذَا وَضَعْتَ عَلَيْهِ مَتَاعًا هَبَطَ إِلَى
الْأَرْضِ . وَمَكْرُهُ عَجِيبٌ حَتَّى يَعْجَزَ الْبَشَرُ عَنْ كَشْفِهِ . فَإِذَا
دَخَلَ صُنْدُوقًا أَوْ خِرَانَةً لَيْلًا أَلْتَمَسَ مَخْتَوِيَاتِهَا وَقَرَضَهَا قَبْلَ
الْصَّبَاحِ . رَوَى عَالِمٌ مُقِيمٌ فِي الْبَلْبَانِ أَنَّ النَّمْلَ الْأَيْضَ
نَخَرَ مَا تَدَنَّهُ وَفُتِحَ فِيهَا أَنْيَابٌ كَثِيرَةٌ وَصَلَتْ إِلَى الْأَرْضِ فِي
لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ

وَزِدْ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ يَفْتَرِسُ كُلَّ مَا يُصَادِفُهُ فِي طَرِيقِهِ مِنْ
أَحْذِيَةٍ وَنَعَالٍ وَقُمَاشٍ وَكُتُبٍ حَتَّى أَتَكَ قَلَمًا نَجِدُ فِي أَمِيرِكَا
الْإِسْنَوَائِيَّةِ أَوْرَاقًا عُمُرُهَا أَكْثَرُ مِنْ نِصْفِ قَرْنٍ . وَيَكْثُرُ
النَّمْلُ فِي الْبِلَادِ الْحَارَةِ حَتَّى يَتَعَنَّزَ عَلَى الْمَسَافِرِ مِنْ سُلُوكِهَا .

فَإِنَّ النَّملَ يَزْحَفُ مِنْ قُرَاهُ أَسْرَابًا وَجُوشًا عَرْمَرِمَةً وَيَلْسَمُهُمْ
وَيَطْعَنُهُمْ طَعْنَ الْحِرَابِ الْحَادَّةِ

وَمَتَى هَاجَمَ النَّملُ الْأَيْضُ الْأَشْجَارَ فِي الْغِيَاضِ وَالْحُقُولِ
سَارَ حَسَبَ مَجْرَى الْأَحْوَالِ. فَإِذَا صَادَفَ عِيدَانًا فِي سِيَاحٍ
لَمْ تَنَاصِلْ أَخَذَ بِإِتْلَافِهَا. وَلَكِنْ إِذَا رَأَى قِشْرَهَا مَتِينًا دَخَلَهَا
مِنْ الْأَسْفَلِ وَنَخَرَهَا فَتَبَدُّو عَلَيْهَا صُورَةُ عُودٍ أَخْضَرَ تَنْظُلُّ
تَحْتَهُ طَائِفَةُ نَمَلٍ تَائِمَةٌ أَوْ هَوَامٌ أُخْرَى إِلَى أَنْ تَنْثُرَهُ الرِّيحُ.
وَإِذَا لَمْ يَسْتَطِعِ التَّهْوِيَةُ بِإِيقَاعِ الْقِشْرِ غَطَّى الْعُودَ كُلَّهُ بِجَحْشٍ
فِيْلُوْحٍ كَأَنَّهُ مَغْبُوسٌ بِصِلْصَالٍ جَافٍ. ثُمَّ يَشْتَغِلُ تَحْتَ هَذَا
الْغَطَاءِ بِالْقَضْمِ وَلَا يُغَادِرُ شَيْئًا مِنَ الْعُودِ وَالْقِشْرِ إِلَّا مَا كَانَ
كَافِيًا لِحِمْلِهِ. وَطَوْرًا لَا يَتْرُكُ مِنْهُ ذَرَّةً حَتَّى إِذَا مَسَسَتْهُ بَعْصَاكَ
يَتَنَائَرُ تَحْتَ أَقْدَامِكَ وَتَحْجُبُ أَخْتِجَابَ الْخِيَالِ. وَهُوَ يَدْخُلُ فِي
الْغَالِبِ سَاقِ الشَّجَرَةِ. قَالَ أَحَدُ السَّيَاحِ "كُنْتُ أَمُرُّ
بِأَشْجَارٍ قَدِيمَةٍ فَأَرَاهَا مَطْرُوحَةً وَأُظْنَاهَا سَالِبَةً فَادُّوسٌ عَلَيْهَا
كَأَنِّي دُسْتُ خِيَالًا. لِأَنَّهَا تَتَنَائَرُ هِبَاءً تَحْتَ أَقْدَامِي فَاسْقَطُ
إِلَى الْأَرْضِ وَتَهْتَمُّ أَعْضَالِي"

قَالَ بَعْضُ الْبَاحِثِينَ فِي عِلْمِ الطَّيْعَةِ. إِنَّ النَّملَ

الْأَيْضَ فَلَمَّا يَقْرُضُ الْأَشْجَارَ أَتَمَّةَ الْغُصَّةِ الْحَدِيثَةِ بَلْ يَخْرُ
بِالْأَكْثَرِ الْأَشْجَارَ الْيَابِسَةَ الْمُلْقَاةَ عَلَى الْأَرْضِ أَوْ الَّتِي بَلَغَتْ
سِنَّ الشَّجُوخَةِ فَيَنْتَلِفُهَا حَالًا. وَهَكَذَا يُنْظَفُ الْأَرْضُ مِنْ
الْحَشَاشِ^(١) وَالنَّبَاتَاتِ الَّتِي دَبَّ فِيهَا الْفَسَادُ فَيَقْصُرُ زَمَانُ
تَعْطِيلِهَا الْأَرْضَ وَلَا يَبْلُغُ مِنْ فِيهِ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ وَأَيْنَمَا
وَضَعَتْهُ. وَعَلَى ذَلِكَ يَنْبَغِي بِأَقْرَبِ أَنْ كُلَّ الْعِيدَانِ وَالْجُدُوعِ
الْيَابِسَةِ وَالْأَشْجَارِ السَّقِيمَةِ مِنَ الْغَابَاتِ بَلْ يَأْكُلُ مَوَادَّ
الْهَذْنِ الْخَرِبَةِ حَتَّى لَا تَكَادَ تَنْقُضِي سَنَتَانِ أَوْ ثَلَاثَ حَتَّى يَنْبُتَ
مَكَانَهَا غَيْضَةٌ نَاضِرَةٌ وَلَا يَبْقَى لِلْمَدِينَةِ أَثَرٌ

- (١) بهاء وطن أو الرقيق منه والوحل (٢) طينًا خُطِطَ بالرمل
(٣) نسبة إلى عورم وهو الجيش الكثير (٤) كسر باطراف الاسنان
(٥) حشرات الارض

النمل الأبيض الصغير

يوجد نوع آخر من النمل الأبيض أصغر من النمل المار ذكره يبنى بيوتًا
عمودية الشكل من تراب أسود طوًّا ثلاث أقدام ذات سقفٍ اهليجيٍّ نحاسيٍّ
طاحون الهواء ولا يكبرها بل يشيد غيرها بصورة متينة يتعذر هدمها وإن دُكَّ

الاساس . واذا مُدِم احد البيوت اخذ الاساس الاول وجعله دعامة البيت الثاني ورسمه رسوخاً من السابق وبني عليه عُرفاً وحُجراً غير متقطعة ومنه نوع آخر يكثر قراءه في الاشجار فينبغيها ولا يترك منها الا القشر ليظل تحته . ويحفر فيها يوتا قد يبلغ حجمها برمول سكر . فيأخذ نشارة الخشب ويعبئها بنوع من الصمغ كجص متين ويبني بها قرى قوية بتعذر قطعها الا بتكسير العبدان . ومتى كبر يعضه قليلاً يغطيها بما يحاكي فيلج (١) حريرية فتعلم الفعلة بالسليقة الزمان اللازم لفتحها وتأتي ثلاث اواربع غلات وتغيب العيلة من اعلاها وتخل عنها المحيوط بركة فتخرج من الغلاف ثم تأخذ تطعم الصغار وتعلمها ملاخل البيت ومخارجه وتمارججه بهمة لا تدري الكلال . وللنمل قوة اتصال الافكار لبعضه بواسطة قرويه فتتمس بها الواحدة الاخرى وتخبرها بالخطر وزمان الرحيل وطريق السفر وشروق الشمس وغروبها ومكان القوت الخ . وهو قوي الذاكرة فاذا التقت غلمان بعد ايام عرفت الواحدة الاخرى وحيثما بعضهما . وحاسة الشم في النمل قوية جداً وكذلك قوة البصر

(١) في الدارج شرقة حرير

النمل الاحمر المحارب والنمل الاسود

من اوصاف ملا النمل انه يزحف جيوشاً وكراديس وكثائب (١) بنظام عسكري يُجَب منه . ويوم (٢) آتية يقطنها عدو الاسود . فلا يراه النجم زاحفاً حتى يظن بالخطر ويبادر للدخول في قريته ويحاول طرده وردة على الاعقاب . غير ان الاحمر يستظهر (٣) على الاسود ويدخل قريته الملائى بالغرف والمداخل . فيلج الغرف حيث صفار النمل الاسود ومأذنه والطعام المدخور لها

فيسلب بعض النمل الغازي هذا الطعام ويخرج به غائماً ظافراً . ويجعل غيره
الييوس والصغار وينطلق بها يعدو الى ثقته بدون ان يمسه بضرر . ويقادر
قرية خصمه قاعاً (٤) صنفاً (٥) لا عيال فيها ولا مؤونة
ومنى بلغ ثقته لاقاه جند آخر من الخدم والاعوان من التي كانت قد غنمت
في الطفولة واستعبدت كما استعبد هؤلاء . فيجمل هذه الصغار الى الداخل ويطعمها
ويدقها ويدللها كما لو كانت من اولاده الى ان تبلغ نموها الكامل وتنبى قادرة
على العمل . واذ ذاك تصير رقيقة سيداتها الحاربات الغامات . فتفعل كل ما
تأمرها به وتقبلها من مكان الى آخر . وهذا النمل يعيش في اماكن شتى ويدعى
النمل الامازوني لانه مغرم بالحروب

(١) جمع كنية وثى الجيش (٢) يقصد (٣) يغلب
(٤) ارضاً سهلة (٥) ارضاً مستوية

بعض صفات النمل العامة وانواعه

ان عجة النمل لغماره عجيبة جداً . ثم الطاعة للملكة الدالة على الولاء
والخلوص . ثم اجتهاده في الشغل الدائم . ثم العناية والاهتمام بمصلحة ومراعاة
الخبر العام . ثم اتحادة وحكمة وفطنة بيناء البيوت والقرى وادخار الطعام . ثم
امتياز الملكة والملك ومجدهما الفائق وصفاتها السامية . ثم نظامه الغريب وتقسيمه
الشغل وعدم مزاحمة بعضه بعضاً . ثم تغيراته العجيبة وثقته في نظام الطبيعة . فسبحان
المبدع الحكيم

اما انواعه فعديدة منها نمل الخشب . والنمل الطيار . والنمل الغازي
الذي يعيش بالصيد والقنص . والنمل الراحل الذي يعيش بتربية الحشرات

كالبشر بتربية الماشية. وهو يتألب طوائف وكتائب وبجارب. والنمل الحضري المعروف عندنا. والنمل الأبيض المار ذكره. والنمل الشجري. والنمل الأحمر الذي يستعبد الأسود وقد سبق ذكرها الى غير ذلك

—

اوراق الشجر الماشية والنمل

في البرازيل نمل كبير يتسلق اشجار البن وغيرها ويقطع الاوراق قطعاً مستديراً كلاً منها بقدر الربع المجدي ثم يحزمها الى قاعدة الشجرة فتتركم هناك ثم يزحف صاعداً ليأتي بغيرها فيقدم جيش آخر من رفاقه ويقطعها الى القرية. اما فائدة هذه الاوراق فللدمام^(١) لانه يجلبها مع التراب والحصى ويدم^(٢) بها اروقة مداخل تنقبض المتعرجة لئلا تدخل الامطار وتلف صفارها ولما كانت تلك الاوراق المحبولة تظلّل النمل حتى لا يكاد يظهر رأيتها حين زيارتك تلك الغابات ماثية تغطي الارض كأنّ لها أرجلاً تسير عليها. فقد عجب احد السّاج يوماً اذ رأى اوراقاً كثيرة ماثية تعدو^(٣) فجعلها^(٤) دوبيات^(٥) سائرة بانتظام فانحنى ليعاينها ويخبري^(٦) الامر واذا بالنمل تحمها بحث الخنثى نحو قرينته

ولا يكفني هذا النمل باوراق اشجار الادغال بل يأتي الحدائق والرياض ويتسلق اشجار البن والفاكهة فيقطع اوراقها بفكوكه الكبيرة الماثية مضاه الحسام ويجرد ما كل التجريد الى ان تصبح اعواداً جافة. ولا يقتصر على ذلك بل يزحف الى البيوت ليلاً ويسلب كل ما يصادفه في سبيله

ومنى سار هذا النمل في غاب ذهاباً وإياباً رصّ الارض تحته فصلبت حتى تخالها قد رُصّت بوطء الاقدام البشرية او محمول^(٧) المركبات. والبرازيليون يقطعون جذور نبات المانوي كما اسلفنا الكلام ويصنعون منها طعاماً. ويضعون

تلك الجذور في سلال يعلقونها باوتاد . فاذا امتدى النمل اليها بمجملها قطعة قطعة حتى لا يغادر منها الى الصباح اثراً
قص بعض البرازيليين على احد السباح نياً هذا النمل واضراراً فلم يصدق الى ان شاهد ذلك بعينه . فان خادمة ايقظة في احدى الليلي قاتلاً النار دخل سلال الطعام واخذ يفرضا . فتهض يفتش في السلال واذا بميش نمل جرار زاحف بين الباب والمائدة حيث كانت السلال موضوعة . وكان بعضه داخلاً وبعضه خارجاً . ورأى بافواه الجيش الخارج قطع طعام يدويها الى الباب . وكانت السلال مبطنة بأوراق خضراء فكان النمل يقيم تلك الاوراق وينقلها ايضاً فلم ان علة الخشنة التي سمعها الخادم من النمل لا النار ولا غروان الهود والبيض يدأبون باهلاك النمل الصار . ولكن متى دخل النمل بيتاً لا يسهل طرده وإهلاكه . فاذا أبدت جيشاً تعقبه آخر ثم آخر الى ان يهلك الكلال والعناء . فلا وسيلة انجح من وضع بارود في سبله وحرقه . وهذا النمل الكبير لا يعيش الا في اقاليم اميركا الحارة

- (١) كل ما طلي به (٢) يطلي او يمحى (٣) تركض
(٤) فقطها (٥) تصغير دابات (٦) يتوتخى ويقصد (٧) دوايب

آكل النمل

هذا الحيوان يقطن في برازيل وغينيا . اما طوله فيزيد على سبع اقلام وارتفاعه نحو قدمين . وطول اصابته ثلاثون عقدة وخطمة^(١) طويل دقيق . وعينه صغيرتان سوداويتان . وله في كل من يديه اربع اصابع وفي كل من رجليه خمس والاصبعان المتوسطان شديدتان منعقتان كثيراً . وهلبة^(٢) على ستام ظهره اسود فخالطة شبيهة . ومن قفاه يمتد خط اسود الى كنفه طرفه ابيض .

وشعر ذنبه طويل اسود خشن وهو عديم الاسنان . ولا تلد اثاثه في المرة
غير واحد

ومن طبعه انه حريص على اكل النمل واملاكو . وليس للنمل عدو اشد
فتكاً منه ولا اكثر اساءة وعدواً . ولسانه في الغالب منتعّب وهو آلة الوحيدة
للانترزاق . ولما كان عاجزاً عن حماية نفسه بآلة من القوة والحيلة حين يدهمه
ما هو اشدّ بأساً منه عمد الى السكى في الغياض المدقمة او في الجبال الخالية .
وقد يخفي احياناً تحت الورق اليابس ولا يخرج من مأواه فجيباً للخطر الا اذا
دعاه داعي السغب^(٢) . واذا خرج ساعة واحدة كثة المؤونة اياماً لكبر حجم النمل
في تلك البلاد ووفرة عدده

ومنى شعر مجل فيه نمل تسأل اليه رويداً ساكناً . حتى اذا استقر في موضع
ملائم مدّ لسانه الدقيق وتلقف^(٤) به ما شاء . وكلما تناول به قدراً بلعة وكرّر
العمل حتى يتعمق فيرجع الى وجاره . ولهذا الحيوان مخالب حادة يعش بها قري
النمل ثم يدّ لسانه الطويل اللزج فيخاف النمل ويخرج بغية الهجاء . لكنه يثني على
لسان عدوه فيلتصق به فيجذب به الى فيه ويلتقمه

ولا كسل النمل فضل عظيم على هنود اميركا لانه يقيم اضرامه . لكنهم
كثيراً ما يصيدونه لانهم يستحبون لحمة . فاذا امطرت السماء وقف جامداً ورفع
ذنبه الكث^(٥) فوق رأسه كظلة . ولما كان الهنود ارباب دماء في الصيد
يقرون الارض باصابعهم فتصوت صوتاً يحاكي وقع المطر . فيقف آكل النمل
مبهوتاً ظاناً ان الثوب يبعث فيبادر الصياد نحوه ويقتصه

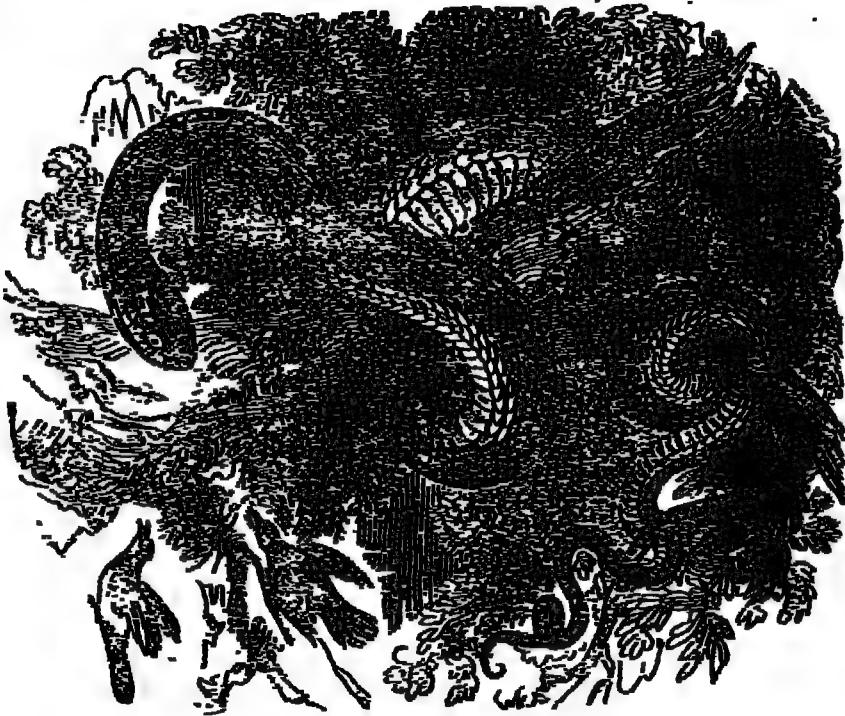
ومع انه يحاذر اعلاه مجيئاً واهتمامه وبقي بأسهم اذا اقتحم دافع عن نفسه
بجأله ويطش بمخضه . فيغلب الكلب بل الثمر الاميركي ويغلك بها

(١) مقدم اخنوفيه (٢) شعره (٣) الجوع (٤) تناول

بسرعة (٥) الكثيف

الاعشاش المدلاة

للطيور الساكنة في احراش البرازيل اعلاء فتاكة . منها القرد التي تلتصق في الاعشاش حتى اذا رأت ما يؤكل سلبته في الحال . فانها مؤلفة بالبيوض ولوح الانسان بها ومنها الافاعي التي تنساب متسللة وتسلق الاشجار فاذا ابصر بها الطائر عراه الملع^(١) وطار حول رأسها يصيح ويزعق كأنه يرجو



طردها عن عشه . غير ان الافعى لا تكترث بصياحه بل تتحلق به عينها البراقعين واذا تجرأ ودنا منها فتحت فاما وتلقته في الحال في الوسيلة لنجاة تلك الطيور من هذه الاعداء الالذاء . الجواب قد علمتها الطبيعة ماذا تفعل . فانها تبني عشها في آمن مكان تدلها عليه السليقة^(٢) وتعلقه في مركز لا تلتفه الافاعي ولا القرد

أما شكل ذلك العش فيما في الردين^(٢) المصرو مدلى من شجرة فوق نهر
أوجدول له في اسفله فوهة لدخول الطائر. ودلهيز ضيق يتصل بأخره بيت
فصيح حيث يضع الطائر بيوضه ولا يجنحى عدواً. لان لا احد يقرباً على الدنوم
ذلك العش إلا ذوات الاجنحة

ويبنى الطائر هذا الوكر من اعشاب منسوجة فيصبح متيناً جداً حتى اذا
رمت قطيعة وانلقة بعسر عليك الامر جداً. ولما كان هذا العش مظلماً بيده
الطائر بوسيلة غريبة اذ يلتقط عدداً من الجباب^(٣) ويلصقها بجدرانها بواسطة
قطع من رداغ^(٤) مبتل فتضي كمرج صغيرة
وتكثر هذه الطيور في اميركا الجنوبية حيث يشاهد العياج مئات من
الاعشاش المدلاة في الغابات وعلى ضفاف الانهر. ومن الطائر الصائد الجباب
ما يعيش في افريقية ايضاً

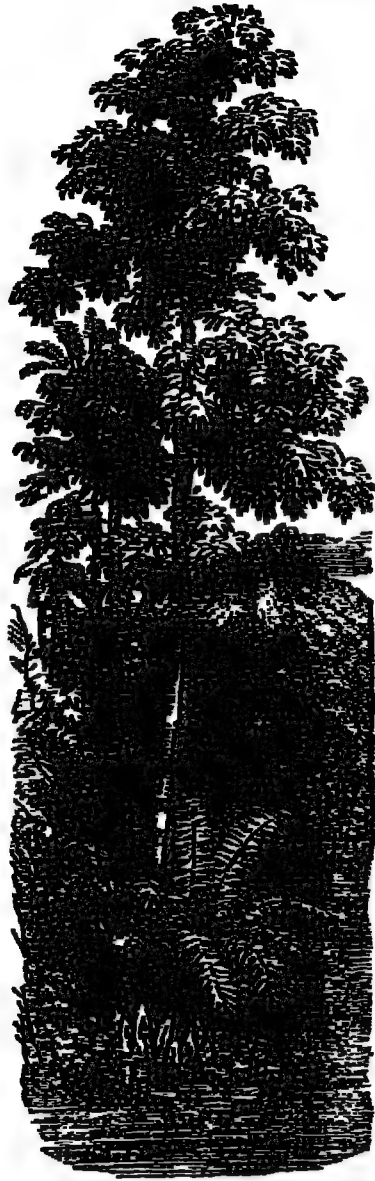
(١) الخوف (٢) الطبيعة (٣) الجيب (٤) سراج الليل

(٥) طين

شجرة الصمغ الهندي أو المغاط

نبت شجرة هذا الصمغ في اميركا الجنوبية عند نهر الامازون وهو كما لا يخفى
أكبر نهر في المسكونة طوله نحو ألفي ميل. ومن الانهر الصابة فيه نهر في جزائر
واطلة غمقة يجرها الماء شتاء. ولكن متى جاء الصيف تجف وتصبح صالحة لوطء
الاقلام. فعلى هذه الجزائر تنمو شجرة الصمغ الهندي
ويأتي القوم سنوياً لاستدراار عصيرها بأن يدوروا مساء حول تلك الاشجار

ويضعون قشورها فيسبل منها عصير لثني يجمعونه في اوعية خزفية او اصداف
كبيرة يضعونها تحتها لهذه الغاية ثم
يطلق الرجال تاركين العصور
يقطرون ثم يأتون صباحاً ويرون الآنية
ملآى فيتمسكون فيها القوالب . ومثي
جفت كرروا غمسها الى ان يحيط بها
عصير صغبي . ثم يضرمون ناراً
وقودها جوز التخل . فيرتفع دخان
كثيف يرفعون فوقه تلك القوالب
حتى يجفّ العصور كل الجذف
ويسود لونه فيصبح شمعاً هنيئاً معداً
للبع



اما الادوات النافعة المصنوعة
من هذا الصمغ فلا تحصى . منها
الاكياس والقبعات واغطية الاحذية
والاردية والبرانس والعباءات والخيام
والقوارب والجسور ايضاً والطواق
دواليب المركبات والانابيب . فان
هذا الصمغ مادة لا يخرقها الماء ولو
اشتدّت العواصف والسيول وعلى ذلك كان ملا الصنف نافعاً جداً للانسان

حيات الماء الرعادة

سلحت الطبيعة كل حيّ بسلاح خاص للدفاع عن نفسه فنصت بعضها بحالب^(١) وغيرها ببرائن^(٢) وسواها بانساب وبعضها بقوة عضلية او باصلافي وهلم جرا . ولبعض الحيات المائية سلاح غريب وهو الكهر بائية فتزعد بها على خصمها وتمزقه من دولايب البرق . ومتى غضبت دفعت هذه القوة على الانسان فرجف وعراه الدوار وسقط الى الارض

وهذه الحيات تعيش في انهر اميركا الجنوبية الكبيرة كالامازون والاورينوكو . فاذا ذعب الهندي يستغم صادفها احيانا فتنازله يبرقها ويرعدا الطبيعيين ولا يتمكن من صيدها في الانهر العظيمة الا بنبات يلتقي في الماء فيعروها الدوار كالشارب الثعل^(٣) . فيستطيع الهندي حينئذ صيدها وقتلها واذا عثر عليها في البرك والجداول اهلكها بسهولة . فقد تكثر تلك الحيات في بحيرات لانوس وتقتل الامماك بالارعاد عليها وتقتربها

ومتى عزم الهنود على صيدها اتوا بالخيل والبغال ودفعوها الى البحيرة لتفرغ الحيات عليها فجذب كهر بائيتها فتفتد قوتها . غير ان الخيل تأبى التزول الى الماء فرارا من ضربات الحيات البرقية . غير ان الهنود يرغمونها على خوضها فتسبح الحيات تحتها وتضعها فيلم بها الالم والدوار فتحبط وتزفس كأنها أصيبت بالجذون . وتنتفش اعرافها وتنصب وتلدح اغيها شررا وتصل وتحم وتأتي بحركات تروع ناظرها . وزد على ذلك صياح الهنود وزعيقهم وتلاطم المياه . فيدوم هذا المشهد الى ان تنفق الاحشاش قوتها الكهر بائية وحينئذ تبغي الراحة والطعام لتبديد زخمها . فيأتي الهنود حينئذ ويطعنونها بالحرايب عند ضفاف البحيرة .

فاذا اتفق ان مندباً طعن حية قبل نفاذ كهربائيتها تصفة حالاً فيسقط على
الثري او في الماء مغشياً عليه

(١) ظفر كل سبع (٢) كف الاسد ونحوه (٣) السكران

ماس البرازيل

يوجد في انهر ملا الاقليم حجر الماس الكرم الذي يذاب الزوج باستحراجه
وقد اكتشف هذا الحجر زنجي كان يغش عن الذهب واذا به رأى بين الحصى
والرمل حجراً لامعة ثنائياً^(١) فالتقاهما الى الارض ولم يكثرث بها. غير ان رجلاً
ايض من يعرفون قيمة الماس عاب تلك الحجارة واخذها ثم قش عن غيرها
وانبأ رفاقة. فاقبلوا الى تلك المناجم^(٢) المائتة ينقلون ركازها واقتدى بهم
آخرون وما زال العمل جارياً هناك تحت مناظرة البيض. وذلك بأن يخوض
المنود النهر ويضعون فيه قصاعاً كبيرة يجرى اليها الماء من الطرف الواحد
ويخرج من الآخر. فيملأ وحل النهر ورملة القصعة. اما الماء الداخل فيترع
الوحل عن الماس ويغسله. ولا يفتأ الزوج يهزون القصعة راجين وجود الماس
فلا يجيب رجلاً في الغالب

فاذا ألتفتك الاقلار عند احد هذه الانهار وشاهدت الاعمال التجارية
هناك رأيت الزوج منصبين على العمل مجداً لا مزيد عليه. والناظر جالساً على
كرسي يراقب شغلهم حنراً من ان يخلطوا شيئاً من المال لانفسهم. واذا وجد
الزنجي مائة صق يديه فرحاً فيصعكها بين السبابة والابهام ويدفعها للناظر.
فيضعها المذكور في وعاء ماء ولا يتنضي النهار حتى ترى ماسات وافرة في ذلك

الرعاة . وإذا اسعد المحظ ونجحاً رقيقاً بأن وجد ماسة كبيرة سر كل السرور
لعلوا ان سيده يفتقه من رقبه بسبب تلك الماسة

(١) تلح (٢) ارض المعادن

شجرة الشينكونا

ان منابت الشينكونا التي تُمتزج منها الكينا في مملكة يرو . ولما كان
الهنود القاطنون ذلك الاقليم معرضين للبرداء انحنى في احد الايام رجل
ليشرب من بركة في الغابة فرأى طعم الماء مرّاً ولما كان جسيماً ملتصقاً بالحنى نهل
كمية وافرة من هذا الماء . فشر بعدئذ ان صحته اخذت لتحسن ثم تعافى تماماً .
اما طلة مرارة ذلك الماء فمن قشر شجرة الشينكونا . فانبا الهنود رفاقة عن واسطة
شفائهم فذاعت منافع هذه الشجرة واستعمل قشرها القوم علاجاً
وقد سُميت شينكونا على اسم امرأة كانت مُصابة بالبرداء فشُفيت منها
بفجر هذا الماء . وقد يُسمى هذا العلاج الدواء البيروفي
اما كيفية الحصول على هذا القشر فهي ان يذهب الرجال الى الغاب
للتغيش عن شجرة الشينكونا بتولى قيادتهم رئيس ويمد كل منهم فأس ليتطعموا
بها الانجم والليف واللحاء^(١) والاشواك التي تعترض طريقهم . ويصحبون ايضاً
معهم خيمة يزرعون حولها حطة لانهم لا يدرون متى يعودون
ثم يتشعبون فِرَقاً يفتشون عن الشجرة المذكورة . فاذا لحوا في سيلهم اوراقاً
جافة علوا على النور اذا كانت قد تنارت من الشجرة المتصودة . ثم يذنون
جهة هب الريح ويتطلقون الى تلك الناحية . وقد يسهرون اياماً ولا يهتدون الى
الشجرة . وكثيراً ما يضيعون الطريق ويجهون بين الجذوع الكبيرة والعَلَق

فهلكون وتنقطع اخبارهم. وعلى ذلك كان دون الحصول على قشور الشبنكونا
خرط القناد (٢)

ومنى عبر الهند على الشجرة اخذوا يقطعونها بفؤوسهم ولكنها نطل واقفة
منتصبة لان اللب والحاء المتف عليها يضبطها كل الضبط فلا تستط الى
الارض فيضطرون الى تقطيع وحل الشجرة من شبكها. ثم يترعون القشر عن
الساق ويبعونه للتجار والصيدلة فيصنعون منه الكينا

(١) قشر الشجر (٢) شجر شائك (دليل الصعوبة)

الطواف حول الارض

١

يُمكنُ الطَّوَّافُ حَوْلَ الدُّنْيَا فِي أَقَلِّ مِنْ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ.
فَإِذَا جَعَلْنَا مَدِينَةً لِّيَقْرُبُوا مَثَلًا نُقْطَعُ السَّيْرِ تَرَبُّصُ بَرْهَةٍ
رَبِّهَا نَرَى هَذِهِ الْبَلَدَ الْعَظِيمَةَ الشَّجَرِيَّةَ الَّتِي بَعْدَ تَقَدُّمِهَا
السَّرِيعِ مِنْ مُعْجَزَاتِ هَذَا الْقَرْنِ. فَقَدْ كَانَتْ سَنَةَ ١٧٠٠ فُرْصَةً
صَغِيرَةً لَا يُعَدُّ بِهَا وَلَا يَزِيدُ سُكَّانُهَا عَنْ ٨٠٠٠ فَبَلَّغُوا سَنَةَ
١٨٠٠ نَحْوَ ٧٧٠٠٠ ثُمَّ أَصْبَحُوا الْآنَ أَكْثَرَ مِنْ نِصْفِ
مِلْيُونٍ وَهِيَ تُحْسَبُ الْمَدِينَةُ الثَّانِيَّةُ فِي بَرِيطَانِيَا وَلَيْسَ لِهَرَاتِهَا

مِثْلُ فِي الْعَالَمِ بِأَسْرِهِ . فَإِنَّ مَسَاحَةَ أَرْضِهَا ٧٠٠ فِدَّانٍ
إِنْكِلِيدِي . وَيَبْلُغُ طُولُ هَذِهِ الْهَرَاتِي ١٧ مِيلًا أَيْ نَحْوَ سِتِّ
سَاعَاتٍ

ثُمَّ إِذَا انْجَرْنَا مِنْ لِقَرُبُولَ إِلَى نِيُورُوكَ فِي أَسْرَعِ الْبَوَاخِرِ
بَلَّغْنَاهَا فِي خَمْسَةِ أَيَّامٍ وَنِصْفٍ . وَهِيَ مَدِينَةٌ مَبْنِيَّةٌ عَلَى
جَزِيرَةٍ مَسَاحَتِهَا اثْنَانِ وَعِشْرُونَ مِيلًا مُرَبَّعًا . وَهِيَ وَاقِعَةٌ عِنْدَ
مَصْبِ نَهْرِ هَدْسَنَ وَتَحْتَوِي عَلَى أَحْيَاءَ وَشَوَارِعَ مُنَظَّمَةٍ يَبْلُغُ
طُولُ بَعْضِهَا أَرْبَعَةَ أَمْيَالٍ . وَلَا يَخْفَى أَنَّ هَذِهِ الْمَدِينَةَ مَبْنِيَّةٌ
عِنْدَ طَرَفِ سِكَّةِ الْأَتْلَانْتِيكِ وَالْبَاسِينِيكِ الْحَدِيدِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ .
وَسَانَ فَرَنْسِيَسْكُو وَاقِعَةٌ فِي طَرَفِهَا الْآخِرِ الْغَرْبِيِّ . وَالْمَسَافَةُ
بَيْنَهُمَا ٣٢١٥ مِيلًا فِيمَكُنْ قَطْعُهَا فِي ١٥٤ سَاعَةً أَوْ سِتَّةَ أَيَّامٍ
وَنِصْفٍ . فَهَذِهِ السِّكَّةُ الْعَظِيمَةُ تَنْقُلُ الْمَسَافِرَ بَيْنَ مَنَاطِرَ
وَمَشَاهِدَ يَكِلُ اللِّسَانُ عَنْ وَصْفِهَا . وَبَيْنَ نَبَاتَاتٍ وَحُقُولَ
لَا نِهَآيَةَ لِإِخْصَائِهَا وَفِي كُلِّ دَرَجَاتِ الْمَدِينَةِ وَالْهَيْمَةِ ١٠
وَتَقْلُهُ فِي أَقَالِيمَ مُخْصِيَةٍ نَاضِرَةٍ جَيِّدَةٍ الثَّرْوَةِ كَثِيرَةٍ الزَّرْعِ .
وَبَيْنَ غَابَاتٍ مُشْتَبِكَةِ الْأَشْجَارِ وَصَحَارِي وَغِيَاضٍ وَوَحَاتٍ ١١
وَجَلَامِيدَ وَأَوْدِيَةٍ تَزْهُو بِالْكَلَالِ وَالْخَمَائِلِ وَالْكَرُومِ وَالْجَنَاحَاتِ

وَالْحَدَائِقِ. فَقَدْ بَرَى السَّافِرُ حِينَ بُلُوغِ الْقِطَارِ قِبَةَ رَايَةِ
 أَوْ أُخْدُودًا طَائِفَةً مِنَ الْهُنُودِ الْحُمْرِ الْأَلْوَانِ مُتَرَدِّينَ
 بِالتَّجْلُودِ وَعَلَى رُؤُوسِهِمْ أَعْرَافُ الرِّيشِ يُرَاقِبُونَ بِهَيْدِ الدِّهْنَةِ
 مُرُورَ الْجَوَادِ النَّارِيِّ. وَبِمَجْنَزِ هَذَا الْخَطِّ جَبَا لَاصْخَرِيَّةً لَا يَنْقُصُ
 عُلُوُّهَا عَنْ ٨٢٤٢ قَدَمًا عَنْ سَطْحِ الْبَحْرِ. وَذَلِكَ أَكْثَرُ عُلُوٍّ
 بَلَّغَتْهُ السِّكَّةُ الْحَدِيدِيَّةُ إِلَى الْآنِ. وَالتَّخَطُّ عِنْدَ هَذَا الِارْتِقَاعِ
 مَسْتَوٍ بَيْنَ التَّلُوجِ بِأَخْشَابٍ مَتِينَةٍ جِدًّا. وَلَا جَرَمَ أَنَّ هَذَا السَّقْفَ
 الطَّوِيلَ وَالْقَنَاءَ الْمَشْقُورَةَ فِي الصُّخُورِ مَسَافَةً أَمِيَالٍ عَدِيدَةٍ مِمَّا
 يَجْعَلُ هَذَا السَّرَبَ مِنَ عَجَائِبِ هَذَا الزَّمَانِ

وَالْخَطُّ كُلُّهُ يَنْقَسِمُ إِلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ. الْأَوَّلُ مِنْ نِيُيُورَكَ
 إِلَى شِيكََاغُو. وَالثَّانِي مِنْ شِيكََاغُو إِلَى أُوْمَاهَا. وَالثَّلَاثُ مِنْ
 أُوْمَاهَا إِلَى أُوغْدَنْ. وَالرَّابِعُ مِنْ أُوغْدَنْ إِلَى سَانِ فَرَنْسِيْسْكُو

أَمَّا شِيكََاغُو فَوَاقِعَةٌ عَلَى مَجِيْرَةِ مَشِيْغَانِ وَهِيَ مَرْكَزُ الْوِلَايَاتِ الشَّمَالِيَةِ
 التَّجَارِيَةِ وَيُمْكِنُ الْوُصُولُ إِلَيْهَا مِنْ نِيُيُورَكَ فِي ثَلَاثِينَ سَاعَةً. وَهِيَ مِثَالُ يُجِبُ
 مِنْهُ فِي الْمَوْتِ وَالْفَلَاحِ. فَقَدْ كَانَتْ سَنَةَ ١٨٣١ مَحَلًّا صَغِيرًا لِلتَّجَارَةِ مَعَ الْهُنُودِ
 وَلَمْ يَكُنْ أَهْلُهَا سَنَةَ ١٨٤٠ يَزِيدُونَ عَنْ خَمْسَةِ آلَافٍ نَسَمَةٍ وَقَدْ بَلَغَ سَكَانُهَا الْآنَ
 نَحْوَ مِلْيُونٍ وَرَبْعٍ. وَبِحَسَبِ سَوَاقِهَا مِنْ أَكْثَرِ أَسْوَاقِ الدُّنْيَا فِي الْأَخْشَابِ وَالْحَبُوبِ.
 وَقَدْ التَّهَمَّتِ النَّارُ سَنَةَ ١٨٧١ نَحْوَ ثَلَاثِ الْمَدِينَةِ فَكَانَ حَرِّهَا أَشْبَهَ بِحَرِّ بَرَقِ

موسكو الشهير في الخارج ولكلها لم تغم حتى تجد بناؤها على منوال امي رونقا
وجالاً . وقد اتاح لها الحظ ان تكون محل المشهد الكولمبي العالم لتذكر ٤٠٠
سنة من اكتشاف اميركا

اما المسافة من شيكاغو الى اواماها فتبلغ خمس مئة ميل وفي واقعة بين
امصار زاهية وقرى ناضرة وفي وسط مناخ فم وحول حطة تمتد الى سهول
مكسوة بالاعشاب والارياق^(٥) . واشهر مدينة في هذه الطريق دارلنكتون
الواقعة على نهر ميسيسيبي المسمى هذا الاقليم باسم

واما المدينة اواماها فعلى ضفة هذا النهر الغربية . ومركزها في طرف القسم
الاخير . وتعد مثالا آخر عجيبا في نجاح الملائن الاميركية . فان بدء تأسيسها
كان عام ١٨٥٤ فبلغ عدد سكانها الآن نحو ٢٠٠٠٠٠ وفي نقطة تقاطع سكك
الحديد الشمالية والجنوبية والشرقية والغربية ولا يتقضي زمان يذكر حتى تصبح
حاضرة الولايات الغربية كلها

ثم ترى في غربي اواماها وادي نهر بلات واقليم سهول الاعشاب الكبير .
وفي مروج تتراوح وتزهو بالقول النضرة مساحتها الوف من الاميال يعود
البصر عنها قليلاً . تحتلها سلاسل صخور وادوية تراها الاعين مجراً لاحد وفي
مغطاة بالكلاب والقول والازهار التي يبعج اخضرارها الاقلدة وبورج^(٦) غيرها
المواء . وتجري عليها الجلول والغدران والسواقي وتسم^(٧) فيها قطعان
الجواميس والابائل والجامير . وتشاهد في اقاصيها الذئاب كامة تراقب
فرائسها والطيور ترف في المواء فتجيب نور الشمس وتدعو المعافر الى الصيد
والنص والتزود قدر ما يشاء . وترى في هاتيك الحزين^(٨) آكاما زرقاء
توسط ينها جلايد وعراقيب^(٩) . ثم تخطي احيانا صحاري جرداء تأوي اليها
كلاب السهول . غير ان تلك المناظر سواء كانت سهولا نضرة او مناويز مقفرة
او مضابا قصية مما تدهش الابصار باتساعها وامتدادها ورجة ادبها يعلوها
جلد لامع وجو صاف تهب عليها نسائم رخيصة تلطف حرارة هوائها

ويقطن هذه السهول ملايين من البشر . ومع ذلك تراها صالحة لسكنى
ملايين غيرهم . فقد تدفق اليها سبيل عرومية من المخلق قادمين من آسيا
وأوروبا الغاصّة بسكانها . وما فتئت محالما النفسية الخالية تدعو غيرهم الى الحلول
في ارجائها فان مساحتها لا تنقص عن ضعف مساحة الهند برمتها وتنفوقها
اعتدالاً وخصباً . والطبيعة تبسم عن ثغرائها والنبات والنضارة ولا يفتقر قاطنوها الى
ابواب ومعافل تقيم وتصدّق القادمين عنهم بل هي مفتوحة الارتاج^(١٠) لمن شاء
فيأتيها على الرحب والسعة . ويجد حقولاً خضراء لم تسمها الايدي فتترحب
بكل ذراع نشيطة تشتغل في تربتها وبكل محراث يجذب وراءه الهرمان والمدنية

- (١) نوحش (٢) بقعة معشبة في الصحراء (٣) الحفرة المستطيلة
(٤) الحفرة تحت الارض والقناة (٥) السهول ذات اعتدال (٦) يعطر
(٧) نرى (٨) سهول (٩) صخور ووعور (١٠) الابواب

— ١٠٠ —

الطواف حول الارض

٢

ومتى غادر القطار هذه السهول وراءه اخذ بالصعود على قمم جبال باذخة
واجتاز الاطواد^(١) الصخرية . اما على موقف في هذا الخط فواقع كما قلنا بين
اوما واورغن واسمة شرمان على اسم الجنرال الاميركي الشهير . ويدوم الخط
في الخمس مئة ميل التابعة على ارتفاع ٦٥٠٠ قدم عن سطح البحر .

ثم يدخل القطار قبل اورغن باربعين ميلاً خور^(٢) الصدى وهو من
اغرب مناظر الطريق بأسرها . فتعاقب هناك غنيماً^(٣) عميقاً صخرياً طولة
سبعة اميال وعرضه في اوله بين النصف ميل والثلاثة ارباع الميل . وعن
اليمن جلامد شاهقة معتنة ارتفاعها من ٢٠٠ الى ٨٠٠ قدم جرداء قد

خَدَّعَهَا السُّيُولُ الْجَارِفَةُ . وَالْجَانِبُ الْإِسْرَاطُ مَظْلَلٌ مِنَ الْعَوَاصِفِ وَالْأَمْطَارِ
وَمَرْكَبٌ مِنْ مَضَابٍ مَرْتَفَعَةٍ أَرْتَفَاعًا تَدْرِيحِيًّا مِنْ صَخُورٍ مَتَرِيَّةٍ ^(٤) مَكْسُوفَةٍ
بِالْأَعْشَابِ يَجْرِي مِنْهَا فِي الْوَسْطِ نَهْرٌ شَفَافٌ خَرَّ فِي جِرَاءِ الدَّائِمِ قَنَاءَ عَمَقِهَا
عُشْرُونَ قَدَمًا تَحْتُلَاهَا حُرُوفٌ صَخُورٌ وَرَكَامٌ جَلَامِيدٌ تَتَلَاطَمُ عَلَيْهَا الْمِيَاهُ وَتَجْرِفُ
مَا نَصَادَقَتْ فِي سِيلِهَا فَتَتَدَفَّقُ وَتَنْشَبُ بِقُوَّةٍ وَسُرْعَةٍ عَظِيمَتَيْنِ . ثُمَّ يَضِيقُ ذَلِكَ
الْأَخْشُودُ فِي وَسْطِهِ فَيَشْتَدُّ جَرِيَانُ النَّهْرِ وَيَزْدَادُ تَوَعُّرُ ضَفَائِفِهِ وَتَضَارَةُ الْأَعْشَابِ
وَالْبَقُولِ عَلَى حَافَتَيْهِ وَتَشَكُّلُ الصَّخُورِ إِلَى عِيْنِهِ بِأَشْكَالٍ غَرِيبَةٍ . فَمِنْهَا مَا هُوَ
بَصُورَةٌ هَرَمٌ أَوْ أُجْحَمَةٌ أَوْ حَرَابٌ أَوْ قُبٌّ أَوْ حَصُونٌ أَوْ تَارِيسٌ أَوْ كُنَاتِسٌ مُتَهَدِمَةٌ
فِيحَاكِي مَلَأَ الْمَشْهَدَ بِلَادَ الْجِبَانِ الْحَجَرِيَّةِ وَيَزُودُ عُجَلَةُ الشَّاعِرِ وَالْمُصَوِّرِ بِمَادَّةٍ
لَا تَفَادُ لِرُسُومِهَا وَصُورِهَا

وَهَذَا الْخَطُّ الْوَاقِعُ بَيْنَ أَوْغْدُنَ وَسَانَ فَرَنْسِيْسْكَو يُسَمَّى بِسَكَّةِ الْحَدِيدِ
الْبَاسِيْفِيْكِيَّةِ الْمَرْكَبِيَّةِ . وَهُوَ يَحِيطُ بِبَحِيرَةِ الْمَلْحِ الْكَبِيرَةِ شِمَالًا وَيَجْتَرِّقُ صَحْرَاءَ إِمْبَرِيَا
الْعَظِيمَةِ وَيَدْنُو مِنْ جِبَالِ الْأَلْبِ الْبَاسِيْفِيْكِيَّةِ . وَمَتَى قَطَعَ الْخَطُّ هَذِهِ الْجِبَالِ
بَلَغَ عَلْوًا آخَرَ عَظِيمًا يَرْتَفِعُ عَنْ سَطْحِ الْبَحْرِ ٧٠٤٨ قَدَمًا . ثُمَّ يَهْطُ فِي أَحْشَاوِ ^(٥)
طَوْلَةِ نَحْوِ مِائَةِ مِيلٍ

ثُمَّ يَأْتِي بِنَا هَذَا التَّخَدُّرَ إِلَى مَدِينَةِ سَاكْرَامِنْتُو وَهِيَ حَاضِرَةُ الْوَلَايَةِ الذَّهَبِيَّةِ
أَيِ كَلْفُورْنِيَا وَهِيَ تَقْطَعُ مَلْتَقَى خُطُوطِ تِجَارِيَّةٍ كَثِيرَةٍ . وَلَنَا هُنَا دَلِيلٌ غَرِيبٌ
عَلَى أَنَّ الْغَرْبَ الْأَقْصَى هُوَ بَدْءُ الشَّرْقِ . لِأَنَّ أَكْثَرَ الطَّبَقَاتِ الدُّنْيَا مِنْ سُكَّانِ
هَذِهِ الْبَلَادَةِ صِينِيُونَ كَمَا فِي سَانَ فَرَنْسِيْسْكَو

وَلَا يَخْفَى أَنَّ سَانَ فَرَنْسِيْسْكَو لَيْسَتْ بِوَاقِعَةٍ عَلَى طَرَفِ هَذَا الْخَطِّ بَلْ
أَوْ كَلَانْدَ وَهِيَ مُشِيدَةٌ عَلَى سَاحِلِ خَلِجِ سَانَ فَرَنْسِيْسْكَو الشَّرْقِيِّ . وَتَرَى بَيْنَ هَذَيْنِ
الْمَكَانَيْنِ بَاخِرَةٌ كَبِيرَةٌ جَدًّا تَقْلُ الْقِطَارَ كُلَّهُ بِرُكَايَا وَاسْتَعْوَى عَلَى الْخَلِجِ فِي عِشْرِينَ
دَقِيقَةً . أَمَّا سَانَ فَرَنْسِيْسْكَو فَمَبْنِيَةٌ عَلَى شَاطِئِ خَلِجِيَا الْغَرْبِيِّ عِنْدَ طَرَفِ شِبْهِ
جَزِيرَةٍ تَمْتَدُّ شِمَالًا بَيْنَ هَذَا الْجَبَلِ الْبَاسِيْفِيْكِيِّ . وَإِذَا شَاهَدْتَ هَذِهِ الْمَدِينَةَ مِنْ

الأرض المرتفعة فوق أوكلاند تلقاء الخليج رأيت لما منظرًا بديعًا . وعانيت
 قسمها الشمالي متفرقاً فوق سلاسل مضاب رملية تكاد تكون مجردة من الأشجار .
 أما قسمها الجنوبي وهو مركز الاشغال فاوفر نظاماً وجمالاً . ويخضوي على شوارع
 واحياء قوية طويلة تنتهي بارصنة^(٦) ومرافق حسنة . وترى على شبه الجزيرة هذه
 البالغ عرض طرفها الشمالي سبعة او ثمانية اميال خطاً طويلاً من الباسيفيك
 لا يدركه البصر . والى اليمين الباب الذهبي الذي يصل الاوقيانوس بالخليج .
 ويعلو هذا الجبل عند طرفه الاضيق البالغ عرضة ميلاً واحداً معقل^(٧) ومنارة
 بحرية يعلنان عن سان فرانسيسكو خمسة اميال الى الجهة الشمالية الغربية

واكثر بيوت هذه البلد مبنية من الخشب . غير ان المنازل الحجرية
 اخذت الآن تقوم مقامها . اذ تسقى لم جلب موادها بسهولة من جزيرة في
 الخليج شادوا بها الجانب الاوفر من البناءات العامة . وفي ذات تركيب هندي
 نفيس . وعلى ذلك ترى المساكن والقصور الخاصة الجميلة اخذت تزداد على
 قدم السرعة وفي تقدم مع تقدم البلد

فاصبحت هذه المدينة السادسة في الامة بين مدن الولايات المتحدة
 التجارية وبلغ عدد سكانها نحو ٢٠٠ ٠٠٠ وفي الآن الفرضة الاولى على ساحل
 الباسيفيك . ويتوقع القوم ان تسمى باتصالها مع سكة الباسيفيك الحديدية
 مخزن الغلال الاول في اميركا الغربية

اما مياه هذه البلاد فتمتد كل الاعتلال بدليل وفرة الازهار الدائمة
 البديعة التي لا تكاد تعرفها الولايات الشرقية . وهذه الازهار مختلفة الاشكال
 والانواع ولا تجود في الولايات الاخرى وان جادت كانت تضاربتها صناعة
 وفي فصول معينة . اما منا فتراها في زهو دائم . وتشاهد بين تلك المضاب
 الرملية جئات وحلائق وخمائل تنهر الالباب وتأخذ فياجمع القلوب

ثم يحجاز المسافرين من سان فرانسيسكو الباسيفيك الى هونغ كونغ اما عن
 طريق يوكوما في اليابان او عن طريق هونولولو في جزائر هندوچ . ثم

يستأنف من هذه النقطة سفرة البرية ويقطع اسيا الوسطى . ولكنه يصادف هنالك مصاعب حمة في الحصول على وسائل النقل ويكابد موانع شتى تعيق سفره . ولذلك الاولى به ان يسير من هونغ كونغ في الطريق البحرية الى بوان دوغال في سيلان . ومن ثم الى عدن فالسويس فالاسكندرية عن طريق الهند العادية

اما اقصر طريق من الاسكندرية الى لوندرا وليفربول فعن طريق برندي وتورين . وهذه السفرة يمكن الآن انتمائها في سبعة ايام لا يصرف منها في البحر أكثر من ثلاثة . اما برندي فكانت في الزمن القديم موقف الامبراطورية الرومانية البحرية . وهي واقعة على ساحل الادرياتيک عند طرف ايطاليا الجنوبي الشرقي . وهي متصلة بالخط الحديدي مع فلورنسا وتورين . والسكة الحديدية تمر بين تورين وكامبري الاخرسية في وسط جبال الالب على سرب^(١) مون سيميس الشهير . ويحسب هذا السرداب اقطع دليل على نصرة فن الهندسة العملية الحديث . فقد ابتدأوا بنشر هذه القناة سنة ١٨٥٧ على جانبي الجبل المتقابلين والتي العملة بعضهم ببعض في وسط الجبل يوم عيد الميلاد سنة ١٨٧٠ . وسار القطار الحديدي الاول في هذا السرب البالغ طوله ثمانية اميال والذي كلف ثلاثة ملايين ليرة انكليزية في ايلول سنة ١٨٧١

ثم بعد سفر بضع ساعات يبلغ المسافر باريس ويرى نفسه بعد ساعات أخرى قليلة في لوندرا فليفربول واذا ذاك يكون قد اكمل الطواف حول الكرة الارضية . قيل ان هذه السفرة العظيمة لا تشغل أكثر من ٦٠ يوماً . اما مساحتها فلا تقل عن ٢٢٧٠٠ ميل

-
- (١) الجبال العظيمة (٢) المنخفض من الارض (٣) واديا
(٤) مترحلة (٥) ارض منحدرة (٦) جمع رصيف (٧) حصن
(٨) قناة تحت الارض

غرائب الصين

الزعازع المصاة تيفون

نصف احياناً في هذه المملكة الواقعة الاكاف رياح زرع مائلة تقيم عنها
 اضرار بالغة . فقد يخرج الصيادون في احد الاصباح الصافية لصيد السمك
 واذا بالهواء تغير فجأة واخذ يعصف عصفاً شديداً والبحر يهيج ويزيد فيعلم
 الصيادون ما هو آتٍ وان القاصفة^(١) اوشكت القدوم ثم ترتفع الامواج كالجبال
 وتنخفض انخفاض الودية فتجرف السفن وترتش ارتعاش الريشة في هب الريح
 وهذه الزعازع^(٢) هب في فصول معينة من السنة تسمى عند تيفون . فتى
 شعر الصياد بهروبها طوى شبكتة باسرع من لمح البصر وجذف يعدو الى المرفأ
 وكثيراً ما تدركه العاصفة وتنسف قارية نصف المياه فيقلب بمن فيه
 اما القوم في الاصار والقرى فتى رأوا الهواء تغير واخذ يعصف اركبوا الى
 الفرار يعدون في الشوارع هاتين " القاصفة . القاصفة " فتشرع الايدي على
 القور فتحرك وتنتقل فيتلون المحصر والانجاة المبحوطة فوق البيوت لتظليلها .
 ويدعمون البيوت العتيقة المتداعية للسقوط بالدعائم . ويسرع الفلاحون الى
 الخول ويجمعون ما يستطيع جمعه من الغلال وينقلونها الى المساكن . ويقطفون
 الفواكه عن الاشجار . ويدخلون الآنية والامعة البيوت . ويفعلون ذلك كله
 بسرعة تكاد تحاكي وبض البرق . لانهم اذا ابطأوا اتلفت الزعازع المحصولات
 والاثار وثارها ونسفها الى التهر

ثم متى اكملوا هذه الاحياطات عجلوا فدخلوا البيوت . فلانلبث العاصفة
 ان تصف وتدم تجرف وتنسف كل ما تصادف امامها . وقد تقلع الاشجار
 الكبيرة من الاصول ويهدم المنازل . وكل عصفة تفوق سالفها شدة وهولاً .

وتسبح طعنة الحصى والحجار والتراب وفي تماقط من السقوف والجدران
تستطلي بها الكراسي والموائد والرفوف

ولا تستطيع حيثئذ الوقوف خارج الابواب واذا فعلت ذلك قلبتك
الريح على الارض بل حملتك ورفعتك في الهواء . ثم يرتفع النهر ويطغى^(٢)
فوق ضفافه^(٣) فتصبح البلاد بأسرها كبحيرة واسعة . وكثيراً ما تكسر الزعازع
مراعي السفن في المرافئ وتقذفها وفي تستغيث برحمة الانواج وهذا المشهد المائل
بدوم نهاراً وليلة ثم يسكن الهياج ويغبراً القوم على الخروج من منازلهم
ومضى خرجوا رأوا مطراً غيغاً وعابثوا الاسواق والشوارع ملائكة بالاساخ
والفريد متكسراً والبيوت منهدة والمخلائق والبساتين معرأة من اوراقها
واثمارها والخلال الباقية في المخول لعبت بها ايدي سبا فتشرها الى كل الجهات
واشجاراً كبيرة متعلقة من الاصول

(١) الريح الشديدة (٢) المواصف (٣) يفيض (٤) شطوط

اكل اعشاش الطيور

في الارض كنوز وافرة يغامر الانسان بحياته لاجلها . فيها دُرر في اعماق
البحر وذهب في المناجم وفحم حجرى في حُر عميقة ان اطلت لروياها اُصبت
بالدوار . وعلى ذلك نرى المرء يخاطر بنفسه طمعاً ببلوغ ذخائر الطبيعة المحجوبة
عن ابصاره في اماكن لا تكاد تصلها الايدي

ولكن من يا ترى يغامر بحياته للحصول على صحنه طعام طبع من اعشاش
الطيور . ذلك الطعام الانيق على موائد سراه^(١) الصين . فلا يبالي الصيني
بسر منال تلك الاعشاش ولا بما يعترضه في سبيله من الانعاب والاختار

ووفرة الثغرات للفوز بهذا الصف الغريب. فاذا مررت بأسواق الصين رأيت
الاعشاش تُباع في المحاليل والمخازن بيع سائر السلع
أما مكان صدورها فمن جزيرة جاوا حيث تكثر على الشواطئ الصخور
الشماء^(١) والجلاميد^(٢) والكهوف الشاهقة. وحيث تلامح الأمواج وتأوي الطيور
إلى تلك الملاهي الصخرية حتى لا تكاد تراها لتكثف الزبد والعجج



أما رب ذلك العش فمن طائفة السنونو ويبنى عشه ويقوت فراخه في
تلك الكهوف حيث يعسر وجود مكان يصلح لبناء الأوكار غير أن الطائر يعثر
على محل ملائم فيربط وكه^(٣) في سقف الغار أو جوانبه. هذه هي الاعشاش التي
ياكلها الصييون. أما الكهف شاهق في ذروة الصخر يتلاطم البحر عند حضيضه
بالأمواج الزاخرة. فكيف بطولة الصياد؟ الجواب يدلّه رفاقة من قنة^(٤) الصخر

بسلم من جبال حتى يبلغ الغار . فاذا انتطح الجبل او اصاب الرجل الدوار
هوى الى الاعماق فتمزق قطعاً . ومتى بلغ الكهف رأى ارضه منقطعة بماه
البحر فينشبت بالحجار الصلدة البارزة من جدران الغار ويمكن عليها قدميه .
ومتى وصل الى السقف ربط حول الحجار جلاً من جانب الى آخر فيصنع ما
يحكي الجسر ويقف عليه يتطلع الاوكار ويضعها في سل . ويعاني في خلال ذلك
اخطاراً هائلة لا يجترأ على اقتحامها بدون ان يقدم اولاً لاله صلاه يستمد منه
الوقاية ويضع قرباناً على ضريح مكتشف هذه الكهوف

ويستطيع الصينيون هذه الاعشاش المصنوعة من عشب بحري يبي
به الطائر وكرة طبقات منضدة بعضها فوق بعض . وهذا العشب لين الملس
يحكي اللب المهروس

اما مشكلة فكلام لا طعم له . غير ان الصيني يمزج معه في طهيهِ (٧) بهارات
وتوابل كثيرة فيمسي سائناً لذيقاً

ولما كان اليابانيون اوفردهاء من الصينيين علموا ان اعشاش هذه الطيور
مصنوعة من عشب البحر . فياخذون العشب نفسه ويدقونه حتى يلين ثم
يغلونه فيصبح ملاماً ويعلمون منه اعشاشاً صناعية كاذبة يأتون بها اسواق الصين
ويبيعونها كالاعشاش الحقيقية

- (١) اكابر (٢) العالية (٣) الصخور الكبيرة (٤) عشة
(٥) قبة (٦) فيتمسك (٧) طبخو

موائد الصينيين

يستعمل الصينيون على موائدهم شوكات غريبة الشكل . وهي قطعنا عاج
دقيقنا الطرف موصولتان ببعضها من الوسط ينحيط فيعصر على الاجبي الاكل

بها . اما الصينيون فيحتملونها برشاقة وخفة يُجَبِّ منها . فاذا وُضع لديك على المائدة صحن مرقّ ضمتها قطع لحم وكنت جائعا اضطررت ان تغمس هذه الشوكة وتعالج وتكدّ زمانا الى ان تلفظ قطعة اللحم . ولكن لا تكاد ترفعها الى فمك حتى تزعج قطعنا العاج عن بعضها فتسقط في الصحن او على حضنك . فتلتزم ان تستأنف العمل وربما كررت ثلاث او اربع مرّات على غير طائل فتجاس من مناولة ما يشع الجوف

اما مضيقك الصيني فيضبط نفسه عن الضحك تأدبا ويرثي لحالك فيبادر لاسعافك بأن يأخذ شوكة التي كانت قد دخلت فاه مرارا ويلتقط القطع لاجلك . ثم يرفع الشوكة الى فمك فتلتهمها من يده .^(١) ويظلّ يأكل ويطعمك الى ان تشبع حقيقة او تدعي الشبع نخلا من تعب

ولما كان الصينيون لا يوثقون الاجانب قليلا يهزأون بهم في غيابهم لجهلهم استعمال الشوكة وان ضبطوا انفسهم في حضرتهم احتشاما . فيقولون أرايت هذا الاجنبي البليد فانه يجهل وضع الطعام في فيه

والصينيون يتأقنون بالطعام على موائدهم ويكثرزون الوان ولا سيما سرانهم واغنياؤهم في الوان والمآدب . فيدوم الجلوس حول الخوان^(٢) ساعات متوالية وهم يتناولون الشاي قبل الغداء او العشاء لامة ولا بعده ولا يتعوث في ابريق الماء العالي بل يضعون بضع اوراق منه في فنجان ويسكبون عليها الماء الحار . ولما كان الصينيون من ابرع البشر بهل الشاي تحسب هذه الطريقة التفضلي لاستعماله

ويزين الصيني^(٣) مائدته بسلال الفاكهة وباقات الازهار لتحللها صحاف من مربى البزور والحلويات على انواعها . ويقطع اللحوم قطعاً صغيرة للتمكن من ضبطها بالشوكة المار ذكرها . اما اصناف الطعام فمن الاسماك والدجاج والطيور والضان والخترير والمرر والفار مطيبة^(٤) الوانا بطول شرحها قال احد السراة^(٥) الاجانب وقد دعي الى مأدبة صينية "عددت الوان

الطعام بالتمات وجلسنا حول المائدة ست ساعات كاملة " فهذه المدة لا تكاد
نُصدّق لو لم تُرو عن بُوتق بَصَّة قولو

اما القراء فياكلون كل ما تطوله ابدعهم حتى الكلاب والقطط والجردان
والفأر. فاذا مررت بالاسواق رأيت الكلاب والهررة في اقاصى تُعرض للبيح.
وسمعت السنابر غموه والكلاب تنبح كأنها عالمة بوشك مصرعها (٤). وتعاين ايضا
الجردان والفأر مملوخة ومنوطة بخيوط ومياه للطنج. بعضها في حوانيت الباعة
وبعضها محمولة على الايدي تُعرض على الشارين

على ان الاغنياء ايضا قد يطهون القطط والكلاب تنويها لصنوف الطعام
لكنهم لا يحبون مزاحمة القراء على طعامهم. ولا يرغبون في الجردان والفأر الملقحة.
فقد صحّ الجمل القائل "لا جلال في الذوق" فان افقر القراء عندنا ربما فضل
الموت جوعا على ان يأكل كلبا او جرذا

(١) يفتنون (٢) المائدة (٣) مطبوخة (٤) موعها

صيد السمك بالطيور

لِلصَّيِّدِينَ وَلَعَّ عَظِيمٌ بِأَكْلِ الْأَسْمَاكِ وَلِذَلِكَ تَعَدَّدَتْ
طُرُقُ الصَّيْدِ عِنْدَهُمْ وَبَرَعُوا بِاسْتِعْمَالِهَا وَمِنْ هَذِهِ الْأَسَالِيبِ
مَا يَأْتِي

يَغْوُصُ الصَّيَّادُ فِي الْبَحِيرَةِ أَوِ النَّهْرِ حَامِلًا يَدَيْهِ سَاقَةً. ثُمَّ
يَرْفَعُ يَدَيْهِ فَوْقَ رَأْسِهِ وَهُوَ يَخْوُصُ الْمَاءَ وَيُزِيلُهَا بِخِطَّةٍ قَوِيَّةٍ.

بَيْنَهَا تَكُونُ قَدَمَاهُ غَائِصَتَيْنِ فِي الْوَحْلِ اسْفَلَ الْبِرْكَةِ. فَتَذْعَرُ
الْأَسْمَاكَ مِنْ هَذِهِ الْخَبْطَةِ وَتَغْوِضُ فِي الطِّينِ لِلْإِخْتِيَاءِ فَيَشْعُرُ
بِهَا الصَّيَّادُ بَيْنَ رِجْلَيْهِ فَيَنْغَمِسُ فِي الْمَاءِ بِضَعِ ثَوَانٍ ثُمَّ يَنْهَضُ
وَالسَّمَكَةُ فِي يَدِهِ فَيَطْرَحُهَا فِي السَّلِّ وَيَسْتَأْنِفُ الْعَمَلَ وَلَا
يَخْرُجُ مِنَ الْمَاءِ حَتَّى يَهْلَا سَلُّهُ

وَمِنْ وَسَائِلِ الصَّيْدِ عِنْدَهُمْ أَنْ يَرْكَبَ الصَّيَّادُ الْقَارِبَ
إِخْتِلَامَةً طَيُورًا أَسْمَهَا "كُورْمُورَان". فَتَسْتَقِرُّ عَلَى جَوَانِبِ



الْفَلَكَ . وَقَدْ يَبْلُغُ عَدَدُ هَذِهِ الطُّيُورِ اثْنَيْ عَشَرَ. وَمَتَى وَصَلَ
إِلَى الْمَصَادِ خَاطَبَ الطُّيُورَ طَالِبًا مِنْهَا الشَّرُوعَ بِالْعَمَلِ

فَنَهَمُ كَلَامَهُ وَتَطِيعُهُ وَتَسْقُطُ فِي الْمَاءِ تَنْشِ عَنْ الْمَسَكِ. وَلَهَا
كَانَ مِنْ طَبْعِهَا أَنَّهُمْ^(١) الشَّدِيدُ يَرْبُطُ صَاحِبَهَا حَوْلَ حَقْوَمِهَا
خَيْطًا لِيَمْنَعَهَا مِنْ بَلْعِ السَّمَكَةِ عِنْدَ صَيْدِهَا. فَتَقِي لَحَ الطَّائِرِ
مَسَكَةً أَنْتَضَّ عَلَيْهَا كَوْمِضُ الْبَرْقِ وَخَطْفَهَا بِمِنْقَادِهِ وَرَفْعَهَا
إِلَى سَطْحِ الْمَاءِ. فَيُنَادِيهِ مَعْلِيهِ وَيَدْعُوهُ لِلْعِي فِيَأْتِي حَامِلًا
السَّمَكَةَ وَيَضَعُهَا فِي الْقَارِبِ ثُمَّ يَنْطَلِقُ لِيَصِيدَ غَيْرَهَا
وَعَلَى هَذَا الْيَنْوَالِ يَسْتَطِيعُ الصَّيَادُ صَيْدَ أَسْهَائِهِ وَافِرَةٍ
فِي الْيَوْمِ. فَإِذَا كَانَتْ طُيُورُهُ حَسَنَةً التَّدْرِبِ أَمَكَةً الْفُوزِ
بِرِزْقٍ جَزِيلٍ. وَإِذَا تَكَاسَلَ الطَّائِرُ وَخَجَّ لِلْعَيْبِ وَاللَّهُوِ ضَرَبَ
الصَّيَادُ الْمَاءَ الْقَرِيبَ مِنْهُ بِعَصَا الطُّوبِيلَةِ ضَرْبَةً قَوِيَّةً فَيَعْرُونَ
الطَّائِرَ الْفَرَقُ^(٢) وَيَسْتَعِزُّ بِالصَّيْدِ جَادًا جِدَّ التَّحَلَّةِ

(١) كثرة الأكل (٢) الخوف

— ٣٠٤ —

خيار البحر

خيار البحر حيوانٌ حيٌّ بِشَكْلِ الْخِيَارِ يَعُومُ عَلَى الْمَاءِ. أَمَّا جَسَدُهُ فَهَلَاكِي
لَيْنٌ بَدُونِ عِظَامٍ وَلَهُ خَاصَّةُ الْفَقْلَسِ وَالْتِدَادُ كَيْفَ بَشَاءِ
وَمِنْ هَذَا الْخِيَارِ صَنْفٌ يُوَكَّلُ اسْمُهُ تَرْيِغٌ يُحْسَبُ عِنْدَ الصِّينِيِّينَ نَافِعًا

الصحة ويحب من مولدنا الجديدة . ومكان وجوده فيها على ساحل بقطة قوم
برابرة اشرس من الضاري . غير ان ذلك لا يصد قوارب الصيادين عن
طروق هذا الاقليم

وهذه القوارب تأتي من ملقا واربابها بارعون بصيد هذا الصنف الذي
يسمونه للصينيين . ويصيرون معهم اباريق معدنية لغلي الماء وتقي بنواخصاً
لظليلهم من الحر يدأون بالصيد فاذا حي العجير^(١) غاصوا في الماء وعابوا
خيار البحر زاحاً في قاع الم^(٢) وشكلة يضارع لون الارض الزاحف عليها .
غير ان بصر الصياد الجاد يقع حالاً عليه . ولو لم تكن الشمس على سمت الرأس
لما استطاع ان يميز هذا الحيوان تمييزاً واضحاً

ولا يستطيع القاصون البقاء تحت الماء أكثر من بضع ثوان . غير انهم
لا يتأون بهبطون ويصعدون الى ان يأتوا قاربهم . ثم يملحون بهشون الصيد
للاسواق . وذلك بان يترعو^(٣) اباريق الحديد بالماء ويضعوها على النار الى
ان تغلي . ثم يطرحوا الخيار في الماء الغالية وينظفونه ويدخونه على النار ويحرقونه
في الشمس فيصير صالحاً للبيع والاستعمال واذا امطرت السماء جففوه في مكان
مظلل

(١) الحر (٢) البحر (٣) يأتوا

تصغير الاقدام

يحبب الصينيون صغر اقدام النساء حسناتاً فاتحاً . فتشد الوالدة قدي
ابنتها الصغيرة شداً وثيقاً لا ينفك نموها . فتتم مائر اعضاء الجسم ولناثف
الرجلين باقية . فتي كبرت الفتاة كان جسمها جتم صينة وقدماهما قدي طفلة .

يسرع عليها حمل جسمها الثقيل لاختلال النسبة بينها . ويمشي مشيها تجلاً وخملاً
وذلك مما يفتح الذوق العليم وترق له القلوب
فاذا شاهدت مخدرات^(١) الصين رأيت اقلاماً لا تريد عن اقلام
الاطفال ينجم^(٢) يماً وشالاً ويصعدن الزفرات^(٣) نقياً والماً . وقد حرمن
من قوة المشي السليم ولذة اللعب والمرح والعدو . واذا عاين الصينيون مخدرة
تمشي بقدمين طبيعيتين عابوها واتقدوها بقولهم انظروا هذه المرأة كيف
تمشي مشياً صحيحاً بقدمين كبيرتين

ويستلح الصينيون المرأة السمينه . فكما تقضم جسمها راقمت في اعينهم . ولما
كان لا يطلب من السيدات هنالك المشي الا حين الضرورة القصوى وكُنَّ
جالسات على عهد الراحة والبطالة كان اكثرهن مسمينات . فيجلس المرأة عديم
في حديقة بيتها تتخذها الخادومات ويأتينها بالطعام والشاي والحلوى وكل ما
تريد . ومتى خرجت من البيت حملها رجلان على كرسي تحاكي المحنة^(٤) اسمها
عندهم سيلان) ومن عوائد النساء هنالك التخبب والتبرج^(٥) وملازمة المنزل
حيث يلهون يشغل التطريز والتصوير والموسيقى ونظم الاشعار
اما القنبرات فلا يهمن تصغير اقلام بنائهن . لهن مضطرات الى موازلة
الاعمال والاستزاق فلا يحببن السير خمماً ويمشين متصبات مشي الرجال .
وعلى ذلك كان صغر الاقلام مما تتناز به مخدرات السراة فقط . شاهد احد
السياح يوماً مخدرة صينية في حق وحش^(٦) شديدتين تشتم وتعتف وتنف
شعرها كأنها مختلة الشعور . ثم اقلت بنفسها الى الارض وزفت بقدميها
الصغيرتين ورفعتها في الهواء . فلم يقالك المائح نفسه من الضحك

- (١) النساء الملازمات الخنزير (٢) يعرجن (٣) استيعاب
النفس من شدة الغم (٤) مركب للنساء كالمودج (٥) اظهار الزينة
(٦) رفع الصوت

اعراس الصين

متى بلغت الفتاة عند الصينيين السن الملائم اختيار والدها لها بعلًا ولا يُسمح لها برويته ومعاشرته بل ينوب والدها عنها بمعاونة معلمة الزينة وعند الخطبة وكذلك لا يؤذن للخطيب بمشاهدة خطيبته قبل الزفاف ثم متى حان يوم العرس البعل العروس اريدية نفيسة ووشحها ^(١) بوشاح ^(٢) بني ووضعوها في محفة وانطلقوا بها لمشاهدة عريسها المرة الاولى ويرافق العروس جمهور المدعوين حاملين المشاغل امامها ولو كان الزفاف نهارًا . ويسير امام المحفة جوق موسيقي يوقع ^(٣) على الزمور والطبول وآلات الطرب . . اما المحفة فيوصدونها ويقفلونها بقل يحمل متاعه اقدم الخدم واكرهم سنا ولا يفتح تلك المحفة الا العريس . ومتى بلغ الموكب البيت وضعوا المحفة عند الباب فيخرج العريس وقلبة يخفق شوقًا لرؤية حليمة ^(٤) لم يقع عليها بصره بعد . فيفتح الباب بالفتاح ويتطلع بالعروس فيرى القاب ^(٥) مسدولاً على وجهها فيرفعه . فاذا راقى في عينيه واستلمح طلعتها دعاها للدخول الى منزله على الرحب والسعة . فتبسط الموائد وتدور كاسات الشراب وتبدأ الانشاد والاغاني الموسيقية والرقص ويتم زفاف الفتاة . وان لم ترق في عينيه واستفجع منظرها اطلق باب المحفة سريعاً وامر حاملها بالنكص ^(٦) على الاعقاب فيعود اقوم بعروهم صامتين يتعشرون باذيال العار والنجل

(١) البسمل الوشاح (٢) قلادة جوهر (٣) يعني الحان الفناء على موقعها (٤) زوجة (٥) قناع تستدي المرأة وجهها (٦) الرجوع الى الوراء

الأرز والشاي

لِلصِّينِيِّينَ عُنَايَةٌ كُبْرَى بِالزَّرَاعَةِ وَأَتْنِهَامٌ وَثِيرٌ بِدَرَسِهَا
وَأَتْقَانِهَا. وَمِنْ أَدِلَّةِ ذَلِكَ خُرُوجُ الْإِمْبِرَاطُورِ بِنَفْسِهِ مَرَّةً فِي
الْعَامِ يُوْزِرُّهُ وَرِجَالُ مَجْلِسِهِ فَيَضْبُطُ السِّكَّةَ بِيَدِهِ وَيَخْرُثُ
بِضَعَةِ أَثْلَامٍ ثُمَّ يَقْنَدِي بِهِ الْوُزَرَ وَأَعْيَانُ الدَّوْلَةِ وَكِبَرَاؤُهَا.
وَكَذَلِكَ الْوَلَاةُ وَالْمُحْكَمُ فِي سَائِرِ أَنْحَاءِ الْمَمْلَكَةِ

وَمِنْ أَعْمَرٍ مَخْصُولَاتِ الصِّينِ الْأَرُزُّ وَالشَّاي. أَمَّا الْأَوَّلُ
فَلَا يَعِشُ إِلَّا مَغْمُورًا بِالْهَاءِ فَيَرْقَعُ الْفَلَّاحُ هُنَالِكَ الْأَرْضَ
طَبَقَاتٍ فَوْقَ بَعْضِهَا لِاسْتِنْبَاتِ الْأَرُزِّ. فَتَرَى سَنَابِلَهُ تَهْجُجُ
وَتَزْدُمُ بِاخْضَارِهَا الزَّبَرْجَدِي مَغْمُوسَةً بِالْهَاءِ

وَهُوَ يَجْرِي إِلَيْهَا مِنْ نَهْرٍ قَرِيبٍ بِأَلَةٍ تُدْعَى دُولَابَ الْهَاءِ
تُدْفَعُ إِلَيْهَا إِلَى الطَّبَقَةِ الْعُلْيَا فَتَسِيلُ مُخْدِرَةً وَتَسْقِي سَائِرَ
الطَّبَقَاتِ الْمُنْضَدَةِ. وَتَرَى الْقَرْوِيَّ مُنْصَبًّا عَلَى الشُّخْلِ فِي
فَصْلِ الرَّبِيعِ لِتَبْقِيَةِ سَنَابِلِ الْأَرُزِّ وَتَرْثِيهَا

فَهَذَا عَمَلٌ شَاقٌّ يَقْتَضِي إِلَى كَدٍّ وَجِدٍّ لَا مَزِيدَ عَلَيْهِمَا لِأَنَّ
الْحَتُولَ حِينَئِذٍ تَكُونُ مَغْمُورَةً بِالْهَاءِ لَكِنَّ الصِّينِيَّ لَا يِيَالِي

بذلك بل يَفُوصُ فِي الْوَحْلِ جَذَلًا^(١) نَشِيطًا وَتَعَوُّصُ مَعَهُ
الْجَوَائِسُ الْمُسْتَحْدِمَةُ فِي الْفِلَاحَةِ. فَيَفْرِقُ تِلْكَ السَّنَابِلَ عَنْ
بَعْضِهَا قَلِيلًا. وَمَتَى فَرَغَ مِنْ عَمَلِهِ أَبْقَاهَا مَغْمُورَةً فِي الْمَاءِ إِلَى
أَنْ تَصْفَرَ وَتَأْخُذَ بِالتَّضَجِّ. فَيَحْسِرُ^(٢) الْمَاءَ عَنْهَا وَجَوِّلُهَا إِلَى
مَجَارٍ أُخْرَى

وَيَصْرِفُ الصِّينِي بِالْأَنْهَرِ وَالتَّجْدَاوِلِ كَمَا يَشَاءُ. فَيَرْفَعُهَا
إِلَى أَجْبَالٍ وَيَحْدِرُهَا إِلَى الْأَوْدِيَةِ وَيَجْعَلُهَا تَمَرَّجًا وَتَلَنَفًا
وَيَخْضَعُ لِإِرَادَتِهِ كُلِّ الْخُضُوعِ

أَمَّا الشَّاي فَاتَّجِمُ^(٣) بَسْتَنِيَتُونَهَا فِي الْغِيَاضِ وَالتَّحْدَاتِقِ. وَهِيَ
ذَاتُ أَزْهَارٍ بَيْضَاءَ جَبِيلَةٍ. وَلِكُلِّ قَرَوِيٍّ فِي الصِّينِ حَدِيقَةٌ
شَايٍ يَبِيعُ مِنْهَا مَا يَزِيدُ عَنْ حَاجَتِهِ وَيَبْتَاعُ بِقِيَمَتِهِ طَعَامًا
وَلِبَاسًا لِعَائِلَتِهِ. وَمَتَى كَانَ لِلْإِنْسَانِ قِطْعَةٌ أَرْضٍ وَزَرَعَهَا بِاتَّجِمِ
هَذَا النَّبَاتِ سُمِّيَ فَلَاحَ الشَّايِ

فَإِنَّ تَضَجُّ الْأَوْرَاقِ وَيَأْزِفُ^(٤) جَمْعُهَا يَنْصَبُ الْفَلَاحُ
وَعَائِلَتُهُ عَلَى الشَّغْلِ بِحِدٍّ لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ. فَيَقْطِفُونَ تِلْكَ الْأَوْرَاقَ
وَيَضَعُونَهَا فِي سِلَالٍ. ثُمَّ يَجْمَلُونَهَا إِلَى الْيَتِّ حَيْثُ يَجْفِفُونَهَا عَلَى
النَّارِ فِي طَوَاجِنَ حَدِيدٍ. وَيَشْتَغِلُ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ بِتَقْلِيلِهَا

وَتَحْرِيكُهَا. ثُمَّ يَرْفَعُونَهَا حَالَهَا تَبْدَأُ تَفْرَقُ وَيَنْشُرُونَهَا عَلَى مَائِدَةٍ
وَيَلْفُونَ تِلْكَ الْأَوْرَاقَ بِأَيْدِيهِمْ ضَاغِطِينَ عَلَيْهَا لِإِخْرَاجِ
الْعَصِيرِ. ثُمَّ يَضَعُونَهَا فِي الْهَوَاءِ لِتَجَفُّ وَيُعِيدُونَهَا إِلَى الطَّاغِي
فَوْقَ النَّارِ إِذْ تَأْخُذُ بِالْتَّجَعْدِ وَالْتَّقْلُصِ وَيَبْدُو عَلَيْهَا صُورَةُ
الشَّيْءِ الْمُسْتَعْمَلِ عِنْدَنَا

ثُمَّ يَضَعُ الْفَلَّاحُ أَوْرَاقَ الشَّيْءِ بَعْدَ جَفَافِهَا فِي سَلٍّ خَاصٍّ
بِهَا وَيَجْعَلُهُ عَلَى كَيْفِهِ بِقَضِيبٍ مِنْ خَيْرِ زُرَّانٍ وَيَطْلُقُ إِلَى الْبَدِينَةِ
حَيْثُ يَرَى تَاجِرَ الشَّيْءِ يَنْتَظَرُهُ. فَإِذَا أَتَى النَّوعَ شَرَى
مَطْلُوبَهُ وَادَّى الْقِيَمَةَ نَقُودًا نَحَاسِيَّةً أَوْ فِضَّةً فَيَسْطِهَا
الْفَلَّاحُ فِي سِلْكٍ وَيَعُودُ أَثْبًا إِلَى مَتَرِهِ

وَلَا يَخْفَى أَنَّ اسْتِعْمَالَ الشَّيْءِ حَدِيثُ الْعَهْدِ. فَقَدْ أَهْدَى
أَحَدُ سُرَّاهِ الْإِنْكِلِيزِ يَوْمًا فَنَدَّ مِنَ الشَّيْءِ فَأَتَتْهُمُ مَعَ زَوْجَتِهِ
عَلَى كَيْفِيَّةِ طَبْخِهِ فَقَرَّرَ رَأْيُهَا عَلَى سَلْفِهِ وَأَكَلَهُ مَعَ لَحْمِ الْخَتْرِ
الْمَقْدَدِ. فَوَضَعُوا الْأَوْرَاقَ فَوْقَ فِطْعَةِ اللَّحْمِ وَأَكَلُوهُمَا مَعًا.
أَمَّا الْعَصِيرُ فَكَبُوهُ عَلَى الْأَرْضِ. وَكَانَتْ أَثْبَابُ الشَّيْءِ
حَيْثُ بَاهِظَةٌ جَيِّدًا. وَكَانَ يَتَاوَلُهُ رَبُّ الْبَيْتِ لِضَرْفِهِ فِي
فَنَاجِينَ سَغِيرَةٍ كَمَا تُقَدَّمُ الْقَهْوَةُ. أَمَّا الْآنَ فَأَصْبَحَ اسْتِعْمَالُهُ

شائعا في سائر العالم المتدين حتى حَسِبَهُ الْبَعْضُ مِنْ
الْحَاجَّاتِ الَّتِي لَا غِنَى عَنْهَا فِي الْحَيَاةِ . وَمِنْ خَوَاصِّهِ
الْإِنْسَانُ وَالْتَنِيَّةُ إِنَّمَا الْإِكْتَارُ مِنْهُ لَا يَنْجُو مِنَ الضَّرَرِ
وَلَا يَهْزُجُ الصَّبِيرُ الشَّيْءَ بِالْكَرِّ بَلْ يَتَنَاوَلُونَهُ
وَيَقْدِمُونَهُ لِضُيُوفِهِمْ صِرْفًا بِدُونِ تَحْلِيلَةٍ

(١) موضوع بعضها فوق بعض (٢) قَرِحًا (٣) يكشف
(٤) بقرب (٥) يعلّق (٦) راجعاً (٧) الامور الضرورية

— ١١٨ —

شجرة الشحم

في الصين شجرة تُدعى شجرة الشحم وهي ذات اوراق حمراء وكفجة (١) ضمنها
بزور وافرة . ومتى نضجت هذه الكفاف تنفقت وانفتحت فظهرت بزورها المملأ
بماء زينة يعصرونها ويستخرجون منها دهناً يصنعون منه الشموع
اما اوان جمعها ففي فصل الشتاء بعد سقوط الاوراق . فيجمعون تلك
البزور والّا على النار ثم يدقونها بمدقات في هاون كبير ويشلونهما الى مصاف
يضغطون عليها تلك المادّة المهروسة ويستخرجون عصيرها الشحمي المشاكِل (٢)
الزيت . فترى ذلك العصير والّا كثيفاً خائراً ومخاً . ثم يضعونه في آلة تتدع
عنه الاوساخ فيرسب الدردي (٣) في قرار الوعاء ويخرج الزيت ايضاً ناصعاً
صافي اللون صالحاً لعمل الشمع

غير انه يبقى سائلاً سريع الذوبان بالاشتعال . فيغطي الصانع الشمع
بقشرة من الشم او الشهد ليزيده صلابه وقوة ويلونه بالوان حمراء وخضراء
وصفراء . ومن هذه الشموع ما هو كبير جداً يضئونه في مياكل الاصنام ويرسمون
عليه احرفاً ذميه

اما فتائل هذه الشموع فمن عيلان اخشاب جافة مغشوة ببعض الحناء
تشتعل اشتعال الفتائل النطنية . ولما كان الصينيون على جانب عظيم من
الاتتماد ولا يتركون مادة تذهب سدًى يستعملون تلك البزور بعد عصرها
وقوداً لكوائنهم اوساداً للحولم

قال القاضي ناصح الدين الارجاني في وصف شمعة

وهي من بدائع المنظومات

وَأَظْهَرَتْ قَلْبَهَا لِلنَّاسِ مِنْ فِيهَا	نَمَتْ بِاسْرَارٍ لَيْلٍ كَانَ يُخْفِيهَا
أَلَّا تَرْقِيهِ نَارًا مِنْ تَرَاثُمِهَا	قَلْبٌ لَهَا لَمْ يَرَعْنَا وَهُوَ مَكْتُمٌ
فِي الْحَيِّ يَحْيِي عَلَيْهِ ضَرْبُ هَادِيهَا	سَفِيهَةٌ لَمْ يَزَلْ طَوْلُ اللِّسَانِ لَهَا
انْفَاسُهَا بِدَوَامٍ مِنْ تَلْظِيهِهَا	غَرِيقَةٌ فِي دَمُوعٍ وَهِيَ تَحْرُمُهَا
عَهْدَ الْخَلِيطِ ^(٥) قَبَاتِ الْوَجْدِ يَكْبِيهَا	تَنَفَّسَتْ نَفْسُ الْمَجْجُورِ إِذْ ذَكَرَتْ
نَسِيمُ رَمَجٍ إِذَا وَاقَى يَحْيِيهَا	يَنْشِئُ عَلَيْهَا الرَّدَى مِمَّا أَلَمَّ بِهَا
فِي الْأَرْضِ فَاشْتَعَلَتْ مِنْهُ نَوَاصِيهَا	بَدَتْ كَيْفَ هَوَى فِي اثَرِ غَفْرِيةٍ ^(٦)
مِنْ السَّمَاءِ قَامَسِي طَوْعَ أَعْلِيهَا	نَجْمٌ رَأَى الْأَرْضَ أَوَّلَى أَنْ يَتَوَرَّهَا
فِي وَجْهِ دِهَاءٍ ^(٧) يَزِيهِهَا تَجْلِيهَا	كَأَنَّهَا غَرَّةٌ قَدْ سَالَ شَادُخُهَا ^(٨)
فَكَلَّمَا احْتَجَبَتْ قَامَتْ تَحَاكِيهَا	أَوْضُرَّةٌ خُلِقَتْ لِلشَّمْسِ حَاسِدَةٌ
عَسَاكَرَ اللَّيْلِ إِذْ حَلَّتْ بِبَادِيهَا	وَحِيدَةٌ بَسَاتٍ الرِّيحِ مَازِمَةٌ
أَلَّا وَاقِعَ لِلْإِبْصَارِ دَاجِيهَا	مَاطَبَتْ قَطُّ فِي أَرْضٍ خَفِيَّةٍ

لما غرابٌ نبدو من محاسنها
 فالوجهُ الورْدُ الأُ في تناولها
 قد اثمرت وردةً حمراء طالعةً
 وردٌ تشاك به الأبدى اذا قطعت
 صفرٌ غلاظها حمرٌ عماثها
 كصعدة^(١٠) في حشا الغنماء طاعنة
 ككوة الليل مها اقبلت ظلمٌ
 وصيفة^(١١) است منها قاضياً وطراً
 صفراء حندية في اللون ان فعتت
 فالهندُ تقتل بالبران انفسها
 ما أن تزال بيت الله لاهية
 تحي الليالي نوراً وهي تقتلها
 قدت على قدر ثوبٍ قد تبطنها
 غرغرة^(١٢) ما تنفك قالية^(١٣)
 شباد شعنا^(١٤) لا تنكس غلاظها^(١٥)
 قناة ظلماء ما تنفك بأكلها
 مفتوحة العين تنفي ليلها سهرًا
 وربما نال من اطرافها مرضٌ
 اهلاً بها في سواد الليل معدة
 لولا اختلاف بنا طبعاً بواحدة
 بأنها في سواد الليل مظرة
 ويننا عبرات ان لم نظروا
 ما عاتدها الليالي في مطالها
 ولا رمتها بعيد من احبها

اذا تفكرت يوماً في معانيها
 والقائمة الغصن الأ في تنبها
 تحني على الكف إن اهويت تجيها
 وما طي غصنها شوكٌ يوقيهما
 سود ذوائبها^(١٦) يرض ليلها
 تنفي اسافلها غيتاً اعاليها
 امست لما لحظة الصبح تذكها^(١٧)
 ان انت لم تنكسها تاجاً يحليها
 والقذ واللين ان اتمت تشيها
 وعندها ان ذاك القتل يجيها
 وما بها علة في الصدر تليها
 بش الجزاء لعمر الله تجزيها
 ولم يقد عليه الثوب كاسيها
 تنص لئها^(١٨) طورا وتقليها
 ليل الشبية الا حين تليها
 سناؤها طول طعن اذ يشظيها^(١٩)
 نعم وافناؤها آياه يفتيها
 لم يشف منه بغير القطع شافيها
 اذ المهم دعيت قلبي دواعيها
 وللطباع اختلاف في مبانيها
 تلك التي في سواد القلبي اخفيها
 مغاضها^(٢٠) خوف واث وهي تجزيها
 ولا عذتها العوادي^(٢١) في مباغيها
 كما رمتي بقرب من اعاديها

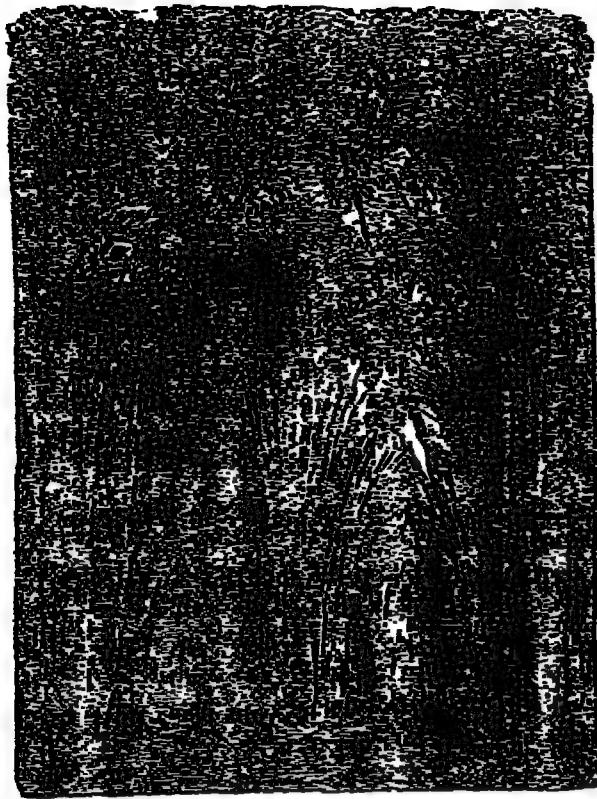
ولا تُكَبِّدُ حُسَادًا أَكْبَدُهَا وَلَا تُلَاحِظْ ^(٢١) بَنِي دَمِيرٍ إِذَا جِئَهَا
أَبَدْتُ إِلَى أَجْسَامَا فِي خِلَالِ بَكِي وَغَرَنِي أَنَّ مَحْضَ الْحَزَنِ نَحْوِيهَا
فَقُلْتُ فِي جَنَحٍ لِيْلِي وَفِي وَاقِفَةٍ وَنَحْنُ فِي حَضْرَةٍ جَلَّتْ أَيْدِيهَا
لَوْ أَنَّهَا عَلِمَتْ فِي قَرَبٍ مِنْ نُصَيْبَتٍ مِنَ الْوَرَى لَكُنْتُ أَعْطَانَهَا تِيهَا
تَرَى الْمَصَابِيحَ زُمْرًا مِنْ جِوَانِبِهَا وَقَدْ جَلَا صَفْحَةُ الْفَبْرَاءِ ^(٢٢) ذَاكِهَا
كَأَنَّهُنَّ نَجِيمُ الْآفَاقِ نَازِلَةٌ جَاءَتْ تُقْبَلُ أَرْضًا أَنْتَ وَاطْمِئِنَّا

(١) سنبلة ممثلة مكترة (٢) موافق أو مائل (٣) الراسب
من الكدر (٤) الشريك المشارك في حقوق الملك (٥) الشديد
الدهاء أو شعر ناصية الدابة (٦) الغرة التي فشت في الوجه من الناصية إلى
الأنف (٧) خالصة المحمرة أو ليلة تسع وعشرين من الشهر (٨) نواحي
أو منبها من الرأس (٩) قناة مستوية (١٠) توقدها (١١) جارية
دون المرافقة (١٢) كثيرة الشعر (١٣) خسارة رأسها أو هاجرة
(١٤) الشعر المجاوز لشعبة الأذن (١٥) منبرة الرأس متلبدة الشعر
ومشرقة (١٦) نواحي أو ضفائر شعر (١٧) يفرقها (١٨) قلة
أو نقص (١٩) أعلاه (٢٠) تسائر بالعلاوة (٢١) الأرض أو
أرض كثيرة الشجر

القنا وورق الكتابة

ان غابات الصين مملأة بشجر القنا البري النافع كل النفع للصينيين .
ولذلك يستنبثونه في منابت خاصة ويبدلون قصارى الجهد في تربيته وتحسينه
وقد عُدَّ هذا النبات من فصيلة الاعشاب لكنه قد يبلغ في المنطقة الحارة

حجماً عظيماً حتى يحكي جذعه جذوع الأشجار الكبيرة. وترى عليه عُقداً تضارع
عُقد سوق المخططة. وله في رؤوس جذوعه أوراق تشبه الريش خضراء كالزمررد
وعلى ذلك كان شجر القنا نافعاً وجميلاً



فلأنكاد ترى بناء او متاعاً في الصين ان برّاً او بحراً الا وقد صُنِعَ من
خشية. ومن ذلك ورق الكتابة. وكيفية عمله ان يغرس الرجل الصالح^(١) بالماء
ثم يترجها ويقطعها قطعاً ويحفظها في الشمس ثم يغليها ويصنع كلب الشمر
المهروس. ثم يترجها بنوع من الصمغ يستخرج من نبات بري. ويدق
الجميع معاً حتى يمتلئ يصب في وعاء

ثم يغرس الطالب المصنوع من خشب القنا في هذا السائل فيلتصق به
لامتزاج هذه المادة مع الصمغ. ثم متى جفّ اضحى متيناً وملساً فيترعه

عن القلب ويشرُّه في الشمس الى ان يحف جيداً ويصير طرياً^(١) صالحاً
للكتابة

فلنا ان للصينيين مزية الاقتصاد ولا يتركون مقدار ذرة ذهب سدى
ولذلك تراهم بعد استعمال تلك الاوراق بالكتابة عليها يلتقطها الشيوخ والبجائر
فيتزعون الحبر عنها ثم يدقونها ويغسلونها ويصنعون منها طروساً جديدة
ويخذون منها العمل حرفة للاستزاق

واذا زرت بيوت الصين رأيت اكثرها مبنياً من قنا وطين عجول
بنته بل ترى القسم الاوفر من الامتعة والاواني والاثاث مصنوعة منه ايضاً

(١) المجدد والغاية (٢) قضبان شجرية مخضرة (٣) صحيفة

—

المدينة العائمة على المياه ومجامر التدفئة

يجري في مدينة كتون نهر كبير عريض يكاد يكون مجراً يقطن على
سطحه خلق كثير ولا يخرج بعضهم الى البر الا نادراً. فترى في ذلك النهر
ميوتا خشبية قائمة على اعلة مغروزة في النهر تبدو لناظرها كعارض فرجة تشاهد
بينها الاسواق والمحلات والمخازن تحلها المياه بتقل القوم اليها على القوارب
وليس لبعضهم ميوت قط بل يصرفون حياتهم كلها في الزوارق. وفي
قنطرة سطح النهر قتره كدبنة كبيرة على المياه وقد تعددت اشكال هذه القوارب
وتنوعت ميثاقها. اما زوارق القراء فمخيفة التركيب مركبة من بضعة الحاج
ملحمة مع بعضها بالمسامير يسوقها الملاح بمخلاف طويل فيخرج ويدخل بين
سائر القوارب آمناً من الانقلاب والغرق

وتجول بين تلك البيوت قوارب الحلاقين الصغيرة . وتعاين اربابها
متصين على الاشغال يمارسون حرفتهم المهمة عندهم . لان عليهم الاهتمام بتربية
خُصَل الشعر الطويلة المسترسلة على اكتاف الصينيين

وتُبَاع فيها كل اصناف الطعام . فتشاهد قوارب برمتها مملآى بالاورز
والبط وغيرهما بالدجاج والحمام وبعضها بالغنم وسواها بالقطط والكلاب واقار
ويطلقون بعض تلك الحيوانات الى البرّ نهراً لاجل المرعى ويأتون بها مساء .
اما اصحاب هذه الحيوانات فيمكنون في بيت من خشب وسط القارب . لان
لكل زورق تقريباً بيتاً خشبياً لسكنى صاحبه وعائلته .

واجل تلك القوارب زوارق الازهار . فانك ترى بيوتها حسنة المنظر
تدلى من سقف جُجَرها المصاييح والفوانيس المتوشة المزخرفة المزدانة بالصُور
والمراني وسائر انواع الزينة

ولا غنياء الصين زوارق على النهر يتناقمون ويتباهون بزينةها وتشمها
وجملها وينتونها على اشكال مختلفة حسب ذوقهم وكما يخاطر لكلٍ منهم . وترتفع
في هذا النهر الضوضاء والمجلبة ^(١) . فتسمع هذا ينادي على بضاعة وذاك يضرب
على الآلة الموسيقية وغيره يساوم لشراء السلع . والشاة ^(٢) تقف والسنابير تقود
والكلاب تنبح وهم جُرا . والخلاصة انك تعاين على وجه المياه زحاما ومشهدا
غاية في الغرابة

وقد يشتد البرد في الصين فتجلد الانهر ويشتد الزهرير فكيف يستدفئون
اذ لا كوانين نار عندهم ولا اثافي ^(٣) . وقد يشتد حرّ الشمس في النهار وان
شتاء فلا يزالون باضرام النيران بل يلبسون جلايب ^(٤) او جيبا او برانس
مبطنة بجلد الغنم . فتى قرس البرد صباحا لبسوا جبّين او ثلاثا ومتى اضحى النهار
وزادت الحرارة خلعوا جبّة وعند الظهيرة خلعوا أخرى وحملوا المظلات اتقاء
حرّ الشمس . وفي المساء يبرد الهواء فيستأنفون لبس تلك الاردية

اما النساء فتتقن قرسهن البرد حمان كاتونا نحاسيا بشكل السلة تغطيه

شعرية من معدن. يضر من فيه نار فم ويتلته حيثما ذهب. ومتى جلس وضعته على المائدة او على الارض ويدفنت يدا رجلين وايدين. واذا حلت القهرمانه^(٢) او المرتبة ولدا فبسطت كانوا صغيرا من ملا النوع تحت قدميه للتدفئة. ولا توقد النساء هذه الجمار الا حين اشتداد صباة البرد وقرس الهواء

(١). اختلاط الاصوات (٢) الضأن والمزى (٣) حجار
يوضع عليها القدر للطبخ (٤) قصان او ثياب واسعة (٥) وكيلة او
امينة الدخل والمخرج

وليمة الصينيين لآفتهم

يحتفل الصينيون بالمدب في الاسواق لآفتهم المصنوعة من الخشب
والبحار ويصلون لها ويستعطفونها بالقرابين والهدايا
دخل احد المباح مدينة صينية فرأى المصاييح والانوار الزاهرة تضيء في
الاسواق والشوارع كان القوم مشغولون بزينة باهرة. ثم شاهد مائدة طويلة
مبسوطة في السوق عليها الصحاف والجفان^(١) الكيرة مترعة^(٢). وهائن في بعض
تلك الجفان اغناما وخنازير مقلوة برمتها. وفي غيرها طيور الازر والبط
وسائر صنوف الطعام الشهية. وكانت الكراسي موضوعة حول المائدة والشوكات
واباريق الشراب والكؤوس كأنها معدة لجمهور المدعوين. واجواق الموسيقى
تضرب على الآلات وتوقع الانحان الشجية^(٣). غير انه لم يكن انسان يونس
تلك المائدة بل كانت مبسوطة للآلة الوهمية والموسيقى توقع لتسليتهم
ثم بعد انقضاء زمان قال الصينيون "فرغت الآلة من مناوله الطعام".
على انه لم يمسن شي من ذلك. فاقبل القوم على الطعام واتهموا عن آخره

ولا يخفى ان بعض الصليبيين يبدون كنفوشيوس الفيلسوف الشهير الذي
 نبع قبل التاريخ المسيحي بـ١٢٠٠ سنة. وبعضهم يبدون بوجه وهو انسان ادعى انه
 تحول الى اله ويقومون له القائل العظيمة في المياكل. ويعد غيرهم اسلافهم ان
 آله اخرى وهمية. غير ان دُعاه^(١) الدين المسيحي دخلوا هذه المملكة القسيية
 منذ عهد غير بعيد وانتشروا في بعض مدنها واخذوا ينشرون انوار الدين
 الانجيلي بين اهلها. فامتدى بعضهم الى الايمان وبرجى ان يعود الدين الحق
 على تلك الاقطار التي يعد سكانها بئثات الملايين

(١) فصاع كبيرة (٢) ملانة (٣) مطربة ومحنة (٤) داعون
 او مبشرون

ابن السماء

هَذَا لَقَبُ إِمْبَرَاطُورِ الصِّينِ . وَيَكَادُ يُحْسَبُ هَذَا الْإِنْسَانُ
 بَيْنَ الصِّينِيِّينَ إِلَهًا وَلَا يَشْرَفُ بِمُشَاهَدَتِهِ سِوَى بَعْضِ الْخَاصَّةِ
 الْهَرَمِيِّينَ مِنَ الْعَرْشِ وَالسُّفَرَاءِ . فَيَهْكُ تُخْجَبًا فِي بَلَاطِهِ
 الْوَسِيعِ . وَلَا يُخْرَجُ مِنْهُ إِلَّا فِي بَعْضِ الْأَعْيَادِ الْكَبِيرَةِ
 وَالْأَحْفَالِ النَّادِرَةِ وَيَحْسَبُ نَفْسَهُ أَسْمَى مَقَامًا مِنْ أَنْ تَرْمَتَهُ
 الْأَبْصَارُ . فَيُخْرَجُ فِي رَأْسِ السَّنَةِ بِهَوَكِبٍ جَلِيلٍ وَبَسِيرٍ فِي
 أَسْوَاقٍ يَأْكِنَ لِزُورِ الْهَيْكَلِ حَيْثُ ضَرِبَ أَسْلَافِهِ . وَلَكِنْ

لَا يَجْرَأُ أَحَدٌ عَلَى أَنْ يُطْلَ وَيُلْحَقَ مِنَ الرُّوَاشِ^(١) وَالْكُوى بَلْ
تُغْلَقُ جَمِيعُهَا وَتُوصَدَ الْأَبْوَابُ وَيُجَنَّبُ الْخَلْقُ حِينَ مَرُورِهِ فِي
مَنَازِلِهِمْ. فَإِذَا وُجِدَ إِنْسَانٌ حَيَّئِدٍ فِي الْأَزِقَّةِ وَالشُّوَارِعِ -
حُكِمَ عَلَيْهِ بِالْإِعْنَامِ. وَيَبْشَى أَمَامَ الْإِمْبِرَاطُورِ الْهِنَادُونَ
هَاتِفِينَ أَحْوَا الرُّووسَ أَمَامَ سَيِّدِ الْأَرْضِ. وَيَسْبِقُ هَذَا
الْمَوْكِبَ إِلَى الْهَيْكَلِ أَمْرَاءُ النَّتْرِ قَادِمِينَ مِنْ أَقْصَى الْهَيْلَكَةِ
وَلَا يَأْتِيهَا التَّخَارِجَةُ يَتَنَظَّرُونَ تَشْرِيفَ سَيِّدِهِمْ أَوْ بِالْحَرِيِّ
إِلَهُمُ الْجَلِيلِ. فَحَالَهَا يَطْرُقُ هَتَافُ الْهِنَادِينَ أَسْمَاعُهُمْ
يَسْقُطُونَ عَلَى الْأَرْضِ قَبْلَ أَنْ تَجْلِيَ عَلَيْهِمْ أَنْوَارُ مَجْدِهِ وَتَبْسُ
وُجُوهُهُمُ الدَّرَى. وَقَدْ يَكُونُ عَدَدُهُمْ زَهَاءَ^(٢) الْهَيْتِينَ. فَيَقْصِمُونَ
عَلَى صُدُورِهِمْ سَطُورًا مُنْظَمَةً وَرَأَهُ بَعْضُهَا وَلَا يَجْرَأُ أَحَدُهُمْ عَلَى
رَفْعِ هَامَتِهِ^(٣) عَنِ الْأَرْضِ قَطُّ

فَقِيلَ إِنَّ أَحَدَ الْأَمْرَاءِ فِي مَقْدَمَةِ الصُّفُوفِ حَاولَ أَنْ يُلْحَقَ
كِسَاءَ الْإِمْبِرَاطُورِ الْأَصْفَرَ فَقُتِلَ فِي الْحَالِ. فَجَنَازُ الْإِمْبِرَاطُورِ
بَيْنَ صُفُوفِ الْأَمْرَاءِ الْهَسْتَلِيِّينَ عَلَى الدَّرَى حَتَّى يَلْغَ صُرْجُ
أَسْلَافِهِ فَيَسْجُدُ بِإِحْنَاءٍ رَأْسِهِ. ثُمَّ يُخْرِجُ مَرَايِينَ سَطُورِ الْأَمْرَاءِ
وَيَعُودُ إِلَى بَلَاطِهِ

وَمَتَّى تَوَارَى عَنِ الْعَبَانِ يَنْهَضُ الْأَمْرُ عَنْ الْأَرْضِ آتِينَ
إِلَى بِلَادِهِمْ. وَيُكَابِدُ هَوْلًا أَمْتَانًا عَرَقَ الْقِرْبَةَ بِالْأَسْفَارِ
مِنَ الْأَقْطَارِ الْقَصِيَّةِ ذَهَابًا وَأَيَّابًا لِلْفَوْزِ بِشَرَفِ السُّجُودِ لَدَى
الْهَلِكِ يَدُونِ أَنْ يَمْتَنِعُوا بِرُؤْيَا طَلْعَتِهِ الْبَهِيَّةِ. وَيَحْسِبُونَ
أَنَّهُمْ نَالُوا كَرَامَةً عَظِيمَةً بِإِخْنَاءِ الْهَامِ^(١) لَدَى ابْنِ السَّمَاءِ.
وَلَكِنَّهُمْ يَتَأَبُونَ عَنْ ذَلِكَ بِأَنْ يُعْطَى لِكُلِّ مِنْهُمْ مَبْلَغًا زَهِيًا مِنْ
النُّفُودِ. وَرُبَّمَا كَانَتْ بَعْضُهَا زَائِفًا أَوْ لَا فِيهِ لَهَ غَيْرَ أَنَّهُمْ
لَا يَجْتَرَأُونَ عَلَى أَنْ يَقُولُوا بَيْنَتْ شَفَعَهُ. أَمَّا الْأَمِيرَاطُورُ
فَيَضْرِبُ عَلَى قَبَائِلِ النَّتْرِ مَكُوسًا^(٢) مِنَ الْإِبِلِ وَالْأَيَّائِلِ
وَالْخَيْلِ وَمَحَاصِلِ الْأَرْضِ فَيُؤْثِنُهَا صَاغِرِينَ^(٣). وَهُوَ يَعْتَبِرُ
هَوْلَاءَ الْقَوْمِ فِي قَلْبِهِ بِهَتَرَلَةِ الْأَرْقَاءِ وَالْعَبِيدِ

(١) كَوَى (٢) مَقْلَر (٣) رَأْس (٤) كِتَابَةٌ عَنِ الشَّدَّةِ
وَالْجَهْدِ وَالْمَشَقَّةِ (٥) رُؤُوس (٦) دَرَاهِمُ تَأْخُذُهَا أَعْوَانُ الْمُلْطَانِ
عَلَى الْمَلْعِ (٧) ذَلِيلِينَ

دولاب الصلاة

ان قبائل النذر يعبدون بوزة غير ان بعضهم معلون موحسون. ويلقب
كاهن بوزة عندهم بلاما ويلبس رداء اصفر طويلاً ويمسح بمسحة حمراء
وعلى صدره خمسة ازرار مذهبة ويضع في عنقه طوق مخمل ارجواني وقلنسوة
صفراء عليها وردة حمراء. ولا يخفى ان النذر يتنافسون بالالوان الزاهية.
ويلقبون كل من ليس من الطنمة الكهنوتية بالرجل الاسود ولا يسمحون له
بالكلم في موضوع الدين واذا تكلم بهذا الصدد ضحك القوم عليه ومزأوا به.
لانه لا يؤذن لغير الكهنة بالوعظ والكراسة

ويعلم اللاما العباد صلوات كثيرة يكررونها مراراً. غير ان العابد يصعب
ويكلم من تكرارها فيلجأ الى دولاب الصلاة لينوب عنه. وهو آلة على شكل برميل
يدبرها الانسان بشد الخيط. فتوضع تلك الآلة في مجرى الهواء وتدور بقوة
تستغني عن الايدي. وهذه الحالة^(١) من ورق ضيق تلتصق عليه الصلوات
التي يكتبها اولئك الكهنة. وكلما أدبرت الحالة مرة كان ذلك كناية عن تلاوة
الصلاة وكلما تكرر دوران الدولاب حسب لمدبره الفضل والثواب قدر
دوراته

رأى احد المرسلين يوماً رجلين يتنازعان ويتشاجران عند الدولاب لان
احدهما كان قد اتى أولاً واداره فجاء الثاني ولوقفة. ثم اخذ الخيط واداره لنفسه
فتحت الاول على الثاني وتشاتما حتى كاد يفضي^(٢) ذلك الى الصفع والملاكمة.
واذا بكامن جاء وحسم النزاع بان ادار الدولاب عنها
ويسكن هؤلاء الكهنة في قصور تدعى اديرة ويفرض عليهم الطواف
حول الدير والسجود على التراب عند كل خطوة. قال احد الساج "يضا

كنت ماراً عند احد هذه الاديرة رأيت رجلاً راکباً بغلاً بقود ورائه جملين .
فأجل البغل وشرد فاقوع الرجل ساحباً معه الجملين فأجفلا ايضاً وهامت ^(٢)
تلك الرواحل ^(٣) في الفلاة على وجهها . فلم اعلم السبب الى ان لاحت مني التفاتة
حيث قد فابصرت كائناتاً منبججاً على الارض بكسائه الاصفر وذرائعاً مبسوطة
ووجهه من الثرى . فنظنت لعل الاجفال وعلمت ان ذاك الكائن يؤدي
الفروض المضمومة عليه لمعبوده

(١) الدولاب والبكرة الكبيرة (٢) يبلغ به الى ايرينهي (٣) ذهبت
وهي لاتدري ابن توجه (٤) من الابل الصالحة لان يخط عليها الرجل



امبراطور اليابان والامة اليابانية

اذا سرت الطرف في مملكة اليابان رأيتها جزيرة جميلة لوفرة حطائنها
الغناء ^(١) واخضرار حشوها وكثرة ازهارها وقظافة اسوانها ومنازلها . واليابانيين
عناية عظيمة ومهارة بخدمة البساتين والرياض وقد فاقوا بذلك اما عديدة .
فترى امام كل بيت حديقة نفيسة تزهر باشجار وازهار منتظمة انتظاماً بديعاً
ولهذه الملكة امبراطوران يسكن احدهما بلاطاً كبيراً تحف به الحلائق
الهيبة والنباتات السامية ويظل محتجباً في قصره ولا يُسمح لاحد بان يراه لانه
عندهم اقدس من ان تبصره العيون . وهو يدعي بالتكلم مع ارواح الموتى . واذا
شاء جعل من اراد قدسياً عند موته . فيصلي الشعب لملا القديس بعدئذ كأنه
اله . فقد صار رجال كثيرون في اليابان قديسين على هذا المنوال . فكان

هذا الامبراطور رئيس ديني بمثله اله

ويحكم على الشعب امبراطور آخر اقل فحجاً من الاول يُدعى طبقون. لا يأذن له الشعب بالخروج من المدينة ويضعون الرقبة والعيون لصدّه عن مبارحة البلد. اما الامبراطور الحالي فقد خرق هذه الحجب والعوائد القديمة لانه رجل عُرِف بالحكمة والحزم والانصاف ودأبه العناية بغير تبعه وترقيهم في معارج الفلاح قد بعث بانجب شبان بلاده الى اوربا واميركا لتلقي العلوم والفنون والصنائع. واحضر من هنالك امهر الاساتذة والصنائع لتعليم ابناء بلاده. وسن للملكية السنن والشرائع العادلة بل تنازل عن بعض حقوقه الموروثة بوضع نظمات اساسية لرعيته وتعيين مجلس نواب جرياً على منهاج^(٢) اوربا المتقدمة

فخططت في بلاد هذا الملك الممالك وتمهدت العرايب ومهدت السكك الحديدية والاسلاك البرقية. وتشيدت المدارس والمعامل. واعطيت حرية الاديان وانتشئت الجرائد ومجلات^(٣) العلم والمكاتب. واخذت ملكة اليابان تجاري الامم المتقدمة في مضمار^(٤) الترقى والتحديث. فبرع اليابانيون في العلوم والصنائع وناقضوا بها مصنوعات اوربا بدقة الصنعة واحكامها وحماها. حتى اقبل سرات اوربا واميركا واعيانها في معرض باريس الاخير على اتباع مصنوعاتهم النفيسة باعلى الاثمان. وتسابقوا على احرازها لرتبة قصورهم ومنازلهم والمباهاة بها. فكان المتاع الياباني الواحد يباع بمئات الليرات. ولا غرو فان ذلك دليل قاطع على سمو قرائح هذه الامة بالاعمال اليدوية

وقد امتازوا ايضاً بفن الزراعة والاقبال على العلوم والمعارف. وقد فُتحت الابواب هنالك لدخول دعاة الدين المسيحي وانتشارهم في تلك المملكة الفسيحة الاكثاف^(٥). فامتدى خلق كثير وقال بالاعمال الانجيلية. وما زالت انوار الدين والعلم آخذة بالامتداد. والترقى سائر على قدم وساق وبضاعة المعارف والآداب رائجة واي رواج. فلا بدع ان حُبيت هذه المملكة بعد زمن غير بعيد في رتبة ممالك اوربا المتقدمة. والفضل في ذلك جميعه

لامبراطورها الحالي الشهم^(٦) الكرم المحكم . ولا ريب في ان هذا الترفي السريع
لن غرائب هذا القرن وبلائه

(١) كثرة الشجر (٢) الطريق الواضح (٣) الصحة فيها
الحكمة (٤) الموضع تضر فيه الخيل (٥) جوانب اونواح (٦) الذكي
النقاد الموقد

— 1001 —

مراوح اليابانيين وحوانيتهم

اصطلح اليابانيون على استعمال المراوح لتبريد اجسادهم بالتهوية في حرارة
الصيف . فيستعملون لذلك مروحين تدعى احدها مروحة الحرب، وهي ذات
غلاف فولاذي محدد الطرف يستخدمة سلاحاً زمن القتال ومتى جلس الياباني
بعد الصلح للراحة استعمل المروحة للتهوية والتبريد

غير انه لا يستعمل هذه المروحة أن العلم بل يجلس في حديقة بيت ويدر
نفسه بمروحة أخرى جميلة . وهي خفيفة جداً حتى لا تكاد تشعر بثقلها ولكنها
تجلب هواً كثيراً . يستعملها بعض اليابانيين احياناً للعب والتسلية . وذلك
بان يقصوا اوراقاً صغيرة ملونة ويصنعونها بشكل فراشات بيضاء ، ثم ينفخونها في
الهواء فتطير ويروحون بالمروحة ترويحاً لطيفاً فتظل تلك الفراشات طائرة
كأنها حية . وتلوح كأنها تطارد بعضها بعضاً وتكاد الواحدة ان تمس الاخرى .
ثم تستقر على ورقة خضراء او على المروحة ثم تطير في الهواء الى امد بعيد حتى
تخال الهواء لا يصلها . غير ان حركاتها تعلق على المروحة . والياباني خفة
ورشاقة غريبة بتليب هذه الفراشات . فيزاول^(١) ذلك في الاسواق والمخاتق
واليوت للهو والتسلية . واذا عايته يمارس ذلك رأيت مشهداً جميلاً يقف
الابصار

واذا سرحت الطرف في جدو حاصمة اليابان رأيت حوائيت ومخازن كبيرة تباع فيها المنسوجات الحريرية والصوفية والقطنية على أنواعها . وفي غيرها الاواني والادوات الخزفية والفولاذية والخشبية الخ . ويبدو لك الحانوت قصراً كبيراً فيه الباعة والكتّاب وحوله رفوف وخزائن ومناضد (١) منتظمة صفوفاً توضع عليها المنسوجات والاواني . غير ان ثخبة البضائع وحجرة الاستقبال في الطبقة العليا . فالى هنالك يصعد المسامون والشارون ويجلسون على مقاعد حسنة مغطاة بنسج احمر . ثم يقدمون للشاري قبل المساومة فنجان شاي وغليون تبغ . فينبأ المجلس برقة يشرب الشاي ويدخن . اما التاجر فيشتغل خلال ذلك بنشر المنسوجات الحريرية والصوفية والخمالية من سائر الالوان واكثرها من صنع اليابان نفسها . لان اليابانيين يربون دود الحرير كالصينيين بل يفوقهم في احكام الصنعة . فينتخب الشاري ما يشاء ويسام ويبتد الثمن

وهناك حوائيت خاصة بالمظلات (شمسيات) واخرى بالمازح وغيرها بالاطية . ومن الغريب ان اليابانيين يصنعون احذيتهم من التبن غير انها قصيرة العمر فيلبسونها بضعة ايام ثم يخلعونها ويضعون اخرى جديدة . فاذا مررت بازقة اليابان رأيت فعلاً كثيرة من هذا النوع ملقاة على الطريق اما عند رات اليابانيين فيركبن في محفة تدعى بالانكين ويسبح لمن بالجولان في الاسواق بدون نقاب . ولكن متى تزوجن حلقن جفونهن وسودن اسنانهن . فذه عادة سبعة تشنع وجه النساء وتشع طلسمهن (٢) . قيل ان علة ذلك كي لا يصبوا الى رؤيتهن احد سوى ازواجهن

(١) حالج وحاول (٢) بظهر (٣) آلة يضد عليها الماع

(٤) روبة اووجه

أمة التتر وبواديها

إِنَّ مَوْطِنَ أُمَّةِ التَّتَرِ أَوْسَطُ أَسِيَا فِي صَعِيدٍ مُرْتَفِعٍ عَنْ
 سَطْحِ الْبَحْرِ يَجْنُو عَلَى جِبَالٍ شَاهِقَةٍ وَبَوَادٍ وَوَاحَاتٍ. وَلَا
 يَغْرُبُ عَنْ فِطْنَةِ قَارِي النَّارِخِ أَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ زَحَفَتْ فِي
 الْأَعْصَرِ الْمَوَسُطَةِ عَلَى أَوْرَبَا وَأَسِيَا بَلْ عَلَى بَعْضِ أَفْرِيقِيَّةٍ
 مَجِيئُهَا الْجَزَارَةُ. وَطَغَتْ عَلَى تِلْكَ الْقَارَاتِ كُطُوفَانِ عَرَمَرَمٍ^(١)
 حَتَّى أَنْ رُومِيَّةَ عَاصِمَةِ الْعَالَمِ الْمَسْمُودِ لَمْ تَسَلَمْ وَفَتِنَتْ مِنْ فَتْكِ
 هَؤُلَاءِ الْجَبَابِرَةِ. فَقَدْ تَخَدَّرَتْ هَذِهِ الْعَشَائِرُ الْعَظِيمَةُ عَلَى إِيطَالِيَا
 وَغَيْرِهَا تَحْدَرُ السَّيْلِ فَدَوَّخُوا^(٢) الْبِلَادَ وَالْعِبَادَ وَسَادُوا عُنُوةً
 بِالصَّارِمِ الْبَنَارِ

وَمِنْ هَذِهِ الْقَبَائِلِ أُمَّةُ الْهَانِسِ وَالْمَغُولِ. وَمِنْ الْأَوَّلَى
 أَيْلًا فَاتِحُ رُومِيَّةِ الْعَظِيمِ الَّذِي كَانَتْ الْوَالِدَاتُ يُخَنِّنْنَ أَوْلَادَهُنَّ
 بِذِكْرِ أَسْمِهِ فَيَرْتَدُّونَ وَيَهْلِكُ قُلُوبُهُمْ. وَمِنْ الثَّانِيَةِ نِيْمُورَلَنْكُ
 وَجَنْكِيَزْخَانُ وَغَيْرُهُمَا

وَالسَّوَادُ الْأَعْظَمُ مِنْ أُمَّةِ التَّتَرِ يَسْكُنُ الْبَوَادِي. وَهِيَ

مَفَاوِزُ^(١) وَافِعَةٌ عِنْدَ حَضِيضِ الْجِبَالِ. وَهُمْ يُقْسِمُونَ إِلَى عَشَائِرِ
شَتَّى مِنْهَا تَرُ الْمَغُولِ وَتَرُ الْقَلْمُوقِ وَتَرُ الْبَجَرِ غَيْرِ. وَجَمِيعُهُمْ
مِنْ نَسْلِ فَاغِي رُومِيَّةٍ. أَمَّا الْمَغُولُ فَكَانُوا فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ
أُمَّةً عَظِيمَةً حَتَّى اضْطُرَّ إِمْبَرَاطُورُ الصِّينِ إِلَى بِنَاءِ السُّورِ
الشَّهِيرِ الْمَعْدُودِ مِنْ عَجَائِبِ الدُّنْيَا لِصَدِّ هُجُومِهِمْ. وَيَبْلُغُ
طُولُ السُّورِ الْمَذْكُورِ أَلْفًا وَخَمْسَ مِائَةٍ مِيلٍ. وَكَانَ عَرْضُهُ
فِي بَعْضِ الْأَمَاكِينِ كَافِيًا لِسِيرَتِهِ فُرْسَانِ مُتَحَادِينَ. وَهَذَا
السُّورُ مَبْنِيٌّ عِنْدَ مَدْنِ الصِّينِ مِنْ حِجَارٍ وَفِي غَيْرِ مَحَالٍ مِنْ
قَرْمِيدٍ أَوْ طِفَالٍ. وَلَمْ يَزَلْ هَذَا السُّورُ بَاقِيًا إِلَى يَوْمِنَا هَذَا
وَلَكِنَّهُ لَمْ يَصُدِّ هُجَمَاتِ التَّتَرِ. فَأَنَّهُمْ غَزَوْا تِلْكَ الْبِلَادَ
وَفَتَحُوهَا عُنُوةً وَإِمْبَرَاطُورُهَا الْخَالِي مِنْ أُمَّةِ التَّتَرِ. وَقَدْ اسْتَوْلَتْ
رُوسِيَا الْآنَ عَلَى قِسْمٍ كَبِيرٍ مِنْ هَذِهِ الْمَمْلَكَةِ. وَمِنْ مَدْنِهَا
خَبَا وَبِخَارَى وَسَمَرْقَنْدُ وَطَشْقَنْدُ. وَقَدْ نَبَغَ فِي هَذِهِ الْمَدْنِ
خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْمُؤَلِّفِينَ. وَكَانَ فِيهَا مَدْنٌ أُخْرَى
عَظِيمَةٌ دُرُسْتُ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا سِوَى أَطْلَالٍ وَرُسُومٍ بِالِيَّةِ
فَانْحَطَ الْآنَ التَّتَرُ سُكَّانُ الْبَوَادِي عَنْ عَظَمَتِهِمُ الْقَدِيمَةِ
وَأَصْبَحُوا شَعْبًا هَجِيًّا فَقِيرًا يَجُولُونَ كَعَرَبِ الْبَادِيَةِ وَيَسْكُنُونَ

أَتَجَامَ. أَمَا هُوَ تِلْكَ اللَّيْلُ فَبَارِدٌ تَعَصِفُ فِي سَهُولِهَا رِيَّاحٌ
 صَرَصَرٌ^(١) وَتَجَلِدُ الْأَنْهَارُ. وَلَا يَدُومُ الشِّتَاءُ فِي بَعْضِ أَمْثَلِ
 النَّارِ أَكْثَرَ مِنْ شَهْرَيْنِ. فَتَحَاكِي فِي بَرْدِهَا الْمِنْطَفَةَ النَّجْدَةَ
 أَمَا الصَّخُوفُ يَدُومُ زَمَانًا طَوِيلًا. ثُمَّ تَهْبُ الرِّيَّاحُ فَتَرْفَعُ الْغُبَارَ
 إِلَى عَيْنَانِ الْجَوْ فَيَسْتُرُ الْأَشْبَاحَ عَنِ الْأَبْصَارِ وَيَسْدُلُ الظَّلَامَ
 ذُبُولَهُ حَتَّى كَأَنَّكَ فِي دُجَى^(٢) اللَّيْلِ الْبُهِيمِ^(٣). فَتَلْتَحِفُ السَّمَاءُ
 بِالسَّحَابِ وَيَهْطُلُ الْغَيْثُ سَيْلًا جَارِفَةً تَرْتَعِدُ لَهْوِهَا الْفَرَائِصُ^(٤)
 فَكَأَنَّ الْغُيُومَ تَجَرَّتْ مِنْهَا أَجْدَاوِلُ فَتُغْطِي الْحُقُولَ وَالطَّرِيقَ
 وَتَطْنِي عَلَيْهَا

وَيَسْقُطُ مَعَ تِلْكَ الْأَمْطَارِ بَرْدٌ كَبِيرٌ يَقْتُلُ الْهَاشِيَةَ.
 فَتَضُرُّ الْأَمْطَارُ بِالْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ ضَرَرٌ الْقَيْظِ^(٥)
 وَتَحْنُ النَّارُ تُضَارِعُ سَحْنَةَ الصِّينِيِّينَ يَنْتَوِ^(٦) عِظَامُ الْخَدِّ
 وَصِغَرُ الْأَعْيُنِ وَسَوَادُ الشَّعْرِ وَقِصَرُ الْقَامَةِ. وَيَبَايِنُونَهُمْ^(٧)
 فِي الْعَوَالِدِ وَالْأَخْلَاقِ. فَإِنَّ النَّارَ أُمَّةٌ مُتَبَدِّلَةٌ شَرِيسَةٌ مُوَلَّعَةٌ
 بِالْحَرْبِ وَالْغَزْوِ وَالصِّدَامِ وَنَحْبُ النَّرْحَلِ وَالْجَوْلَانِ وَالْهَيْامِ
 فِي الْفُلُوتِ وَالْإِسْتِقْلَالِ
 بِخِلَافِ الصِّينِيِّينَ فَإِنَّهُمْ يُؤَثِّرُونَ الْعِيشَةَ الْحَضَرِيَّةَ

وَيَبْتَغُونَ الْحَرْبَ وَيَصْبُونَ إِلَى التَّرَفِ وَالنَّعِيمِ

(١) المرتفع من الأرض (٢) بقعة خضراء أو روضة في قفر
(٣) شديد (٤) قهراً واستولوا (٥) فلولاً لأماء فيها (٦) المرتفع
من آثار الدار (٧) ريح شديدة المهبوب والبرد (٨) ظلام (٩) ليل
بهم أي لا ضوء فيه إلى الصباح (١٠) أوداج العتق أو مقاتلتها (١١) شدة
الحز (١٢) بروز إلى الخارج (١٣) بخالفون (١٤) سعة
العيش والتعم

—x—

موارد ارزاق التتر ومعيشتهم

ان رزق التتر الاوفر من الابل والماشية كالبدو. فتي انجح^(١) الكلا في
حَرَن^(٢) ضربوا فيه المضارب ولبنوا زماناً الى ان تنبج^(٣) الماشية ثم يترطون
يرودون مكاناً آخر ترح فيه قطعانهم. وهم مغرمون بلم الغنم فيقطعون الرأس
اربع قطع ويلقونه في طاجن حديد فيه الماء الغالي ويسلقونه. ثم يضعون اللحم
في احضانهم ويقطعونه بالمدي^(٤) ويأكلونه. ويغسسون القصاع في المرق ويهملون^(٥)
قدر ما يشاهون

ويكثر عندهم اللبن والشاي اما اللبن فمن الغنم والماعز وهم يفضلون لبن
الافراس عليها. والحلب من اعمال النساء اليومية فيصنعن من اللبن كعكاً
بأن يحفرن في الأرض حفراً يضعن فيها طواجن الحديد المألئ باللبن ويضرمن
نحتها نارا. ثم يقف غلامٌ حاملٌ عيناكاً وجلةً لتجديد الوقود. فيغلي اللبن ويحرك
الى ان يثخن كالقشدة ثم يُقَطَّع قطعاً مرّعة ويُنَجَّف في الشمس ويؤكل
ويصنعون ايضاً شاياً كالفرديد. وذلك بأن يبلل اوراق الشاي ويلصقون

بعضها مع بعض يدم الجاموس ويضطونها في قالب ويتركونها حتى تصلب. وتني شاء النثري مناوله الشاي كسره بالناس وفركه بين حجرين ووضعته في اناء حديد ومنج معه قليلاً من الخخض والدقيق واللح وغلاه على النار فكان اشبه شيء بالحساء

ومن حيوانات النثر الثرعوس^(٧). وهو يحول في تلك المناور هائماً على وجهه يسوم^(٨) الكلاً^(٩). فاذا رأى انساناً ركض فاسم في النظر ثم عاد فاتحج الاعشاب. وقد ياكل النثري لحم الجمل وبظنة طعاماً مريباً. ويتنعم بلبن النوق انتفاع غيره بلبن البقر. ويستعمل جلد الابل للآرب شئ فيصنع منه خياماً وثياباً واخذية وسروجاً ويدبقة دبغاً حسناً

ولا ينبغي ان مزنة الجمل الصبر على الجوع والعطش. اما علة ذلك فسنأمله لانها ملائان بمسام صغيرة مذكورة دهناً. فتني نقد طعامه جُيب ذلك الدهن الى معدته فغذاً ما. ولكن ان طال مدة الصوم يرق السنامان ويققلان مادتهما الدهنية فيموت الحيوان. وهو يقنع بالثرر اليسير فقد تكفيه حنة قول او كرسنة وقد يسوم الانجم والعليق والاعشاب الواقعة في طريقه. وعلى ذلك كانت الابل لا تكلف النثري نفقة كثيرة

واما صبره على العطش فنشأ من اكياس صغيرة مدلاة على جوانب معدته تُغص بالماء. فيجذب منها الماء الى معدته جنب الدهن من سناميه فيروي ظمأه امداً وقد يقتل السائح الصادي^(١٠) حمله ويستخرج الماء من اردادته^(١١) المحمية وقاية لحياته. ومن مزايا الابل ايضاً قطع المسافات الشاسعة بدون الشعور بالنصب. وعلة ذلك تركيب اقلها فانها مشطورة الى شطرين او اصبعين طويلين لكل منها ظفر قصير. والاصبعان ملتصقان عند طرفها بنشاء دهني تحته اخمص^(١٢) قرني كثيف يملكه من السير على رمال الصحاري والرمضاء بلين وسهولة

واذا حُك الجمل على السير في البوادي القصية قد تباكل اخامص

قوائمه فتجبر حتى اللحم . فيضطر التتري الى ان يعله يجلد الغنم فينتفع بذلك زماناً . ومتى انقضى هذا الزمان اخذ الحيوان يجمع فيضطجع على الارض ويتعذر على صاحبه انماضه وان نزل عليه بالسياط . فيغادره مطروحاً في الفلاة فريسة للضواري

وتجول في تلك البوادي الخيل البرية جولانها في مغاور اميركا الشمالية . غير انها في هذا الاقليم كثة^(١٢) الشعر متلبدة . وعلى افواها وخطومها ملب طويل يضارع شعر المعزى اسمر اللون في الغالب وبعضه اسود وابيض وتعيش هذه الخيل رجالاً^(١٣) من عشرين الى ثلاثين بالانفراد عن جاراتها كل يسوم الكلاً وحده . ومتى فاجأها عدو انضمت معاً للدفاع عن نفسها وطرده . ومن الداء اعلمها الذئب والتتر

اما الذئب في هذه الصحاري فصارية جناً شديدة النهم مهاجم رعي الخيل جيشاً فتعوي وتكثر عن انباها المرمية القتالة . فتضع الجياد الكبيرة مهارها في الوسط وتقف حولها للدفاع عنها وتأخذ بالصهيل والرفس بجوارفها وتعيج هياج النضب والغيط . غير ان الذئب قد تكون وافة العدد فلا تقوى الخيل على الدفاع فتعدو فراراً من انباها . فتتعبها الذئب وتخطف بعضها وتقتربها

اما التتري فيجشى بأس الذئب ويقتنه فلا يكل ولا يني^(١٤) من مطارده اياماً حتى يدركه ويغتك به . ولا بدع ان مقت التتر الذئب لانها اضري الوحوش واشدها بطشاً بالانسان . فلا يهابه ولا تفر منه بل يهاجمه بمحاربة وحشية . وتغادر الماشية بدون ان تمسها بضرر وتدخل البيوت وقبض على من تصادفه في سيلها من رقبته وتعدو به الى الفلاة حيث تقتربه ولا تغادر له اثراً فاذا لمح التتر ذئباً امتطوا جيادهم واطلقوا لما الاعنة قابضين بايديهم قصباً طويلة في اطرافها جبال لكل منها انشودة . فيرمون تلك الجبال حول عنق الذئب كوميض البرق ويجزونه الى مصرعه^(١٥)

والتدري عناية كبيرة بالخيول المنتهضة من البوادي وهيام جربيل بركوبها حتى يكاد يقضي زمانه على صهواتها^(١٧). فقد يأكل ويرقد ويقضي اشغاله في السرج بدون ان يترجل. ويجاكي التمر هنود اميركا بالكسل والبطالة فلا يجبون الشغل ولذلك ترام قراء صمالك

اما الابرار في تلك المحزون قليلة. وقد تسافر العشرة اميالاً لترود ماء لما ولواشيا. وقد يدحرجون حجراً على فم البئر كما كانت الحال في ايام ابراهيم الخليل. وفي رصفوا الحجر اقبلت المطايا والخيول والاعنام والماعز للشرب. فتزاحمت ودفعت بعضها بعضاً وقماتلت. واذا ورد البئر حمل كبير اجملت الخيل وذهبت لا تلوي على احد وارقع الصهيل والنفار^(١٨) والجناء^(١٩) والتهيق من كل ناحية. وقد تكون البئر عميقة فيدلون اليها الادلية. وهي زقاق من جلد الماعز وخيولها من شعور الابل لعدم وجود تجارين وجبالين في تلك البوادي

- (١) اخصب (٢) سهل (٣) تذهب لخرطاة (٤) سكاكين
(٥) يشربون (٦) الجبل ذات السنامين (٧) ترعى
(٨) عشب (٩) هيتا (١٠) عطشان (١١) اصل الاكام تستعمل
للدراهم والدنانير (١٢) ما لا يصيب الارض من باطن القدم (١٣) كثيفة
الشعر (١٤) القطعة من الخيل (١٥) يتعب (١٦) مقتلو
(١٧) ظهورها (١٨) صوت البقر (١٩) صوت الغنم

— ٢٠٢١ —

بعض غرائب تيبث

تُحسب تيبث اغني مالك المسكونة وافقرها. اما غناها فمن وفرة مناجم

الذهب والفضة . فيلنقط الرعاة ركاز^(١) هذين المعدنين من شقوق الجبال
واخاذيدما^(٢) . وليس فيها نفود نحاسية بل النفود اللرجة عديم في الدرهم
الفضة . واما فقرها فلأن كهنة دينها البوذي وهياكلها تتمتع ثروة سكانها
وتجفف مولد رزقهم

وترى ظاهرا البيوت منشوشا بالالوان الحمراء والصفراء والزرقاء وتلوح
لناظرها جميلة لكنها من داخل دنينة وقذرة وضيقة المجال حتى لا يكاد ساكنها
يتمتع بحرية الحركة . اما معيشة القوم فعلى الشاي غالبا وخبز الشعير الاسود
فالمنطقة لا تبيت هناك لان أكثر ذلك الاقليم جلي قليل السهول
والمراعي

ويشتد قرس البرد في هذه الاصقاع لانها محاطة بالجبال الشاذقة المغطاة
بالثلوج الدائمة حتى يكاد زائر هذا القطر شتاء يموت بردا . فقد مر احد السياح
ببهر فرأى فيه صورا^(٣) ابقار وحشية جامدة لا تتحرك فتعالما تسبح في الماء .
وشاهد رؤوسها وقرونها مرتفعة فوق المياه انما بدون حركة . فذنا منها وامعن
النظر فظنن للسبب وذلك انها غاصت في الماء حين كان آخذا بالجمود فجد
سريعا وفصل قبل خروجها منه حتى لم تعد تستطيع الحركة فطوقها الجمد
من سائر الجهات واماها

ويضطر أهل تيب الى اضرام النار في منازلهم للاصطلاء من البرد
القارس . اما موافدهم فمن طين ويقبون كوة في السقف لخروج الدخان
ويختلف سكان تيب عن تر البادية بأنهم حضر يقطنون الامصار^(٤)
والقرى . اما اولئك فبدو رحل لا يأوون البيوت قط . فانما انما تبيت ابا
تزل المنازل الممورة فلا يبيتون في الفنادق بل يتصبون المضارب في فلولات
المدن وساحاتها كما يفعلون في مجاهل^(٥) البادية ومعالمها^(٦) حيث يضرمون
البران قنبحا ويطنخون الطعام . فانما حاول رب بيت تخلم على طهي طعامهم
على كوابين المطابخ امتنعوا كل الامتناع . فانهم ينظفون مكى القلاة صيفا وشتاء

وَإِذَا أَوَى أَحَدُهُمْ بَيْنًا مَعْمُورًا حَسَبَ ذَلِكَ حِجَابًا لَا يُطَاقُ وَلَا يُصَدَّقُ مَتَى يَفْلَتَ
مِنْهُ وَيَطْلُقُ سَاقِيَهُ لِلرَّجْعِ

(١) قِطْعُ النِّفْثَةِ وَالذَّمْبِ (٢) الْحُفْرُ الْمُسْتَطِيلَةُ (٣) قِطْعُ الْبَقَرِ
(٤) الْمَدِينَةُ (٥) الْأَرْضُ الَّتِي لَا يُنْتَدَى فِيهَا (٦) مَا يُسْتَدَلُّ بِهِ
عَلَى الطَّرِيقِ

ياك تبيت

لِكُلِّ إِفْلِيمٍ حَيَوَانٌ خَاصٌّ يَحْيِي مِنْهُ الْعِبَادُ رِزْقًا وَنَفْعًا. أَمَّا
حَيَوَانُ تَبَيْتٍ فَيُدْعَى يَاكَ. وَيُحِبُّ هَذَا الْبَهِيمُ السَّكَنِي فِي
الْجِبَالِ الْبَارِدَةِ. وَأَمَّا كِسَاؤُهُ فَشَعْرٌ مُتَجَعِدٌ لِيْنِ الْهَلَسِيِّ بِحَاكِي
الْقُرُو يَكْسُ ذَنْبُهُ الْأَرْضَ وَهُوَ يَهِي اللَّوْنُ جَبِيلُهُ. وَلَهُ قَرْنَانِ
يُضَارِعَانِ قَرْنِي الْبَقَرِ وَسَنَامٌ بَيْنَ كَنَفَيْهِ. أَمَّا قَوَائِمُهُ فَقَصِيرَةٌ
جَدًّا حَتَّى تَرَى شَعْرَهُ الطَّوِيلَ يَجُرُّ وَرَاحَهُ عَلَى الْأَرْضِ وَيَجْعَلُ
لَهُ مَنَظَرًا شَنِيعًا. غَيْرَ أَنَّ أَهْلَ تَبَيْتٍ يَحْسِبُونَ هَذَا الْحَيَوَانَ
بِرَكَّةً عَظِيمَةً لَهُمْ

وَذَلِكَ لِأَنَّ لَبَنَ أَثْنَاهُ خَائِرٌ وَدَسِيمٌ وَغَزِيرٌ وَيَصْنَعُونَ مِنْهُ
سَهْنًا لَدِينًا. وَيَجُوكُونَ مِنْ شَعْرِهِ أَرْدِيَّةٌ نَفِيسَةٌ مَبِينَةٌ. وَيَنْسَجُونَ

مِنْ صُوفِهِ الطَّوِيلِ خِيَامًا وَيَقْتُلُونَ مِنْهُ حِبَالًا. أَمَّا ذَنْبُهُ الْبَهِيمُ
الَّذِينَ فَيَسْتَعْمِلُونَهُ لِلزَّيْنَةِ. وَيَسْتَحْدِمُونَ هَذَا الْحَيَوَانَ حَيًّا
رَكُوبَةً^(١) فَيَسِيرُ بِهِمْ فِي الْوُغُورِ وَالْعَرَاقِيبِ^(٢) وَلَا تَزِلُّ قَدَمُهُ.
وَيَصْنَعُونَ لِحْمَهُ طَعَامًا وَفُرُونَهُ أَشَاطَا وَبِصَابَاتٍ وَأَمْعَاءَهُ
أَوْتَارًا وَالْخُلَاصَةَ كُلُّهُ رِيحًا وَنَفْعًا لِبَالِكِهِ. فَلَا يَدْعُ^(٣) إِنْ أَحْبَبَهُ
النَّارِيُّ وَقَدَرَتْ ثَرْوَتُهُ بِقَدْرِ مَا فِي حَوْزَتِهِ مِنْ هَذَا الْحَيَوَانِ
وَمِنْ طِبَاعِ أَثْنَاءِهِ مَحَبَّةٌ فَلَوْهَا حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ الْبَشَرُ مِنْهَا
كَفَّتْ عَنْ إِعْطَاءِ اللَّبَنِ. وَإِذَا ذُبِحَ الْفُلُ أَوْ مَاتَ عَمِدَتِ
الْمَرْأَةُ إِلَى قَوَائِمِهِ فَقَطَّعَتْهَا وَالْقَتْنُهَا أَمَامَ الْأُمِّ. فَتَنْعَطِفُ عَلَيْهَا
تَلْحَسُهَا فَيَدْرُ لَبْنُهَا فَتَنْتَهَرُ الْمَرْأَةُ الْفُرْصَةَ وَتَحْلِبُهَا. وَمِنْ طِبَاعِ
هَذَا الْحَيَوَانِ الْإِتْقَادُ وَالْخُضُوعُ لِصَاحِبِهِ

(١) ما يُركَب من الدواب (٢) طُرُق في الجبال (٣) لا عجب

عيد الزبدة في تيب

يُسَمَّى التَّيْبِيُّونَ هَذَا الْمَوْسِمَ عِيدَ الْأَزْمَارِ لَكِنَّهُ بِالْحَقِيقَةِ عِيدُ الزَّبْدَةِ. فَمِنْ
مَعْرِضِ عَظِيمِ مُؤَلِّفٍ مِنْ رِجَالِ نِسَاءٍ وَحَيَوَانَاتٍ وَأَزْمَارٍ وَمَيُوتٍ وَحَلَاتِقٍ كُلِّهَا
مَصْنُوعَةٌ مِنَ السَّمَنِ

ففي آن اوان هذا الموسم هرع القوم الى تيب قادمين من سائر بلاد التير للفرجة . فتخص الطرق بقوافل الحجاج الاتين لمعاينة هذا المشهد الغريب . ولما كان يوجد في تيب دير عظيم لكهنة يوزده كان لهذا العيد علاقة كبرى بالدير المذكور

اما اعتاد هذا الحفل الغريب فعلى الكيفية الآتية
يهتم التير بهذا العيد قبل اوانه بثلاثة اشهر ينصبون في خلالها على عمل الصور السمينة المزمعة ان تعرض للفرجة . ويشغلون من الصباح الى المساء في عمل الاشباغ على اختلاف اشكالها وانواعها . فتراهم كل دقيقة يغمسون ايديهم في الماء لتبريدها

ويحفلون بهذا العيد في وسط الشتاء ولذلك يعانون من قس البرد الما لا يوصف . ثم متى انجزوا عمل تلك الصور اشتغلوا بتقشها . لان لا بد من ظهورها مكشورة بالكساء الكامل

ومتى بدأ العيد غصت المدينة ورصايتها^(١) بالمخلق حتى لا تنكاد تسع الجماهر المحشدة اليها من سائر الجهات . فتسمع ثغاء^(٢) الغنم وخوار^(٣) البقر ونبح الكلاب من سائر الانحاء . وترى المضارب منصوبة في الفلوات يسكنها الزائرون الذين لم يفوزوا بماوي في البيوت والفنادق . وتعاين هناك قبائل التير وعشائهم على اختلاف ازيائهم وعوائدهم يطوف بعضهم حول الدير ويصيحون على الارض في كل خطوة لاستعطاف يوزده واسترضائه
ثم متى كملت معدات العيد رأيت مشهدا غاية في الغرابة

فانهم يضعون تلك الصور على دكك ومناضد مرتفعة تلقاء المياكل تخطلها آنية حمراء وصفراء . ولما كان هذا الاحتفال يجري ليلا رأيت أضواء وانوارا ملونة بهجة تنير الابصار . ومن هذه القائل والاشباغ ما هو كبير جدا . فتعال الحيوانات السمينة حية تكاد تمشي . وتعاين صور البشر والثور والذئب والغنم وغيرها مما لا يحصى . وتكاد تمس شعرها وصورها لاستجلاء حقيقة الامر

فيا اذا كانت جلودها الرهية اصلية . وتشاهد بين تلك الذي بوزده نفسه
يجلده الايض وشعره الطويل المسترسل . وما يُعجب منه ان الاشباح كلها
من السمن

وفي سائر الاسواق والشوارع لعبات وخيالات سمنية متوشحة بوشاحات
الكهنة . وترى خدام الدين هؤلاء يمشون ذهاباً واياباً بين تلك المعارض . ومتى
فرغ القوم من الفرجة والتفرس بهذه الاصنام بدأت افراح الليلة واناشيدها .
فيرقصون ويغنون ويصيحون ويدفعون بعضهم بعضاً كأنهم أصبحوا بالجنون .
هلا والكهنة يصعدون ويتزلون حاملين مشاعل ملهبة لحفظ نظام الجمهور
والحفاظة على التماثيل من السرقة . ويدوم المرح^(٤) والمرج^(٥) والغناء والرقص
والزعيق الى الصباح . فلا يزرع الفجر حتى ينتهي المشهد ويختم الاحتفال
فيتزلون تلك التماثيل السمنية ويطرحونها في حفرة قرب المدينة فتذهب
اعاب ثلاثة اشهر ادراج الرياح كأنها لم تكن . فقد كابد القوم هذه المشقة كلها
وعانوا نقات السفر وخطارة وبذلوا مقلراً جسيماً من السمن لاجل ليلة واحدة .
ثم تنفض الحفلة وينطلق الزوار مشاة صامتة واديهم مدلاة نحو الارض ولم
يثابوا على ملا الغناء والتفقه الا بهرج ومجون^(٦) وخلاعة ليلة واحدة

- (١) السواد والقرى (٢) صوت الغنم (٣) صوت البقر
(٤) فتنه واختلاط (٥) قلق واضطراب (٦) هزل

هيكل الذهب في تيب

يعمر السفر في تيب لان اكثر طرقها في الجبال الشاهقة ومساكنها حروف
وعرية ضيقة وجرف^(١) تكاد تنهار^(٢) ولذلك كان سلوكها خطراً . وتدعى

جبال نيبث الشمالية الجبال الزرقاء والجنوبية حملايا والبلاد المأهولة واقعة
بينها . اما سكانها فمن عشائر النذر وملوكها شخص يُعجَب منه يسكن على قمة طود
صخري في ناحية لآ

أما لآ فعاصمة نيبث . وبلاط هذا الملك ميكل كبير مشيد بين ميكل
كثيرة حوله . وتعلو ذلك الميكل قبة مصنعة بالواح ذهبية وهو قائم على اعمدة
من نثار^(١) ايضا . وقد مرّ بك ان الذهب يكثر في تلك الجبال
وتزير خفيض هذه الراية كهيئة الدين البرذي وخلق كثير قادمين من
سائر انحاء بلاد النذر وينبطحون على الارض للعبود . فيشرف عليهم الملك ايام
الاعياد والمواسم من رواق بلاطو بغية رمتهم بنظره .

ولذلك البلاط مدخل فصيح تزدو على جانبيه الاشجار الخضفة الجميلة .
ولا يزال غاصا بالزائرين الآتين البعض فرسان والبعض مشاة ليعبدوا
الملك لانهم يعتبرونه كاله ويقولون ان روح بوذه حلت فيه وجعلته قديسا .
وقد عاش في هذا الميكل منذ الطفولة لان الكهنة احضروه اليه منذ كان
صغيرا

على انه ليس من نسل الملوك بل كان ولدا اختاره الكهنة منذ نعومة الاظفار
وملكوه . اما كيفية اختياره ومبايعته فعلى الاسلوب التابع

يطلب الكهنة من الشعب اختيار ثلاثة اولاد واحضارهم اليهم . فيلقون
فرقة باسمهم مكتوبة على ثلاث اسماك ذهبية . ثم يضعون تلك الاسماك في اناء
ذهبي يهزونه لاختلاط الاسماك ببعضها ويكلفون كاهنا برفع احداهما ويقراءون
اسم الولد المكتوب عليها . ثم يبحثون فيحضرون الفتى الذي اصابته الفرقة
بموكب واحتفال ويعينونه ملكا شرعيا او رئيسا دينيا ويحمله الكهنة الى ميكل
الذهب حيث يحضرون عليه اللعب واللهو والركض شأن الاولاد امثاله .
فيفضي حياته في الميكل جالدا على وسادة وهارزا رأسه نحو الشعب القادم
لعبادته بوقار ومهابة

اما بيوت الكهنة فبالقرب من قصر الملك او بالحري الاله ولا يفعلون شيئا سوى العناية بمجدهم. فلا غرو^(٥) ان تكون حياة هذا الانسان ثييلة عليه ومشوبة بالضجر والملال لانه يقضيها سجيناً مقطوعاً عن المباشرة والعلم ومعرفة امور الدنيا. وماذا تفيد هذه الالهة والهة ولا يخفى ان تبيت مملكة مستقلة تدفع عنها جبالها الشامخة^(٦) التي تطوقها. فقد حاول الصينيون مراراً فتحها فاستعنت عليها لمناعتها^(٧) الطبيعية

- (١) عرض الجبل الاملس او ما تسمى قمة السور. (٢) تنهدم
(٣) ذهب (٤) يمتعون ويمجرون (٥) لا عجب (٦) العالية
(٧) لغوتها وشدها

اثر قدم بوذه

إِنَّ أَهْلَ سِيْلَانَ وَغَيْرَهُمْ مِنْ عِبَادِ بُودَهَ يَعْتَقِدُونَ أَنََّّهُ حِينَ
فَارَقَ إِلَهُهُمْ هَذِهِ الْمَدِينَةَ تَرَكَ أَثَرَ قَدَمِهِ عَلَى فِئَةِ جَبَلٍ
شَاهِقٍ يُدْعَى قَنَهَ^(١) آدَمَ. فَيَعْتَبِرُونَ هَذَا الْأَثَرَ أَعْيَاراً لِيُوصَفَ
وَيُزَوَّرَ ذَلِكَ أَجَلٌ مَرَّةً فِي السَّنَةِ وَيَقْدُمُونَ لِبُودَهَ
الْقَرَابِينَ وَالْهَدَايَا

أَمَّا الصُّعُودُ عَلَى ذَلِكَ أَجَلٍ فَبَيْنَ أَعْسَرِ الْأُمُورِ وَأَخْطَرِهَا
لِأَنَّهُ كَثِيرُ الْوُغُورِ وَالْعَرَائِيبِ وَفِيهِ مَخْرُوطِيَّةُ الشَّكْلِ

كَغَالِبِ سَكَّرٍ وَيَضْطَرُّ الْقَوْمُ إِلَى أَرْتِقَاءِ شَعْفَتِهِ^(١) لِبُعَايَةِ قَدَمِ
بُودَه

وَيَجْرِي عِنْدَ حَضِيضِ هَذَا أَجْبَلِ جَدُولُ مَاءٍ يَفُفُ
الزَّائِرُونَ عِنْدَهُ لِلِاسْتِحْمامِ ثُمَّ يَأْخُذُ كُلُّ زَائِرٍ مَنْدِيلَهُ عَنْ رَأْسِهِ
وَيَلْفُ بِهِ مَدْبِئَتَهُ وَيَضَعُهَا عَلَى حَامَتِهِ. وَهَذِهِ الْهَدِيَّةُ مِنَ النَّقُودِ
أَوْ الْأَرْزِ أَوْ جُوزِ الْهِنْدِ أَوْ الْأَزْهَارِ. فَلَا يَجْنَأُونَ هَذَا الْجَدُولَ
حَتَّى تُصْجَعَ الطَّرِيقُ وَعِمْرَةُ السَّالِكِ عَلَى بَعْضِ صُغُورِهَا
الْبَسَاءُ الْبَاذِخَةُ مَوَاطِيَّ مَحْفُورَةٌ بِالْإِزْمِيلِ لِتَسْهِيلِ الْإِرْتِقَاءِ
ثُمَّ يَلْبِغُ الزَّائِرُونَ بَعْدَ مُعَانَاةٍ أَتَعَابٍ لَا تُوصَفُ فِيهِ
الطُّودُ فَيَسْفِرُ لَدَيْهِمْ مَشْهُدٌ طَبِيعِيٌّ بَدِيعٌ يَشْتَبِلُ عَلَى سَهُولِ
الْجَزِيرَةِ وَغَابَايَا وَرِيَاضِهَا. وَلَكِنَّهُمْ لَا يَكْثُرُونَ بِهِ لِأَنَّهُمْ لَمْ
يَصْعُدُوا لِبُشَاهَدَةِ مِثْلِ ذَلِكَ بَلْ لِيَنْشَرَفُوا بِلِثَمِ أَثَرِ تِلْكَ
الْقَدَمِ الْوَهْبِيَّةِ. فَيَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى خِيَمَةٍ صَغِيرَةٍ مَنْصُوبَةٍ
عَلَى الصَّخْرِ مُحِيطٌ بِهَا جِنَارٌ وَهِيَ مَضْبُوتَةٌ بِسِلْسِلَةٍ حَدِيدِيَّةٍ.
وَلَوْلَا هَذِهِ السِّلْسِلَةُ لَنَسَفَتِ الرِّيحُ تِلْكَ الْخِيَمَةَ فَتَهَرَّقَتْ.
فَتَحَتْ هَذِهِ الْخِيَمَةَ الْأَثَرُ الْحَسُوبُ عِنْدَهُمْ مَقْدَسًا. وَهِيَ
مُزْدَنَّةٌ بِالْأَزْهَارِ وَالْمُزَرَكَشَاتِ. وَهَذَا الْأَثَرُ كَبِيرٌ نَحَاكِي صُورَتِهِ

الْقَدَمَ الْحَقِيقَةَ كُلَّ الْحَاكَاةِ. وَالْأَطْرَافُ الْحَقِيقَةُ بِهَ مَطْلَبَةٌ
بِالذَّهَبِ. وَيَقُولُونَ إِنَّ بُودَةَ وَضَعَ قَدَمَهُ الْوَاحِدَةَ عَلَى هَذِهِ
الْقِمَّةِ وَوُثِبَ بِالْأُخْرَى إِلَى الْهِنْدِ

وَلَا يَدْخُلُ الزَّائِرُونَ الْخِيْمَةَ بَلْ يَقِفُونَ خَرْجًا يَتَفَرَّسُونَ
بِالْأَثَرِ ثُمَّ يَنْحَنُونَ إِلَى الْأَرْضِ وَيَرْفَعُونَ رَأْسَهُمْ أَيْدِيَهُمْ
الْمُطَبَّعَةَ مَعًا فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ وَيَهْمِسُونَ فِي خِلَالِ ذَلِكَ صَلَاةً
ثُمَّ يَقْدِمُونَ قَرَابَتَهُمْ فَيَأْخُذُهَا الْكَاهِنُ وَيَضَعُهَا بِضَعِ دَقَائِقَ عَلَى
ذَلِكَ الْأَثَرِ. ثُمَّ يَهْبِطُ الزَّوَارُ عَنْ تِلْكَ الْقِمَّةِ قَلِيلًا وَيَأْخُذُ
أَحَدُهُمْ كِتَابًا دِينِيًّا وَيَقْرَأُ لِلْجُمْهُورِ بِصَوْتِ جَهِيرٍ

أَمَّا الْهَدَايَا فَيَأْخُذُ أَكْثَرُهَا رَئِيسُ الْكَهَنَةِ الْمَقِيمُ فِي
كَانْدِي حَاضِرَةً سِيلَانَ وَالْبَاقِي يَأْخُذُهَا الْكَهَنَةُ الْمَقِيمُونَ فِي
الْخِيْمَةِ. وَلَا يَسْكُنُ هُوَذَا دَائِمًا عَلَى الْجَبَلِ لِأَنَّهُ قَبِيْهُ مَخْطَاةٌ
بِالْغَيْومِ الْهَبْلِيَّةِ فَيَتَعَذَّرُ أَرْتِقَاؤُهُ شِتَاءً بَلْ تَقْصِدُهُ الزَّوَارُ صَيْفًا
فِي صَفَاءِ الْهَوَاءِ وَحَيْثُ تَسْتَطِيعُ الْكَهَنَةُ الْمَكْتُةُ فِي الْخِيْمَةِ

وَالْتَزَوُّ عَنْ ذَلِكَ الْجَبَلِ أَعْسَرُ مِنَ الصُّعُودِ عَلَيْهِ لِأَنَّ
لَيْسَ لِبَطْنِ الْأَبَابِ مَوَاطِئُ كَالَّتِي فِي الذَّهَابِ. لَكِنَّهُمْ
يُدْلُونَ سُلَالِيْلَ حَدِيدِيَّةٍ يَتَشَبَّهُ بِهَا الْقَوْمُ فِي نُزُولِهِمْ. فَإِذَا

تَطْلَعُ النَّازِرُ بِهَا تَحْتَهُ عَرَهُ الدَّوَارِ وَلَا حَ لَهُ كَأَنَّ الطَّرِيقَ
مُعَلَّقَةً فِي الْهَوَاءِ

(١) قلة الجبل (٢) رأس الجبل (٣) عالية (٤) يتكشف
ويظهر (٥) يتكلمون بصوت خفي (٦) مدينة (٧) الرجوع
(٨) (دوخة)

الفيل

اجمع علماء الطبيعة على ان الفيل اذكى جميع الحيوانات فطنةً ونباهةً. وفيه
من انهم ما يقبل به التأديب ويفعل ما يأمره به سائسة من العجود للملك
الى غير ذلك خيراً او شراً في حالتي السلم والحرب
ومن اخلاقه انه يقا تل بعضه بعضاً والمنهور يخضع للناهر. وقد برز
بالانسان فلا يشمر به تحت خطوه واستقامته. غير ان الناظر الى ظاهره يسيء
وشكوه يحكم عليه بالبلاهة. فحينئذ الضخمة^(١) وجلده الاسط العاري من الشعر
وقوائم الغليظة التي كأنها لم تُخلَق للحركة وصغر عينيه وسعة اذنيه المسترخيتين
كل ذلك يدل على اتصافه بالبله. ولكننا اذا اعتبرنا خصاله ظهر لنا خلاف
ذلك وعجبنا من نباهته وفهمه الغريب

والفيل اقدر جميع ذوات الاربع واكبرها. وليس البطش والاذى من طبعه
بل هو رزين الخلق حليم جريء يبدل قصارى الجهد في الدفع عن نفسه
وعن صاحبه. ومن طبعه الموالاة والمؤانسة. واذا تكتب اجالاً^(٢) كان اعظمها
فطنة مدبراً لما وقتلها فتطبعة وتؤدي له الولاء وتقديه بارواحها. وهو يهتم

بأمورها ويحافظ على نظامها ويرود لها المياه وينفرد وحده أحياناً بقية الكلاشة



واتقاء الخطر . ويندود^(١) عنها العدو وييدي فحوما انطافاً وعناية ليست
باقلاً من ولائها^(٢) وخلصها
وإذا سارت القيلة سرياً اعتصرت^(٣) في رجلها اغصان الشجر . وإذا

دخلت مزرعة لا تلبث حتى تفسد الحرت . ولا يكاد يصر فيها عن غارتها عدد
وافر من العساكر المسلحة . إلا ان القناصين يطاردون ما كان تابعاً لها ولا بد لهم
من اعمال السلاح والمجيلة لبلوغ الارب . لان القناص اذا اخطأ ولم يمكنه الحرب
هم عليه عداوة فضره اولاً ببناءه ثم تناوله بخرطوم ورمى به في البحر وراقب
سقوطه حتى يدوسه ويقتله

ومن طبع الفيلة ايضاً المكث على شواطئ الانهار وفي الاماكن النديّة
والنخس في الغياض الكثيفة . وهي تكدر الماء قبل ان تشربه وكثيراً ما تختره في
خراطيمها ثم تشبه اماً للعب او لتأثر من اساء اليها فينطلق انطلاق
الشووب . قيل ان فيلاً كان سائراً وحده في اسواق مدينة قد خرطومته الى
دكان خياط فتمسك احد الصنائع بأبرة ليسلي نفسه واصحابه . فوطن الفيل ذاته
على الاتقام فهد الى بركة قدرة وملأ منها خرطومته ورجع الى الدكان واطلق
ما فيه على الصانع الذي اذاه وبقى عنه ما لحقه من العار

ووجود الفيلة في افريقية على ما يُظن أكثر مما في سواها . غير ان مجانسها
في اسيا اكبر واعظم واوفر نفعا لبني آدم وخصوصاً في الهند فانها تُدرّب وتُضرب
على الشغل والحركة في حالي السلم والحرب على افضل نظام . وتباع حسب
ضخامتها والوانها . ولا يرض منها بعبء اهل بورما وسيام كالاله سجانة . وهناك
ياوي القصور الفسجية وياكل الطعام اللين ويبغين الخدمه ضباط من كبراء
رجال المملكة بل قد تُقرز لاعتاد كورة برمتها . ولا يجمعون عرش الملك الرفيع
كاملاً بدونه

قيل ان اربعة قردين عثروا في سيام على فيل ابيض فكافأهم الملك بأن
اعطى كلّاً منهم الفين وخمس مئة ريال ووظائف والقبابا وغارات . وقال احد
الساج " ميما كنت في مدينة جافا انبأ القوم الملك بوجود فيل ابيض ولكن
لا يمكن اسأكه بدون ائلاف عشرة آلاف زنيل ارز . فاجاب جلالة وما هي
العشرة الآلاف الزنيل بالنسبة للنوز بفيل كريم كهلا . ثم اصدر امره على الفور

بأساكه". وتقطن الافئال البيض احياناً في هياكل نفيسة يخدمها الكهنة والعطاء وتوضع في اعناقها السلاسل الذهبية المرصعة بالحجارة الكريمة ونجمل^(٥) عليها الاجراس الفضية. وتفرش الثياب الجميلات الازهار تحت مواطئ اقدامها عند سيرها في المواكب والمخلات. وتكسى بالانجفة الذهبية والمطرزات الارجوانية. هذه حياة تخدمها عليها سائر افئال اسيا وافريقية بل كثيرون من البشر

ثم ان الفيل متى انتاد كان اطوع والبن جانباً من جميع الحيوانات. ومحبة لسانه احدى العير. فتدري حيث ان غاية حياته ليست الا لخدمة صاحبه وطاعته. ويسهل تعليمه بان ينادى ليهتدي^(٦). ويتودد الى من له به معرفة. ويسمح لمديره ان يركب على عنقه ويسوقه بعضاً من حديد. وفي الغالب تكفي كلمة واحدة منه لحثه على السير. اما الغريب فبهيات ان يطبعة

وكانت ملوك الشرق قبل اختراع البنادق والمدافع يحملون ذخائر الحرب على الفيلة المضرة ويحاربون عليها في شبه مركبات او هودج او مخفات^(٧). اما الآن فأخص قتيها بغية التناحر والمباهاة او لكونها قوية على حمل الاقال اذ ليس صنف من الحيوان يطبق الحمل اكثر منه. فان له قدرة على ان يحير من ثلاثة آلاف رطل الى اربعة آلاف وعلى خرطومه وحده الف رطل. واذا حث على السير مشى في اليوم الواحد مئة ميل تقريباً اما معدلة فخمسون او ستون. واهل الهند يعلمون الفيلة القتل بالجرمين والانتقام منهم فتمزقهم بخرطومها او تنشب فيهم انيابها. ولكنها لا تميل الى ذلك طبعاً فهي انما تفعله قسراً اطاعة للامر

- (١) قطعاناً (مختصاً) بالسباع (٢) يدفع (٣) الهبة والنصرة والقرب (٤) اكلت (٥) تهرّك ونهوت (٦) يركب (٧) مركب للنساء كالهودج

الفيل

٢

ولا ينبغي ان للفيل ناين عظيمين بارزين من فكه الاعلى يستخدما للدفاع
طولما نحو عشر اقدام وما حادان جدا حتى يستطيع بها ثقب اصفى (١) جلد
واغظة. وهذا هو العاج الثمين الذي يستخرجه الفناصون ويسعونه باثمان عالية.
وموالة صيد الكبري. فاذا اسعد البخت قتاصا وفاز بهذه الغنيمة حسب نفسه
قد استعاض عوضا نفيسا عن جميع ما لقي من النصب (٢) بل عن المخطر في
قبضه. قيل ان الفيل يعيش اكثر من مئة سنة

اما خبر طومة فيجب التركيب جريل الفائدة وله ثلاث منافع كبرى. اولها
حاسة الشم فهو كناية عن انف مرن مستطيل يمكنه من شم الطعام المحبوب عن
بصره فيختار افضله بل يشتم به عن بعد رائحة الضواري والبشر فينتقي المخطر.
والثانية امتصاص الماء ارواه لصداه (٣). والثالثة كونه له بمنزلة اليد فيتناول
به ما يشاء حتى اليرة والدبوس

واما طعامه فالاشجار والمحطة والبرور واغصان الاشجار وله ميل خاص
الى المواد الحلوة السكرية

ومن صفاته انه يجتر بعضه بعضا عند دنو المخطر باصوات خاصة. وتبلغ
الرفاه الخفيه لرفاقها بان تصوت صوتا يحاكي تغريد الطيور
وتهاب الفيل سائر وحوش الغاب وتخترقه كل الاحترام ولا ينافزه احد
في سيله حتى الاسد نفسه لا ياتي الانحراف عن الطريق واخلاء مكان
لمروءه. والتمر يتسلق الاشجار عند سماع وطء قدميه. واذا وردت وحوش
الغاب ماء لارواه ظهرا ولحمت الفيل اجعدت عنه واخلت لسيد الغاب هذا
سيلا. فتعز الزرافة عنقها وتصح صياح الفرق. ويغني وحيد القرن كانه

للقوف على الحقيقة ومتى انجلي له الامر ركض يعدو من بأس الفيل . ويجول
الهد وجهه الى الفلاة

ولاتق الفيل انعطاف وعتابة بدغافلها ^(٤) يُجَبّ منها . وتعاني في قطعها
مشقة لا توصف . والفيلة البرية تألف عراجل ^(٥) عددها من عشرين الى
ثلاثين . ولذو القطعان مع بعضها علائق ودبة . وقد تمتزج معا بغية الماشرة
والالة فيبلغ عددها ميتين او ثلاث مئة . واذا ذهبا عدواً بائناً قائد كل قطع
جيشة فزحف بانتظام وترتيب وحارب حرب الابطال

وقد يوجد بين الفيلة فيلٌ وحيد طريد مني ثقتة سائر الافيال ونجانبه .
وهو في الغالب جميل الهيئ الطلعة نفيس العاج . ويظن ان حلة طرده انه كان
ملكاً عاتياً ظالماً ثارت عليه رعيته وخلعت عنها طاعته . او كان شريفاً قتل
احد انسابه او جار على رفاقه ونعدى عليهم . ومما يكن تر هذا الفيل ضد الجميع
والجميع ضده . ولكنهما لا نسيء معاملته بل ترغمة على الاعتزال عنها بل قد
تشرب معة وتقتسل في بركة واحدة . انما لا نسمح له باجياز هذا الحد . فلا تألف
معة قط ولا تعاشره بل تصر على جفائه . واذا صيد معها في وقي ^(٦) واحد ودنا
منها انحلت معاً على ابعاده بالقوة . واذا تجرأ في الفلاة وقصد الاختلاط معها
قائلته الى ان ترغمة على الانزواء والانفراد

ولقص الافيال اساليب شتى . منها انهم يستيرون مكاناً فصيحا بقضب
الخيزران المتينة ويتقنون له باباً للولوج وباباً آخر للخروج . غير ان الباب
الثاني لا يؤدي الى الفلاة بل الى محل ضيق لا يستطيع الفيل فيه حراكاً . فتي
دخل هذه الزريبة ركض للخروج من الباب الثاني فيسبح في ذلك الحبس
الضيق فيوصدون عليه الباب . ومتى وردت الافيال الماء لارواء ظمائها علم
القناصون مكان ورودها وزمانه فشادوا هذه الزريبة في سيلها . ثم متى شعروا
بقدمها اضرموا ناراً شديدة حول ذلك المقص ودردبوا ^(٧) بالطبول ونفخوا
بالزمر فتدعر الافيال وتعدو هائمة على وجوها . ولا ترى سبيلاً الا من ذلك

الباب المتوج قد دخله ولكنها لا تغم حتى تقع في الشرك فتتهيج وتزبد وتخبط
وتحاول كسر الأوتاد انما على غير طائل . ومتى هدا روعها قليلاً ادخلوا اليها
فيلاً مدرّباً اليها فيأخذ بمزاندتها وملاطفتها الى ان يسكن جأشها (١) فتلين
وتقاد للخدمة مع رفيقائها

وقد اجاد الشاعر بوصف الفيل بقوله

تلقاه عند قديم الدوح متصكناً	حليم طبع عظيم الخبير والخبير
كأنه ملك حفت به خول	قامت لهيبته في احسن الصور
حيث الظلال على نيقار قد حجبت	عن حسن مرآة عين الشمس والقمير
وحيث طامر ماء الكنك قد ذهبت	امواجه يذنوب الهند والقدير
وحينك مزدحم الآجام تحميمها	جيشاً تكتب تكتيباً الى الظفير
هناك يرفع ذو الخراطيم في دعة	سلم الجميع جليل القدر والخطير
اذكى البهائم قلباً وهو أقدرها	وما به لبياد الله من ضرر
هناك يظفر دول الدهر عاصفة	صروفه يملوك الارض والبشر
يرى الممالك قد قامت وقد قعدت	بينا هي الصفو اذ بانث على كدر
فها يبالي بهكر الناس تقصده	للتك مكرًا للاسى على حذر
ظنوا انجبارهم في كسر اعطيه	فحاولوه فبش الحصر من وطير
تاهوا بجهلهم جهلاً فما عدلوا	وهيموه وما الداعي سوى الأشير (٢)
ياسعده ان توارى عن دهائم	اذا لبات بلك غير ذي خطر

او كما قال ابن حسن الجوهري

فيل كرضوى (١٠) حين يلبس من رفاق الغيم بردا
مثل الغمامة ملئت اكافها (١١) برقاً ووردا
رأس كقلة (١٢) شامق كسيت من الخلاء جلدا

فترأ من فرط الدلا ل مصعراً^(١٣) للناس خفاً
 يزهو بخرطوم كمثل الصولجان يرد رداً
 يسطو ياربني لجين يحطمان الصخر هذا
 أذناه مروحان أسدنا إلى القودين^(١٤) عقلاً
 عيناه غامرتان طبتنا لجمع الضوء عبداً
 فك كفوته الخلع يلوك طول الدهر خفاً
 تلقاه من بعد فتسببه غماماً قد تبدى
 متاً كبنان الخورق مائلاً في الدهر كفاً
 ردنا كدكة غير مقاتل الأراك نهداً
 ذنباً كمثل السوط يضرب حوله ساقاً وزناً
 يخطو على أمثال اعمدة الحياء اذا تصدى
 او مثل اميال تضدن من الصخور الصم تضداً
 متوارداً حوض المنية حيث لا يشاق ورداً
 متهاكاً فكأنه مطلب ما لا يؤدي
 متلفاً^(١٥) بالكبرياء كأنه ملك مهدي
 أدنى إلى الشيء البعيد يراد من وهم وأهدى
 أذكى من الأمان حتى لو رأى خلا لسا

- (١) ضد مخيف وفي اللارج اسمك (٢) نسب (٣) عطش
 (٤) اولاد الفيل (٥) قطعان الفيلة (٦) الجبل في طرفه انشطرة
 (٧) ضرباً (٨) رواع القلب عند الفزع (٩) المرح والبطر
 (١٠) جبل بالمدينة (١١) جوانبها او نواحيها (١٢) رأس الجبل
 (١٣) مبالاً عن فطر الناس بها ونا (١٤) معظم شعر الرأس مما يلي الاذن
 (١٥) مشتلاً ومغطى

النهر في سيلان

سيلان جزيرة بديعة بضوع^(١) في مواعها الرخيم أَرَج^(٢) الازهار العطرة وتزهو فيها الرياض والحدائق والنباض وتدفق على حصائها^(٣) الينابيع والنهر. وترفع في اقاصيها الاطواد الشماء الممعة الجبال الزرقاء حيث يلجأ القوم ايام الحر والقيظ فيترطبون ويهناون

وتكثر الوحوش الضارية في هذه الجزيرة. غير انه منذ دخلها رجال اوربا اخلوا يقصون تلك الوحوش ويفتكون بها فتكا ذريعا فلا يلبثون حتى يفتنوا ويربحوا الناس من شرها

ومن هذه الوحوش النمر وهو اشد ما فتكا وبطشا وموطنة الغابات حيث تكثر الانجم النباتية والبردي^(٤) والخلفاء. فهناك يكمن في وجاره ويتصد فرائسه فيريض على الارض حتى لا تناد تراه ويدب في الدغل ديبا لا تسمع منه وطء قدميه. فالويل للحيوان الذي يسوقه شوم الطالع الى ذلك المكن فانه لا يعلم بوجود النمر حتى يشب عليه ويقترسه

والقوم في سيلان يخشون بطش النمر جدا واذا طلوا بكوت في ضواحي القرية لا يهدأ لم فرار حتى يقنصوه ويتقوا ضرره. وقد يذهبون لقتله على ظهور الاقبال. فيضعون عليها مركبة تشاكل المودج تتحلج ركاياها بالبنادق والمحراب. غير انهم يدربون الفيل قبيل ذلك ويترنونه بأن يضعوا امامه نرا مصبرا وبأمرونه بدوسه تحت قدميه. غير ان الفيل يذعر جدا من النمر وربما فر عند نظره خيا وان اقبل القوم على تعليمه

ومنى بلغ القناصون الغاب وعلم النمر الكامن قدومهم انسل ونهاري. ولكن اذا كان جائعا او اطلقت عليه بندقيّة فجرحت وشب يزأ زئيرا مرعبا يربح الفيل فيحاول الفرار. غير ان راكبة يرغمة على التقدم ومهاجمة النمر

ويخاف النيل من ان يضر النمر بخراطومه فيرفعه في الهواء ويضربه به ضربة تصرعه الى الارض . غير ان النمر لما كان خفيف الحركة سريع الوثوب



يقفز كالمرّة وقد ينشب على جانب النيل ويتعلّق به بمخالبه . واذ ذاك تشتدّ ازمه^(٥) المخطر على الراكب لان النمر يشب في لحظة الى وسط الهودج . غير ان الرجال يكونون قد هبّوا وبنادقهم وحرابهم . فيطلقونها عليه في الحال فيغير صريعا . اما النمل فيعبره الفرق^(٦) والملع فلا يجبراً على حل النمر على ظهره . وان كان قد أصيب بالرصاص وامسى جثة لا حياة فيها ولا حراك وكا ان للاسد بعض اخلاق الكلب المحمودة كذلك للنمر ما للهر من الاخلاق الذميمة والطباع الخبيثة . ويشبهه ايضا في الهيئة والمخلة مشابهة شديدة غير انه اكبر منه جثة وقدرًا . وهو وان يكن اربع ذوات الاربع لكنه احسنها منظرًا واخفها حركة . فتعومة شعره اليبى وانسداد خصلها المائلة على ظاهر

جنه ذات الصفرة الفاقعة لما يعجب الناظر ويشوقه ان سلم من غوائل فتكوه.
فكان الحكمة الربانية تعلمنا في ما خصت به هذا الحيوان المغتال من حمن
الشكل والروث ان الملاحه والجمال اذا لم يكونا في الجوهر والذات كانا قليلي
الجدوى. وهذا الحيوان ما اخصت به اسيا واكثر وجوده في الهند الشرقية.
ولا يؤثر في قسوة طبعه قسرة او ملاينة. وسواء على خبثه ان ينهش يد مطعمه
او مغذيه. والمتبادر من ظاهر منظره انه ليس شرساً ولا غصوباً. ولكن قد علم
بالخبرة انه اعظم جميع الحيوان بطشاً واشد توحشاً

ومن طبعه الكون بين الاشجار التي على حافة النهر واقتناص ما يعغ له
من الحيوان ويدركه بجمجمة غريبة ولو على امد بعيد. واذا اخطأ طريقه رجع
خائياً. واذا فاز حل قنصته غير مكترث بفعلها وان تكن حيواناً ضحياً كما
يجل المرء الفأرة

والذي علم من اخلاقه ما لم يعد في اخلاق الاسد اللوم والعنف والجبن
اذا دُهِش ومُهِرِم من مقصده. وصيد هذا الحيوان عند بعض امراء الهند مع ما
له من البأس والقوة لمؤمستحب. وجلده غال. ولا سيما في الصين لانه يقتدرش
على كراسي القضاة فيعلمون عليه

(١) تشتر رائحة (٢) الرائحة الطيبة (٣) الحصى (٤) نبات
له ناق طويلة تُصنع منه الحصر (٥) شدة (٦) الخوف

التخل السيلاني او شجرة الخبز

لهذه الشجرة الكريمة جذع طويل مستقيم يرتفع الى علو متي قدم. واوراقها
جميلة خضراء نحاسي المروحة تنفتح وتطبق نظيرها. ومتى تقطعت الورقة كانت

كبيرة جدًا حتى يستطيع ثلاثون رجلًا الظل تحتها . وفي ليست مع ذلك
ثقيلة الوزن بل يمكن رفعها بكل سهولة . ولذلك فصلح ان تكون مظلة حسنة .
فيستعملها العساكر الساعرون في تلك الانحاء فتظللهم من المطر ومن حر
الشمس

وهذه الاوراق صفيقة متينة حتى لا يجرقها الغيث وان مطل سيولاً فهي هائلة
المتنح . ولذلك ترى سياحاً ومسافرين كثيرين يشرون ورقة من هذا الخلل على
اوناد ويظللون تحتها . وقد جرت العادة في سيلان قديماً ان تحمل اوراق
هذا الخلل امام الكبراء والاعيان علامة على رفعتهم وسمو مقامهم . وكانوا يحملونها
مطبوقة كمروحة . ولهذا الشجرة نفع آخر عظيم وهو كون لبها يشبه دقيق
المحطة فيستخرجونه ويصنعون منه خبزاً حسناً

ولا تحمل هذه الشجرة ثمرًا الى السنة الاخيرة من حياتها . فيثبت في رأسها
حينئذ علق^(١) ازهار صفراء جميلة تنتشر اغصاناً كبيرة . ولبراعم^(٢) هذه الازهار
قشور او اغلفة متى اوشكت البروز تشقق بفرقة شديدة وظهرت الازهار . انما
يبقى منها رائحة قوية لا يستطيع ملانها استنشاقها ولذلك يقطعون الشجرة
قبل نزعها

(١) قنوا وكباسة من الخلة او العنود (٢) كيم ثمر الشجر او زهرته
قبل ان تنفتح

الطائر الدنان

لهذا الطائر الجميل أكثر من عشرين نوعاً . أما
موطنه ففي غابات البلاد الحارة في الهند وأيركا . وله منقار

يَنْتَهِي بِطَرْفِ شَيْءٍ بِاللَّوْبِ . وَلِسَانُهُ كَالْمُخْطِ وَرِجْلَاهُ
مُطَاوِئَتَانِ لِلْبَشَى . أَمَّا حُجْبُهُ فَلَيْسَ وَاحِدًا فَقَدْ يَكُونُ أَكْبَرُهُ
مِجْمُ النَّهْبَةِ وَأَصْغَرُهُ مِجْمُ النَّحْلِ وَعَلَى هَذَا يَكُونُ أَصْغَرُ ذَوَاتِ
الْجَنَاحِ .

وَرِيشُ هَذَا الطَّائِرِ يَبْدُو اللَّوْنُ نَفِيسُهُ يَتَلَوَّلُ بِالْوَانِ قَوْسٍ
قَزَحٍ وَيَسِي أَبْصَارَ النَّاطِرِينَ . وَهُوَ عَلَى رَأْسِهِ عِرْفٌ أَخْضَرُ
يَتَأَلَّى كَنَجْمٍ صَغِيرٍ . وَلَا تَكَادُ تُشْرُقُ الشَّمْسُ حَتَّى تَرَى
الدَّنَانِ عَلَى أَنْوَاءِ مُرْفَرَفًا عَلَى الْأَزْهَارِ . وَلِحِفَّةِ حَرَكَةِ
أُحْبِيهِ لَا يَسْهَلُ تَبَيُّزُ لَوْنِهِ إِلَّا مِنْ لَبَعَانِهِ . وَدَابَّةُ النُّقْلِ
مِنْ زَهْرَةٍ إِلَى أُخْرَى وَاسْتِخْرَاجُ مَا تَتَاهَا الْعَسَلِيَّةُ إِلَى أَنْ يَشْبَعَ
جَوْقُهُ . وَلِهَذَا الْغَايَةِ خُصَّ بِلِسَانٍ كَالْهِذْرَةِ صَاحٍ لِأَنَّ
يَنْشَبُ فِي أَكْثَامِ الزَّهْرِ

وَمِنْ طَبْعِهِ أَنَّهُ يُعَلِّقُ وَكْرَهُ فِي أَطْرَافِ الْأَغْصَانِ
وَالْعَالِجِ بِإِثْقَانٍ بَدِيعٍ وَيَحْشُوهُ حَشْوًا لَيْسَ عَلَى إِحْكَامٍ
صِنَاعَتِهِ مِنْ مَزِيدٍ . وَهُوَ خَفِيفٌ كَرِيشَةٍ وَمُدَلَّى فِي الْهَوَاءِ
كَكَاسٍ صَغِيرَةٍ . أَمَّا يَوْضُهُ فَقَدْ رُحِبَتْهُ أَحْمَصٌ وَبَيْضٌ
كَالنَّجْلِ . وَلَا تَرِيدُ عَنِ اثْنَيْنِ . وَيَعَاوِنُ الذَّكَرُ الْأُنْثَى

فِي الْحِصَانَةِ. وَتَنْقُفُ بَعْدَ انْقِضَاءِ اثْنَيْ عَشَرَ يَوْمًا مِنْ وَضْعِهَا.
وَتَكُونُ حَيْثُ يَقْدِرُ الذَّبَابَةُ الزَّرْقَاءُ
وَيَأْكُلُ هَذَا الطَّائِرُ أَحْيَانًا الْهَوَامَّ الْخَبِيثَةَ فِي قَاعِدَةِ
الزَّهْرِ. فَتَنَى لَحْمَهَا بِعَيْنَيْهِ الْبَرَّاقَتَيْنِ أَنْشَبَ لِسَانَهُ بِهَا فَتَلَصَّقُ بِهِ
لِأَنَّ فِي لِسَانِهِ مَادَّةَ لَرْجَةٍ^(١) تُشَبِّهُ الْغُرَاءَ فَيَتَلَقَّفُهَا فِي فِيهِ وَيَلْعَقُهَا
ثُمَّ يَنْشَبُ لِسَانَهُ عَلَى أُخْرَى وَهُوَ حَائِمْ حَوْلَ الْأَزْهَارِ يَدِنُ
بِمَنَاحِيهِ. وَمَتَى فَرَّغَ مِنَ التَّقَامِ الْهَوَامَّ مَصَّ قَلِيلًا مِنَ الْعَسَلِ
وَعَادَ إِلَى عَشِّهِ

فَإِذَا زُرْتَ دَوْحَ هَذَا الطَّائِرِ شَمَمْتَ عَيْرًا^(٢) يَعْطِرُ تِلْكَ
الْأَرْجَةَ وَرَأَيْتَ الْأَزْهَارَ الْبَدِيعَةَ الْغَرِيَّةَ الْأَشْكَالَ تَزِينُ
ذَلِكَ الْآيَكُ^(٣) مِنْهَا بِصُورَةِ النَّحْلِ أَوْ الْفَرَّاشَةِ أَوْ الْفَرْدِ أَوْ
النِّسِ. وَالْأَشْجَارُ الْغَضَّةُ تَهْوِجُ وَتَهَابِلُ بِأَغْصَانِهَا أَخْضَرَاءَ
مَعَ النَّسِيمِ. وَهَذَا الطَّائِرُ وَالْوَفُ غَيْرُهُ تَلَالَا بِالْوَاغَا
النَّفِيسَةِ بَيْنَ تِلْكَ الْغِيَاضِ وَتَسْجَعُ سَجْعًا يَأْخُذُ بِجَمَاعِ الْقُلُوبِ
فَتَشْمَلُ طَرَبًا مِنْ هَذَا الْمَشْهَدِ الْبَدِيعِ

(١) بلع (٢) خشبة ذات اطراف كالأصابع تُقَى بِهَا الْأَكْلَاسُ

(٣) مالان وأخضر من قضبان الشجر (٤) دبق وغروي (٥) اخلاط

من الطيب (٦) الغضة والشجر الملتف الكثير

البيان

ان اصل هذه الشجرة العظيمة بزررة صغيرة تذف بها طائر من رأس ورقة من اوراق النخل الجميلة النابتة في ادواح الهند . ثم فرَّ وغادرها ملقاةً كأنها قد نُسيت . ثم اخذت تفرخ بفعل حرارة الشمس ورطوبة الامطار فبعت لها جذير ثم آخر ثم آخر الى ان ثبتت وتمكنت في اطراف تلك الاوراق السوداء البديعة . فكانت شجرة النخل موطنها ومنبها الوحيد . ثم اخذت تلك الجذور بالنمو والتدلي والالتفاف كشبكة حول شجرة النخل القائمة في الدوح تزهر بقماتها الرقيقة وثباني باغصانها الخضراء . ولكن منذ تشبَّثت بها تلك الجذور وضبطها بقوة لا تقوى على فصلها انقطعت العصارة المتغذية عن السريان في اعضائها واخذت تمضي وتخض رأسها الرفيع وقد زالت تضارعا . وما نشأت الجذور ممسكة بها الى ان بلغت الارض ورسخت في التراب كالنخلة في سالف عهدها . اما الآن فقد انقضى اجلها وقامت مقامها جذور البيان . وتلك الجذور من فصيلة تين يدعى بهذا الاسم . وهذه الدوحة ^(١) غاية في الغرابة لانها لا تثبت كسائر الاشجار بل تنمو على السويين مختلفين متميزين احدهما بالغذاء الطيور البزر كما اسلفنا الكلام . وثانيهما بوسيلة تفوق الاولى غرابة . وذلك بأن تدلي منها حين بلوغ الشجرة النمو الكامل فروع وعسلج تلوح اولاً في الهواء ثم تنمو تدريجاً الى ان تمسّ التراب . فيضرب كل عسلج جذيرة في الارض ويهي ساقاً تغلظ وتصلب على مر الزمان . ثم تدلي غيرها ويصيبها ما اصاب الاولى ويدوم ذلك اعواماً الى ان تبلغ الشجرة حجماً عظيماً جداً وتنتشر اغصانها الى مدى بعيد فقد يكون للدوحة الواحدة منه ساق بفروع متولدة منها يظلل تحمها سبعة آلاف رجل او يزيد . وهي بركة كبيرة لانباء السيل في تلك البلاد الحارة لانهم يظللون تحمها من هيب ^(٢) الشمس ولظاما

والهنود مغمرون بهذه الشجرة ويرغبون في انماها. فيحرمون على الاغصان
عشباً مبلولاً فتسبب الرطوبة للعسلوج نمواً. ثم يصنعون له غلافاً صغيراً من
الخيزران فيجنيه الى الارض حيث لا يعم ويتأصل فيكون اولاً كحل دقيق
وكثيراً ما يصنع الراعي خيمة من شجر البنيان اقلام حرا الشمس. فيجوك
الاغصان معاً ويلاً القسحات الخالية بين سوق الشجر. وفي وقت قصير
يصنع لنفسه خيمة حسنة يستظل بها يراقب قطعة المتبع (٢) الكلا (٣)
والرايض تحتها

(١) شجرة كبيرة (٢) شدة الحر (٣) راعي او آكل (٤) عشب

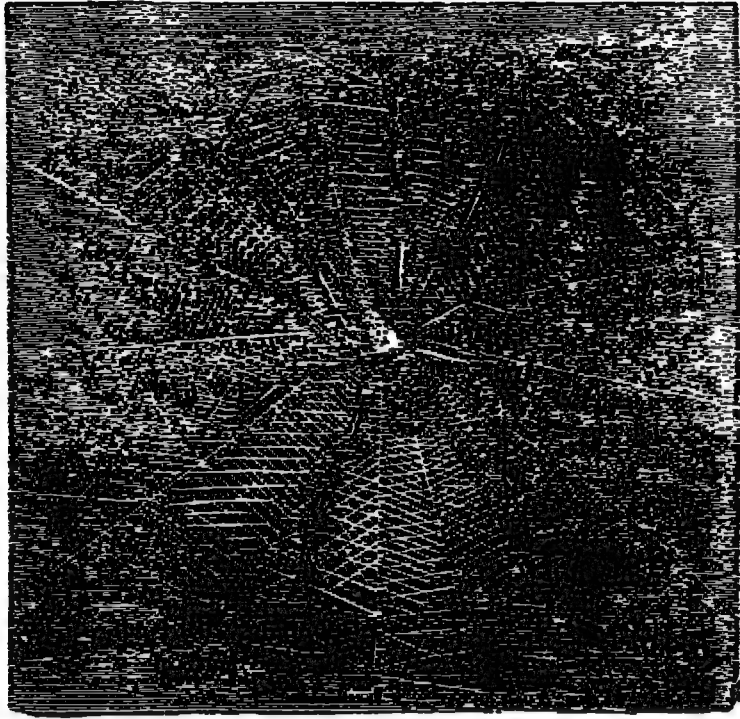


الريلاء القانصة الطيور

ان هذه الريلاء الكبيرة عدوة الطائر الدنان اللدود. فتصيب له شركاً
اذا سقط فيه ميات ان يعلم. وهذا الشرك من نعيمها القوي الذي تحركه.
وهي تصنع لنفسها وكنا قطن فيه وتبطنه بادة رقيقة كالحرير حيث تكمن لفرسها
وتأهب للوثوب على هذا الطائر بعد اشتباكه في شركها. وهذه الريلاء جبارة
بين انواعها. فترى ارجلها بغلظ ريش الدجاجة مغطاة بشعر خشن شائك
اذا مسسته باناملك شاكك والهلك عدة ايام فلها هوشركها الذي تقتس به
الطيور الصغيرة

ومن هذه الريلاء نوع لا يقتصر على الكون في الوكن بل يحول بنية
الصيد فينسلق الاشجار ويختبئ تحت الاوراق. فاذا عثرت هذه الريلاء على
عش الطائر الدنان افترست فراخه. واذا لئمت الام آتية تنشب في الهواء

وتقبض عليها بمخالبها الكبيرة فيعتجبل عليها الفرار
وهذه الريلاء تصيد طيوراً صغيرة أخرى منها خاطف الذباب الذي
يلتق عثة في طرف غصن او عسلوج وهو يشبه كأساً صغيرة يصنع من الزغب
الذي يلتقطه من الهواء
اما موطن الريلاء الكبيرة ففي اشد وامبركا الجنوبية. حكى ان احد السباح



رغب في احضار هذه الهوام الى وطنه في اوربا فسأل بعض الاولاد امسك
واحدة فاحضروا له المطلوب في الغد وذلك بأن ربطوها الى قوس وجروها
على الارض جراً الكلاب

خاطف الذباب

ان خاطف الذباب يشاكل الطائر الدنان جمالاً وهو صغير جداً بقدر
اغلة الاصبع ولا يزيد ثقله عن ريشة واحدة. فاذا جال بين زنايق الماء لا يعمل^(١)
المياه واذا استقر على اوراق النباتات الحساسة لا يتحني ولا ينجبد لعدم الشعور
بثقله. واذا جثم على زهرة كبيرة من ازهار المنطقة الحارة جعلها خيمة يظل تحتها
وهذا الطائر يصنع عشة من زغب يحاكي القطن المتدوف يتناثر من شجرة
قطن حريري تشتق كنانجها ويطير زغبها في الهواء فيلنقطه ويحرك به عشة
يشبه كأساً صغيرة منوطاً في طرف غصن او عسلوج . ولا تقوم هذه المادة مقام
القطن العادي لرقتها فتتشب عليها مئات من الطيور الصغيرة وتحملها بمناقيرها
الى اعشاشها فتصنع بها الاوكار ودثرها^(٢)

اما حجم هذا الطائر فليس واحداً كما علمت في الكلام عن الطائر
الدنان فان منه نوعاً جباراً بالنسبة لسائر صنوفه يبلغ قدر العصفور الدوري .
اما جناحه فزهوان بالوان بيضاء . فتمها اخضر زبرجدي او احمر كالباقوت
او ابيض ناصع كالماس او مجموع الوان جواهر كريمة
ويأوي هذا الطائر المنطقة الحارة ويأكل المولم . فترى الوقامة تلعب في
ايكة لا يفجر انسان ان يسكنها لوفرة الاخطار والاعطاء الكامنة بين ادغالها .
لان الهواء هناك يحمل سماً زعاقاً^(٣) متناثراً من بعض الاشجار والانجم . والافاعي
والحشرات تنساب بين الاعشاب والكواسر الضارية تتجول بغية الفنى
والافتراس. غير ان خاطف الذباب يتكاثر رغماً عن هذه الاخطار المائلة
ويجتر اذبال اتيه والفخار

فتساعن خاطف الذباب يحوم بين سوق الاشجار البائدة والازهار العجيبة
برفرف اجحة مخنقة عظيمة حتى لا تكاد تراه . اما جملة مساكن لا يتحرك .

ثم ينشب متقاربه الطويل في اعماق الزهرة فيسحب الملمة او يمسّ العمل . وهذا الطائر حاد الخلق سريع الغضب فاذا رأى زهرة فارغة من المادة المحلوة حتى تفرق اوراقها وتوحيها قطعاً ونثرها في الریح ومن هذا الطائر نوع يصيد النحل وموطنة اميركا . فيقف على عملوج ان سياج بقرب خلية يراقب خروج النحل ثم يشب ويخطفها الواحدة بعد الاخرى . اما النحل فينتاظ منه لسلية النحل فيأخذ بندقيته ويمكن له يقتصه ان استطاع اليه سبيلاً

وهذا الطائر شديد الغيرة في حماية اناثه لانه يطرد عنها حين الحضنة كل عدو يجترأ على الاقتراف بها . واذا كان عشه في مزرعة لا يجاسر نسر ولا صفر على الايمان لاختطاف دجاج القرويين فان خاطف الذباب ينشب كالهم الماروق^(٤) ويغطي ظهر النسر ويقتله بعنف شديد فيؤثله ويعذبه الى ان لا يرى ندحة^(٥) من الفرار والنجاة

وهو ايضا عدو لدود للافاعي التي تكثر في المنطقة الحارة . وهي سامة دقيقة الرأس فتساقب انسياً خفياً حتى لا تسمع لما مصوتاً . وتدب بين الاوراق والاعشاب فلا تراها . والقوم هناك يخشون هذه الارام^(٦) جداً لانها تدهمهم على حين غرة^(٧) . غير ان جيش هذه الطيور بروع الافعى ويدحرها على الاعقاب فتتلمح خاطف الذباب والدنان الافعى صاناً وزعماً شديداً . فتعلم سائر الطيور علة هذا الصراخ وتبادر جمهوراً واحداً . فتري العنادل^(٨) والزقبيات والدوري وغيرها مقبلة كتائب وكراديس فتأخذ معاً بمطاردة الافعى وطرد ما . فتفرع الحجة لسانها الشائك بدون طائل لان الطيور تحوم فوقها وهي لا تطولها . فلا تغادر الطيور للافعى راحة ولا سكوتاً فتحاول اخفاء نفسها ولا يجديها ذلك نفماً لان الطيور تتبعها تنصب وتصبح صياحاً يرمي بالصم . فكأنها تنادي الانسان قائلة تعال وأعين فقد وجدنا عدوك وعدونا فلم تعاضد على املاكك ان الجوارح بالنظيف تشتغل في اكلها جيئاً يا حبلاً العمل

طارَت الى القفر اتماماً لخدمتها والبحرُ موردها والسهلُ والجبلُ
قَتَّتْ فساد الاراضي وفي حائمه تنفي الخشاشَ بعزمٍ ما يوكلُ
يا ليتَ كُنتُ كرخٍ في عزائمهِ اسعى مُجِدّاً وخلقُ السوءِ اعتزلُ
أجني الأطائب لا كالرخٍ مرحلاً نحو الخبائث بل كالنخل انتقلُ

(١) فحرك (٢) ما يغطي به النائم (٣) المر الغليظ الذي
لا يطلق شربة (٤) النافذ (٥) سعة وفحة (٦) جمع ارنم وفي
اخبت الحيات (٧) غفلة (٨) جمع عندليب وهو المزار

جوز الطيب وكبش القرنفل

في الهند الشرقية جزائر جميلة تدعى جزائر الاطياب فيها منابت الازهار
العطرية وكبش القرنفل والفرقة وجوز الطيب الولدة من تلك الجبهات
اما شجرة كبش القرنفل فبديعة المنظر تضارع شجرة النار . ولزمارها تنم
على اطراف الاغصان غنواً ولونها يشبه الدراق . ومتى ذبلت الزهرة اخذ
توجيهها الخارجي بالاصفرار ثم ضرب الى الاحمرار فتستقط عن الشجرة وضمنها
بزررة واحدة سوداء كبيرة بيضيه الشكل هي كبش القرنفل فيحرقونها بعد جمعها
في الشمس

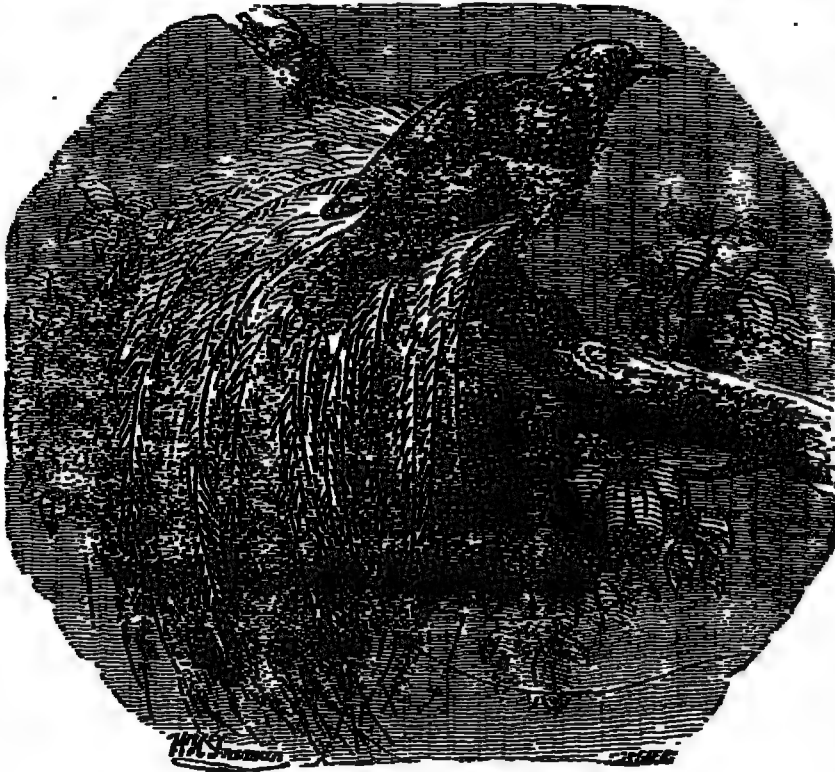
ولهذه الشجرة رائحة عطرية يورج عيبرها الهواء الى مدى بعيد ولكنها لا تنحل
ثمراً الى ان تقوى . فقد يتظر مستنبت هذه الاشجار نزع سنبل قبل استغلاله
كبش القرنفل

اما جوز الطيب فيستنبت الآن في اماكن شتى غير ان تربة الاصليه
في جزائر الاطياب التي كانت من املاك الفلنك . فرغب الفلنكيون

في حصرها لانفسهم ومنع الغير من استنباطها . وقلموا كثيراً منها خشية كثرتها
واتسارها ومنع الغرباء عن التماجرة بها ولكنهم لم ينجحوا في هذا المشروع

طائر الجنة

يقطن جزائر الاطياب هذه طائرٌ هنيئٌ نفيسٌ يدعى طائر الجنة . وهو اجل
اشكال الطيور اجمالاً وافراداً . ويميز وجود نظيره بين ذوات الريش . ولما



كان وجوده في اقصى الممالك الشرقية بقيت معرفة ناقصة عند علماء اوربا الى
ان سافر الاستاذ أسونيراتي الى غينيا الجديدة فكشف الحجاب عنه واتى على
ذكر جملة انواع ما فات وصف الواصفين

ولا ينبغي ان الشيء اذا كان بديعاً عزيز الوجود نشأ عنه اختلاق الرمايات
والاقاويل . فقد زعم البعض ان طائر الجنة لا يسكن الا الجوف قط وانه يقتات
من ندى السماء ولا يقر على الارض اصلاً فقد نفوا بروايتهم هذه لزوم الساق له .
وقد اغتر الاوربيون زماناً طويلاً بتصديق مثل ذلك . ثم لما رأى اهل ملقا
اليهود عندهم هذا الطائر رغبة السياح والمساافرين في شرائه لغربة حسنه وروثه
ريشه واستدركوا ان رجله لا تطابق بدنه البتة قطعوها . فتأيدت بذلك اوهام
الجهلاء التي اعتقدوها بعض التأيد . ولما كان هذا المخلوق حائراً من الهباء
والحسن ما يفوق محاسن الطبيعة بؤاً^(١) مقاماً عالياً اكراماً لشأنه فاطلقوا عليه
هذا الاسم وسيظل الدهر موسوماً به

اما ريش هذا الطائر فناعم كالخجل ذهبي اللون يتغير كلما تغير النور .
وريش ذنبه طويل بديع يزهر بالوان بيضاء وصفراء عجيبة^(٢) تبهير الابصار .
وهو نوعان يتميز احدهما في كبر الفراخ والثاني في كبر القبرة . وكلها يتميزان
عن سائر اصناف الطير ببهاء ريشها وخاصة ريش اذيها الطويلة الدقيقة .
ويطو هذا الريش في اطرافه زغب بارز من اعلى مؤخره ويمتد الى ابعد من
الذنب . غير ان هذا ليس بشائع في جميع انواعه ولكل نوع تركيب خاص
لا يوجد في غيره .

ومن طبعه انه يجمع اسراباً ويختلق الى غياض الجزائر الشرقية حيث
يتوالد . ولما كانت البلاد التي يتناسل فيها عرضة لدواهي الصواعق والامطار
لا ترى فيها حينئذ من انواعه الا قليلاً . فيُظن انها قطعت الى بلاد اخرى .
ثم تحشد في اوائل آب حتى تبلغ عدداً عظيماً فتنبع ملكاً بتقدمها ويقودها
ويهدبها . وقد ميزته عن سائرها بسمو حسن ريشه وروثه وبامروته عليها
واتيادها له عن رضى واختيار . وفي المساء تنزل في الغابة على شجرة حب
احمر يظهر انما تستأثره على غيره من الطعام

وقد انفرد الملك عن غيره بالمحاسن وفاق جميع سوقته . ويقرب حجة من

حجم الثمور واكثر ريشه الخارجى سنجاني وله بريق وبهجة . والوانه تبدو كأنها
حرير لطيف . ويرى له في بعض الحال لون معدني جلّي يأتق . والشابان
البارزتان من مؤخره مسودتان لا زغب عليهما وهما ممتدتان من اسفل
الذنب والجناح عند طرفها شبه طرة شكلها كشكل دائرة كبيرة ذات لون
زمردي لماع . فحينما استقر الملك استقر جذه وحينما طار طارت . وجميعها تحاول
الخفوق عكس مجاري الهواء لان ريشها الطويل ينسف حيث تدور راءها ولا
يعرفها في الطيران . وهي تخلق كثيراً في الهواء لانها كلما طلت بلغت جواً ساكناً
صافياً ونجت من الرياح والعواصف
ولما وجد الافلون من صيد طائر الجنة ويبيع للسياح ربحاً اخذوا يذهبون
الى الحقل المذكور ويخفون بين الاشجار ومعهم القسي والسهام يجهدون في قتل
الملك أولاً لانهم اذا فازوا به سهل عليهم صيد الباقي

(١) اطو (٢) ذهية

الكوكن

حَقِيقَةُ حَالِ هَذَا الطَّائِرِ وَالْبِلَادِ الَّتِي يَعِيشُ فِيهَا لَمْ تَزَلْ
مُحْجُوبَةً . أَمَّا شَكْلُهُ فَمِنْقَارُهُ وَمَخَالِبُهُ أضعفُ وَأصغرُ مِمَّا
لِلجَوَارِحِ . وَلَهُ عَلَى سَطْحِ مِنْقَارِهِ مِنْقَارَانِ مُسْتَدِيرَانِ نَائِثَانِ
يَتَمَيَّزُ بِهِمَا عَنْ سَائِرِ الطَّيْرِ . وَلَوْ بَطْنُهُ أَصْفَرُ . وَتَحْتَ صَدْرِهِ
خَطُّ سَوْدَاكٍ مُعْرِضَةٌ . وَأَعْلَى صَدْرِهِ وَرَأْسِهِ وَأَعْلَى ظَهْرِهِ

مَعْلَمٌ مَخْطُوطٌ سَرَّ جَلِيَّةٍ. وَبَعْدَ قَدُومِهِ إِلَى بِلَادِ الْأَنْكِيزِ فِي
الْغَالِبِ بِشِيرِ الرَّيِّعِ. أَمَّا سَجْعُهُ فَلَا خِلَافَ فِي رَخَائِهِ وَجَبَالِ
إِقَاعِهِ حَتَّى أَنْ أَسْمُهُ نُقِلَ مِنْهُ إِلَى جَبِيعِ اللُّغَاتِ
وَمِنْ طَبْعِهِ أَنَّهُ لَا يَبْنِي عَشَّةً فِي الدِّيارِ وَلَا فِي الْأَشْجَارِ
بَلْ يُودِعُ بَيْضَهُ فِي عَشٍّ غَيْرِهِ وَيَكِلُ إِلَيْهِ حِضَانَتَهَا وَتَرْبِيَةَ
فِرَاحِهِ وَتَنْدِيرِيهَا. وَيَتَوَلَّى الْعَمَلَ فِي الْغَالِبِ الْقَوْبُوعِ وَعَصْفُورِ
الزَّرَّائِبِ. وَإِذَا اتَّفَقَ تَرْبِيَةُ فِرَاحِهِ مَعَ فِرَاحِ الْهَرِيِّ فِي وَكْنٍ
وَاحِدٍ وَوَقْتٍ وَاحِدٍ تَعْدَى عَلَى الْفِرَاحِ الْأَصْلِيَّةِ وَطَرْدَهَا مِنْ
وَطْنِهَا. وَإِذَا نَشَأَ فِرْخُ الْكُوكُو وَكُنْسَى رِيشًا لَا يَتِمُّ حَتَّى
يَنْسَى مَرْيَتَهُ وَيَرْجِعَ إِلَى مَا جُلَّ عَلَيْهِ مِنَ الْأَمْوَاءِ وَالْمُهْلِ
أَمَّا رَحِيلُهُ وَمَاوَاهُ شَتَاءً فَالْعِلْمُ بِهِمَا قَلِيلٌ كَالْعِلْمِ
بِمَاوَى الْخَطَافِ. وَبَزَعَمُ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ يَهْكُثُ فِي جَوْفِ الشَّجَرِ
سَاكِنَ الْحَرَكَةِ. حَتَّى الْإِسْتَاذُ وَيُلُوِي إِنْ جِذْعًا أُخِذَ يَوْمًا
لِيَجْعَلَ وَفُودًا فِي فُرْنٍ وَإِذَا بِالْكُوكُو قَدْ أُنْعَشَ وَخَرَجَ مِنْهُ
لَمَّا أَحْسَنَ بِالْحَرَارَةِ وَأَخَذَ يَزْعَقُ وَيَصِيحُ. فَلَمَّ يَبْقَ أَحَدٌ مِنَ
الْحُضُورِ إِلَّا عَجِبَ وَاسْتَعْرَبَ الْأَمْرَ. وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ يَلْبَثُ عَدِيمَ
الْحَرَكَةِ أَوْ يَقْطَعُ إِلَى الْبِلَادِ الْحَارَةِ لِأَنَّهُ لَا يُطِيقُ الْأَصْفَاعَ

الْبَارِدَةِ . وَقَدْ أَجَادَ وَاصِفُهُ يَقُولُهُ

جَمَالُ الْغِيَاضِ بِهَاءِ الرِّيَاضِ بِشِيرِ الرِّمَعِ حُطِيفُ الْمَفَرِّ
أَذَا الْأَفْهَانُ زَكَا وَالْمَكَانُ زَمَا وَالزَّمَانُ خَلَا عَنْ غَيْرِ
نَزَلَتْ لَدِينَا نَزُولًا كَرِيمًا وَأَطْرَمَتْ كُلُّ شَيْءٍ ذِي عَيْرِ
يَقُولُ لَكَ الرُّوضُ حِينَ تُبَاكِ رُ مَغْنَاهُ أَمَلًا وَسَهْلًا وَنَزْرَ
أَنْجَبُكَ يَهْدِيكَ إِلَى ثَوَمٍ وَجَدُكَ يَهْدِيكَ صَدَقَ الْأَثَرُ
فَطُوفُ الْبِلَادِ الرِّيِّ وَالْوَهَادِ وَتَجْنُو الرِّقَادَ لَيْلِ الْوَطَرِ
يَرَاكَ الْغَلَامُ إِذَا خَامَ حَوْ لَ الْبِشَامِ لِيَجْنِي غَضَّ الزَّهَرِ
فَيَدْمَشُ شَوْقًا إِذَا مَا شَجَاهُ رَجِيمُ غَنَائِكَ عِنْدَ الشَّجَرِ
فِيهِسِي بِجَاوِلٍ مِنْ فِيهِ قَلْبٌ شَدُوكَ ^(٢) وَالطَّرْفُ عَنْهُ حَسِرُ
أَلَا يَأْكُثِرُ الرَّحِيلُ وَيَذُقُ الرَّعِيسِلَ ^(٣) وَخَلَّ الرِّيِّ وَالشَّيْرِ
إِذَا مَا أَلَمَّ الشَّتَاءُ بِأَرْضِ تَبَاعَدَتْ عَنْهَا وَرُدَّتْ أُخْرُ
فَرَوْضُكَ طُولَ الزَّمَانِ تَضَيَّرُ وَجُوكَ خَالَ عَنِ الْمَكْفَهَرِ ^(٤)
وَشَدُوكَ رَاعِي السُّرُورِ وَعَامُكَ صَحْوٌ وَرَغْدٌ صَفَا عَنْ كَدَرِ
فِيَا لَيْتَنِي كُنْتُ اسْتَطَعْتُ طَيْرًا إِذَا لَصِقْتُكَ بِجَرٍّ وَبَرِ
وَجُلِبَا الْبِلَادِ وَزُرْنَا الْعِبَادَ وَحَزْنَا الْمَرَادَ وَنَلِسَا الْوَطَرَ

(١) بارزان (٢) ترنم (٣) دليل الخيل (٤) المظلم

الهوامُ المضيئة

ربما فطرت المحابب المصانة في الدارج (سراج الليل) تضيء في الظلام
وشاهدت نورها القليل المألق كهم صغير على الأرض. فهي تضيء لهدي ذكرها

الذي يطير الى مكان وجودها . ولا يخفى ان نور هذه الدودة ضعيف بالنسبة الى الهوام والحشرات الاخرى

وتكثر هذه الحشرات في الجزائر الشرقية حيث تضيء كصايح مشتعلة . فيستغني القوم بضوئها عن المصايح العادية فيقرأون ويشتغلون على نورها كما لو كانت شموعاً . فهذا النور لا ينبعث من الزيت ولا من البنزول ولا من الشم بل من هذه الجُمل المجموعة معاً والموضوعة في مصباح قطع وتثاقق وتنبعث بالنور الكافي للاضاءة . وهي نافعة كل النفع لاهل تلك البلاد . فاذا مشى احدكم في الظلام ربط خنفسة بكل من رجليه فتسيران له ويبصر الطريق . والزيغيات مغربات بالزينة فيضعن هذه الجُمل الثلاثة على شعورهن فتلع كالجواهر . ومتى ذهبت فتاة الى مرقص الصفتها بكساتها كله . فلا تأخذ في الرقص حتى ترى كأن رداءها منسوج من حمرات نار

وتوجد ايضاً فراشة كبيرة تُدعى ذبابة النار تبعث من رأسها نوراً بهياً . اما هامتها فكبيرة مستطيلة معلّنة بالوان خضراء وحمرات . ومتى خيم النسق رأيت رأسها الكبير يلع كأنه شعله نار . فتستطيع ان قرأ أدق الحروف على نوره . واذا رام الانسان مشعلاً عليه ان يربط بضع ذبابات منها بطرف عصاه فيغوز بأنور مشعل واجهه

أهدي لاحدى السيلات صندوق من ذبابات النار فسمعت في الليل طيناً شديداً . فدعرت ومضت من فراشها واضاءت شمعة وفتحت الصندوق لتعجلي حقيقة الامر فرأت الصندوق مشعلاً كأنه بتار مُضرم . فراعها الامر ورمت بالشمعة من يدها . واذا بالذبابات طارت من الصندوق ولاح كأن رأس كل منها جنوة نار محلدة . ففطنت لعل ذلك واخذت تجبها واحدة واحدة وتعيدها الى الصندوق . اما موطن هذه الهوام في المنطقة الحارة في الهند واميركا

طبقات أمة الهند

تُقسم الأمة الهندية الى اربع مراتب وُفِرَق . الاولى البراهمة وهم كهنة الهنود ويُفَرَض عليهم اتفاق حياتهم في الدرس والتأمل في الامور المقدسة . والثانية الامراء ورجال الحكومة والجنود . والثالثة التجار والفلاحون . والرابعة الصناع والفعلة ويُلقَّبون بمودرا

ومن اساطيرهم انه لما خَلَق الانسان خرج الكهنة من قم برهم والمساكين ذراعهم والتجار من صدره والصناع من رجليه . وعلى ذلك كان البرهي اسمي الكل مقاماً فيجول مطوّقاً عنقه بحبل ايض يتوقع ان يجترمه الجميع ويحطّوه . وبعض البراهمة باتسون صعايلك غير ان ذلك لا يقلل من عجبهم وخيالاتهم (١) . وقد يكون الصانع ذا ثروة واموال وافرة غير ان ذلك لا يحوّله اعتباراً وكرامة بين سائر الرتب . فلا يكاد يتنازل البرهي للكلام مع او النظر اليه . اما الصانع فيوقر البرهي كل الوقار ويفعل كل ما يرضيه . فيخدمه ويشفق له الحطب ويحلب الماء ويشغل كرفيق

اما البرهي فيكافئه بمدي قليلاً نحو دلالة على اعطائه البركة . وقد نحل بالبرهي المتربة (٢) والقر المدقع (٣) ويثري الصانع حتى يضطر الاول الى ان يجدم الثاني . فيستخدم عنده كطاهي طعام . لكنه وان بلغ هذه الدرجة لا يُفْلَح عن صلفه (٤) وعجبه بل يثني متخيراً ويزدري بسببه . فتري آل المراتب الثلاث الاولى يترفعون عن معايشة اهل الرتبة الرابعة والاختلاط معهم

وتوجد فِرَق اخرى كثيرة اصغر من هذه . يدعى ادناها پارياه وهي مردولة جداً وتُعامل معاملة الكلاب . حتى ان المودرا تفسد لا يدع ثوبه يمس احد ابناها لئلا يتجس . واذا دنوا من احد غيرهم اشار اليهم يده كي يتعللوا عنه ولا يمسوه

وتحاول بريطانيا الحاكمة ودعاة الدين المسيحي هدم هذه المحاجر وإبطال هذه الرتب الطائفة معلّين الشعب بقول رسول الامم "ان الله صنع من دم واحد كل امة من الناس يسكنون على كل وجه الارض" وبأن نفس البارياه الخيرة عندهم لما قيمة ثمينة عند الله كنفوس البرهي. ولكن قل من يلتفت الى هذا التعليم. غير ان تلك العوائد قد تناقصت قليلاً وبرجى ان تزول على مر الزمان مع امتداد المعارف والتقدم

واذا قال احد هناك بالدين المسيحي خسر شرف رتبته فكان ذلك عندهم مثابة خسارة الحياة. فيمتنع اعز انسابه حتى زوجته وولاده ويطردونه من بينهم ولا يسمحون لاحد من قومهم بالدنوسه والتكلم معه

(١) كبرياتهم (٢) القتر (٣) الشديد (٤) كبرياء

مستشفى الحيوانات في الهند

يعتقد البراهمة بتناسخ الارواح وبانتقال نفس الميت الى جسم انسان او حيوان او طائر بل الى جسم هامة او حشرة ولذلك يابون قتل كل حي من مخلوقات الله. وقد يضع بعض البراهمة قطعة نسيج رقيقة على اقدامهم لئلا تدخل فيها هامة او ذبابة فتبتلع

وفي صورات مستشفى كير الحيوانات حيث يعنون بتمريضها كل العناية. فاذا شاغ كلب او حصان وتعدّر عليه الشغل حبل الى المستشفى فيصرف هناك سائر ايامه. واذا مرض حيوان او الم به عارض أخذ اليه فيعاجم ويخدم قارى في ذلك المستشفى الخيل والبنغال والتم والمزى والمجور والقرود والافبال ونحوها. ويقول كبراء البراهمة ان ملا المستشفى أسس رافة بالحيوان.

غير ان هؤلاء البراهمة انفسهم المدّعين بالشفقة على الحيوانات البكم يستأثرون الموت على الاكل مع احد السودرا اما البارياه فلا يمسه البرهي بانمله . قيل ان جماعة من البارياه ركبوا يوماً قارباً يختر في النهر فاقبل القارب من فيه . وكان هنالك جمهور براهمة في وسعهم انقاذ اولئك المنكودي الحظ فلم يمدّ احدٌ منهم يدًا لاسعافهم خشية القدس من لمسهم

— ١٠٠ —

مدارس الهند

ومتى بلغ الغلام الهندي الخمس سنين ارسله ابوه الى مكتب القرية حيث تُقام المدرسة غالباً في القلعة . فيجلس الغلمان متربعين تحت ظل اشجار التخل الجبيلة على جلد غر او ضد او على حصر مصنوعة من اوراق التخل . وتبتدى المدرسة باكراً جداً في الصباح قبل حمو الشمس . ومتى حي العجير انصرف التلاميذ (واُغْلِيت الابواب)

فيُعلم الولد الاحرف الهجائية ويُطلب منه كتابتها على التراب بانمله . ومتى تقدّم في المعرفة كتبها على ورقة التخل فكانت له بمنزلة اللوح . اما قلعة فمعدّة من القصب او قضيب من الحديد قصير محدّد الرأس . ويجلس المعلم على الارض وتلاميذه جلوس حوله فيتلوا الاولاد الدروس مرّتين في النهار واذا غلطوا ان تكاملوا ضربهم بالقضيب

واجرة التعليم بخسة جداً . فان الولد يؤدي لعلوه عند اوّل مجيئه الى المدرسة نحو عشرين بارة شهرياً ومتى استطاع الكتابة قدّه غرضاً ومكناً كلما ترقّت معرفته زادت الاجرة

فيُعلم الغلام الصلاة للآلهة والقراءة البسيطة والكتابة . واذا رام الترقّي وكان قادراً على الشفقة تعلم لغات الهند وقواعدها واصول الحساب وكل ما في وسع

استاذهم تعليمية . والمعلمون في الغالب براهمه اوسودرا
ومنى ناهز الولد التسع وكان والداه من فرقة البراهمة طلبا انتظامه في
سلكهم لانه يحسب الى ذلك الحين من طائفة السودرا . وقد يطلق الولد ومن
في هذا السن قاصدا حج بعض الاماكن المقدسة وكثيرا ما لا يعود الى بيته
اما كيفية انتظامه في سلك البراهمة فهي انهم يعطونه اولاً الحبل المقدس
المبروم من ثلاث خصل . كل خصلة تدل على واحد من الالهة الثلاثة برهم
ووشنو وسيفا . ويجمع البراهمة الياف هذا الحبل من نبات يخلونها معاً . ولا تمسه
سوى ايديهم

ولما كان هذا الاحتمال يقضي بدعوة ضيوف كثيرين والقيام بفروض كثيرة
كان جريل التفقات وافر الاتعاب يتعذر على البراهمة القراء اجراؤه بدون
اسعاف مالي . فيضطرون الى التمول من جيرانهم الاغنياء
فيأديرون مآدبه كبيرة الواحها الارز والفاكهة والسمن وجوز الهند وما اشبه
ذلك . ويلتزمون ان يطهروا الطعام في طواجن جديدة يتعاونها هذه الغاية
ولا يستعملونها بعد ذلك قط . فيجلس الغلام على كرسي والحي ويدهن بالزيت
ويلبس كساء جديداً ويوضع في عتق طوق مرجان ودمالج في ذراعيه وتكفل
عيناؤه بالاشد

ويجلس والداه بجانبه والنساء يغنين له ويشدن ويدعون له بالتوفيق
والفلاح . ويمحرون له فروضاً واحتفالات اخرى بطول شرحها . هذا والولائم
قائمة على قدم وساق واصوات الغناء والمغاف وآلات الطرب ترن في المنزل
عدة ايام

اما ملارس دعاة الدين المسيحي والحكومة الانكليزية فتختلف عن ملارس
الهندويين في النظام والادارة واصول التعليم وفروضه

بيوت الهند

يُوتُ الْفُقَرَاءُ فِي الْهِنْدِ دَنِيَّةٌ لِلْغَايَةِ وَهِيَ أَحْقَاشُ ذَاتُ
غُرْفَةٍ وَاحِدَةٍ جُذُرَانِهَا مِنْ قُضْبِ الْخَزِرَانِ الْمَشْبُكَةِ مَكْسُوءَةٌ
مِنَ الدَّخْلِ مُحْضَرٌ وَمُطَيَّنَةٌ بِالسِّيَاحِ^(١) وَسَقْفُهَا مِنْ دِمَامٍ^(٢) وَتَيْنِ
وَكَثِيرًا مَا تَرَى أَمَامَ هَذِهِ الْخِصَاصِ سِيَاجًا كَثِيفًا أَوْ تَوْحَ^(٣) نَخِيلٍ
تُحْجِبُهَا عَنِ الْأَبْصَارِ

أَمَّا خَاصَّةُ الْقَوْمِ فَيَبْنُونَ بِيوتَهُمْ مِنَ الْأَجْرِ وَالْمُجَرِّ حَوْلَ
دَارِ قِسْمَةٍ . وَلِلْغُرَفِ أَرْوَقَةٌ تُشْرِفُ عَلَى دَاخِلِ الدَّارِ
وَلَيْسَ لِلْفُقَرَاءِ أَثَاثٌ وَرِيَاشٌ^(٤) يَذْكُرُ بَلْ يَقْتَصِرُونَ عَلَى
حَصِيرَةٍ يَجْلِسُونَ عَلَيْهَا وَيَرْقُدُونَ وَيَتَنَاوَلُونَ الطَّعَامَ . وَلَيْسَ
عِنْدَهُمْ كُرَاسِيٌّ وَلَا مَوَائِدُ بَلْ يَقْتَنُونَ فَصْعَةً خَرَفٍ لَوْضَعِ
الْأَرْزِ وَسِرَاجًا مَصْنُوعًا مِنْ قِشْرِ النَّارِجِيلِ وَمَلَاعِقَ خَشَبِيَّةَ
وَحَجَرَيْنِ يَسْتَعْمِلُونَهَا كَهَاوِنٍ وَمَدَقٍ

وَلَا يُيَالِي الْأَغْنِيَاءُ أَيْضًا بَكْرَةً الْأَثَاثِ إِلَّا مَتَى رَغِبُوا فِي
تَقْلِيدِ الْإِنْكَلِيرِ . فَيَرْكَبُونَ غُرْفَهُمْ حَيْثُ يَأْمَنُ أَعْيُنُهُمْ تَعَبُرُ

الْحَرَكَةُ ضَمْنَهَا . أَمَّا أَرْضُ الْغُرْفِ فَجُرْدَةٌ مِنَ الْبَسْطِ
وَالطَّنَافِسِ^(١) إِذْ لَا حَاجَةَ إِلَيْهَا لِصِقَالِهِ سَطْحُهَا بَلْ يَنْشُرُونَ
عَلَيْهَا نَسِجًا أَيْضًا وَيَضَعُونَ وُسَادَاتٍ لِلتَّوَكُّو^(٢) . وَيُدْلُونَ مِرْوَحَةً
كَبِيرَةً مِنَ السَّقْفِ بِشُدُونِهَا مَجْطِطَةً فَتَهْتَزُّ ذَمَابًا وَآيَابًا لِتَبْرِيدِ
الْهَوَاءِ

وَيَنْزِلُ الْهِنْدُ أَقْصَى الْجَهْدِ فِي تَبْرِيدِ الْيَتِ . فَتَرَى لِكُلِّ
الْغُرْفِ شُرْفًا وَحُصْرَ خَيْرَرَانٍ مَدْلَاةً مِنَ الرُّوْاشِينِ^(٣) وَلَا يَكْفُ^(٤)
الْحَدَامُ عَنْ رَشِّ الْحُصْرِ بِالْهَاءِ لِتَرْطِيبِ الْهَوَاءِ حِينَ دُخُولِهِ .
وَيَسْدُلُونَ حَوْلَ الْفُرْشِ لَيْلًا سَتَائِرَ رَقِيقَةً أَثْقَاءَ الْبَعُوضِ .
وَحَالَهَا تَغْرُبُ الشَّمْسُ عِنْدَهُمْ يَدْلُهُمُ الظَّلَامُ إِذْ مَا مِنْ شَفَقٍ
فِي تِلْكَ الْبِلَادِ . وَمَتَى خَبِمَ الْغَسَقُ وَتَرِكَ مَنْفَذُ مَفْتُوحًا هَجَمَتْ
جِيُوشُ الْهَوَامِ إِلَى الدَّاخِلِ وَأَخَذَتْ تَحُومُ حَوْلَ الْهَصَائِجِ
بِكَثْرَةٍ عَظِيمَةٍ حَتَّى تُطْعَى الْأَضْوَاءُ

- (١) بالطين (٢) ما يطلى به (٣) مجمع الأشجار (٤) لباس
فاخر (٥) العجائن (٦) الشبايك

النهر المقدس

ان الهنود يعتقدون قسماً وافراً من اوقاتهم في الحجّ وزيارة الاماكن المقدسة التي منها مدن واقعة على ضفاف نهر الكنك الشاغل مساحة كبيرة من تلك البلاد. ويعتبر الهنود هذا النهر مقدساً ويقصدونه من سائر الجهات للاستحمام بما هو زاعمين ان له خاصة الطهر من الائم . واذا مات المتغسل فيه كان على يقين من الدخايل الى السماء

وقد جاء في اساطير البراهمة. ان علة قلعة هذا النهر كون زوجة سيوا احد آلهتهم وضعت يدها على سيل اللهب امام عيني زوجها. فاخذ نظام العالم برهة واحجب بصرياً بنشاة. فتضايق جداً وقطرت من جبينه قطرات ماء كانت ينبوع نهر الكنك فاخذ يجري ويقذف منذ ذلك الحين

وفي الهند انهر اخرى مقدسة يقصدها الحجاج . واذا تعذر على الهندي زيارة النهر حاول جلب النهر اليه بأن يستخدم قفلة يجلبون له الماء في جرار موضوعة في سلال تحمل على الاكتاف بواسطة دقراية لان الحمل على الرأس عندهم امر ديني ولا يفعل ذلك الا الاوباش والرعاع

وقد يبيع الهندي هذا الماء على سيل التجارة . وكلما كان النهر بعيداً زاد الثمن . ويستعملون كمية وافرة من هذا الماء في مياكل الاصنام لرش التماثيل . ويخضع الحمالون الناس بأن يأتوا بالماء من نهر قريب او بركة عادية ويدعوا انهم جلبوه من نهر مقدس

ويسافر الحجاج قاصدين الانهر المقدسة في فصل الشتاء (ان صح وجود هذا الفصل عندهم) فتري البعض مشاة حاملين المزود على اكتافهم مزدانة بريش الطاووس . والبعض فرساناً يجتالون على متون الجياد . والبعض في عجلائ فجل على رؤوس خيلها الاجراس . ولولاداً حاملين خرافاً وجداً على اذرعهم .

وشيوخاً يسبحون مرتجفين يتوكلون على اولادهم عابدين ان شمس حياتهم اوشكت
الغروب فيرغبون ان تتوفاهم آلمهم على ضفاف النهر المقدس . وتعاين مع هذا
الركب ايضاً رجالاً يجتمعون على ارجلهم ويكابدون اشد العناء في التقدم الى
الامام طامعين في القاء عكاكيزهم والانتفاس في النهر حتى الفرق . لانهم يخالون
ذلك طريق السماء والنبطة

ومتى بلغ الزائر نهر الككك جلس عند ضفتيه وخلق رأسه طارحاً الشعر
في النهر المقدس . زاعماً ان كل شعرة تمس الماء تقوله مليون سنين سعادة في
الفر دوس . وعندما ان بعض الاماكن من نهر الككك اوفر قلعة من غيرها .
وعلى ضفة النهر حيث ينحدر من الجبال ويجري الى السهول قرية خيرة لا تزيد
يومها عن الالف عدداً يحترمونها كل الاحترام

ويبلغ عدد الحجاج في بعض السنين مليوناً وخمس مئة الف نسمة . ومتى
تجتمع هذا الجيش الجرار تزل بعضهم في البلد وتصب غيرهم المضارب خارجها
واقظروا سروح الفرصة الملائمة للترول في النهر . ثم يعطي احد البراهمة الاشارة
المعيّنة فيبادر الحجاج للانخراط في الماء وبأخفون بالمشاجرة والتراع والملاكمة
بنية السبق اولاً الى المياه . ولما كانت طرق المدينة ولزقتها ضيقة كان الزحام
عظيماً جداً وقد يموت بعضهم من شدة الضغط

غير انهم منذ عهد غير بعيد وسعوا الاسواق لدره اخطار كهذه . ولكن ما
من مانع يقف في سيل هولاء الاغنياء ليصدّم عن اغراق انفسهم في النهر . اذ
كثيراً ما يمشي احدهم الى النهر رابطاً جريّين فارغبين على خاصرتيه لتمتعاه من
الفرق غير انه يملأها بكأس في يده فيهبط الى العنى . والبراهمة يصيحون
ويضحون الى ان لا يعود يرى له اثر فقد ذهب شهيد الخرافات والاهوام

بنارس

هي اقدس مدينة في الهند. وفي اعتقاد البراهمة ان من سكن فيها ولو زماناً
وجيزاً لا بدّ من ذهابه الى السماء. وهي واقعة على راية تشرف على نهر الكنك
وهي ملاءة بالمياكل الواصله الى حافة النهر. فاذا دنوت من هذه المدينة رأيته
ضيقّة الشوارع والاسواق حتى يكاد يتعذّر على الراكب اجتيازها في بعض المحالّ
اما يوعى على الجانبين فتوشك ان تمسّ بعضها بعضاً واروقتها ورواشنها
في بعض الاماكن متصلة بعضها ببعض من جانب الى آخر فتظلم اخاش^(١)
متداخلة الى السقوط مظطاة بالغبار ونسج العنكبوت الذي يحاكي الغلالة^(٢)
ويبدو كسائر مدلاة من الحائط. وهذه الاماكن الرثة مكسوة بصور الفيل
والقرد والجمل والطاوس

ومض المياكل مزدان بنقوش جميلة تمثل الحيوانات والازهار واغصان
الجمل لان الهند هياماً بتزيين ابنتهم بالنقوش والصّور. ويستعملون غلباً في
تقشيم اللون الاحمر البادية صوره محمقة الاعين رائعتها. وتعاين في تلك الشوارع
الضيقّة ما لا يكاد يُحصى من الحيوانات فضلاً عن ازدهام اقليم البشر
ومن هذه الهائم الجاموس المقدّس الايض اللون وله سنّام بين كتفيه.
وهو حاجن^(٣) اليك يحول في الازقة والشوارع جولان الكلاب في بلاد الشرق
ولا يخطر على بال احد ابتلاؤهم لاثمهم يعتبرونه مقدّساً. وعلى هلاكه كان مطلق
الحرية فيهم على وجهه ويضع خطمة في ابواب البيوت والحوانيت كأنه يسأل
اربابها طعاماً فلا يخلطون عليه في سؤله. او يضيّع متدداً في الشوارع فيشغل
الاماكن القليلة الفارغة ولا يسهل انهاضة لاثمهم يحسبون ضرورة وازعاجه خطيئة.
ولمّا اصبح كسلاً قليل الحركة. وبعض هذه الجواميس تشغل قليلاً غير ان
القوم يعاملونها معاملة الاحترام ولا يجرّأون قط على قتل احدها

وفضلاً عن هذه الجواميس توجد قروء مقدسة . قيل ان فاتح مدينة سيلان كان المأ بصورة قرد ولذلك تقضي قروء بنارس حياة الرخاء والكل . وتخشى في بعض انحاء المدينة وتسلق سفوف المياكل وتثبت بالاعمدة والوتاد النائمة كما تنعل في غاباتها الطبيعية . فلما اقتصرَت على ذلك لما كان منها كبير ضرر لكتفها تدخل رؤوسها في حوانيت باعة الفاكهة والحلواء وتخطف ما تقدر عليه . واذا رأت ولداً في السوق حاملاً يده زائداً تلب عليه وتخطف الطعام من يده . والخلاصة ان اضرارها مما لاحد له

(١) بيوت صغيرة (٢) ثوب رقيق كالشاش (٣) (جوي)

—x—

غياض الهند

وبعض حيوانها وطيرها

في واسط الهند سهلٌ فسيح يعود الطرف عنه كليلاً . لكنه لا يشبه حزون اميركا التي اسلفنا الكلام عليها بل هو سهل خصيب مثير تجري في اديمه الانهر الكبيرة فتسقي وتكسوه بالاعشاب والاشجار . والهند عناية تُذكر بزراعة الارض وفلاحها كعناية اوروبا المتقدمة . وقد اتانا الانكليز بما لا يكاد يخص من النباتات النافعة فجاءت واخصبت . من ذلك الارز وقصب السكر والنبيلة والقطن والافيون وغيرها

اما بعض اقسام هذه السهول الخصبة فتعذر زراعتها لان الاشجار والانجم متلبدة فيها ومشبكة حتى يكاد يستحيل على البشر خرقها . وهذه الغابات ممتدة الى مسافة اميال كثيرة . واذا سار فيها جيش شاكي الملاح رأى قطعها فوق طاقتهم لان فروع ذلك الابك منتشرة انتشاراً يُعجب منه . فتعابن الافنان

الفضة تهر في بضعة شهور ثم غريباً حتى يبلغ طولها ستين قدماً ونيفاً . والانجم
الشائكة والفتاد تاكل فراغ وفحة . والاعشاب نفسها تزيد عن قامة الانسان
طولاً وهي لينة اللس كالحرير . واذا حاول الانسان المرور بينها ضل عن سبيله
لا محالة

والانكليز مواقف ومخافر في هذه السهول تمك في الجنود حفظاً للنظام
يُدعى بعضها مخافر الغياض لقربها منها . وبزور النمر القاطن تلك الغابات
احياناً هذه المواقف ويخطف انساناً ويطلق به الى عربته ^(١) فيقتله . واذا
اشتد به القرم ^(٢) زحف الى البيوت ودخل الاصطبلات ومرايط الخيل وخطف
منها ما تيسر فربما كان او حماراً .

ولذلك مال هذا الوحش المسمى بالنمر الملكي امل تلك البلاد فبذلوا
قصارى الجهد بقصه حتى امست مطاردته عندهم عملاً عظيماً يتنافسون به
غير ان عدواً لدوداً غير الانسان ينافس النمر في اقصى غابو حين
يتمدح على الصياد بلوغه . وهو افعى لثامة تنساب بين الاوراق اليابسة او تلتفت
حول الاشجار . فتضطج النمر للرقاد وحوله عظام الفرائس تدلت تلك الافعى
فوقه من غصن وافرغت منها بفتوة . فينهض النمر ويحار ويهجر ويكاد يهتز
غيظاً . غير انه لا يقضي زمان طويل حتى يصري السم الى سائر اجزاء جسمه
فيستط جثة لا حراك بها

اما مخافر الغابة ومنازلها فتدعى بانغالو . وهي ميوت برية مبنية من الطين
سقفها من سباع او قريد . تفتح حجرها الى رواشن في صدرها شباك ^(٣) من
خيزران حفر من دخول الضباع والذئاب اليها . اذ يضطر سكانها الى فتح
الابواب لئلا لشدة الحر ولولا تلك الشباك دخلت الضواري الفرف وخلفت
من ارادت لانها تيجول حول الرواشن تزار وتعي عواها مائلاً
وقد تخفي المرر البرية تحت الجدران فتقاتل قتالاً مخيفاً وتوه مواء
شديداً . وتسمع عوي جيوش بنات آوى الجائلة في تلك الانحاء وصرير

المراصير وقت الضفادع كأنها تناظر بعضها بعضاً في الزعيق والضوضاء حتى
يغتر الرقاد الأعلى الذين تعودوا على هذه الأصوات المائلة فلا تزعجهم^(٤) كثيراً
فيضع القوم أسرهم المرتفعة جداً عن الأرض في وسط الحجرة خوفاً من
الحشرات اللداعة التي تدب على الأرض ويرخون عليها الكلال^(٥) بأحكام وضبط
حذراً من البعوض . ويضطرون إلى الإسراع جداً في الدخول تحتها ويلبثونها
حولاً جيداً لأن البعوض النائم يراقب سحوب فرصة الدخول فإذا لم يجد
الإنسان ولج فليست وحرمة لذة الوسن^(٦)

ويشاهد الساكنون في ضواحي هذه الغابات مخلوقات بديعة نادرة المثال .
من ذلك الحمام الأخضر والبنفسجي الصدر يخفق أسراباً . والدوري الأصفر
الصدر اللامع الذي يجالئ الناظر غيوماً ذهبية . والطيور الدنائة . وطيور الشمس
المائلة كجواهر طائرة في الفضاء

ومن هذه الطيور الغيمة البيضاء الهيئة الريش العائشة بسرور على أشجار



الغابة فإذا زرت ذلك الدغل سمعتهما تكسر بزور اثمار الوفيرة وتلغظ الحب

ونظير الى جدول او نهر لتستعم وتتمرغ عند حافة المياه ويهدر ويهدل كأنها
زمرة اولاد تلعب معاً . وتنظرها في هاجرة النهار ككاتب مكتبة جاتمة في مكان
ظليل تحت الاشجار . اما اوكارها ففي تقرب سوق الاشجار حيث تأوي ليلاً
وتضطجع على عهد الراحة

وهناك ايضاً الطائوس ناشراً ريشة الجميل ومائياً منبجراً ومعبجاً بنفسه . وهو
يخضن ميوضة في رؤوس الاشجار فتشاهد احياناً على شجرة واحدة نحو اثني عشر
طائراً من هذا النوع

وفي هذه الغابات ايضاً الطائر الخياط الذي يحاول اخفاء وكره عن
الافاعي والقرود . فيبسطه بالاوراق وذلك بأن يأخذ ورقة ذابلة ويحيطها باسفل
ورقة حية ويبنى عشاً في الفحة بينها ويبطنه بنعج المنكبوت . فيهتز الوكن مع
الريح بامتزاز الورقة . ولما كان هذا العش مخبواً بين الاوراق يصير تمييزه ان لم
يُدقق فيه النظر . ولما الطائر متقار دقيق يستعمله كإبرة للخياطة ويأخذ الخيوط
من لحاء النبات ويحيط بها . اما حجمة فصغير يحاكي الطائر الدنان

يا ايها الطائر الخياط بالتجبر انت المثال لنا بالمجد والظفر
قد خطت بالمنكبوت العش مجهداً في حكمة عظمت عن حكمة البشر
والشغل في ابرة المقامر يا عجباً كيف احدثت لنا بالعقل والنظر
لاريب في أن رب الخلق من كرم اعطاك موهبة الاعمال بالنظر
انت الوضع ولكن جدّه غير للقوم من دهرهم من انفع العبر
وفي هذا الدوح ايضاً فراش كبير مكسو بالوان قرمزية وصفراء وزرقاء
وخضراء وارجوانية والوان أخرى بيضاء تلح بين الازهار

وفي الدغل ايضاً جراد ممتج يفتقر بين الحشيش ويتألق بلون اخضر
زبرجدي وجعل مكسو بالامى الالوان تبدو كجواهر كريمة

ومنى خيم النسق تجول الجاحب ايضاً بين الاشجار حاملة المشاعل فتخال
كأنك في بلاد الجان ولا تكاد تصدق مرأى عينيك

قال ابو الطيب المتنبي يصف شعب بون

مغاني الشعب طيباً في المغاني
ولكنّ النقي العربي فيها
ملاعب جنة لو سار فيها
طبت^(٧) فرساننا والخيّل حتى
غشونا تنفض الاغصان فيها
فيرث وقد حجب الحر عني
والقى الشرق منها في ثيالي
لما تمرّ تشير اليك منه
وأموه فصل بها حصاما
ولو كانت دمشق ثى عياني
بالتجوج^(١٠) ما رفعت لضيبي
نيل به على قلب شجاع
منازل لم يزل منها خيال
اذا غنى الحمام الورق فيها
ومن بالشعب أحوج من حنام
وقد يتقارب الوصفان جناً
يقول بشعب بون حصاني
ابوك آدم من المعاصي

بترله الربيع من الزمان
غريب الوجه واليد واللسان
سليمان لمار بترجمان
خشيت وإن كرم من الحران^(٨)
على أعرافها مثل الجمان
وجن من الضياء بما كفاني
دنابر تفر من البنان
بأشربة وقف بلا أولان
صليل الحلي في أيدي الغواني
ليس الترد^(٩) صيفي الجنان
به اليران ندي الدخان
وترحل منه عن قلب جبان
يشيعني إلى التوبذجان
أجابه أغالي القيان^(١١)
اذا غنى وناج إلى البيان
وموصوفاهما متباعلان
أعن هذا يسار إلى الطعان
وعلمكم مفارقة الجنان

- (١) بيت الامد (٢) الجوع (٣) قضب مشبكة (٤) قلهم
(٥) (الناموسيات) (٦) النوم (٧) دعة (٨) الحران في الدابة
ان قف مكانها (٩) الخبز اذا قُتّ وبلّ بمرق (١٠) نسبة إلى التجوج
وهو العود الذي يتجر به (١١) جمع قينة وفي البحارة

فصلا الغيث والقيظ في الهند

اما الفصول في بلاد الهند فاثنتان فقط وهما فصل الغيث وفصل القَيْظ .
اما الثاني فيبدأ في اول تشرين الثاني ويدوم الى نيسان فلا همطل قطرة غيث
في هذه الاشهر كلها بل لا ترى سحابة في الجو . فتشر الشمس اشعة لظالما يوماً
بعد آخر الى ان يبلغ العجير كل سنبلة خضراء وكل عشب تضير فتبدو البلاد
في ما خلا الاحراش والغابات جرداء مقفرة كأنها سكة مطروقة . بل تشفق
الارض من القَيْظ فتفتح فيها اخاديد^(١) عميقة

ويشق المقر على السباح وبناء الميل زمن العجير من حرارة الطرق
الجافة التي لا تمحل . وتثير الرياح العثير^(٢) سحاباً يضارع عواصف الرمال في
بوادي افريقية ولولا سهول الامطار التي همطل في الفصل الثاني لحسبت الهند
بلاد الجوع والموت

وفي اول ايار يأخذ الجو ينعم ويمتد العواصف القاصدة ويومض البرق
وميضاً يضيء الاقنى بأسره ويدوم زماناً مديداً . وفي خلال ذلك يدمم
الرعد فتسمع هزيمة أولاً عن بعد ثم يقرب تدريجاً الى ان يهول السامع صوته .
وتنح المن المطاة^(٣) مدراراً وتنصب عيولاً غامرة كأن يازيب الماء فتنبعث
واخذت تنفجر انفجاراً راقماً . فاذا تطلع القوم من منازلهم رأوا كأن البلاد كلها
تحت طوفان هائل . فتغطي الانهر وترتفع فوق صفائها وتصبح الجبلول انهرأ
والانهر مجاراً وتجرف المبول خصاص الفلاحين وغيرهم ويهدم ريث الابنية
ويشعل على البلاد ضباب كثيف يحجب نور الشمس وينهل الجيا عوارض
جارية . فتحوّل الامطار الارض الجافة الى سهول خضراء خصيبة

وتختلف اقاليم الهند بعضها عن بعض في مدة الفصول . فيدوم فصل
الغيث في بعضها ثمانية اشهر وفي غيرها اربعة . وتكثر في بنغال تغيرات الطقس

من المطر الى الصحو ومن الجؤ الصافي الى الضباب الكثيف كما في بريطانيا .
اما الجبال فيردها فارس جدًا وكلها زادت ثمنًا (٤) زادت بردًا . فاذنا جال
الساح في الهند رأى الاقليم الذي يشتهه والماء الذي يصبو اليه تحت الرقيق

(١) حُر (٢) الغبار (٣) الامطار النزيرة (٤) علوا

جسور الهند

لَا يَتِمَّا لَكَ الْغَرِيبُ الْمَاشِي عَلَى بَعْضِ الْجُسُورِ فِي الْهِنْدِ
مِنَ الرَّوْعِ وَالرُّعْبِ . فَإِنَّ لِلْأَنْهَارِ وَالتَّجْدَاوِلِ فِي أَسْجَالِ
الشَّاهِقَةِ جُسُورًا يُصَابُ نَظَرُهَا بِالدُّوَارِ . فَتَرَى هُنَا جِدْعَ
شَجَرَةٍ مَطْرُوحًا فَوْقَ نَهْرٍ مُسَطًّا بَعْضَ التَّنْطِيجِ فِي الْوَسْطِ
مُنَوَّطًا مِنْ طَرَفَيْهِ بِسُوقِ بَعْضِ الْأَنْجُمِ . يَقَطُّعُ النَّاسُ عَلَيْهِ
رِجَالًا وَنِسَاءً وَأَوْلَادًا . وَالْحَيَوَانَاتُ الَّتِي تَسِيرُ عَلَيْهِ قَدْ لَا تَسْلَمُ
مِنَ السَّقُوطِ . وَلَا سِيَّهَا إِذَا سَارَتْ فِطَارًا فَإِنَّ ثِقَلَهَا وَثِقَلَ
مَحْمُولَاتِهَا يُزِجُ الْجِسْرَ مِنْ مَكَانِهِ فَيَنْخَرِفُ انْخِرَافًا وَيَهْتَزُّ فَتَسْقُطُ
الْبَهَائِمُ فَتَغْرُقُ

وَالْجُسُورُ فِي أَسْجَالِ الْقَلِيلَةِ الْعَرْضِ تُصْنَعُ مِنْ حَبَلَيْنِ أَوْ
ثَلَاثَةِ مُنَوَّطَةٍ بِأَوْتَادٍ وَمَغْرُوزَةٍ عَلَى ضَفْئِي النَّهْرِ مُرْتَفِعَةٍ عَنِ الْمَاءِ

نَحْوُ ثَمَانِي أَقْدَامٍ . فَيَتَشَبَّثُ السَّافِرُ بِأَنْجِيَالٍ وَيَتَدَلَّى مِنْهَا .
وَلَهَا إِطَارَاتٌ كَحُلَفَاتٍ مَنْوُطَةٍ بِهَا . فَيَجْلِسُ الْإِنْسَانُ فِي الْإِطَارِ
إِذَا شَاءَ وَيَدْفَعُ نَفْسَهُ بِيَدَيْهِ كَلْتَيْهِمَا حَتَّى يَبْلُغَ الضَّفَّةَ الْأُخْرَى .
وَإِذَا كَانَ مِنْ تَرَوْعِهِمُ الْآخْطَارُ وَيُصَابُونَ بِالْذَّوَارِ أَعَانَهُ
الْآخَرُونَ عَلَى الْعُبُورِ . فَيَرْبُطُونَ عَيْنَيْهِ كَيْ لَا يَرَى الْمَاءَ مَا جَاءَا
وَمُزِيدًا تَحَنُّنًا . ثُمَّ يَرْبُطُونَ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ بِأَنْجِيَالٍ وَيَجْرُثُونَهُ بِجِبِلِّ
آخَرٍ مَنْوُطٍ فِي وَسْطِهِ

وَفِي نِلْكَ أَنْجِيَالٍ عَشَائِرُ كَثِيرَةٌ أَلْفَتْ نِلْكَ الْجُسُورَ
وَتَهَرَّتْ عَلَى أَجْنِيَا زَاهَا . وَفِي بَعْضِ أَلْحَالٍ لَا تَرَى فَوْقَ الْأَنْهَارِ
جُسُورًا قَطُّ . فَيَجْمَعُ السَّافِرُونَ كَهَيَّةً مِنَ الْيَقِطِينَ الْكَبِيرِ
وَيَرْبُطُونَهَا فِي أَوْسَاطِهِمْ ثُمَّ يَنْغَسِقُونَ فِي الْأَنْهَارِ بِقُوْدِهِمْ دَلِيلٌ .
فَيَرْفَعُ الْيَقِطِيُّ حَامِلُهُ فَوْقَ الْمَاءِ وَيَدْرَأُ عَنْهُ الْغَرَقَ . ثُمَّ يَهْسِكُ
الْعَابِرُ بِالْذَّلِيلِ وَيَعُومُ إِلَى الْأَجَانِبِ الْآخِرِ . وَبِحَيْلِ الْأَدْلَاءِ
أَمْتَعَةَ السَّافِرِينَ عَلَى رُؤُوسِهِمْ وَتَسْجُونُ مَضْبُوطِينَ بِالْيَقِطِينَ

الخفاش

الخفاش متوسط بين ذوات الاربع والطير. وقد أعيا علماء الطبيعة استقصاء احواله فلم يقدروا ان يحرموا بادخاله في احدى مراتب الحيوان. غير ان صفاته الغالبة تقرب من ذوات الاربع. وفي بعض الاحوال يشابه الانسان ومن طبعه انه يطير قرب غروب الشمس في ايام الصيف اللطيفة طلباً للحشرات. ومن الغريب ان البعوض يخرج في ذلك الوقت يطلب قوته ومن دم الانسان والحيوان فيلاقه الخفاش يطلب دمه فينزع طالب رزق على طالب رزق. فمجان الحكيم. وفي غير ذلك الحين يبقى في وكرة الذي يكون غالباً في الاماكن الخربة او في الاشجار المجوفة. حيث يقضي اكثر اوقاته نائماً ولا يعرض نفسه للعطب بالخروج نهاراً او في وقت المطر. واذا دنا الشتاء لزم وكرة واستكن في بدون حراك. ولهذا يطلب الماكن تحت الارض حيث يشب خالة بشيء يتعلق به فيبقى مستريحاً لانه الرطوبة ولا قلب الهوام. واذا عرض ان وقع عليه ضوء الشمس وهو على تلك الحال انتش وتحرك قبل الزمن المحدود غير انه يصبح حينئذ في خطر الجوع لعدم اذخاره المؤونة او عرضة لصيد البوم او غيره من الكواسر. اما حجمة فتقدر النارة وله جلدة يطلق عليها اسم جناح وهي عبارة عن اربع اصابع في يديه طويلة ومتصلة بحلقة رقيقة واصلة الى رجليه وذنيه. ومن عادة الاثني ان تلد في المرة من الفرخين الى الخمسة وترضعها كذوات الاتدي والخفاش في اوروبا غير مؤذ. اما في الاتالم الحارة فينجف للغاية ولا سيما اذا تجمع اسراباً فيجذب نور الشمس عند غروبها. وفي الصباح يعلق باعلى الشجر كمثل الكثير.

ونه خفاش غنيا ومادسكرواكثر جزائر البحر الجنوبي التي لا تغادر شيئاً من الثمر والهوام وغيرها مما تناله الا اكله اكلأ ذريعاً. ومن طبعها اذا

أوت الغياض ان تصبح صباحاً متلفاً ولكنها قصت عند طلوع الجمر . وعرض
اجتمعها اربع اقلم وطولها قدم واحدة . وفي قبعة المنظر نمة سجة الطباع
ومن هذا الجنس الخنافس الماص الدم الذي وان يكن منظره اقل شناعة
من المار ذكره لكنه اكثر ضرراً . ووجوده الغالب في نواحي اميركا الجنوبية
حيث يعيش على شجر الخمل . ومن طبعه انه يترك وكره عند المساء ويطير اسراباً
كثيرة فيغطي القرى والمدن . ويحل بالناس والبهائم بلائاً عظيماً لانه يهلك
كل ما فيه حركة ونسمة حياة اذا وجهه نائماً في القلاة . واذا غشي الناس في
مرافقهم فتلهم من الرقاد الى الموت لانه يدخل رأس لسانه الحاد في رواشهم^(١)
ويصن الدم الى ان يشبع . ثم يصفق باجنحه ويرقح بها . فتجبل هذه الحركة
النائم ان يستغرق بالنوم وعلى هذه الحالة يكون رقاد المسافر في الفضاء خطر
عظيم . واذا اوى بيتاً فليد ان يحاذر النخاص التي يدخل منها هذا المصاص
الظالم للدماء . ولا يقتصر فتكه على الآدميين فقط بل يهلك الحيوانات ايضا .
حكى الاستاذ كونلامين ان الخنافس اهلك في بعض جهات اميركا الجنوبية جميع
الماشية التي اتى بها المهاجرون

ومنه خنافس جافا الكبير الذي يتظل تحت اشجار السنديان العظيمة .
وطول جناحيه ست اقلم . فينشب مخالبه الحادة ويتعلق بها ووروشه مدلاة
الى الخلل يصيح ويخبط اخباطاً شديداً

ومنى دنا المساء استيقظ وشعر بالجوع . فحبل نفمة من الوثاق ويتشر في
الجو انتشار الحباب . وتحمل الامهات افراخها بصورها . ثم تأخذ باقتناص
الحشرات والطيور والجُرذان والفار . ولكنها تؤثر الاثمار تستقر على اشجار الغياض
والسباتين وتستتر^(٢) قدر ما تستطيع . فيستقط البعثات صباحاً ويرى اثماره
قد نهبت عن آخرها وفي هذا الخطب الانغياء والقراء سواه

فيصوب رب الحديقة الى الانتقام من هذه السلاب . فيمكن لما في ضوئه
القر حتى متى قدمت ترفرف باجنحتها العريضة مزدحجة على الاشجار يصوب

نحو ما بدقته ويرى منها ما يتيسر اختصاصاً على سرقة فاكهة

(١) عروق ظاهر الكف (٢) تبتلع

الغورلا واوران اوتانغ او انسان الغاب الوحشي

وقف علماء الطبيعة منذ نحو مئتي سنة على وجود هلا الفرد الاقرب شيئاً
بالانسان خلقاً وخلقاً . غير ان الانباء التي وصلت اوربا ليست بالنبا الاول
لان حكومة قرطجة بعثت منذ نحو النسي سنة بهانو التطواف حول افرقية بجراً .
فاقلع بستين سفينة لكل منها خمسون مجلفاً يقلها جميعاً ثلاثون الف نسمة
رجالاً ونساء . فخط الموما اليو انباء سفرته بالدقة والضبط ومن ذلك قوله
”اجزنا في اليوم الثالث جبال النار وبلغنا جوناً يدعى القرن الجنوبي
فوجدنا في اقصى جزيرة كالاولى رأينا فيها عدداً وافراً من الناس الوحشين .
غير ان اكثرهم كانوا نساء ولمن اجسام مشعرة ساهما اللامدة غورلا . فآثرناهم
وطاردناهم ولكننا لم نستطع ان نمسك احداً لانهم تواتين على الصخور والعراقيب
ودافعن عن انفسهن بالمحجار وقطع الصخر وقررن من امامنا . وبعد الجهد
ادركنا ثلاث اناث فعضن وخشن ولم يردن اتباعنا فقتلناهم ولحقناهم
وارسلنا جلودهم الى قرطجة . ثم توقفنا عن السير لفراغ الزاد“

قال الاستاذ اوين الطيبي ”الارجح ان غورلا افرقية الحديث الاكتشاف
هو نفس النوع الذي وصته هانو وملاحوه في تاريخ سفرهم“ . ونافض غيره هلا
القول مقدماً على ذلك يئات منها ان اثار تلك الجزيرة لا تكفي لاشباع هذه

الفرود النهمة . وان الذكور لا يستحقون بامساك اناتهم بدون دفاع وحشي الى الموت . وقد ذكر بلينيوس الذي نبغ قبل التاريخ المسيحي بسنة قرون الغورلا



في تاريخ الطيبي . ثم سُدَّتْ الحُجُبُ عن انسان الغاب الوحشي هذا الى القرن السابع عشر بعد التاريخ المسيحي اذ تقدم اندراوس بانل على السياحة في افريقية الاستوائية وعان الغورلا بنفسه وحرى احواله وطباعه ونشر على العالم المعلن نتائج سياحته سنة ١٧٤٨

وَيُدْعَى اعظم هذه الوحوش بونفو واصغرها انجيكو وهو يمشي متصباً وليس له ذنب . وله قدرة على تقليد الآدميين في اعمالهم وحركاتهم بقصر غير غريب . وقد اجمع السياج على انه ذو خفة عجيبة ولباقة غريبة وشراسة طباع ولكنهم اختلفوا على مقدار جشته فمنهم من قال ان طوله ثلاث اقدام ومنهم من قال ست اقدام وبعضهم اوصله الى سبع اقدام . فخلا الاختلاف وان كن صحيحاً فهو ناشئ من اختلاف البلاد والسن . ومن المقرر الثابت ان طوله في الغالب بقدر الانسان غير انه اشد منه قوة . ولما كان اخذه حياً متصعباً جداً ندر وجوده في اوربا

ومن طبعه انه يأوي الأجام الواقعة في جزائر ملقا وبورنيو وغيرها من جزائر الشرق . ويوجد ايضاً في أقصى بلاد الهند وفي افريقية وفي مادكسكر . وصيد في بعض هذه البلاد هو مستحب للامراء والملوك لكنه لا يجلو من الغوائل المشؤومة

روى الأستاذ باتل ان هلا الحيوان يشبه الانسان في احواله كلها ما عدا النطق وطول القامة . اما وجهة فيوشك ان يكون كوجه البشر غير ان عليه غائرتان في دماغه اكثر من الانسان . وله على كلا فكيه عارض طويل يشبه وجهة ويكسو جثته شعر خفيف . واذا مشى سار سير المجري متصباً وبتفتاً ظلال الاشجار الغنياء وينبي فيها خصاً يقيه من الحر والمطر وقوته الثمر والوراق الشجر والمحبوب والنمل لانه لا يأكل اللحوم

اما غريزة فخرية وخوفة قليل . فلا يصرم الزئوج نأراً بالقرب منه الاً ويشوها^(١) عدواً ويصطي عليها . ومن طبعه ايضاً التأجل وقيل ان يصادف احداً اعزل^(٢) ويرفق به . وهو فهم ساحة الفيل ويحم عليه بالنبود لانه يقلد السلاح دون جميع اجناس الحيوان . والمخالصة انه ذو دهاء وقوة وحف . قيل وبسي نساء الزنج . غير ان هذه الرواية عنه تنسب الى اثنيث وقد انكرها اكثر العلماء الحديثون ممن يوثق بصدق روايتهم

روى العلامة باقرن الفرنسي انه كان لواحد من هذا الحيوان ذكوة واحذاه^(١) بقضي بالعجب. فكان يمشي على رجليه متصباً رزين الحركات والسكنات وعلى وجهه امارات الغم بخلاف نوعي الميمون والقرد فان حركاتها لا تخلو من الجفاه والسفاهة وميلها مختل ولا يتقادان الا من الخوف وطبعها الضرر والاذى. اما لما فكان ذا تدبر واتباه. ومجرد النظر اليه يكتفي لردعه وحمله على الطاعة قال "وشاهدته مرة يشير يده الى الباب للجماعة. واخرى جالساً على مائدة وهو باسط منديله يمسح به شتيه ويوصل الطعام الى فيه بالملعنة والشوكة ويصّب مشروبه في قديم ثم يمسح باقلام الشراب. يأخذ القنجان والصحنه ويضعها امامه ثم يضع سكرًا في القنجان ويصّب فيه من الشاي ما شاء ويتركه قليلاً حتى يبرد قبل ان يشربه وكل هذا بدون ادنى اشارة من صاحبه. ومراراً كثيرة بدون ان يدعى الى ذلك"

"وكان في غاية الانقياد ومجانبة الاذية يدنو من الغرياء بوقار ويتعرض لاحسان الناس اليه اكثر من اضرارهم به. وكان يحب الحلوة وعلى الخصوص الملبس. فكان كل يعطيه من ذلك قدراً غير ان هذا الطعام قصر حياته. وكان قد حجي به الى لندن بعد ان مكث في باريس فصل الصيف فأت هناك. وكان يبتات بكل ما يُقدم له. غير ان اكثر ميله الى التواكه ناضجها وبابسها. ولم يكن يعاف شرب قليل من الخمر ولكنه كان يؤثر استبداله بالحليب او بالشاي او بغير ذلك من المشروبات الحلوة بالسكر. ولا ريب في ان حركاته واعوانه هذه كانت ناشئة من الترية فان القرد بالطبع غيره بالتطبع. وقد علم بالتجربة غير مرة انه لا يلبث حتى يبلغ كمال التحدي والحكاكة ما في طاقته البلوغ اليه بخلاف نوع بني آدم. لكنه لم يظهر في شيء من افعاله ما دل على العقل"

وفي حياة الحيوان الكبرى للعلامة الدميري ما نصه "حكى ان رجلاً صحب معه خمرًا في سفينة ليبيعة ومعه قرد فكان الرجل اذا قصد بيع الخمر شابه^(٢)

بالماء ثم باعه. فآخذ القرد كس الدرهم وصد به فوق الدقل^(٦) وجعل يطرح دبنارآ في البحر ودبنارآ في السفينة حتى ألقى ثمن الماء في البحر وثمن الخمر في السفينة

والغورلآ يبتك بالزئوج السامرين في الغابات ويصادم الأقبال يديه القويين ويجذوع الأشجار قصي^(٧) ويهرب من شره. ولا يتسقى اقتناصة حبآ لشدة بأسه. ولكنهم يقتصون صغارهُ بالسهم المسمومة. وأطفاله تعلق بيطون والدائم وتشتب بها كل التشبث. فإذا قتل الزئوج أمآ اخذوا الصغير المتدلي من بطنها. وإذا مات أحد الغورلآ غطاه رفاقه باغصان الشجر

وهو شديد القرم جربل النهم وموطنة أعالي الأشجار وقاية لصغارهِ من الضواري. ولا يتزوج الغورلآ بأكثر من واحدة. ولا يأبى قتال البشر ومنازلهم ولا سيما الزئوج فلا يفر من أمامهم قط بل يهاجم بصوت هائل تسمع له دويآ وصدى مرعبآ في الغاب فيبتك بهم. أما مشية العادي فليس على رجله الخلفيتين بل على الأربع. فآذا سار على هذا الوضع كانت ذراعاه طويلتين جدًا حتى يرتفع رأسه وصدرة كثيرآ عن الأرض. أما الصغار فتسير متمسكة حين يطاردها القاصصون فيبدو مظهرهما كالزئوج انفسهم. وقد حاول بعضهم قنصها حبة فأعيتة الحيل لشدة قوتها وتعدت أقيادها

وأهل جريرة سوطرا مرمون يأكل لحوم القردة المقلوة ويظنون لهم الأوران من أناقة الموائد فيخرجون متقلدين القسي والسهم لصيده. أما الأوران فيحاول الفرار من طريقهم فينسلقوا على الأشجار ويشب من شجرة إلى أخرى فينبذ القاصصون ويطلقون عليه السهم فيأخذ منه الفيض كل مأخذ ويشرع بتكبير الأغصان وإالة عما على الأرض. فيعني بهذا العمل على نفسه لانه يزول الحجب عن ابصار الدياديين الذين يترصدون إلى أن يكسر هذه الحواجز. ثم يصوبون السهم نحوه فيسقط إلى الأرض قتيلآ

والمنرد مولعون أيضاً بالقريد المقلوة والمشوية يأكلونها بقرم^(٨) شديد

ويصنعون من جلودها اغطية للرأس وخوذًا يلبسونها ايام الاعياد والمواهم

- (١) يقصد لبالاً (٢) من لاسلاح له (٣) اقتداء (٤) خطئه
(٥) خشب المعينة الطويل الذي يُطَقَّ به الشراع (٦) قصوت
(٧) بهم

الذئب

١

هذا الحيوان قريب من الكلاب وقد علم انه يسفد^(١) معها احيانا ولمذا تأتي
جرأته مشوبة^(٢). وله رأس طويل وانف مرسوم واذنان متصهتان مثلثتان
وذئب طويل كث وساقان طويلتان واسنان كبيرة هائلة وشعر طويل. وهو



اطول من جميع صنف الكلب السلوقي ولونه غالبا اسمر يضرب الى الصفرة.
وبعض انواعه ابيض. وفي بلاد كندا اسود وعيناه مزرورتان^(٣) لونها اخضر

يَتَقَدُّ . ووجهه يميل نحو حثي يبدل على ما فيه من الاخلاق والطباع
والذئب من الوحوش النهمه في اكل اللحوم ووسائله كثيرة . فان له من
القوة والانياب والحنقه ما يلزم للطارد الفاتك . على انه كثيراً ما يموت جوعاً .
واذا طرده الانسان راد الاماكن القاصية الخالية من الشجر ولا يحسر على مهاجمة
القرى والبلاد الا متى تضرر جوعاً . واذا غلب قرمة على خوفه كان هجومه
هائلاً جداً فلا يسلم من وثباته انسان ولا بهيمة

ومن الادلة على نهم الذئاب وبطشها الحادثان الغابغان
قصّ احد القواد الجركميين على احد كتبة الانكليز الحكاية التالية قال
”في شتاء سنة ١٨٥٢ اذ كانت الحرب مشتعلة بينا وبين الروس وكانت
الارض منذ شهور مغطاة بالثلوج جمع الامير جيشاً وبعث به الى السهول لقتال
الاعداء . غير ان الروس استظفروا على ذلك الجيش فتشتت وعاد ناكهاً^(٥)
على الاعقاب وهامت الجنود شرادم^(٥) وزرافات^(٦) نحو اوطانها . اما كركنتنا^(٧)
فكانت مؤلفة من احد عشر فارساً ممنطين الجياد الحسنة ومسلحين بالبنادق
والفرسينات والسيوف ومعنا خمسة اسرى اربعة انفار وامرأة . فيينا كنا تقطع
سهلاً فسيحاً اذا بعانته^(٨) ذئاب عددها سبعة تعدو وراونا فقتلنا منها ذئبين او
ثلاثة باطلاق الرصاص طمعاً بحلودها وتبدد الباقي . ثم اغذنا السير . ولم نقص
برهة وجيزة حتى سمعنا خلفنا عواء مربعاً لاح لنا اولاً كعاصفة شديدة . واذا
باشباح كثيفة مظلمة انتشرت امامنا على القلج كحجاب يعلو الاق . فهلعت^(٩)
قلوبنا فرقاً^(١٠) حين علمنا ان جيشاً عرمرماً من الذئاب يتعقبنا

اما خيولنا فكان قد اضنكها التعب والعياء من سفر اليوم بطوله . غير ان
الخوف كساها اجمة فسارت تماكي هبوب الرياح وامججت بنا كأنها عالة بشدة
الاخطار التي تترصد لها . ولم يكن لنا حيثئذ ملجأ نأوي اليه لان اقرب عمار كان
يعد سبعة اميال على الاقل . وكانت الارض مترتجة بحرف الخلج النهمارة^(١١)
حتى نسر على خيولنا السير . فاثممرنا انهاراً وجزاً وعول رأينا على قضية

الاسرى الواحد بعد الآخر لمعطي سائر الانتار فرصة للفرار . فاستل احد
الفرسان حصانه وعرقب^(١٢) حصان المرأة فسقطت الى الارض وكانت قريبة
الذئب الاولى . واذا بصوت مائل ارتفع في عنان الجوّ ثم اعتقه الصمت الكامل
فالتفتنا الى ورائنا وعلنا انا سبقنا الذئب مسافة تذكر . فسكت افكارنا
بعض السكون ولكننا لم نكد نعدو قليلاً حتى رأيناها تسفل^(١٣) في اعتابنا فاطلق
احدنا الرصاص على فرس احد الاسرى فتوقفت الذئب برهة ربنا
التهمة . ثم فعلنا بالثاني فعلنا بالاول وهكذا الثالث والرابع فغتمنا بهذا العمل
زماناً ومجالاً فصيحا . غير ان اعلاننا الضارية الظامة الى الدماء تأثرتنا باشدّ
ضرى من ذي قبل . فكأنها شحذت اسنة نهما بدم البشر . فاخذنا باطلاق
البنادق عليها انما على غير طائل . لاننا وان تكن قد جددنا بعضها على الثرى
كان سائرنا يسفل الى الامام ولا يقف دقيقة واحدة . فبينما نحن كذلك اذا
بمجادين من جياد فرساننا اضعفها العياء والفرع فسقطا الى الارض بيهلان
ومحيمان كأنهما طلمان بالاموال التي ترصدها . اما راكباها فمضا بهرعان
عدوا كوميض البرق ولكنها لم يستطيعا ادامة حث الخطى على جرف التلج
فقتلها الاعياء والوفى فودعا رفاقها واسلما نفسيهما لحكم القضاء والقدر . واستلّا
حساميهما وصاحا بالذئب صياح الابطال ودافعا دفاع الجبابرة الصناديد
الى ان امسيا طعاماً هيناً لتلك الضواري

اما نحن الاحياء الباقون فبقنا على مسافة ميلين عن الجبل . غير ان خيولنا
ارشكت السقوط تعباً وسغباً^(١٤) والذئب على نحو مرى بندقية . فساد علينا
الفتوط والوجل وخلصنا انفسنا بين براثن^(١٥) الضواري وانياجا تمزقنا تمزيقاً .
واذا بشيخ ابي شايين من فرساننا ودّع الرفاق حين ادرك هذه الحال المحرجة
وتعدّر الناس وعرقب حصانه وقدم نفسه ضحيةً لنجاة ولديه العزيزين . فاعطى
عددنا الى ثمانية . فحشنا الجياد والذئب تسفل وراءنا حتى كادت تدركما
بانيابها الحاكة وتبطش بنا

قال الراوي "فجذبت طينجني واطلقت النار على اقرب رجل مني فاصابه الرصاصه في رأسه فارخى يديه واقلت الحزام ولكته ما فنى متصباً في سرجه بقلة الجواد الخائف . فاطلقت عليه النار مرة أخرى فسقط على الارض قبلاً فتوقفت الذئاب برهة أخرى عن مطاردتنا ريثما تلتفتة . فلاحت منا الغنائة واذا بالجلي اماننا . وهو بناته من خشب شديد لوقاية السياج والمسافرين في مثل هذه الحال . وقد اسعدنا المظ بأن رأينا بابه مفتوحاً فولوجناه ولوصدناه بزلاج حديدى . واذا باصوات عواء الذئاب يترق كبد الفضاء وزعيق انسان يريد المول اضعاثاً . فخلصنا من الشقوق والخرب^(١٦) ورأينا رجلاً من رفقتنا كان قد وقع حصاة تحته فتشبّط عنا ولم نشعر به فاحاطت به الذئاب وقاتلت قتالاً راتماً على السبق الى اقتراسه . ثم جذبتة باسرع من لمح البصر من سرجه والتهته مع جواده اماننا ولم تقادر لما اثرأ . ثم احاطت الذئاب بالمقل^(١٧) احاطة السوار بالمعصم فوجدت حاجزاً يحول دون فرائسها واخذت تصارع بعضها بعضاً . وهي تحاول نبش التراب عن اوتاد البناء ورفع الالواح الخشبية والقوم الى داخل . واذا كانت البناء متيناً لم يكن نصيبها ساعته الا القتل والخيبة . فاخذنا نطلق طيها النار من الشقوق فابلينا بها بلاه حسناً متممين لدماء اصحابنا من انبيائها الضارية . غير ان الذئاب الحية لم تنم حتى اقتربت جثث رفاقها القتيلة وظلت تعوي وصر حول القرعة الى مساء اليوم التالي اذ ثارت العواصف ودمدمت الرعود ولو وضت البروق فأجلت ودُعرت وهامت على وجوها تمل الى اوجرها . اما نحن فاكدنا صدق انفلاتنا ونجاتنا من هذا الخطب المائل . ففتحنا الباب وصرنا لا نلوي على احد حتى بلغنا اوطاننا"

اما الرواية الثانية فمن المستر اكيس الانكليزي اثناء سياحه في سيبيريا قال "نصبنا المضارب نصف الليل مع جماعة من القلوق في فلاة فسيمة عند بحيرة صغيرة ثم اضرمت النار واحاط بها الرجال يصطلون . واذا بعواء هائل بعيد طرق آذاننا . فلم يصي السهب وجمعوا خيولهم واخذوا يتفحصون السخيم

النارية . وعرفوا ان ذخائرهم وان اجادوا باقاتها لا تكني لصدا الاعلاء الناكه
التي شئت راحتنا عن بعدٍ وارشكت الدنونا . اما النار فكانت خادمة ولم
تزدنا ضراماً لان اختبار القلوب عليهم وجوب اخماد النار الى ان يقترب قطع
الذئب فيفوزون بخير فرصة لتسديد المرامي عليها . ثم يصرمون جذوات^(١٨)
الوقيد حتى يطلغي لميها فيوقعون الذئب في وجل وحيرة ويتمكنون من معرفة
محال وجودها . فلم تنص برمة وجيزة حتى سمعنا صوت وقع اقلام كثيرة تسير
غفونا . فاضرم الرجال النار وارفع لميها نحو الافق . فوقفت الذئب منهية
في وجوم^(١٩) رافعة آذانها واذا بها واعينها تحلق وتنفذ كمشاعل نار . فاعطى
احدنا الاشارة واطلقنا عليها البنادق دفعة واحدة فخرجنا عدداً وافراً مستدلين
على ذلك بعوامها ومهريرها القجائي . ولم تنتص بضع دقائق حتى سمعنا وقع
خطاها ناكسة على الاعقاب

غير انها لم تنهزم بل انفردت للاتهام في الوسيلة الافضل للمهاجمة ولم
يطل زمان مشاورهما . لانا استدللنا من صهيل الجياد وحميمتها على وشك
رجوعها وسمعنا صوت خطاها خلسة بين المضارب والبيجرة . ثم انشطرت
الى شطرين لتسقي لما مهاجمة الخلة من الجانبين . وكانت اعين الذئب في
انسلاما على القلج قدح ناراً وتضطرم في الظلام اللامس . ثم تقدمت الكتيبتان
الى الامام فاطلقنا عليها الرصاص كالسيل مرة اخرى فتربصتا ووجمنا برمة
ولكنها لم ترتنا الى الوراء

اما نحن ففترسنا بهذه العراجل الوحشية المحيطة بنا واذا بها تريد عن
خمس مئة ذئب كل مكشعر عن انياب المنيّة ومهرول ظامئاً الى دماثنا . ولا نسل
عما استولى علينا حيثئذ من الوجل والروع ولا سيما حين عجمت في آذاننا اصوات
حانة اخرى جديدة فهجم نحونا فيمنسنا من الحياة وايقناً بالهلاك العاجل . ولكن
يا العجب العجيب من ان شدة ضرى اعدائنا كانت علة فجاتنا . فان الجيش
الاول اخذ يعوي ويوعوع^(٢٠) عد دنوا الجيش الثاني دليلاً على احتلام غيظو

وغيره من قدم وحوش غريبة تراجم على اختطاف الفرائس من فيه بعد ان
تأثرا وامست له مغتماً بارداً . وما دنا الخجيس^(٢١) الثاني المرمم^(٢٢) حتى
نحوّل الأول من العواء الى تكشير الانياب ورفع البرائن . ثم استعرت بينها
نار الصلّام وبانت المعركة عامة ودامت رحي الحرب تدور والعراك يطلّج الى
ان بلغ القتال اشدّه . فلم يشعر الجيشان المتكافئان بانسلاال القلوب للجلب
الوفود وركبوا فوق الجندوات المخافة . فاعتمت النار حتى تصاعد لمبيها الى
عنان الجوّ . فذُعِرَت الضواري واخذت تعوي وهبّ وثواب في الهواء . ثم
كفّت عن الحرب ووقفت في بهت وذهول . فسدّ دنا عليها المرامي واطلقنا
النار في الحين الملائم فتبدّدت وامجّت^(٢٣) في عواء هائل تاركاً قتلاها الوفيرة
في ساحة الوغى . اه

وقد رُوّيت الذئاب احياناً تتبع العساكر الزاحية الى القتال . فاذا ظفرت
بتيل يُجَدَل على الثرى او بمن لم يُجَمَّ دفته او يجرى التهمة . واذا اعتادت مرّة
على اكل لحم الانسان فلا تعود ترغب عنه الى غيره . فتؤثّر اكل الراعي
على رعيته

- (١) يتروا ويتلوج (٢) مختلطة (٣) مخترقان (٤) رجع
- (٥) جماعات قليلة (٦) جماعات عشرة او عشرون (٧) جماعة
- (٨) قطع من حرّ الوحش (٩) جوعاً (١٠) خوفاً (١١) مهذمة
- (١٢) قطع عرقوب الفرس (١٣) تضطرب في هبوبها (مخصص بالذئب)
- (١٤) جوعاً (١٥) الكنف مع الاصابع (مخصص بالسباع والطيور)
- (١٦) قوب (١٧) اللجأ (١٨) جمرات (١٩) سكوت
- من كثرة الغم والخوف (٢٠) بصوت (مخصص بالذئب والكلاب)
- (٢١) جيش (٢٢) الجيش الكثير (٢٣) جدّت في الجري

الذئب

٣

لَا يَجْنِي أَنْ تَنْصَ الذِّئْبُ لِمُوَّحِبُّ عِنْدَ بَعْضِ الْكِبَرَاءِ
وَالْأَعْيَانِ وَهُوَ بِالْحَقِيقَةِ قَنْصٌ لَا يَجْلُ بِهِ الْعَاقِلُ وَلَا يَنْتَعِصُ
لَهُ ذُو الْقُرْبَى وَالنَّحْوَةُ لَهَا فِيهِ مِنْ رَفْعِ الْمَضَارِّ وَرَيْجِ أَشْيَاءِ
وَلَا تِ غَاثَةِ الْعَالَمِ مِنَ الْبَلَاءِ الْعَامِّ هُوَ الْعَمَلُ الْأَوَّلَى
بِالْأَجْرِ وَالْثَوَابِ سَوَاءٌ كَانَ بِالْقُوَّةِ أَمْ بِالْحِيلَةِ . وَقَدْ تُصَادُ
الذِّئَابُ بِالشِّبَاكِ أَوْ بِالطَّعَامِ الْمَسْنُونِ أَوْ يُجَرِّهَا إِلَى خُفَرٍ
عَمِيقَةٍ تَسْقُطُ فِيهَا فَلَا تَسْتَطِيعُ الْقِيَامَ وَالنَّجَاةَ

وَمَنْ أَوْشَكَتِ الذِّئْبَةُ الْوِلَادَةَ هَيَّأَتْ فِرَاشًا وَثِيْرًا لِأَجْرِهَا
مِنَ الْمَوَادِّ اللَّيْنَةِ وَبَطَّنَتْ بِهَا يَسْقُطُ مِنْ قُرْوِهَا . وَمَنْ وُلِدَتْ
الْأَجْرَاءُ تَعَوَّدَتْ قَلِيلًا عَلَى أَكْلِ اللَّحْمِ . ثُمَّ مَتَّى بَلَغَتْ أَرْبَعَةَ
أَشْهُرٍ اخْتَفَا وَالِدَاهَا وَمَرَّتَاهَا عَلَى الصِّيدِ وَاجْتِهَالِ الْمَشَاقِّ
وَالْأَلَامِ بِلا شَكْوَى . فَيَلَّ إِنَّهَا يَعْضَاهَا وَيُسِيْدَانِ مُعَامَلَتَهَا
وَيُجَرِّانَهَا مِنْ أَذْنَابِهَا . وَإِنَّا صَاحَتِ وَاسْتَعَاثَتْ فَاصَّاهَا إِلَى أَنْ
تُسَمَّنَ عَلَى التَّجْلِيدِ وَالصَّمْتِ

وَالذَّيْبَةُ مُوَلَّعةٌ بِأَجْرَيْتِهَا . وَتُسَرُّ إِذَا اسْتَلَحَّ صِغَارَهَا
الْبَشَرُ وَكَلَّلُوهَا . قَالَ أَحَدُ السَّيَاحِ إِنَّهُ رَأَى الْهُنُودَ مِرَارًا
يَنْهَبُونَ إِلَى كِنَاسِهَا^١ وَيَلْعَبُونَ مَعَ أَجْرَائِهَا فَيُبْدِي لِذَلِكَ
أَرْتِيَا حَا وَسُرُورًا . وَتَعْلَمُ الذَّيْبَةُ يَقِينًا أَنَّ صِغَارَهَا مَأْمُونَةٌ بَيْنَ
أَيْدِي الْهُنُودِ لِأَنَّ أَكْثَرَهُمْ مُجَانِبُونَ الْإِيقَاعَ بِهَا لِخِرَافَةِ
شَايَعَةِ بَنَتِهِمْ وَهِيَ أَنَّ سَفَكَ دَمِ الذَّيْبِ يَجْلِبُ اللَّعْنَةَ عَلَى فَاعِلِهِ
إِلَى أَنْ يَكْفُرَ عَنْ ذَلِكَ

وَقَدْ وُصِفَ الذَّيْبُ بِالْهَكْرِ وَالْهَمَاءِ حَتَّى فَاقَتْ مُجَنَّبَاتِهَا
الْعَالِبَ وَبَنَاتِ أَوَى . وَمَتَى مَشَتْ حَمَتِ أَثَارَ مَوَاطِي أَفْدَامِهَا
بَذَنِيهَا حَتَّى لَا يَهْتَدِيَ إِلَيْهَا أَحَدٌ . وَإِذَا سَارَتْ عَرَّاجِلُ^٢
تَبَعَتْ أَثَارَ رَفِيقَاتِهَا بِدِقَّةٍ وَإِصَابَةٍ يُعْجَبُ مِنْهُمَا . بَلْ قَدْ
تَهَامَرَتْ وَلَا تُبْدِي حِرَاكًا فَتَنَالُهَا جَنَّةٌ بِلَا رُوحٍ . وَهِيَ مُوَلَّعةٌ
جِدًّا بِالْحِمِّ الْخَثَرِ فَتَشْتَمُ رَأْسَهُ مِنْ بَعِيدٍ وَمَتَى لَحَنَتْ شِبَّ عَلَيْهِ
وَشَلَقَتْهُ وَلَا تَصْدُمَا عَنْهُ نِيَالٌ وَلَا بَنَادِقٌ . وَهِيَ شَدِيدَةُ الْقَرَمِ^٣
حَتَّى لَا تَكَادَ تُشَبِّهُهَا فَرَائِسُ كَثِيرَةٌ

وَقَدْ تَخَطَّفُ الذَّيْبُ فِي الْهِنْدِ أَطْفَالَ وَتَذْهَبُ بِهِمْ إِلَى
لُجَجَتِهَا حَيْثُ تُرْضِعُهُمْ مَعَ جِرَائِهَا وَتُرِيهِمْ وَتَحْنُو عَلَيْهِمْ حَنُومًا

عَلَى صِغَارِهِمَا. وَالْقِصَّتَانِ النَّابِغَتَانِ بِهَذَا الصَّدْرِ نُرَوِيَانِ عَنْ
يُوْنُقُ بَصِيْفِهِ. قَالَ

«كَانَ أَحَدُ أُمَرَاءِ الْهِنْدِ يَوْمًا مُسَافِرًا لِقَضَاءِ حَاجَةٍ مَعَ
بَعْضِ أَعْوَانِهِ. وَإِذَا يَخْدِمُهُ لَحْمٌ ثَلَاثَةَ أَجْرَاءِ ذَنَابٍ تَشْرَبُ
مِنْ جَذْوِلٍ وَمَعَهَا غُلَامٌ لَا يَزِيدُ سِنُهُ عَنِ الْعَشْرِ. فَجَاجًا
الْخَادِمُ الْوَلَدَ وَقَبِضَ عَلَيْهِ. لَكِنَّهُ أَظْهَرَ مِنَ الشَّرَاسَةِ وَالْأَخْلَاقِ
الْوَحْشِيَّةِ مَا كَادَ يُعْجِي ذَلِكَ الْخَادِمَ عَنْ حِمْلِهِ. فَهَرَقَ ثِيَابَ
حَامِلِهِ. وَغَضَّهَ وَأَلَبَّهَ جَنًّا. فَأَمَرَ الْأَمِيرُ بِتَقْيِيدِهِ وَوَضَعَهُ فِي
مِضْرِيَةٍ. وَكَانَ يُطْعِمُهُ لَحْمًا نَيْشًا. ثُمَّ بَعْدَ أَيَّامٍ حَلَّةً وَأَطْلَقَهُ فِي
مَدِينَةِ بُونْدِي. وَإِذَا يَبْصُرُ الْغُلَامُ الْوَحْشِيَّ وَقَعَ عَلَى فَخْذِ لَحْمٍ
فِي حَانُوتٍ جَزَائِرٍ فَخَطَفَهُ وَأَنْطَلَقَ بِهِ يَحْدُو هَارِبًا. فَأَطْلَقَ عَلَيْهِ
أَحَدُ حُرَّاسِ السُّوقِ سَهْمًا أَصَابَ فَخْذَهُ. فَرَفَثَ لَهُ خَادِمٌ أَحَدُ
التَّجَّارِ وَأَخْرَجَ السَّهْمَ مِنْ جَسَدِهِ وَهَبَّ لَهُ فِرَاشًا عِنْدَ شَجَرَةٍ
غَيَاءَ كَانَ بَيْتُ نَحْمِهَا بَعْدَ أَنْ رَبَطَهُ بِوَتِدِ الْخِيَمَةِ. فَظَلَّ ذَلِكَ
الْوَلَدُ يَأْكُلُ اللَّحْمَ النَّيَّءَ إِلَى أَنْ عَوَدَهُ الْخَادِمُ تَدْرِيجًا عَلَى أَكْلِ
الْأَرَزِّ وَالْفَطْلِيِّ. وَكَانَ فِي خِلَالِ ذَلِكَ بِذَلِكَ مَفَاصِلَهُ
بِالزَّيْتِ إِلَى أَنْ أَمْسَى الْوَلَدُ قَادِرًا عَلَى الْقُوفِ مُتَّصِبًا بَعْدَ

أَنْ تَقْضَى عَلَيْهِ نَحْوُ سِتَّةِ أَشْهُارٍ يَبْشُرُ عَلَى الْأَرْبَعِ . ثُمَّ أَنْصَبَ
الْخَادِمُ عَلَى نَعْلَيْهِ بِالْإِشَارَاتِ بَضْعَةَ شَهْوَرٍ . وَعَوْدَةُ الطَّاعَةِ حَتَّى
تَعْلَمَ سَكَبَ الْمَاءَ بِالْكَاسِ وَإِشْعَالَ قَصَبَةِ الدُّخَانِ وَلَكِنَّهُ لَمْ
يَعْلَمْ النَّطْقَ

فَفِي إِحْدَى اللَّيَالِي بَيْنَمَا كَانَ الْوَلَدُ مُضْجًا تَحْتَ الشَّجَرَةِ
رَأَى الْخَادِمُ ذَيْبَيْنِ يَنْسَلَانِ نَحْوَ الْوَلَدِ وَيَشْمَانِهِ وَيَلْبَسَانِهِ
فَأَسْتَيْقِظَ الْغُلَامُ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَخَفْ وَلَمْ يَذْعُرْ . بَلْ وَضَعَ يَدَيْهِ
عَلَى رَأْسَيْهِمَا فَأَخَذَا يَلْعَبَانِ وَيَتَوَاتَبَانِ . وَالْوَلَدُ يَرِشْقُهُمَا
بِالْعُسْبِ وَالْتِبَنِ فَمَحَاوَلِ الْخَادِمِ طَرْدَهُمَا فَلَمْ يَسْتَطِعْ . وَلَكِنَّهُمَا
لَمْ يَعْتَبَاهُ حَتَّى غَادَرَا الْوَلَدَ وَأَنْطَلَقَا . ثُمَّ عَادَا فِي اللَّيْلَةِ التَّالِيَةِ
وَمَعَهُمَا ذَيْبٌ ثَالِثٌ وَبَعْدَ بَضْعَةِ أَيَّامٍ رَجَعَا وَمَعَهُمَا ذَيْبٌ
رَابِعٌ . وَقَدْ ظَنَّ الْخَادِمُ أَنَّ الذَّيْبَيْنِ اللَّذَيْنِ أَتَيَا أَوَّلًا كَانَا
الْجُرُومَيْنِ اللَّذَيْنِ وَجَدَ الْوَلَدُ مَعَهُمَا وَقَدْ اسْتَدَلَّ عَلَيْهِ بِحَاسَةِ الشَّمِّ
وَقَدْ تَعَذَّرَ عَلَى الْخَادِمِ تَرْبِيَةُ الْوَلَدِ عَلَى الْعَوَائِدِ وَالْأَخْلَاقِ
الْإِنْسَانِيَّةِ التَّهْدِيَّةِ . وَكَانَ كُلُّمَا انْتَقَلَ مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرَ
يُحَاوِلُ الْوَلَدُ الْوَحْشِيُّ الْفِرَارَ إِلَى الْغَابِ وَالْحَيَاقِ بِالذَّنَابِ
وَرِفَافِهِ . فَفِي أَحَدِ الْأَيَّامِ بَعَثَ التَّاجِرُ مَخَادِمَهُ لِنِضَاءِ حَاجَةٍ

خَارِجَ الْبَلَدَةِ فَنَعِمَ ذَلِكَ الذَّئْبُ الْبَشَرِيَّ الْفُرْصَةَ وَفَرَّ مَارِبًا
إِلَى الْأَدْعَالِ. وَلَمَّا عَادَ مُطْلِمُهُ رَأَى الْوَلَدَ قَدْ تَوَارَى عَنِ الْعِيَانِ
وَانْتَطَعَ خَبْرُهُ بَعْدَئِذٍ كُلَّ الْإِنْتِطَاعِ.

أَمَّا الرُّوَايَةُ الثَّانِيَةُ فِيهِ

إِنَّ فَلَاحًا مَّا كُنَّا قَرْيَةً جُورِيَّةَ الْبَعِيدَةِ عَنْ مَدِينَةِ سُلْطَانِبُورِ
الْهِنْدِيَّةِ نَحْوَ عِشْرِينَ مِيلًا ذَهَبَ سَنَةَ ١٨٤٣ لِيَحْصِدَ غِلَالَةَ
الصَّيْفِيَّةِ وَأَخَذَ مَعَهُ زَوْجَتَهُ وَابْنَهُ الْبَالِغَ عُمُرُهُ ثَلَاثَ سِنِينَ .
وَكَانَ ذَلِكَ الْوَلَدُ قَدْ شَفِيَ حَدِيثًا مِنْ حَرَقِ كَوَاهُ فِي رُكْبَتَيْهِ وَغَلَدَرَ
أَثْرًا. فَبَيْنَمَا كَانَ الْآبُ يَحْصِدُ فِي الْحَقْلِ هَجَمَ عَلَى الْوَلَدِ فَجَاءَهُ
ذئْبٌ خَطَفَهُ وَرَكَضَ بِهِ يَبْعُدُو إِلَى الْأَوْدِيَةِ وَالْأَخَادِيدِ. فَهَرَعَ
الْوَالِدَانِ وَرَاءَ الذَّئْبِ يَتَّبِعُهُمَا الْقَوْمُ لِلتَّجَدُّدِ وَالْإِغَاثَةِ. وَلَكِنَّهُمْ
لَمْ يَذَرُكُوا لِلذَّئْبِ وَفَرَسَتِهِ أَثْرًا. فَعَادُوا بِخَفِي حَيْنٍ. ثُمَّ بَعْدَ
نَحْوِ سِتِّ أَعْوَامٍ كَانَ نَفَرَانِ مِنَ الْجُنُودِ الْإِسْبَاهِيَّةِ بِصِيدَانِ
الْتِمَازِيرِ عِنْدَ أَطْرَافِ الْغَابَةِ فَشَاهَدَا ثَلَاثَةَ أَجْرِيَةِ ذئَابٍ وَصَيَّيَا
خَارِجَةً مِنَ الدَّغْلِ وَمَهْرُورَةً نَحْوَ جَدُولِ الْمَاءِ لِلشُّرْبِ. ثُمَّ
رَكَضَ الْأَرْبَعَةُ إِلَى غَارٍ فِي ذَلِكَ الْأَخْضُودِ. فَنَازَعَهَا الْجُنْدِيَانِ
بُطَارِدَانِهَا فَدَخَلَتِ الْأَجْرِيَةُ الْكِنَاسَ وَكَادَ الصَّيَّيُ يَدْخُلُ مَعَهَا

وَإِذَا بِأَحَدِ النَّفَرَيْنِ قَبِضَ عَلَيْهِ مِنْ رِجْلِهِ وَجَرَّهُ عَنِ الْغَارِ
فَعَالَجَ الْوَلَدُ وَحَاوَلَ الْإِفْلَاتَ وَعَضَّ حَامِلَهُ وَنَهَشَ بَأْسَانَهُ
أُسْطُوَانَةَ الْبُنْدُقِيَّةِ حَتَّى كَادَ يَكْسِرُهَا. أَمَّا الْعَسْكَرِيُّ فَبَذَلَ
جُهْدَ الْمُسْتَطِيعِ فِي ضَبْطِهِ وَأَتَى بِهِ إِلَى بَيْتِهِ حَيْثُ حَفِظَتْهُ
عِشْرِينَ يَوْمًا كَانَ يُطْعِمُهُ فِي خِلَالِهَا لَحْمًا نَيْشًا مِنْ لُحُومِ الْأَرَانِبِ
وَالطُّيُورِ وَغَيْرِهَا وَلَكِنْ تَعَسَّرَ عَلَيْهِ بَعْدَ حِينٍ وَجُودُ طَعَامٍ كَافٍ
لِإِعَالَتِهِ. فَأَخَذَهُ إِلَى سُوقِ قَرْيَةِ كَالِيبُورِ وَطَلَبَ مِنَ التَّحْسِنِينَ
إِسْعَافَ الْوَلَدِ إِلَى أَنْ يَتَسَرَّ وَجُودُ وَالِدَيْهِ فَيَطْلُبَانِهِ

وَكَانَتْ تُقَامُ فِي يَوْمٍ مُعَيَّنٍ مِنَ الْأَسْبُوعِ فِي تِلْكَ الْقَرْيَةِ
سُوقٌ يَتَنَابَهَا أَهْلُ الْقَرْيَةِ الْجَوَارِةِ فَحَضَرَ فِي أَحَدِ هَذِهِ الْأَيَّامِ
رَجُلٌ مِنْ قَرْيَةِ جُوزِيَّةَ وَرَأَى الْوَلَدَ فِي السُّوقِ. وَلَهَا عَادَ قِصَّ
نَبَأِ الْغَلَامِ عَلَى جِيرَانِهِ. أَمَّا الْفَلَّاحُ أَبُو الْوَلَدِ فَكَانَ قَدِمَاتٍ
غَيْرَ أَنْ أَخْبَرَ نَسِي إِلَى أُمِّهِ النَّبِيِّ كَانَتْ لَا تَزَالُ فِي قَيْدِ الْحُجَاءِ.
فَسَأَلَتِ الرَّجُلَ عَنِ الْإِشَارَاتِ الَّتِي رَأَاهَا بِالْوَلَدِ. فَأَنْبَاهَا عَنْ
عَلَامَةِ الْحَرَقِ الْبَادِيَةِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَآثَارِ أَسْنَانِ الْحَيَوَانِ الظَّاهِرَةِ
عَلَى خَاصِرَتَيْهِ. فَانْطَلَقَتْ حَالًا إِلَى سُوقِ تِلْكَ الْقَرْيَةِ وَرَأَتْ
فَضْلَاعَهَا ذَكَرَ عَلَامَةَ ثَالِثَةً وَهِيَ أَصْحَبَةُ خَلْقِيَّةٍ عَلَى فِخْذِهِ. فَأَخَذَتْهُ

عَلَى النَّوْرِ إِلَى مَنَزِلِهَا حَيْثُ لَا يَزَالُ حَيًّا. وَلَكِنْ مَنِي بَعْتِهِ^(١)
 الْعَقْلِ وَأَمْسَتْ رُكْبَتَاهُ وَمَرَفَقَاهُ مُتَصِلَتَيْنِ مِنَ الْمَشْيِ عَلَى الْأَرْبَعِ
 مَعَ الذِّئَابِ. وَالْآنَ تَرَاهُ يَجُولُ فِي الْقَرْيَةِ كُلَّ النَّهَارِ وَيَسْلُ
 فِي اللَّيْلِ إِلَى الْأَجَامِ وَالْغِيَاضِ وَهُوَ صَامِتٌ لَا يَسْتَطِيعُ
 النَّطْقَ وَلَا يَلْفِظُ أَصْوَاتًا وَاضِحَةً. وَمَتَى شَرِبَ بَغِيسُ رَأْسِهِ فِي
 الْهَاءِ وَلَكِنَّهُ لَا يَلْبِغُ كَالذِّئْبِ. وَمَا فَنِي يُؤْثِرُ اللَّحْمَ النَّيِّ عَلَى
 النَّاصِجِ. وَمَتَى مَاتَ جَامُوسٌ وَسُلِخَ جِلْدُهُ أَشْرَكَ مَعَ كِلَابِ
 الْقَرْيَةِ فِي نَهْشِهِ وَأَفْتَرَاسِهِ

وَالذِّئْبُ عِنْدَ تَنْفُسِهِ بَخَرٌ كَرِيهٌ. وَهُوَ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ
 مَكْرُوهٌ مُغْتَالٌ وَمَنْظَرُهُ وَخَشْيٌ وَعَوَاوُهُ كَثِيرٌ مُرْعِبٌ. وَرَأْيُهُ
 لَا يَهْكُنُ أَحْبَابًا لَهَا وَأَفْعَالُهُ شَرِسَةٌ وَأَخْلَاقُهُ ذَمِيمَةٌ مَهْقُوتَةٌ.
 وَهَذِهِ الصِّفَاتُ السَّيِّئَةُ أَوَّلُ مَا تَرَى فِي جَبَلَتِهِ. وَهِيَ الَّتِي جَعَلَتْهُ
 بَغِيضًا ضَارًّا حَالِ حَيَاتِهِ وَمَذْمُومًا لِأَخْبَرِ فِيهِ بَعْدَ مَوْتِهِ. وَقَدْ
 أَحْسَنَ فِي وَصْفِهِ مَنْ قَالَ

إِذَا مَا اللَّيْلُ جُنَّ^(٢) وَكَفْهَرَا^(٣) وَجَرَ مِنَ الشِّتَاءِ الذَّلِيلُ جَرَا^(٤)
 وَحَدَّ الْجُوعُ بَانِرَةً ظُبَاهُ^(٥) وَرَاشَ سِهَامُهُ بَصْفِي^(٦) الْأَعْرَا^(٧)
 تَأَلَّبَتْ^(٨) الذِّئَابُ مِنَ الْأَقَاصِي وَقَدْ أَبَتْ الْخَلَاءُ لَهَا مَقَرًّا

وَجَاءَتْ مِنْ جِبَالِ آلَافٍ نَدًى
وَمِنْ أَرْجَاءِ يَرِينَسَ تَسْطُو
لَهَا ظِلُّ الْمُنُونِ وَجُوعٌ لَحْدٍ
بَدَتْ مِنْهَا الْعِظَامُ جَوَى وَجُوعًا
لَهَا هَزْلٌ بِلَا جِدٍّ وَجِدٌّ
تَصُبُّ عَلَى الْيَلَادِ فَكُلُّ حَيٍّ
تُضَايِي شَبَالًا مَرَّتْ بِلَجٍّ
نَشِبُّ عَلَى الْجَوَادِ فَتَسْطِيهِ
وَلَيْسَ التَّوَرُّ مُنْقَذَ نَفْسِهِ مِنْ
تَحِيْتُ إِلَى التَّوَرِّ فَكُلُّ أُمٍّ
فَحْسُ الْهَرَّةِ لَا يَجْدِيهِ نَفْعًا
وَلَا يَجْدِيهِ إِحْسَانُ إِلَيْهَا
وَإِنْ قَوْمٌ حَبَسُوا عَنْهَا حِمَاهُمْ
تَخَلَّتِ الْقُبُورُ فَبَعَثَتْهَا
وَتَفْرَحُ إِنْ بَكَتْ أُمٌّ بِنَبِيهَا
وَإِنْ لَهَا غَدَاةُ الْحَرْبِ عُرْسًا
تَرْوَعُ صِفَاتُهَا خَطًّا وَسَهْمًا

وَمِنْ آيَاتِ تَنْقِيمِ الْأَمْرَا
عَلَى مَا صَادَقَتْ فَلَا وَكُثْرًا
عَطَاشِي لِلدِّمَاءِ تَوْمٌ نَحْرًا
وَقَطْبَ وَجْهَهَا لَغْبًا وَضُرًّا
إِذَا هَجَبَتْ بِلَا هَزْلٍ فَحْذَرًا
غَيْمَتِهَا وَتَهْصِرُ مَا أَشْخَرًا^(١)
فَتَكْشَعُ^(٢) وَتَعْفُو^(٣) مِنْهُ أَثَرًا
وَتَصْرَعُهُ وَتُخْلِي مِنْهُ صَدْرًا
غَوَائِلُهَا وَلَا يَسْطِيعُ صَبْرًا
بِهَا تَكُلُّ فَتَنْتَعِي النَّسْلَ دَهْرًا
إِذَا حَمَلَتْ عَلَيْهِ وَلَا مَقْرًا
وَلَوْ أَهْدَى لَهَا دَرًا وَدُرًّا
وَضَافَتْ حِلَّةً فِيهِمْ وَمَكْرًا
وَلَمْ تَتْرُكْ بِهَا ضَمَّتَهُ سُورًا^(٤)
لِسُوءِ نَابٍ أَوْ شَرِّ أَهْرَا
وَمِمَّا يَكْسِرُ الْجَيْشَانِ جَبْرًا
فَكَيْفَ وَقَدَ بَدَتْ لِلْعَيْنِ جَهْرًا

فَيَا بُشْرَى لِقَطْرِ عَنْهُ نَاعَتْ فَإِنَّ عَلَيْهِ يَهْيُ الْخَيْرُ قَطْرًا
وَوَجَّحَ لِلْبِلَادِ وَمَنْ عَلَيْهَا بِرُؤُوسِهَا وَسَاعَتْ مُسْتَقَرًّا
وَأَكْثَرُ أَتْنَابِ الدِّثَابِ فِي رُوسِيَا وَسِيبِيرِيَا وَفَرَنْسَا
وَأِسْبَانِيَا وَإِيطَالِيَا وَالْهِنْدِ وَمِنْهَا قَلِيلٌ فِي سُورِيَا. وَلَا عَجَبَ
إِذَا تَكَثَّرَتِ الدِّثَابُ مَعَ إِقْبَالِ النَّاسِ عَلَى إِهْلَاكِهَا وَاحْتِرَاعِ
الْحِمْلِ وَالْأَوْهَاقِ لِإِبَادَتِهَا. لِأَنَّ مِدَّةَ حَمْلِ الْأُنْثَى لَا تَزِيدُ عَلَى
أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ وَتَلِدُ فِي الْهَرَّةِ مِنْ خَمْسَةِ أَجْرَاءَ إِلَى ثَمَانِيَةٍ

(١) بيت الظي (٢) قطعاناً (٣) شهوة الطعام (٤) المحبوب
التي تُطبخ (٥) الكنف (٦) تنص العفل (٧) اظلم (٨) جمع طبة
وهي حد السيف (٩) الضى الریش على السهام (١٠) يرمي فيقتل
(١١) الشبان الذين لا تجربة لهم (١٢) تجمعت (١٣) شدة التعب
والاعياء (١٤) تجذب وتميل (١٥) طال (١٦) تذهب به
(١٧) تدرس ونحو (١٨) البقية والفضلة (١٩) جعله بصوت
كصوت الكلب

البدا

البدا أو الممه (١) أو الفل (٢) لا تشبه بوادي القنر ولا صحاري اميركا ولا
السهول الكبيرة التي سلف الكلام عنها. فان تلك السباب (٣) جافة ومجردة

من الاعشاب صيفاً اما في الشتاء فتغمرها سيول الامطار والثلوج فتنبت العشب
والكلأ للمواشي

اما هذه القلاة الواقعة بالقرب من ترعة المويس ولا تبعد عن البحر
المتوسط . فقد تنضي اعوام عديدة لا يهطل عليها قطرة غيث ولا قطرة ندى
ليلاً لترطيب الارض . فلا يدع اذا لم تر عليها نباتاً اخضر ولا عشباً تسومة
الماشية ولا بقولاً ولا اثماراً يأكلها المسافرين ولا اشجاراً يتقيأ في ظلها . بل يدوس
فيها على منظر بحرارة الشمس لا يرى ينبوعاً ولا جدولاً يروي الصدى^(٩) فهي
سُبروت^(٥) بلقع

والارض في هذه الغيفاء^(٦) طبقات ملح كثيفة تغطيها صخور رملية او برامع^(٧)
متشعبة وكثبان^(٨) واحفاف^(٩) تحتها طبقة كلسية ملانة بالملح ومن هذه التلوفة^(١٠)
قسم كلة ملح يدعى بحجرة الملح على انه ليس بالحقيقة الا سهلاً مليحاً فقط

والملح هنالك صلب وصلد فتدوس عليه الابل ولا تغور اخفافها . وقد
تسير عليه فتكسر كُتل الملح فمال الخيل ولا تغور الا قليلاً لان تحت هذه
الطبقة طبقة اخرى اصلب منها . ولون هذا السهل ابيض ناصع يبهـر
الابصار والارض مرتكبة بقطع ملح كبيرة ثللاً كالبُور حتى انك ترى الجوّ
الازرق فوق رأسك اسود بالنسبة الى بياض ذلك السهل

ولا يقطن هذه الحرون والكثبان الرملية انسان ولا حيوان لتبظها
وجلبها الدائم وغياب الطعام والشراب عن قيامها . فتري الصمت والسكون
سائدين في ارجائها كأنك بين القبور . وهي باديان عظيمتان احدهما في بلاد
العرب وتُدعى بادية العرب والاخرى في افرقية وتُدعى الصحراء

اما الصحراء ففيها اغوار وهامٍ رملية عميقة . فقد سير احد ملوك القرس
(زر كيس) يوماً جيشاً عرمرماً في هذه الصحراء وعزم على قطعها بنسب فملك
الجيش عن آخره حتى لم يبد له اثر . لانهم ما نوا عطفاً ودُفِنوا في احافيف
الرمال . وتعاين في هذه الجاهل^(١١) عظام بشر وحيوانات وضواير مششرة على

سطحياً . منها عظام الابل والمسافرين المنكودي المحظ الذين ملكوا في هذه
القفائف^(١٢) . ويندران ترى حياً سوى بعض الضاري فمقب آثار الركبان
راجية اغتنام الفرائس

اما الارض الواقعة حول هذه القنوفة فموحشة قفراء . فقد تهطل عليها
الامطار آتية ونجري فيها جلاول صغيرة تشرب منها المواشي البرية ويبت فيها
الكلا وبعض الاشجار والانجم قد عى واحات وهي تختلف كل الاختلاف عن
الصحاري الرملية لان الوحوش تجول فيها وتكن لفراسخها . فتسمع زفير الاساد
ليلاً وضباغ الثعالب وخرخرة الثور وعواء الذئاب وقباغ الخنازير . وتخرج
السباع من عريستها^(١٣) تنش عن طعام اللوايح واشبالها فتأتيها بالفرلان
والجماير^(١٤) والابائل . فانها تشب عليها حين رقادها او انتجاعها الكلا على غير
حذر فتبطش بها . لان الفرلان متى لمحتها تعدو كالبرق فلا تدركها الاسود

واذا سرحت الفرلان اسراياً فحجرات على الدفاع والصلام . فاذا كن لما
نر وقتت لديه صفاً مرصوصاً وفطنة بقرونها الطويلة وارغمة على الثرار خائفاً .
لانه لا يحسر على مكافئة اروقها^(١٥) البتارة فيذهب عنها ساعياً^(١٦)

ومن اعلاه المسافرين في تلك المواجهل الرياح . فاذا ثارت فجأة كحمت
الرمال ورفعتها الى عنان الجو كالغيوم . فلا يعارضها في زعرعتها ميوت ولا
هضاب ولا اشجار بل تقصف في تلك الاغوار والانجاد قصفاً مائلاً فتكاتف
الرمال وتلبد على مر الدقائق ويظلم الافق وترى الشمس صفراء فاقعة كأنها
كسفت . ويبان المسافرين هذه الاعاصير مقبلة عن بعد تنسف الرمال
وتسفها ويشعرون بحرارها الملتظية تلظي الاتون . فيصرعون على الفور ويفكون
الاحمال عن الابل والدواب ويلقون بانفسهم الى الارض ويلقون رؤوسهم
باردتهم ويضطجعون كالاموات منتظرين قدوم هذه الريح التي يسمونها الخماسين
او ربح السوم

اما الابل فتعلم ذلك بالعليقة فتبرك على ركبها وتصل خطوها بالرمال

تتمر خياشيمها . وإذا بالريح قادمة في مزين قاصف تكس الرمال فتتشتر
دقائقها في الهواء وتضك بلظاما ودقة ذراتها الأبدان . حتى اذا استنشمت
انسان كوت حلقومه وكادت تخنقه وتذهب بنفسه

وقد يغطي الرمل احيانا الركب ^(١٨) كلة حتى يوشك ان يدفنه حيا .
فيترك رجاله ويجالون نفضة عنهم ولكنهم لا يرفعون وجوههم عن الارض قط .
واذا دام هبوب هذه الحُرور ^(١٩) وتكا طويلا جفت مياه المسافرين في زقاقهم .
ثم متى كفت عن الهبوب نهض النوم شاعرين بحرارة لا تطاق يصعدون زفرات
العناء ويشكون من لدغ الرمضاء جلودهم الجافة جفاف الرمال . ولكن ان
احكموا لث رؤوسهم وتطعيمها لا يلزم بهم ضرر يذكر

ويشتد ظمأ المسافرين في هذه الصحراء وكذلك الهائم والدواب حتى ان
الابل تنص الماء المائي أكياس يعبأها اللحية فتنفخ وتشر بصدى وألر ^(٢٠)
شديدتين فتد اعناقها وتلوها من جانب الى آخر لتشتم الماء . فان لما خاصة
شبه من مكان صحيح ^(٢١)

ويبدو للناس في تلك الهباء ^(٢٢) شبح بعيد يجاكي بحيرة جميلة يترقق فيها
الماء وتلوح منها صور هياكل وقبب واشجار منعكسة عنها . فتخال نفسك قادما
الى مدينة عامرة . فيستبشر الركب بوصوله الى ينبوع او جدول حتى الابل
تحث الخطى وتنص ^(٢٣) مادة اعناقها . واذ ذاك لا تسمع في القافلة الا كلة الماء
الماء تنافلها الالسن وتلعج بها . اما الادلاء البدو فلا يغترون ببذل ذلك
ويجرون من انخداع ابلهم بهذه الظواهر . ولا غرو فان هذا الرسم ليس سوى
خيال وهي يدعى شرايا علته انعكاس اشعة الشمس على الرمال المنطقية . اما
الخيالات والاشباح فقطع صخور وحجار كبرها النظر فتجسمت ولاحت كهياكل
واشجار . ولا قطع من ذلك كون الألر والصدى أثرأ باصار السفر في القنار
فخالوا الوم خيفة وعراهم الفشل والقنوط عند استجلاء العلة الاصلية . لانه متى
بلغ المسافر هذه البقعة تلاشى ذلك المنظر من امامه وتبدد وزالت صورة تلك

الاشباح البادية على وجه البحيرة ولم ير غير قفار رملية . اما الدليل البدوي فلم يَصْب بِئِلْ ذلك لخبرته ودرايته بهذه الارض بل يبحث السير الى الامام حتى يبلغ الينبوع الحقيقي فيبرد ظمأه

على ان تلك المهامه وان وُصِفَتْ بالقحول والجفاف لا تخلو اطرافها من بقاع خضراء نضرة تُدعى واحات بحيث يعمت شجر النخل الذي يضرب اصوله في الرمل ويستمد منه الغلاء ويحمل حرارة الهواء واشعة الشمس المخلطية . وفيها آبار وينابيع ماء قليلة كواحة ايليم التي حلَّ عندها بنو اسرائيل قديماً فوجدوا آباراً ونجلاً . ومنها ما هو فسيح المجال كثير الكلال غزير الينابيع يسوم عليها عرب البادية مطاياهم ومواشيهم ويضربون فيها خيامهم ويتنابح تحت وارف^(٢٥) ظللها المسافرون وابناء السيل . فقد شبه بعضهم تلك الصحاري بمجلد نمر مرقط برقط سوداء على اديم اصفر . اما اللون الاصفر فالرمال واما الاسود فالواحات . وفي بعض هذه الواحات عدا النخيل اشجار التفاح والشمس والرمان والموز والكرم والقول والازهار كخلائق سائر البلاد

- (١) المفازة البعيدة (٢) ارض بعيدة الاكثاف لاماء فيها ولا يصيبها مطر
- (٣) المفازة او الارض المستوية البعيدة (٤) العطش (٥) الارض القفرة التي لاماء فيها
- (٦) المفازة لاماء فيها (٧) حجارة يفيض
- (٨) تلال رمل (٩) الموج من الرمل (١٠) ارض واسعة لاماء فيها
- (١١) ارض لا يهتدى اليها (١٢) مفازات (١٣) مأوى الاسد
- (١٤) حيدر الوحش (١٥) قرون (١٦) جائناً (١٧) رياح عيب من الارض كالعمود
- (١٨) ركبان الابل (١٩) ريح حارة (٢٠) العطش (٢١) بعيد (٢٢) مفازة لا يهتدى فيها الطريق
- (٢٣) تستقصي آخر ما عندها من السير (٢٤) المسافرين (٢٥) انساع الظل وامتداده

العرب

اخلاقهم وبعض عوائدهم

تقسم العرب قسمين كبيرين حضر وبدو او (اهل وبر). اما الحضرة فسكان المدن والامصار والقرى . وهم يزاولون الزراعة والفلاحة والصناعة والتجارة . ويرتبطون بنواميس وشرائع متروكة مكتوبة ويخضعون لوزع اهل ولاية وحكام ينوبون عنه في السياسة والقضاء وإدارة الاحكام . يعيشون في الغالب بالعمالة والامن ويتمتعون بلوازم الحضارة من الترف ورخاء العيش ولم مع بعضهم علاقات وصلات ومعاملات يقتضيها العمران والمدن . اما اهل الوبر فعرب البادية الرحل الذين يأوون المضارب والنخام ويظعنون^(١) لانتجاع موارد الكلا لمأشيم ورواحلهم وهي اقم مصادر رزقهم ومعاشهم . ومنهم من يتخذ الفزوشن الغارة والسلب حرفة تحت قيادة زعيم او شيخ او امير يعتبرونه بمنزلة الحكم والوزع^(٢) بينهم . ولم سُنن تقليدية بتوارثونها خلفاً عن سلف ولا يحولون عنها . وهم ينقسمون الى قبائل وعشائر وطوائف ويطون واتخاذ بطول الكلام عليها

وقد وُصف عرب البادية بالشجاعة والبعالة والاقلام والمرورة والفخوة وحفظ الذمام وقرى الضيوف وطلاقة اللسان وبطاقة المخاطر ونظم الشعر . وقد نبع بينهم ولا سيما في سالف الايام خلق كثير من الشعراء الجيدين والخطباء الملقين والكعبة البارعين والاحياء المشاهير الذين يُضرب بذكرهم المثل . اما الآن فقد انحطت درجة العلوم والمعارف بينهم واصبح جلهم هجماً دأهم المغازي والحروب . الا من نزل منهم في جوار الحضرة وألفها الزراعة والفلاحة والمعاملات التجارية وخضعوا لاحكام الدولة العثمانية المظفرة . واستظلوا تحت

لواء شرائها وستنها العادلة . فأنشأ من الطوارق ^(٢) والدواي في حى الخليفة
الاعظم الذي اقر بسمو سلطانه البدو والحضر من سكان السهل والجبل .
وطوق بقلاده فضله وقسطه اعتاق تبعته على اختلاف الملامب والمثل ^(٤) . فأمّن
جيرانهم غوائل غاراتهم الموقفة ^(٥) واسى الجميع بدعون لجلالة ملكهم الباسط
عليهم مرادق ^(٦) نعمته الوارقة الظلال . والرافع فوقهم اعلام سطوته الراحمة
رسوخ الجبال

فلما ان دأب عرب البادية الرحيل والنقل حاملين معهم الكراع ^(٧)
والمناج يرودون النايح والآبار ويشدون المراعي والكلا حتى اذا طاب لم
مكان حلو فصرى فيه المضارب واضرموا النيران وسرحوا المواشي وقاموا
بأعمال الجز والحلب والصر ^(٨) حتى تسمو الماشية اعتناء فينادروثة ويظعنون
طاليت متراً آخر . والعرب كرماء الطبايع يقرون ^(٩) الضيوف ويحملون
وفادتهم ^(١٠) . فاذا طرق خيمة اعرابي زائر تهباً لضيافته فامر زوجته ان تذهب
الى الطبيع وتختار خروفاً او جذياً فيذبحه وتباشر المرأة طبخة فتطهيه ^(١١) بلبن
النافع وقدمه للضيوف برمتيه وهذا يذكرنا بايام ابراهيم حين لم سارة باحضار
عجل وذبحه واعداه للوفد الالى

ولنساء العرب قناعة واقتصاد وعفة وخضوع لبعولهن وثقن بأكثر الاعمال
المتربة واشتها . ولم جميعاً جلد عجيب على احتمال مشاق الحر والبرد واتعاب
السفر . وترى البدوي يضرب خيمته في الغلاة وان قرس البرد ويضج مكشوف
القدمين بلا نار للتدفئة ويلتف بعبائه ويهنا في الرقاد ويتدد في الصيف على
الرمضاء ملتناً بكماؤه في هاجرة الشمس ناعم البال قمر العين غير مبال
بالهجير

ومنى نصب الاعرابي خيمته دق راحة في الارض وهو قضيب طويل من
الزان في رأسه سنان فولاذي مزدان عند اعلاه بريش النعام والريح للبدوي
سلاح خطير لا غنى له عنه . ومنى سار في القنار شحذ وإذا شاء القاءه على حصى

لازلة فوق رأسه وهزّة برهة ثم رى به بقوة فتسمع له دويًا وصليلاً . وإذا كان العدو وراءه القاه إلى خلفه برشاقة يُعجّب منها . فقد يقتل جواد خصمه بانقضاء سانه على هذا المنوال . ومن السحّة البدو أيضاً السيوف القاطعة الفولاذيّة ويتنافسون بالصوارم المنيّة والفراند^(١٢) المفضّضة والمذقبة . ولا يكاد البدوي يفارق حسامة حتى في مضارب خلّاء وجيرانه . ويتقلد العرب أيضاً بالخنجر ويحلقون البنادق النارية فيسدّدونها حسماً ويحسون إطلاق المرى . فقد يضطجعون على الأرض حين القنص ويطلقون الرصاص بأحكام يندران يخطئ . ويستعمل العرب أيضاً المقلاع ويحذون الري به ولا سيما الرعاة للدفاع عن المواشي من ضواري البادية . وقد برع البدو جداً باستعمال السلاح وعلى الخصوص السيوف فهي طوع بنانهم لتمرّتهم على استعمالها منذ الحداثة

ويركب العرب (البعج) التي تسابق الرياح في سيرها فيقطعون عليها المسافات الطوال ولا يشعرون بالعناء والتعب . وأكثرهم يحترفون الغزو وشنّ الغارات والسلب شأنهم منذ زمن اسمعيل . فهم آفة السباح والمساقرين وبناء السيل . إلا إذا استجار المسافر بشيخ القبيلة ورئيسها وسار تحت حمايته بعد استرضائه بالدرهم والخلع أو كان نزيلة وقد ذاق خبزه وطلحه . فان العرب يحترمون نزليهم كل الاحترام ويحبرون المستغيث فلا يمسونه بسوء بل يدفعون عنه حتى الموت وإن كان قاتلاً اعترّ انسابهم . انما متى خرج مثل هذا من خيمة مضيقه فلا يأمن من بوائق^(١٣) اخذ النار . لان البدو يعتبرون الاخذ بالنار من اثم الواجبات ولو بعد امد مديد كما هو مشهور عنهم . وإذا تمكّنوا من سلب قافلة او مسافر قلما يتعرّضون للبطش باصحابها إلا اذا امتنع المملوب منه عن اعطاء ساليه ما يروم

وتركب نساء الامراء والسراة الابل في هودج ومخفات ضمنها مقاعد للجلوس وفي اعلاما شبائيك من قُصْب مشبكة يمدلون عليها النسيج الموشى والعرب احفظ المخلق ذماماً واحصنهم عرضاً وكرمهم قرى واقدرهم على

تحمل المشاق واحبهم للحرية والسكنى في الفلاة. ومن شيمهم ايضا الامانة والوفاء
وبأنفون من اخلاف الوعد ولا يحصى عتدهم من اخذ الثأر. ولم مناقب
وخصال غير هذه حمسة وسبعة لا يحتمل المقام الاسهاب فيها
ويعتقد العرب بالقال والتمين والشاؤم والطير^(١٢) والكهانة^(١٥) والعيافة^(١٦)
والقيافة^(١٧) والزجر^(١٨) والقراءة اكتفينا بالاملاء اليها. وكانت العرب تستعمل
المير والازلام^(١٩) والقلاج^(٢٠) وهي قارم غير ان الشريعة الاسلامية نهت عن
مثل ذلك

- (١) يسيرون (٢) مدبر امور الجيش. (٣) دواهي او مصائب
(٤) اديان (٥) مهلكة (٦) فسطاط (٧) الخيال والبغال
والحمير (٨) شدضرع الناقة (٩) يضيفون (١٠) قدوم
(١١) نطجة (١٢) السيوف (١٣) دواهي (١٤) القال الرديء
(١٥) القضاء بالغيب (١٦) زجر الطير للتعداد والشاؤم (١٧) تتبع
الاثر (١٨) تناول بالطير (١٩) سهام كانوا يستقسمون بها
(٢٠) سهم المير

العرب

حيواناتهم ومحصولاتهم وبعض صناعاتهم

ان للعرب البد الطولى في تربية الابل والقيام على تاجيها وطلب الاتاج
لما لارتداد^(١) مراعيها ومفاحص^(٢) توليدها لشدة الحاجة اليها في بلادهم. فهي
مراكيم التي يحملون عليها احمالهم وينقلون اثقالهم ويأكلون لحومها ويتناتون

على البائعا ويكتسبون من اوبارها . ويقايضون عليها في المبيعات ويتبدون اسرام بها ويعطون منها في الغرامات والديات والمرامات ومهر الزوجات وبالحجلة في مصدر غنهم

والعرب ايضا خيل مشهورة في الجودة والجمال والاصل . وخير حسنة . وعندهم المعزى والغنم وهم يبتنون بتريتها كل العناية . ومن حيوانات بلادهم الجاموس وبقر الوحش والفراء والخرير والارنب والغزال والظبي والذئب والوعل والثعلب وابنت آوى واليربوع والنسناش والنعام ومن الطير النطا والحجل والصقر والكروان والغراب والبيج والرخم والمهدد والسممر وفي بلاد العرب احتاش وحيات مؤذية وغفارب وضباب^(٢) وابواع من النمل والرتلاء وكثيرا ما يعطون على هذه البلاد الجراد ويقال له الجندب فيتلف اغراسها . واكثر ما يستوطن في مغازر نجد

ومن محصولاتها الخاصة المر والبلسان والبن والحناء والطح الذي منه الصمغ العربي والتارجيل والتمر الهندي والتحل والفلفل والعنص والنج والنبلة وشجر اللبان وغير ذلك

ويتقارب قبائل البدو بعض ارباب الحرف والصنائع كالصاغة والحذادين والبيطرة والسروجية قادمين من القرى المجاورة للبادية ويصرفون الصنف معهم في الخيام للشغل . اما العرب انفسهم وان كان لا غنى لهم عن هذه الصنائع وما مائلها فيذهبون الى ان مقام الصنائع دون مقامهم وبأفئوت من تعلمها وزاولها . فيصحبون للبيطار بتعل خيولهم وللصاغة بصباغة حلي نسائهم ولكنهم لا يعقدون^(٣) لهم على قضايتهم . واذا شاء صانع الاقتران بزوجة نعم عليه العقد على فتاة من عشيرته او من بنات الارقاء

وقد يمارس البدو بعض الصنائع النافعة كالنماجة والديغ والصبغ . ولا يدبغون الا جلود الابل فيملحونها ويتركونها يومين او ثلاثة . ثم يغمسوها في العصيدة . ثم يملحونها بالماء الصافي ويكشطون عنها الشعر . ثم يأخذون قشر

الريمان او ورق السماق الجاف ويحنونه ويخرجونه بالماء ويتفرون الجلود فيه اياما

اما شعر المعزى فيستعملونه محوكا لعل المضارب والبلس ولغايات اخرى. ونحوه النساء على الانوال. فترى الامم وبناهما جالعات في الخيمة ينجن ويغزلن ويطنن ارديهن وارديه رجالهن

(١) طلب (٢) الاماكن التي تكشف التراب عنها للتوليد (٣) حيوانات تشبه الورل او اثني الحردون (٤) يرمون عند الزيجة

العرب

خيامهم واثانهم

خِيمَةُ الْاَعْرَابِيِّ مَحْوَكَةٌ مِنْ شَعْرِ الْهَامِزِ مَنَسُوجًا نَسِيجًا مَتِينًا وَمَخِيطَةٌ مَعًا وَمُنْتَصِبَةٌ عَلَى اَعْبِدَةٍ وَدَعَائِمٍ كَثِيرَةٍ. تَحْتَوِي عَلَى غُرَفَتَيْنِ احَدَاهُمَا لِلرِّجَالِ وَالْاُخْرَى لِلنِّسَاءِ. يَفْصِلُهُمَا عَنْ بَعْضِهِمَا سِتْرٌ صُوفِيٌّ خَشِنٌ اَيْضًا مَدْلَى مِنَ السَّقْفِ. وَارْضُهَا مَفْرُوشَةٌ بِالْبُلْسِ اَوْ الْبُسْطِ. وَكَانَ الْعَرَبُ يَقْسِمُونَ الْخِيْمَةَ الَّتِي يَسْكُونُهَا بِسِتَارَةٍ مَخْجُبٍ فِيهَا النِّسَاءُ وَكَانَتْ فِي ظَهْرِ الْبُضْرَبِ. وَجَعَلُوا الْبَيْتَ الَّذِي يُضْرَبُ فِي مَقْدَمِ الْبُيُوتِ مَثَلًا لِلْغُرَبَاءِ فَلَا تَكُونُ فِيهِ الْخُدْرَاتُ وَيَسْهُونَ الْيَهُودَ.

وَيَتُّ النِّسَاءُ أَخَذَرُ. وَمِنْ أَنْوَاعِ هَذِهِ الْبُيُوتِ السَّرَادِقُ وَهُوَ
خَيْمَةٌ مِنْ نَسِجِ الْقُطْنِ. وَالْفِسْطَاطُ وَهُوَ يَتُّ كَبِيرٌ مِنَ الشَّعْرِ.
وَالْحَبَاءُ يَتُّ مِنَ الصُّوفِ يُقَامُ عَلَى عُهُودَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ. وَالنِّجَادُ
مِنَ الْوَبَرِ. وَالشَّعْخُ مِنْ جِلْدٍ. وَالسُّدْرَةُ مِنْ طِينٍ يَابِسٍ. وَالْحَيْمَةُ
مِنْ غَزَلٍ. وَالْقَبَّةُ مِنَ اللَّبَنِ. وَالْحُظِيرَةُ مِنَ الشَّجَرِ. وَالطَّرَافُ
مِنَ الْأَدِيمِ.

وَيَضَعُ الْإِعْرَاقِيُّ فِي وَسْطِ حُجْرَتِهِ رُكَّامًا مِنَ الْأَجْرِ
وَالزَّرْقَاقِ وَجَوَالِقِ الْحِطَّةِ حَتَّى تَكَادَ تَبْلُغَ سَقْفَ الْبَضْرِ.
وَالسِّلَاحُ أَيْضًا وَأَقْتَابُ الْإِيلِ وَهِيَ تُسْتَعْمَلُ بِهَتْرَلَةٍ مَجَالِسَ
وَكُرَاسِيٍّ يَجْلِسُ عَلَيْهَا الرِّجَالُ وَيَدْخُنُونَ. أَمَّا غُرْفَةُ النِّسَاءِ
فَتَحْوِي أَمْتَةً وَافِرَةً مِنْهَا أَدَوَاتُ الطَّبْخِ وَهِيَ فِي الْغَالِبِ
طَاجِنَانِ نَحَاسِيَّانِ وَرَحَى الْيَدِ (جاروشة) لَطِينِ الْحِطَّةِ وَجُرْنٌ
خَشَبِيٌّ وَمِدْقٌ لِدَقِّ اللَّبَنِ وَقِصَّةٌ خَشَبِيَّةٌ لِلْبِنِّ النَّوِيٍّ. وَكَأْسٌ
خَشَبِيٌّ لِلشَّرْبِ وَإِبْرِيقٌ قَهْوَةٍ. وَمَتْنٌ شَاءَتْ رَبَّةُ الْبَهْرَلِ
طَهَى الطَّعَامِ وَضَعَتِ الطَّاجِنَ الْأَكْبَرَ عَلَى النَّارِ فَوْقَ مَوْقِدِ
مُؤَلَّفٍ مِنْ ثَلَاثَةِ حِجَارٍ يُدْعَى إِنْثِيَةً. وَفِيهِ أَيْضًا قَتَبُ النِّسَاءِ
الَّذِي يُضَارِعُ السَّرِيرَ يَضَعُهُ عَلَى ظُهُورِ الْمَطَايَا فَيَهْتَفِي بِهَا.

وَهُوَ مُزْدَانٌ يَنْطَعُ نَسِجَ مُلَوْنَةٍ وَعَلَيْهِ رِيشُ النَّعَامِ يَخْفِقُ فِي
 الْهَوَاءِ عِنْدَ سَيْرِ الرَّاحِلِ. وَمِنْ أَدْوَانِهِمُ الْبَهْمَارُ لِحَتْ
 الْعِيسِ^(١) عَلَى السَّيْرِ إِلَى الْأَمَامِ وَالْأَجْرَاسُ الصَّغِيرَةُ لِتَعْلُقَ حَوْلَ
 أَعْنَاقِهَا. وَكَيْسٌ يُوعُونَ فِيهِ وَبَرٌّ الْأَيْلُ عِنْدَ سَفْوَطِهِ أَثْنَاءَ السَّفَرِ
 وَفِيهِ أَيْضًا الْمَاءُ الَّذِي يَنْقُلُونَهُ فِي الْبَادِيَةِ عَلَى ظُهُورِ
 الْجِبَالِ. فَتَرَى الْبَدَوِيَّ فِي الصَّحَرَاءِ يَضَعُ قَهْمَهُ فِي فَوْهَةِ الزَّرْقِ
 وَيَشْرَبُ. وَفِي حُجْرَةِ النِّسَاءِ أَيْضًا الْخِوَانُ وَالْفِصَاعُ^(٢) وَالْجِفَانُ^(٣)
 وَدَلْوٌ مِنْ جِلْدِ الْبَاعِرِ^(٤) لِيَحْتَبِ الْمَاءُ مِنَ الْآبَارِ مَنْوُطٌ بِسَيْرٍ
 مِنْ جِلْدٍ أَيْضًا

وَالْبَدَوِيُّ سِلْسِلَةٌ حَدِيدِيَّةٌ ثَمِينَةٌ لَدَيْهِ جِدًّا طَرَفُهَا
 الْوَاحِدُ مُتَّصِلٌ بِخَلْقَةٍ يُحِيطُ بِأَحَدَى قَوَائِمِ جَوَادِهِ الْعُجُوبِ.
 وَلَهَا قُفْلٌ خَاصٌّ بِهَا وَالْآخَرُ فِي رِزَّةٍ مَغْرُوزَةٍ فِي الْأَرْضِ قُرْبَ
 فِرَاشِهِ يُسَبِّحُهَا قِيدًا. وَعَلَى هَذَا تَضَعُ سُرْقَةُ الْجَوَادِ. غَيْرَ أَنَّهُ
 يَأْتِي سَلَالُونَ أَحْيَانًا إِذَا يَكُونُ الْبَدَوِيُّ مُسْتَغْرِقًا فِي النَّوْمِ
 فَيَحْنَلُونَ عَلَى الْفَرَسِ

- (١) عدل كبير من صوف أو شعر (٢) براذع (٣) حجر يوضع
 عليه القدر للطبخ (٤) الابل البيض بخالط يماضها شقرة (٥) فصاع
 كبيرة (٦) جمال

قال الرئيس ابن سينا في وصف النفس

مبطت اليك من الخلل الرفع
 محجوبة عن كل مقلد عارف
 وصلت على كره اليك وربما
 ألفت وما ألفت فلها واصلت
 واطنهما نسبت عهدا بالحي
 حتى اذا اتصلت بهاء مبوطها
 علفت بها ثاء القبل فاصبحت
 تبكي وقد ذكرت عهدا بالحي
 حتى اذا قرب المسير الى الحي
 وغدت تنرد فوق ذروة شامخ
 وظل ساجدة على الدمن التي
 اذ عانها الشرك الكفيف وصدها
 وغدت مفارقة لكل مخلف
 هجت وقد كنف الخطاء فأبصرت
 وتعود عالة بكل خبيث
 فلاي شيء أميطت من شامخ
 ان كان أمبطها الاله لحكمة
 فهو لها ان كان ضربة لازب
 وفي التي قطع الزمان طريقها
 فكانها برق تألق بالحي

ورقاء ذات نعز وفتح
 وفي التي سمرت ولم تفرق
 كرمت فراقك فهي ذات توجع
 ألفت مجاورة الخراب البقع
 ومازلا بفراقها لم تقع
 من ميم مركها بلل الأجرع
 بين العالم والطلول الخضع
 بملع تهي ولا تنلع
 ودنا الرحيل الى القضاء الوسع
 والعلم يرفع كل من لم يرفع
 درست بتكرار الرياح الأربع
 نقص عن الأوج التسع الأربع
 فيها حليف الثرب غير مشع
 ما ليس يدرك بالعيون الفجع
 في العالمين فخرها لم يرفع
 سام الى قصر الخضيب الازرع
 طويت عن القذ الليب الاروع
 لتكون ساسة لياليم يسع
 حتى لقد غرمت بغير المطلع
 ثم انطوى فكانه لم يلع

العرب

طعامهم ومضايغهم

يُترج العرب الدقيق بالماء ويعجنونه ويعجنونه ملة على رماد الاناثي . ثم يخلطون ملة قليلاً من السمن ويضعونه على الخوان ويتزجون معه لبن النوق او الماعز ليدسم ويطيب. وخبزهم فطائر مستديرة تشبه الكعك يعجنونها على الصاج مؤونة كل يوم بيوم.

ويصنع العرب سمنهم من اللبن الرائب وذلك بأن تضع المرأة في زق او شكوة^(١) وتربطه باحد اوتاد الخيمة . وتأخذ بخضه ساعة او ساعتين فتشكل الزبدة على وجه اللبن . ولما تفرغ من الخض يأخذون ذلك الخض ويغلونه على النار ويطرحون فيه قبضة من الدقيق والملح . فيطفئ^(٢) السمن ويرسب الثقل . اما اللبن الرائب فيتفنون به اذ يستعملونه في صنوف الطعام . وقد يضربون السمن ببعضه ويخترونه ويخففونه في الشمس حتى يقيم ويطنونه كالخطة في رحي اليد ويصنع العرب طعاماً من الكفاة النابتة تحت الارض . فتقى افرخت وبدت جذيراتها فوق التراب في فصل الربيع يبعث اولاد البدو الارض باوتاد وتجمع كل عائلة منها غللاً وتذخرها مؤونة لقوتها زماناً فتتصد بها عن لحوم الماشية . وهم يأكلونها معلوقة او مشوية او يعجنونها مع اللبن والماء وينعمونها بالسمن اللائب

والبدو يقتصدون بطعامهم جداً فيكتفون في الغالب باللبن والتمر او بالثريد والاقط . ويقتصرون الغزلان ويخففون لحومها في الشمس فتزودهم بالطعام اياماً . ويصيدون ايضاً البرايح^(٣) والضباب وتُدعى فأر الصحراء لانها تشاكل فأر المنازل العادية ولا تختلف عنها الا بكبر آذانها وطول اذنانها .

ويستطيب العرب لحم البزابع

قلنا ان العرب ذوو قناعة في المأكل نظراً لقيل بلادهم . فان رعايم
لا يأكلون الا وقعة من خبز ردي مصنوع من الذرة ويأتممون باللبن والسمن
ونحوهما ويقل أكلهم اللحم . ويسمون المشوي منها بالحنيد والمنضج في القدر
بالقدير . ومن صنوف اطعمتهم الثريد وهو أرزٌ ودقيق ولبن تُقلى على النار .
والاقط وهو خبز وتر ومن ممزوجة معاً . والرهيدة وهي حطة تُدق ويصب
عليها اللبن . واللبدة وهي العصيدة الرخوة . والهيذة وهي حب الحنظل الحلي
يُطبخ ويضاف اليه شيء من الدقيق . والبكيلة وهي اقط يكت بسمن . والوديكة
طعام من الدقيق والشحم . والبريك الرطب يؤكل بالزبد . والبروك الخبيص
يعملونه من التمر والسمن . والبسيسة سويق او دقيق او اقط مطحون يكت
بالسمن والزيت . والوهية جراد يُطبخ ويُخفف ويُدق ويُخلط بدم . ومن
مأكلمهم ايضاً الفالودج وهو لباب الحنطة يربك مع عمل النحل . واللوزنج
وهو نوع من الحلوى يُحشى باللوز والسكر وهو شبه القطايف . ومن ذلك
السكاج الى غير ما ذكر . ولا يعول في الصابون عندم لاجل النظافة الا قليلاً
وقد يولون الولاثم ويأدبون المادب فيجنع العشرة بأسرها او الاضياف
حول الخوان . فيذبحون خروفاً او شاة او حملاً ويقطعون لحمه قطعاً كبيرة
يسلقون بعضها ويشوون بعضها . ثم يسلون ايديهم قبل الطعام ويسطون
الخوان على الارض يستعملون فضلات نسيج الخيمة المدلاة الخافقة في الهواء
مناديل ينشرونها فوق احضانهم . ويأكلون بسرعة لا مزيد عليها . ولا يالون
بسخونة الطعام الشديدة وان كان في حال الغليان . فعلى الضيف ان يجلس في
الازدحام والا فانه الفرصة ونمض جاثماً . وقد يطهون مع اللحم الارز ويكثرون
له السمن ويضعونه في جفنة واسعة ويكثرون باصابعهم كتلاً يقدفون بها الى
اقواهم . واذا كان الخوان لا يسمع سائر المدعويين والضيوف جلس المتقدمون
اولاً ومتى فرغوا اقبل غيرهم . ثم يتمضون عن المائدة وايديهم قطرة دهناً فيمحوونها

بمعارضهم أو بفرائد سيوفهم
ولا يسمح للنساء بالجلوس مع الرجال بل يأكلن بعدهم. والعرب في بعض
الحال مضاف يتل بها المسافرون ويأكلون ويشربون بدون مقابل. ومتى
نزل الضيف عندهم ذبحوا له ذبيحة. ويغسلون له رجله ويتقاسمون له خبزاً
ولحماً. ومن هذا الوقت يسمى حرماً ما مونا مدة اقامته عندهم. فمع كونهم يسلبون
المسافر في المفازة ولا يرق قليم لشكواه متى وصل الى اعنابهم وجب عليهم
أكرامه واحترامه وإطعامه ما تيسر عندهم
ويجب على المضيف ان يتقصد دابة الضيف ويكرمها قبل أكرامه. وان
يحدث اضيافة بما تمل اليه نفوسهم ولا ينأى قليم ولا يشكو الزمان بحضورهم.
ويش عند قدومهم ويظهر لم التني وسط الوجه والطلاقة. ولا يحدثهم بما
بروعهم به. وان يأمر غلمانه بحفظ تعالم وتقصد خدامهم بما يكتفيهم. وان يتبع
حاجة^(١) عن الوقوف بيايه عند حضور الطعام. وان يسهر مع ضيوفه ويؤانسهم
ويرعهم مكان الخلاء ويشيعهم وقت الانصراف

(١) وعاء من جلد الماء واللبن (٢) علاء يرسب (٣) نوع
من الفأر يسمى بالدرص ايضاً (٤) بواب

العرب

لباسهم

ان العرب يلبعون الاردية الطويلة والبرود العريضة الخفيفة من قطن
او صوف. ويلبس الزعماء والشيخ والامراء كساء من نسج حريري او صوفي.

وأكثر البدو حفاة الاقدام مكشوفو الصدور يفتقون رؤوسهم بالمناديل
(الكواقي) الحريرية او القطنية ويلبثون حولها لفافة من صوف مبروم تُسمى
"بالغالات". وبعضهم يعممون بالعائم ويتعلون بالنعال واذا امكنهم الحصول
عليها استأثروا على تجرد الاقدام. وقد يلبسون سراويل واسعة ويتنطقون
بجزام من جلد

اما النساء فيلبسن ثوباً قطنياً طويلاً ازرق او بروداً^(١) صوفية ويعصبن
رؤوسهن بالعصائب. وهن مولعات بالحلي والوشح فيلبسن الدمايح^(٢) والخوام
وربما تخضن في اصابهن العشر ويتزين بالاقراط والقلائد والاساور وتخلين
كذلك بالمجول او المجول او الخخال وهي حلية من فضة كسوار كبير يحل
تلبسها نساء العرب في ارجلهن. ويقلدن بالعقود في اعناقهن والمخرايم في
انفهن. ومن عادهن ان يدررن الاثد^(٣) على شفاهن ولهن ليشند لمان
اسانهن ويشن^(٤) شفاهن ومعاصهن ويسدن الثقب على وجوههن. ومن
عواذهن ايضاً اجمار الشعر وترجلة وعقد في الفنا وقضبة وتجمده وارخاذ
الغداير^(٥) والعاقص^(٦) والدواشب^(٧) والاكحال بالاثد وتخصب اظافر اليدين
بالحناء. وتشي نساء العرب في الغالب حافيات بلا نعال. ونساء الفقراء منهم
يلبسن قميصاً وسربالاً لا غير. والحديثة السن تلبس الشوذرو وهو المخمفة ان
برداً يشق من غير جيب ولا اكمام. وتطيب نساء العرب بالاطياب وتضعن
بالعطور

- (١) اثواب مخططة (٢) حلي تلبس في المعصم (٣) حجر يكحل به
(٤) ما حول الاسنان من اللحم (٥) ينشئن بالابر وفي اللارج دق
(٦) الناصية او منبها من الرأس (٧) صفائر شعر (٨) جمع ذؤابة
وهي الناصية

العرب

زواجهم وجنائزهم

قل في حرائر العرب من ترغب في الزواج بغير من هو كفو لها . وقد يعرض الآباء على بناتهم امر الزواج قبل العقد عليهن . وكان الرجال يرغبون في الغناء الغرية أكثر من النسية ولذلك قالوا في امثالهم التزاع^(١) ولا القرائب . وجرت العادة ان ابا البنت او اخاها اذا كان ابوها ميتا او من كانت تحت حجره من الاقارب يمد يده الى المخاطب او الى ابيه او لمن يكون بعث وسيطا . في الطلب علامة الرضى واجابة السؤل بعد ان يتفقا على مهر معلوم للزوجة وقد يبلغ المهر مبلغا عظيما . فلا يمكن للرجل ان يتزوج بدون اصلاق^(٢) الزوجة شيئا يعطيها بعضه قبل الزواج وبعضه يبقى دينيا عليه تستوفيه منه متى طلعتها او من تركه بعد موته علاقتها من ارثه

ومتى جاء اليوم المعين للزفاف اولى الولائم وانشدوا الاناشيد وترغوا بالغناء ولوقعا على آلات الطرب . وزقت العروس الى عريسها بعد ان فصلت النساء المسميات بالمواشط شائها . ويقدم لها الزوج الجلوة وهي اما وصيقة^(٣) او حلية مصاغ او كية من الفود . ثم تضرب له قبة فيدخل عليها وينثر للحضور في العرس اشياء كالعكك والخيص يسمونها النثار . قيل ان التمر كان ثار العرب في اعراسهم . ويقولون عن الرجل هو بعل المرأة او حللها لانها يجلان مثلا واحدا وفراديا واحدا وعن المرأة هي بعلته او حللته

ولا بد لنساء العرب من متبنة وهي كيس يضعن فيه مراهم وادواهن . ويضربون الخل بقارة مرأة الغرية . لان المرأة التي تزوجت بغير قوما لا ترى من تعهد عليه فتحاج ان تنقي مراهمها من كل ما يكرها حتى تربها من

نفسها ما يجنى عليها قتيلة. ولذلك يقولون لمن ارادوا المبالغة في وصف تفاوتها
 "أنتي من مرآة القرية"

وإذا لم تحسن المعاشرة بين الزوجين كان للمرأة في الجاهلية حق أن تطلق
 زوجها كما جرت عادة الرجال ان يطلقوا نساءهم . بأن يقول الرجل لامرأته
 الخني باهلك . وأما النساء إذا اردن الطلاق وكن في بيوت من شعرفان كان
 البيت قيل المشرق حوثة الى المغرب . وإن كان ازا المين حوثة الى الشام
 وبالعكس . فنتي رأى الرجل ذلك علم ان امرأته طلقت فلم يأتمها بعده . غير ان
 الشريعة الاسلامية حظرت^(١) على النساء تطليق رجالهن

وأما الجنائز فالعرب في الجاهلية يندبون الميت بقولهم "وأحرباه" وبالرثاء
 في الاشعار وإبداء الحزن والأسف . وأما تشيعة عند عرب البادية فيكون بمشي
 الاقارب خلف الجنائز حفاة . وتحمل النعاء شعورهن ويلطحن رؤوسهن بالرماد
 ويحلقن شعورهن حزناً على الفقيد . ويستأجر العرب النائحات ليظهرن شعار
 الحزن والحسرة ويذكرن مناقب الميت . ثم يحضرن شيئاً من الطعام بعد
 الرجوع من تشييعه . وكانت المرأة العربية اذا ناحت على زوجها في حال
 الوقوف والاعتصاب علم انها لا تريد ان تتزوج بعده

وربما دامت النائحات في بلاد مصر مستأجرات اسبوعاً او أكثر الى اربعين
 يوماً يندبته صابغات ايديهن بالنبيلة صبتها بالحناء ولاطحات وجوههن ايضاً بها .
 ويحلقن شعورهن ويرقصن في الساحات والمخافل رقصاً مائلاً على قمار الدفوف
 نقرات مزعجة ينشدن عليها بصوت حزين تحسبه خارجاً من قبور الموتى

(١) جمع نريعة وهي القرية (٢) متى لما صلتها او مهرها

(٣) الجارية دون المرافقة (٤) مصت وحجرت

قال عنزة بنوعد النعمان بن المنذر ملك العرب

لَا يَجِيلُ أَحَدٌ مَن تَعْلُوهُ الرُّبُ وَلَا يَبَالُ أَلَى مَن طَبَعَهُ الْغَضَبُ
لَهُ دَرٌّ فِي عَيْسٍ لَقَدْ نَسَلُوا مَنِ الْكَارِمِ مَا قَدْ تَسَلُّ الْعَرَبُ
قَدْ كُنْتُ فِيمَا مَضَى أَرَى جِهَالَهُمْ وَالْيَوْمَ أَحْيَى حِمَاهُمْ كُلُّهُمُ نُكْبِلُ
لَنْ يَبِيدُوا سَوَادِي فَوْزِي نَسَبُ يَوْمَ الْإِزَالِ إِذَا مَا فَاتَنِ النَّسَبُ
إِنْ كُنْتُ نَعْلَمُ يَا نِعْمَانُ أَنَّ يَدِي قَصِيرَةٌ عَنْكَ فَالْأَيَّامُ تَنْقَلِبُ
إِنْ أَلَا فَاغِي وَإِنْ لَأَنْتَ مَلَأْسُهَا عِنْدَ الْقَلْبِ فِي أُنْيَاهَا الْعَطَبُ
الْيَوْمَ نَعْلَمُ يَا نِعْمَانُ أَيُّ فِتْنَى يَلْقَى أَخَاكَ الَّذِي قَدْ غَرَّهُ الْعَصَبُ
فِتْنَى بِخَوْضِ غِبَارِ الْحَرْبِ مُتَسَا وَيَشْتِي وَسَنَانُ الرَّحْمِ مُخْضِبُ
إِنْ سَلَّ صَارِمَةٌ سَالَتْ مَضَارِيهُ وَأَشْرَقَ نَجْوُ وَأَنْشَقَتْ لَهُ الْحُجُبُ
وَالْخَيْلُ تَشْهَدُ لِي أَيْ أَكْفَكْنَهَا وَالطَّعْنُ مِثْلُ شَرَارِ النَّارِ يَنْهَبُ
إِذَا الْفَتَيْتُ الْأَعَادِي يَوْمَ مَعْرَكَةٍ تَرَكْتُ جَعْمَهُمُ الْبُخْرُورَ يَنْهَبُ
لِي الْفُؤُوسُ وَاللَّطِيرُ وَالْحَوْمُ تَرَكْتُ جَعْمَهُمُ الْبُخْرُورَ يَنْهَبُ
لَا أَبْدَأُ اللَّهُ عَنْ عَيْنِي غَطَارِقَةً إِنْسًا إِذَا نَزَلُوا جَبًّا إِذَا رَكِبُوا
أَسْوَدُ غَابٍ وَلَكِنْ لَا تُؤَوِّبُ لَهُمْ إِلَّا الْأَسْتَةَ وَالْمَهْدِيَّةُ الْغَضَبُ
تَعْدُو بِهِمْ أَعْوَجِيَّاتٌ مُضَرَّةٌ مِثْلُ السَّرَاحِينِ فِي أَعْنَاقِهَا الْقُبُوبُ
مَا زِلْتُ أَلْقَى صَدُورَ الْخَيْلِ مُنْدَفِقًا بِالطَّعْنِ حَتَّى يَضْحُجَّ السَّرْجُ وَاللَّبُّوبُ
فَالْهَيْ لَوْ كَانَ فِي أَجْنَاهُمْ نَظَرُوا وَالْخُرْسُ لَوْ كَانَ فِي أَفْوَاهِهِمْ خُطْبُوا
وَالْفَقُّ يَوْمَ طِرَادِ الْخَيْلِ يَشْهَدُ لِي وَالضَّرْبُ وَالطَّعْنُ وَالْأَقْلَامُ وَالْكَتَبُ

النَّعَامُ

تَمْتَازُ مَطَايَا الْعَرَبِ وَرَوَاجُهُمْ بِسُرْعَةِ السَّيْرِ وَقَطْعِ
 الْبَوَادِي وَجُوبِ الصَّحَارِي. وَيَشْتَدُّ هَيَامُهُمْ بِهَا وَمَنَافَسَتُهُمْ فِي
 اقْتِنَائِهَا وَلَا سِيَّهَا الْأَمْرَاءُ وَالرُّعَمَاءُ وَالشُّيُوخُ وَالسَّرَاةُ. وَمِنْ
 ذَلِكَ (الْفَجْنُ) الشَّهِيرَةُ وَالْحِيَادُ الْكَرِيمَةُ الَّتِي يَصِيدُونَ النَّعَامَ
 عَلَى مُتُونِهَا

أَمَّا النَّعَامُ طَائِرُ الصَّحَرَاءِ الْعَظِيمُ فَكَأَنَّهُ حَلَقَةٌ تَصِلُ ذَوَاتِ
 الْأَرْبَعِ بِالطَّيْرِ. وَيَسْنَهُ وَيَتَّ الْجَمَلُ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ بَعْضُ
 الْمِشَابَهَةِ فِي الصُّورَةِ وَالطُّولِ. وَيَعْلُوهُ رِيشٌ أَشْبَهَ بِالشَّعْرِ.
 وَتَرْكِبُ بَاطِنِهِ بِشِبْهِ تَرْكِبِ كُلِّ مِنْ ذَوَاتِ الْأَرْبَعِ وَذَوَاتِ
 الْجَنَاحِ مِثَابَهَةً شَدِيدَةً

وَلَا خِلَافَ فِي أَنَّ النَّعَامَ أَكْبَرُ جَمِيعِ الطُّيُورِ فَإِنَّ عُلُوَّهُ
 بِجَاكِي قَامَةِ إِنْسَانٍ رَاكِبٍ عَلَى فَرَسٍ. وَطُولُهُ مِنْ أَعْلَى رَأْسِهِ
 إِلَى الْأَرْضِ سَبْعُ أَقْدَامٍ فِي الْغَالِبِ. أَمَّا مِنْ ظَهْرِهِ فَأَرْبَعُ قَفْظٍ.
 فَيَكُونُ طُولُ رَأْسِهِ وَعُنُقِهِ ثَلَاثُ أَقْدَامٍ أَوْ يَزِيدُ. وَمِنْ قِبَلِهِ

رَأْسِهِ إِلَى ذَنْبِهِ سِتُّ أَقْدَامٍ طُولًا حِينَ امْتِدَادِ عُنُقِهِ . وَذَنْبُهُ نَحْوُ
 قَدَمٍ . أَمَّا لَوْنُ رِفِّهِ الْغَالِبُ فَيَبِينُ الْأَسْوَدُ وَالْأَبْيَضُ بِتَخَلُّلِهِ
 رِيشٌ أَشْهَبُ . وَأَطْرَافُ ذَنْبِهِ وَأُخْرَى بَيْضَاءُ فِي الْغَالِبِ . أَمَّا
 الصَّفُّ الثَّلَاثِي فَأَسْوَدُ وَأَبْيَضُ وَكَذَا بَعْضُ الرِّيشِ الصَّغِيرِ
 الَّذِي عَلَى ظَهْرِهِ وَبَطْنِهِ . وَلَيْسَ لَهُ عَلَى اخْتِزَافِهِ رِيشٌ وَلَا تَحْتَ
 الْجَنَاحِ . وَجَمِيعُ مَا فِيهِ مِنَ الرِّيشِ عَلَى أَصْنَافِهِ نَاعِمٌ كَالزَّغَبِ
 لَا يُمْكِنُ مِنَ الطَّيْرَانِ وَلَا يَقْدَرُ عَلَى دَفْعِ مَا يُلْقِيهِ مِنْ الْخَطَرِ
 وَالضَّمِّ . أَمَّا جَنَاحَاهُ وَإِنْ كَانَ لَا يَطِيرُ بِهِمَا فَيُسَعِّفَانِهِ عَلَى
 الْهَدَجِ^(١) وَالتَّقَدُّمِ إِلَى الْأَمَامِ كَأَشْرَعِ السَّفِينَةِ . وَأَمَّا أَعْلَى
 رَأْسِهِ وَرَفَّتُهُ فَمُعْطَى بِشَعْرِ أَبْيَضٍ لَطِيفٍ جَلِيٍّ لَهُ بَرَقٌ
 كَهَلَبِ^(٢) الْخَزِيرِ . وَلَهُ فِي جُهْلَةٍ مُوَاضِعٌ خُصِّلَ بِشَيْءٍ كُلِّ
 مِنْهَا اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رِيشَةً بَارِزَةً مِنْ مَنِيَّتٍ وَاحِدَةٍ . وَيَقِلُّ فِي طَرَفِ
 جَنَاحِهِ هِنَةٌ^(٣) كَالْمِهْمَازِ أَوْ كَرِيشَةٍ قَنْفَةٍ . وَسَاقَاهُ مُحَرَّشَتَانِ^(٤)
 وَمِنْقَارُهُ قَصِيرٌ مُسَنَّ^(٥) . وَعَلَى ذَلِكَ كَانَ النَّعَامُ لَا يَجَاكِي سَائِرَ
 الطَّيْرِ فِي خَلْقِهِ وَلَا فِي خُلُقِهِ

أَمَّا مَسْكَنُهُ فَيَبِينُ الْبِلَادِ الرَّمْضَاءُ مِنْ سُهُولِ أَفْرِيقِيَّةٍ وَأَسِيَا .
 وَلَمْ يُعْلَمْ قَطُّ أَنَّهُ تَنَاسَلَ خَارِجَ الْبِلَادِ الَّتِي نَشَأَ فِيهَا أَوَّلًا .

فَكَانَ خُلِقَ لِلْإِقَامَةِ فِي الْحَالِ الْحَارَةِ ذَاتِ الرِّمَالِ وَالْغَيْرِ.
وَلَا يَنْشَرُ إِلَّا بِالْعَجَالِ فِي الْأَمَاكِنِ الْمُنْفَرِدَةِ الَّتِي لَا يُزِينُ
أَدْيَهَا إِلَّا التَّرُّ الْقَلِيلُ مِنَ الْعُشْبِ وَالْكَلَّا وَلَا يَهْطُلُ عَلَيْهَا
الْغَيْثُ إِلَّا قَلِيلًا

وَلَا خِلَافَ فِي أَنَّ النِّعَامَ لَا يَشْرَبُ أَصْلًا. وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ
مِثْوَاهُ وَحَالُ إِقَامَتِهِ. وَقَدْ شُوهِدَ يَسْرُخُ فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ



الْمَخَاوِةِ وَيَأْكُلُ مَا يَبْعَثُ عَلَيْهِ حَتَّى الْخَصَى وَالْجِجَارِ بِدُونِ فَرْقٍ.
وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ لَا يَهْمُهُ فَقْدُ الْمَوْتَةِ مَا دَلَّتْ لَهُ كُنْهَانُ الرَّمْلِ
وَأَخْفَافُهُ يَسْرُخُ فِيهَا. وَالتَّرُّ مِنَ الطَّعَامِ يَكْفِيهِ فَلَا يَجْتَاجُ إِلَى
كَبِيرِ كِفَافَةٍ. وَقُوَّةُ هَضْبِهِ شَدِيدَةٌ يُعْجَبُ مِنْهَا

وَمِنْ عَادَةِ الْأَثْنَى أَنَّهَا تَبْضُ فِي الْهَرَّةِ مِنْ أَرْبَعِينَ بَيْضَةً
إِلَى خَمْسِينَ. وَمَعَ أَنَّ اسْتِهْرَارَ حَضَانَتِهَا وَتَرْخِيصَهَا عَلَى بَيْضِهَا
فِي الْأَقَالِمِ الْحَارَةِ لَيْسَ بِضَرُورِيٍّ لَا تُغَادِرُ مُبَاشَرَةً هَذَا

الْعَمَلِ لِلشَّيْءِ كَمَا هُوَ مَشْهُورٌ عَنْ رِوَايَةِ قَدِيمَةٍ بَلْ تَدْفِنُ
 يَضُهَا فِي الْأَدْحَى^(١) وَتَحْضَنُ وَتَسْهَرُ عَلَيْهِ. وَبِالْجَهْلَةِ لَيْسَ مِنَ
 الطُّبُورِ مَا يَهْمُهُ الْأَعْيَاءُ بِالتَّحَافُظَةِ عَلَى فِرَاحِهِ وَالنِّعَامِ
 مِحْرَاسَتَيْنِ مِثْلَ الظُّلُمَةِ وَالظُّلَمِ^(٢) فَإِنَّهُمَا لَا يَنْفُكَانِ مُوَاطِفَيْنِ
 عَلَى إِمْدَادِهَا وَإِعَاثَتِهَا بِجَمِيعِ مَا يَتَسَرَّ لَهَا مِنْ أَصْنَافِ الْغِذَاءِ
 الْمُوَافِقِ لَهَا. وَلَكَمَا كَانَ أَعْيَارُ النِّعَامِ وَالرَّغْبَةُ فِيهِ مَسْبِيًّا عَنْ
 طِيبِ لَحْمِهِ وَنَفَاسَةِ بَيْضِهِ فَضْلًا عَنْ غِزَارَةِ رِيْشِهِ أَلْبَنَى
 وَارْتِقَاعِ فِيهِ كَانَتْ لَهُ أَعْدَاءُ كَثِيرُونَ بِرَقَبُونِهِ. فَلَوْلَا أَنَّهُ
 كَثِيرُ التَّفَرُّجِ وَافِرُ النِّسْلِ لَا تَقْطَعُ جِنْسُهُ مَذَرَ مِنْ مَدِيدٍ
 وَيَقْنِصُ الْعَرَبُ الظُّلُمَانَ عَلَى ظُهُورِ أَتْحَادِهِ. وَلَكِنْ لَهَا
 كَانَتْ أَخْفَ حَرَكَةٍ وَأَشَدَّ عَدُوًّا مِنْهَا يَعَانُونَ فِي صَيْدِهَا أَشَقُّ
 الْأَتْعَابِ. فَقَدْ يُطَارِدُونَهَا يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً وَهِيَ تَخْفُ^(٣) أَمَامَهُمْ
 وَلَوْلَا نَعْبُ النِّعَامَةِ وَتَعَثُّرُهَا بَعْدَ هَذَا الطَّرَادِ لَهَا أَذْرَكُوا لَهَا
 إِثْرًا. وَلَوْ كَانَ سَيْرُهَا عَلَى خَطٍّ مُسْتَقِيمٍ لَفَانَتْهُمْ وَعَادُوا بِخَفْيِ
 حَيْنٍ. غَيْرَ أَنَّهُمْ نَسِيرُ فِي تَعَارُجٍ بَعِيدَةٍ فَيَلَاقِيهَا الْقَنَاصُونَ عَلَى
 أَقْرَبِ الطَّرِيقِ وَيَصْطَادُونَهَا. وَقَدْ يَذْهَبُ الْبَدْوُ زَرَافَاتٍ^(٤)
 لَصِيدِ النِّعَامِ فَيُحِيطُونَ بِالتَّطْيِيعِ حِينَ انْتِجَاعِهِ الْكَلَامِ يَدْنُونَ

مِنْهُ أَكْثَرُ فَأَكْثَرُ حَتَّى تَصْبِقَ الْحَلَقَةُ وَتَكَادُ تَهْسُهُ فَيُذْعَرُ وَيَأْخُذُ
يَدُوسُ بَعْضُهُ بَعْضًا. فَيَضْرِبُونَهُ بِالْعِصِيِّ حَتَّى يَقْتُلُوهُ. وَيَصِيدُ
الْبَعْضُ النَّعَامَ بِالصَّغْرِ وَالْبَازِي

- (١) ريش صغار النعام (٢) سير النعام (٣) شعر المختبر أو
الشركة (٤) شيء (٥) ذات حراشف (٦) حضائرها
(٧) بيت النعامة (٨) اثني النعام (٩) يعدو (مخصص بالنعام)
(١٠) جماعات من الناس

شجرة البن

لا ينبغي ان الشاي شراب الصينيين المأثور والقهوة شراب العرب المشهور.
اما منابت شجرة البن الاصلية ففي بلاد العرب ولا سيما الحجاز واليمن . واما الآن
فيستنبطونها في الهند والولايات المتحدة والبرازيل واماكن اخرى . فانه لما كان
قد عم استعمال القهوة وكثر شاربوها تغدّر على بلاد العرب اصنام المطلوب
الكافي من هذا الصنف

ولشجرة البن ساق طولها نحو اثني عشرة قدماً واغصان دقيقة مدلاة الى
اسفل . ولها ازهار بيضاء تشاكل الياسمين . ومتى سقط الزهر برزت الحبوب
شبه الكرز . ورأيت ضمن الكناجح الصغيرة حبتين بقدر حجم اللوباء هما البن بيتو
ومتى بلغت شجرة البن ثلاث سنين كانت في زهوة ترهيبها . ومتى حان
اللون اطلعت الازهار البيضاء في ليلة واحدة . فاصبحت الشجرة مكسوة بالازهار
البديعة كأنها مكلاة بالثلج . وحين ينضج الثمر يتساقط من الشجر فينثر صاحب

الأشجار على الأرض ملاءمة لجميع عليها الثمر. وفي جملة روضة على حصر وجفنة في الشمس. وفصل القشرة الخارجية عن الحبوب بالغسل. فبقي قشرة أخرى صلبة تغلف الحبوب فيترعها بضغطها بين ملارج خشبية ويحبس البن على النار في وعاء من حديد كالمقلاة. ويُقلب أثناء ذلك بلعقة من حديد أو خشب بزيد العناية لئلا يحترق فترشح منه مادة زيتية تختل حينها تبرد. والقهوة من المنهات المنعشة تستعمل بدون تحلية أو محلاة بالسكر أو ممزوجة معه ومع اللبن

قيل ان احد العلماء الفرنسيين اعطى رباناً مسافراً الى الهند الغربية ثلاثة اغراس بن ليأخذها معه ويستنبئها. فاعتنى الربان بذلك الاغراس كل العناية. غير ان الماء العذب قد من السفينة أثناء السفر ولم يفضل ما يكفي المسافرين اذا تناول كل منهم جرعة واحدة فبانت تلك الاغراس بدون سقي فمات منها اثنان. اما الربان فحرص على النسيلة^(١) الباقية وانكر نفسه لحفظها فسقاما المجرعة المسموح لهما فعاثت واتعشت وهذه الوسيلة دخلت شجرة البن الى الهند الغربية فتمت واخصبت ووفرت اشجارها وفرة لا تكاد تُصدق حتى ان حكومة البرازيل وحدها اصدرت سنة ١٨٦٠ مليونين و٦٥٢ الف كيس بلغت قيمتها نحو ثلاثة عشر مليوناً ونصف مليون من الليرات الانكليزية

(١) الخجلة الصغيرة تُقلع من الأرض أو تُقطع من الأم فتغرس

الاقليم الاستوائية في الكرة الغربية

ان للاقليم الاستوائية بهاء يمتاز عن سائر المسكونة. وذلك بنضارة نباتها وتنوع حيوانها. على انها تشتمل على قسم صغير من الأرض بالنسبة للكرة الممورة.

ولا يخفى ان القسم الاعظم في المنطقة الشمالية المعتدلة تشغله ارض فسيحة الارحام. اما الاقاليم الحارة فتعمر جزءها الاكبر مياه الاوقيانوس. فكأن اميركا وافريقية الحارّتين جزيرتان في بحر واسع الاكفاف. ولا جرم ان كثرة المياه في هذه الاقاليم علاج شافٍ هيأة العناية لتلطيف اشعة الشمس العمودية الناجمة فوق هذه المياه الوافرة في المنطقة الحارة. وفي علة النيوث والسهول الخثانة والرياح الدورية ومجاري الاوقيانوس الدائمة. وذلك بما يتّوع هوائها تنوعاً يجبر الافكار. ناهيك ان الارخيل الهندي وشبه جزيرة ملقا وجزائر الهند الغربية واميركا الوسطى تمتاز لا محالة باعتدال هوائها الناجم من المياه العائرة امتيازاً اعظم مما لو كانت مجموعة معاً في قارة واحدة

ومن عل تنوع الاقاليم الاستوائية تباين ارتفاع سطحها. فان طوً مواقع اراضٍ كبيرة في تلك الاقطار يلطف فعل حرارتها الشديدة ويخوّلها هواءً يحاكي هواء الاقاليم المعتدلة بل اقلها يشاكل الاقاليم الباردة. ولا غرو ان جبال الاندس وحملايا الباذخة من اعظم جبال الدنيا. فترى قممها مكسوة بالثلوج الدائمة ضمن المنطقة الحارة او في ما يبلغي تخومها وهلا يئنه على ان العناية قضت بذلك لتخفيض صرّة^(١) الغزاة فوق مساحة ارض يعود الطرف عنها كليلًا. فلا بدع ان شاهدت في منطقة اميركا الحارة الغربية وفي افريقية واسيا بلاداً واسعة وقلّوات شاسعة مرتفعة فوق سطح الاوقيانوس آلاف اقلام يذكر هواؤها المعتدل ومحصولاتها الوافرة المسافر القادم من البلاد المعتدلة بوطء البعيد. ولذلك ترى ان هذه العلل الحبوبية والحبوبية التي تخالها بما لا يعتد به قد كست الاقاليم الاستوائية بابدع مطارف^(٢) الجبال والنع وتنوعت هوائها تنوعاً يجبّ منه وانمت في تربتها فصائل نبات وضروب حيوان تذهل الالباب فاذا اخننا وطاً اميركا الجنوبية نقطة تأملاتنا رأيناها تشتمل على سهول اللانوس العجيبة في فينيذولا وغرناطة الجديدة. وشاهدنا جبال الاندس الشامخة ترتفع ارتفاعاً يذل كل الاقاليم النباتية من البلاد القطبية المكسوة

باللوج الدائمة حتى اراضي خط الاستواء الزاوية بالاشجار الضخمة والنبول
المثلثة . وتعاين على صعيد يبرو وبوليفيا حيوان الالاما والالبكا والقبسونا
نرعى الكلا الخصب . وترى حمد الشتاء والربيع الدائم متلانيين دنوا
لا تراه في سائر اقاليم الدنيا . وتعاين اودية عميقة تخرقها رياح هذه الانجاد
القاصفة وتظلل المسافرين من البرد القارس حتى اذا خدرت اعضاءهم من زهرير
هذه الشواقى الرقيقة المنحد الى تلك المضائق المظلمة قرأى نفسه قد نُقِل فجأة
من القطبتين الى فردوس ارضي

ولما كانت هذه الاودية واقعة في علو لا يشعر به المسافر بالهجير والهواء
ليس بشديد الرقة والمكان محاط بالجدران الصخرية من عواصف تلك
السهول الصردة^(١) اصبحت ذات جوي صافي وهواء مفرق للابدان . فيرى
السائح القادم من البلاد المعتدلة نفسه محاطاً بمجئول حطة خصبة . ومروج
خضراء واشجار باسنة تكلمها الاثمار اليانعة على اختلاف ضروبها وصفونها . فيخال
ان ساحراً نقله من وطنه البهيم الى جنة غناء بديعة . ولولا الاشجار الغريبة مثل
الكاكس والاغيس النامية عند حضيض الجبال لزاده الامر عجباً واشكالاً
وتوجد في هذه البلاد العجيبة اقاليم يغادر بها المسافر مرقده المغطى بالثلج
صباحاً ويقطف قبل غروب الشمس الصنوبر والتمر والموز من اطراف
الغياض الطبيعية . فقد ذكرته اعشاب السهول القاحلة الجرداء الجافة صباحاً
بالمنطقة القطبية وقل ان خيم التمسق اضطلع تحت اشجار الخن الكيرة الباسطة
فروعها الى كل الجهات

ومتى هبط الى شاطئ الباسيفيك اصبح في ساحل يبرو الرمي القاحل
حيث لا تكاد العين ترى سوى جرف الرمال وركامها ورُجُم الحجار . ولا يرى
للنبات اثرأ على مدى اميال عديدة ولا يشاهد ينبوعاً ولا قطرة ماء . ولكن متى
اتى الى جانب الاندس الآخر بلا له مشهد عجيب يباين ذاك كل الماينة . فان
ذلك القطر مفازة جرداء لامعة فيها ولا شجر . اما هذا فققيق^(٢) الامازون

الخصيب ملك الانهر وجبارها . فقد حفر ملا النهر لنفسه قناة واسعة جداً وسط مروج فسيحة وغابات عظيمة

اما نبع الامازون فمن قم جبال الاندس حيث بيني الرخم وكنة . وحوضه عظيم جداً حتى يمكن وضع اوربا الغربية كلها ضمنه بدون ان تمس اطرافه . وهو يرمته واقع في المنطقة الحارة على جانبي خط الاستواء يهطل على مساحته كلها امطار غزيرة

ويزيد ملا النهر ثناء زيادة عظيمة جداً حتى يبلغ ارتفاع المياه في بعض اقسامه اربعين قدماً وثيقاً . فقد شاهد السياح صيفاً اشجاراً عند ضفة النهر على جنوعها آثار طغيان سابق علوها خمسون قدماً وثيقاً . ومتى زاد ملا النهر العجيب وارتفع طغى على ضفافه الواطئة فهاج وجاش^(٥) وازبد واصبح جريانه في تلك البقاع رائماً يذمل العقول . فترتجف اخضر اشجار الغابات تحت ضغطه الشديد وتقلع اعظم الجذوع وتحمل مع مسيليه شامدة لقوتها الغربية . وتسبح الاسماك والدلافين والحيتان حيث كان النهر ياوي كناسة كامناً لقرائسه ولا يبقى الا بضعة طيور على رؤوس الاشجار العالية فتشاهد ملا العجيج وتسمع ملا اللجب^(٦) الذي ازعج سكون النواص

ثم متى عاد النهر الى حدوده الاصلية برزت من ارضه جزائر جديدة واخضت جزائر قديمة . وامست السفن الماخرة في بعض محالها تحت خطر الحق من انهيار الارياق التي تظلمها المياه . وهذه نازلة يكثر حدوثها ولا سيما اذا هبط الى النهر مع تلك الضفاف الرخوة اشجار كبيرة

واذا غمر السطح في الامازون رأى نباتات نحر الالباب تزهو ببيهاها البديع . وتابن الدوح فوقه كمظلة غضة باسقة تفرج آونة فبترفع نور الغزالة المحجاب عن اسرار تلك النجاد والوهاد ويخرق البصر اقاصي تلك الادغال العجيبة . وطوراً تشبك فوقه الفروع والاعصان فتعدل الستر على تلك المشاهد البهية . وقارة يرى روائي وآكاماً ومضاهياً تسبق اشجاراً غياه مشبكة

تنافس جنة عدن. ويصان هناك ايضا لحاء^(٧) ويمقا تفرش عليه اكابيل الازهار
 الجميلة وتضخ الهواء بنذا عيرها. وطبورا فائقة الاحياء تناخر بنفسها الزمان
 الازهار النابتة في هذه الحداث المعلقة بعضها فوق بعض طبقات فتونسها برخيم
 سيجها وزخارف ربشها. ويستقر على هذه الاشجار طائر المناكو والمصافير الدنائة
 تنشب من زمرة الى اخرى كوميض البرق. تحوم لديك هنيئة كأنها نريك
 لمحة من جمالنا البديع ثم تغيب بسرعة تحاكي سرعة الافكار. وتدير بصرك فتري
 الجوارح ترف في الغاب والتمساح رايش في المياه "كجلود صخر حطة السيل
 من علي". وتكثر في هذه الأيك^(٨) الوراق^(٩) القرد المختلفة الاجناس
 والانواع والاشكال. وكل نوع كراديس وكنائب مكتبة تتاهب الإثمار التي
 يتعذر على فتح تلك الاقطار الفسيحة الانتفاع بها. على ان كثيرا منها يعيش على
 المحشرات. وكلها تقتصر على سكنى الغابات ولا تخرج منها الى القلوات قط الا
 اذا اجابها الضرورة القصوى. لان اشجار الغياض تزودها بالطعام الكافي.
 فتأمن في وطنها غوائل الوحوش الفاتكة ولذلك لا ترى باعنا على ابداله
 بالمكان المستهدفة للاخطار

وقد سلحت الطبيعة هذه الحيوانات بقوائم قوية للتسلق والجولان على
 الاغصان. وامدتها بأيد كبيرة وكفوف منداة بمادة غروية لتسهيل القبض على
 الفروع. وخرولتها ذنبا يصح ان يدعى بنا خامسة لا يقل تركيبة غرابة عن
 خرطوم الفيل مكسو في اعلاه بشعر قصير ومجرد منه في اقصى طرفه. فيلفت
 القرد هذا الضوء العجيب حول الاغصان كأنه اصبع لين وهو مع ذلك متين
 يتعلق به فيتدلى من النصف ويهتزا اهتزاز رقاص الساعة فلا يكاد يمسك الفرع
 الآخر بقوائمه الطويلة حتى يلف يده الخامسة عليه ويشب الى غيره. فتراه
 يتقل على رؤوس الاشجار آمنا من السقوط بسرعة البرق حتى لا تصلة في
 فراره بندقة الصياد

ومن وحوش هذه الادغال الضارية الثمر الاميركي. وهو شديد البطش

والفتك ويضارع البير برقط جلده ويحاكي النمر البنغالي في جمبه وقوته. فتعاينة النهار كله جائلاً أو ساجماً في الانهر الوسيعة . وهو عدو فئاك سوية كان على الياسة او في المياه . ومتى طارده صياد وادركه فجم على قارب عدوه والجاء الى القاء نفسه في الماء والفرار بغية السلامة من بطنه . وكثيراً ما مزق هذا الوحش الهنود الجاثلين في الاقطار القليلة السكان المصلحة ادغالها الثغمة بالحزون والقلوات واقتصرهم . ولا يجترأ اهل تلك المزارع والضواحي على الخروج من احشاشهم^(١٠) بعد غروب الشمس خشية فتك النمر . فلا تذرهُ رؤية الانسان ولا سيما اذا كان منفرداً وقد تصور الوحش جوعاً بل قد يقيم قري الجبال طلباً لفرائسه

اما القواصف التي ثور فجأة في الامازون فتذكر المسافر بزعارع الاوقيانوس . وقبل قدوم هذه الانواء تنذر قهقهة الثرود ومواء الخردة وقباج الخنازير وزئير سائر الوحوش وعواظها وهريها ولربما تعما الصرغ بوشك كاج العناصر الجوية . فتخت^(١١) قم الخلل وتختفي حين لا تشع بنسمة تحرك سطح النهر . ثم تسمع هواء خفيفاً ثم يلتحف الجوّ بالصباب القاتم ويومض البرق ويدمدم الرعد فكان ابطال الطبيعة تجددت للصلم

واذا بذلك الدوح المهبوب ين وزفر تحت صدمة التوابيع القاصفة . فتجب الظلة المدلهمة وجه الطبيعة ونح الغيوث وابلاً^(١٢) وشايب بين لمع البروق المومضة وتزعم الرعود المزممة فيرتفع النهر كأطواد شامخة ثم يهبط كأودية عميقة . فادا التت الاقلر سفينة في هلا النوء اضطر ربانها الى مهارة فائقة كي يقيها من الغرق . غير ان الملاح الهندي قلماً ييالي بهذه الاخطار بل يجتر قاريه يبدن تحركها البراعة والشجاعة مستدلاً على هياج العاصفة بعلامات يعلمها فيندر ان تفاجئه على غرة^(١٣) وتطمو عليه باواجها العجاجة

ولا ينبغي ان اشجار غابات الاقاليم المعتدلة متشابهة النوع في الغالب قلماً تريد عن ضرب واحد من الاشجار . غير ان غياض البلاد الاستوائية تحوي

عيالاً وطوايق لا تكاد تُعدّ تراح بعضها بعضاً على الحياة. فاذا أجلت النظر في بقعة وإن صغيرة لا تجد شجرة تشاكل اختها. ويدولك هذا الاختلاف ولو عن بُعد. فتعاني اشكالاَ وصوْراً غير منتظمة. هنا شجرة تحاكي القبة وهناك اخرى منتصبة تضارع الهرم مرتفعة فوق الاوراق الخضراء العريضة وهكذا الى ما لا نهاية. ثم متى دنوت من هذا المشهد رأيت ايضاً الوانا شتى تزهو في تلك المنابت الغناء. ولا غرو ان اطراف الاقاليم المعتدلة مجردة في الغالب من الازهار. اما انتاج الفياض الاستوائية فمكسوة بازهار كبيرة ومتنوعة مع زرايين^(١٤) الاوراق تنافس الوانها البديعة اخضرار الفصون. وتختلط رُوس الاشجار الزاهية بالبياض والـ فرة والاحمرار بالوان اقتم واغيس. ثم متى ولجت الدوح رأيت للاوراق صوْراً واشكالاَ لم تكن تخطر لك بالبال. وشاهدت بعضها امس كالريش وغيرها كثيراً جداً متقسماً الى دوائر منفصلة وسواها ضيقاً. وغيرها عريضاً. ومنها ما هو محدّد الرأس او مسننة او واسعة. ومنها لالع غص كانه في قنارة الصبا. وغيرها مظلم جاف كانه في هرم الشجيرة. ومتى هبّ النسيم على الاوراق رأيت بعضها بلون اللين. وغيرها بلون النضار. وسواها كالنيروزان الزمرّد او العقيق

وما يميز الاقاليم الاستوائية تنوع النباتات. غير ان تلك الانواع لا تجتمع اجمالاً يُجبّ منه أكثر مما في صعيد المكسيك حيث يرتقي النبات من منطقة الى أخرى من حضيض الجبال الى قمم لا مثيل لارتفاعها في العالم بأسره

- (١) شدة حرارة الشمس (٢) اودية من خزر (٣) الباردة
- (٤) واد وكل مسيل شقة السيل (٥) اضطرب (٦) مياح (٧) قشر
- الشجر (٨) الشجر الملتف (٩) قنطرة وشمعة (١٠) ميوت صغيرة
- (١١) قنوت (مختص بالشجرة والطائر) (١٢) مطراً شديداً (١٣) بقعة
- (١٤) شجر الكرم او قضبانة

الاقاليم الاستوائية في الكرة الشرقية

لما كانت افريقية قليلة البواغيز والمحجان والاخوار^(١) كانت ادنى افقارات
بالتمدن والمعرفة بداخليتها اقل من سائر الاقاليم الاستوائية الا اولط استراليا
غير ان ما عُرِفَ منها يدل على انها ليست مجردة عن تنوعات الاوضاع
والنبات والمحيان الميزة المنطقة الحارة الغربية . وتندُ افريقية الاستوائية من
وسط الصحراء الى شمال سهول قبيلة البوشمن في الجنوب . وما يميز هذه المساحة
العظيمة البحيرات الكبيرة الواقعة على خط الاستواء وفي من اعلى ينابيع النيل .
والنيل نفسه الذي يناظر الامازون في طول مجراه بعدُ نهراً استوائياً . وتشتمل
افريقية الاستوائية ايضاً على ثلاثة اطباع^(٢) اخرى عظيمة وهي النيجر شمالاً
والكونغو غرباً والزامبيزي جنوباً

اما داخليتها فليست كما كانوا يزعمون كونها بلائع وصحاري بل في اقليم
خصب تسقيه مياه غزيرة . وهو خليق بالاعتبار لاتساع مساحة حياته النباتية
والحيوانية . ومن اعظم عجائب نباته شجرة الباياب التي لقبوها صواباً فيل العالم
النباتي . فقد قاسوا فطر قاعدة شجرة واحدة فبلغ ٣٠ قدماً ودائرها ٦٥ . ولما
كانت هذه الاشجار في الغالب مجرّفة استعمالها القوم هناك مزارب ومحال للسكن .
قال الدكتور ليئنتون انه رأى شجرة يمكن عشرين او ثلاثين نفراً الاضطجاع
ضمنها كما لو كانت غرفة كبيرة . وفيها ايضاً جميز ضخيم ينصب الزنوج نحتة
المضارب والخصاص . وترى ايضاً عند سواحل البحر وضايف الانهر اشجار
الماركروف الكبيرة المحاكية للبنان الممتدة الى مساحة لا تكاد تُصدّق

اما فساد مياه مصاب الانهر في افريقية فيُعزى بالاكثَر لهذه الاشجار .
لانه ينبعث من جنورها الجُرْدَة رائحة كريهة . ولذلك كان السكان بقرب هذه
الاشجار مُعرّضين لحُمَيَات ومِيلة قتّالة . قال المستر كيتلي " ان غابة ماركروف

خُسِفَتْ فجأةً وكان وراءها دغلٌ آخر طبيعي والرداغ^(٢) السائل نخبها مجرّداً ضاراً بالصحة . والسراطين الكبيرة الأرجوانية العديدة الاحياء ترحف على لحاء الاشجار المشبك صاعدةً ونازلةً . والضفاف الموحلة السوداء مغطاة باوراق كالجلود . والالياف المتدلية من الاشجار بين الحجار اللولية تساقط لتتشبث بالاضحال والرقارق وتبت جنوراً جديدة . وكان ذلك جميعه شركاً دائماً يقتص المسافرين مجاثله الرائعة . ولم يكن هناك منفذ ولا باب للنجاة سوى منطقة سوداء من اشجار الماركروف . ولا تشاهد الا اليك اشجار كبيرة والدة ومولودة (اي اصلية وتواصل منها) تنشر انتشاراً سريعاً دائماً لصدّ الهواء وتجبب النور . وكنت تسمع دجاج الماء الاسود يتقنّ تقاً محزنّاً ويدون نحو الظلام الموحش . وغربان الليل الجشّة الاصوات الخجأة بين الجذور ترعب المسافرين بنعها العجائى ثم يعتب ذلك صمت القبور

وتكثر في انهر افريقية التاسع كثيرهما في انهر اميركا . وفيها فرس الماء والكركتز . واخذ هؤلاء من الجميع وحيد القرن . وزد الى ذلك عراجل الاقبال الجائلة في القلوات والسهول والسابعة في الانهر سطوراً موبية وخراطيمها مرتفعة في الهواء . او مستحمة في الجببرات الضخمة لترطب اجسامها وتقي نفسها من الهوام . وهناك ايضا الرئم والزرافة والجاموس وحمار الوحش الوافرة العدد في حزون افريقية الوسطى وجنوبها من نهر اورانج الى جنوبي سينيغال ونوبيا شمالاً ولما كانت صحراء افريقية . تلظية الرضاء تَزَرَّت^(٥) عليها الحياة النباتية والحيوانية غير انها نطع عليها شكلها الخاص . فقد كمت تربتها الاحياء على ادبها من البدو السمرا الالوان حتى الدود الذي لا تكاد تميزه في الرمال بكسائها الطبيعي اي الاصفرار الضارب الى السمرة . وعلى ذلك ترى الغزلان والابائل حتى القبرة الطائرة في الجو مرتدية بهذا اللون . اما هذه القاعدة فلا تخلو من الشذوذ بين طوائف الطير ولا سيما كلما قرمت تخوم الصحراء من الواحات

وإذا اعتبرنا ندرة نبات الصحراء لا نجد من قلة الحياة الحيوانية فيها .
فقد اخطأ من سَمَّى الاسد ملك اليلدء لانك لا تراه إلا على تخومها . لان السباع
لا تستطيع الحياة بدون لحم . وماء فهي بجانب المفاوز والابارق^(٦) الرملية . ولا
تغادر جبال الاطلس المدغلة ولا سهول السودان الخصبة ولا تغامر بالجولان
في السباسب^(٧) . لذلك لا يقع بصرك هنالك إلا على الحيات والعقارب

والحياة الحيوانية تختلج في تلك القياقي^(٨) والنفاد^(٩) بين الشمال والجنوب
حسب الفصول . فتمت سَحَّت^(١٠) المزن^(١١) الوايلة على تخومها الشمالية شتاء وربيعاً
أحيث مفاوزها المفلوحة بقيظ الصيف وجادت عليها بالثوب الاخضر . فاخذت
القبائل المتبدية تضرب في اغوارها وانجادها ومهادها ومهادها تسوق قطارات
الابل والخيل والغنم والماعز . ومتى تلبَّطت حرارة الشمس انتقلت الى الاقاليم
الباردة وهجرت الوحوش والصلاري كالاسد والثمر والضبع والغزال ذلك
القطر ورحلت جنوباً . فوجدت زادا يلائم ذوقها وشهوتها . ورأيت النعام
يهدج^(١٢) نحو الجنوب تاركاً مسرحه الشمالي حاسباً سهول الصحراء الحارة
فردوسه النضر حيث تحلولة فيها المعيشة وطيب المقام

ولا يخفى ان بلاد العرب وإن حوت اقاليم جيدة خصبة قد ردت
بالاخضرار الدائم أكثرها قفار ين مجهل بضل سالكه وجدجد^(١٣) يعثر راكبة
وحزير^(١٤) يدي واطنة . وقفا^(١٥) يُخسَف تحت دائسه . وبها^(١٦) تقل^(١٧) احشاء
جانباها الخ وكلها تحت جو لا تنجبه الغيوم تمتد حروناً لا يدرك الطرف اقصاها
وسباسب وصفاصف^(١٨) رملية قلها قبة زرقاء وبلاقع واحفاف^(١٩) جرداء
غرب عنها كل انس وبها . وتحيط بهذه الصحاري وتخلها جبال صماء تنشر
سلاسلها في جهات شتى من تخوم فلسطين الى سواحل الاوقيانوس الهندي
فلولا الاودية المخضراء هناك الواقعة بين الآكام والمصاب والآبار المتجمعة
من مياه الامطار لبات الجزء الاكبر من بلاد العرب قاعاً صفتاً غير مأهول
ولا معمور . فلا عجب ان كان ينبوع الماء في بلاد كهذه حيث تنقضي سنون

لا يهطل قطرة غيث كثرًا لا يثمن عند كل عشيرة حلت على اديم تلك النخيل.
فقد ترى محالً فسيحة لم يذق سكانها نعيم غزارة الماء بل لا تشاهد سوى منافذ
بطوي المسافرين في سلوكها اياماً ولا يفتتح برؤية بئر واحدة

والأرجح ان واحات اسيا الوسطى كانت مهد الخيل ومنشأها. غير ان هذا
الحيوان الكريم لم يبلغ الدرجة العليا في النشاط والحمية والسرعة إلا في بلاد
العرب. فان رقة معاملة الخيول هناك وتدريبها واحكام العناية بها اكسبتها طباع
اللفظ والولاء لاسيادها. فاذا لم يستعمل البدو العناق^(٢٠) واليعاييب^(٢١) في
الحروب والاسفار سرحوها بين خيامهم. فقد تصادف الاولاد في سبيلها متحجبين
على الترى فتضم قوائمها وتجد عنهم خشية ايلائهم. فقد تعودت الخب^(٢٢)
والابحاج والامذاب والاماج ولم تشلم مشاعرها بالمهاز والسوط بل ضبطت
قوامها للطراد والسباق والمحاق حتى اذا احست بمس اليد او بحركة العنان
اهيجت تعدو فتساقى الرياح. واذا ترجل صاحبها في طراد الخيبت وقفت
على النور الى ان يستأنف انتطاه صهواتها

ويعتبر البدو الجمال عطية مقدسة لا يثمن. فان تلك المطايا القوية
الصبور تزد أعراب البادية بالقسم الاوفر من حاجاتهم بل تكفل استقلالهم وتروية
من الطوارق بوضع الصحراء بينهم وبين الاعداء. ولذلك كانوا منذ القدم
منطووين على حب الحرية لا يدينون لولع ولا يطيب لهم سوى الميام في
الطوات. فكانت (هجن) العربية وواحطها ذريعة حريتهم الابدية

واذا التفتنا الى دوح الهند رأينا الثمر هناك سيد الوحوش كما ان الاسد
ملك الضواري في افريقية. والتمرحيلان بديع المنظر مخطط بالوان سوداء
وبضاه لطيف الحركة رشيقا شرس الطباع وحشيها. ولا كان جسده متصبأ
على قوائم قصيرة اعوزته صورة الاسد المهوية. واذا نظرت رأسه المجرد وعينه
القادحين شرراً ولسانه القرمزي المتدلي من شذقيه علمت ان سمحة كلها تدل
على ظم الدماء لا يروى وطباع وحشية لا تعرف الرقة والرافة. فهو يفتش

بكل حي يصادفة في سيله . فيمكن بين غابات الخيزران وعلى شواطئ البرك
والانهر متربحاً قدوم قطع اوعانة من الوحوش حيث يشد فرائسه ويصرعها
ركاماً . بل قد يغادر الرم يترغ بدمه في نزاع الموت ويشب على طرائد جديدة
تترق اجسامها بجاله . ثم يغرس خطمه في نجح^(١٢) الجراح المتفجرة لينهل من نبعها
السائل ويروي ألامه^(١٣) الذي لا يتفك متلفها

ولا شيء ابلغ للقلب من دوح جافاً حيث تكثر الاشجار الغضة التي
غرسها يد الطبيعة فتولت تلك المفازة الى جنة غناء . غير ان المسافر لا يجزأ
على خرق هذه الآجام ولو عماراً بدون ان يصحب معه ادلاء واعواناً . فقد تقف
الحيل في ملح واعدة متى ولجت ذلك الغاب المشتبك المرتفع عن هاد السهول
الخضراء كجزيرة لاستدلها بقوة شهاب الحاد على نمر كامن في الدغل لا يبعد عنها
الأ بضع خطوات

ويكثر حيوان البر والابرد في اقاليم العالم القديم الاستوائية . فان موطن
هذه الوحوش في افريقية والعجم والصين والهند وجزايرها . ولذلك كان لما مجال
افسح ما للسد والتمر . فهي تحاكي الاخير في وثوبها على الفرائس والكهوف في
جوانب الادغال والوثوب فجأة على طرائدها . قيل ان صيد البر اشد خطراً
من اقتناص الاسد . لانه يتسلق الاشجار على اسر اسلوب ويتبع عشوة على
الاغصان فيدركه

ثم اذا ادركنا البصر نحو براري استراليا الشمالية بدت لنا صورة جديدة
من الحياة الوحشية . ورأينا بين نباتات ذلك الاقليم الجديدة وحيوانات الغريبة
طوائف بشر جديدة انفردت بلغات وعوائد واخلاق تجب منها . فهنا الجبل
وان كان هجياً وفي احط مراقبي الانسانية بلذ للطالع الوقوف على بعض مناقبه
ومعائبه . ولا نذكر منها الا اسلوب صيده حباً بالابحار

متى رام الاسترالي الهندي صيد القفر ناظر الهندي الاميركي النحاسي
اللون ونافسة في العزم والثبات والذكاء وحدة البصر عند تأثره وحوش

الغابات البرازيلية . فترأه يُجمل طَرْفَةً من جهة الى أخرى بمزيد الحرص والانتباه واقتنى . فلا يقع بصره على ملا الوحش حتى يجتنب وطأه خطاه ثم يقف كجلود لا يدي حراكاً كأنه صمٌّ أو تمثال . ثم تلقى زوجاته البعيلات عنه قليلاً بانفسهن الى الارض كأنهن رُبِيعٌ بالنار . فاذا حدثت النظر بالجهة الواقعة على مدى نحو مئة خطوة عن بين الصياد رأيت القنر متصباً على



قائمته الخلفيتين ومُسنداً بَدْنِهِ . وحايثَ رأسه المطاول فوق جسد المرتفع ارتفاعاً يعلو عن الارض خمس اقدام اوسط واذنيه متصبين تنصتان للهندي باصغاء لا مزيد عليه . ثم ترى ايضاً رأساً صغيراً يُلصص من فوهة كيس لحى في صدر اثنى الحيوان كأنه يروم الاستعلام عن السبب الذي ازعج امته . اما الهندي فيحافظ على السكون التام حتى لا يستطيع ان تميزه عن جنوع الاشجار السوداء من قادم العهد . ويبقى على وضعه المذكور بضع دقائق الى ان يسكن جاش القنر ويثق بالامن . فيستط على قائمته الاماميتين ويقفر قفزة او قفزين بسوم الكلا

اما الهندي فيتقدم منسللاً ماشياً مشياً بطيئاً ورافعاً ذراعيه متأمياً لاطلاق

النبال الى ان يدنو من طرفه. فيرسل السم كالبرق وله رنين وحليل فيغرق جسد الحيوان المسكين. فيجئ الغاب كله بهتاف النساء والاولاد الذين يشدون وراءه فيلقت نحو مطارديه مسنداً ظهره الى جذع شجرة ويختر للوثوب على من يدنو منه ليمزقه. اما الاوسترالي المكار فيجانب محالة القتالة ويرمي في صدره بالحراش فيصرعه الى الارض

وقد امتازت الاجر الاستوائية بشدة قواصفها وانماها امتياز براريها بعظمة مناظرها الطبيعية. وتكثر هذه الزعازع المائلة في اجر الهند والصين عند قدوم الرياح الدورية. اما في الهند الغربية ففي بدء فصل الشتاء. فقد اطارت هذه التوج^(٢٥) في جزيرة كراد بلوب في تموز عام ١٨٤٦ ابنية مئنة مشيدة من الحجر الصلد ومزقت ملاقع بطارية عن عجلائها. وهدم غيرها منذ بضعة سنين كبسة وجرف اثنتين وثلاثين سفينة الى الساحل فحطبت. ثم ثارت ريح هجوم^(٢٦) بعد ايام في بورت لويس وكسرت اسطولا برمتها واطارت قلوب بعض سفن في الهواء فاطلقت المذافع علامة الضيق الشديد على غير طائل

هذه هي بعض نوازل الزعازع المائلة في الاوقيانوس الاتلافيكي والوقيانوس الهندي. اما عواصف الاوقيانوس الباسيفيكي فليست بأقل هولاً منها. وقد اخطأ من سماه بهذا الاسم (الباسيفيك في بعض اللغات الاوربية السلام) فان امواجه كثيراً ما تطنخو على الجزائر المرجانية وغراب بولينيسيا الخلية فتغرقها. وقد ثارت ريح زعزع^(٢٧) في آذار عام ١٨٤٥ في جزيرة بيكتارين فقلعت ثلاث مئة نارجلة من اصولها واقمتها في البحر. واغرقت كل زوارق الصيد في تلك الجزيرة. واستأصلت الوفا من شجر الموز الثمر وجرفتها الى اليم^(٢٨)

اما هذه القواصف الاستوائية وان حُصيت آفة تلك الاقطار فقد جنى منها اهل تلك البلاد نفعا لا يقل عن اضرارها. لانها نحو آثار الامراض الوافدة الوبائية ونبت ملايين الثمرات الفارضة آمال الفلاحين. وفضلاً عن ذلك في وإن فاقته شدتها هوجاء^(٢٩) البلاد المعتدلة طلة خصب النبات

وقضائه النادرة الحال وجوده العجيبة . وهذا دليل على ان خير الطبيعة
المأثور مخبوء في احوال كثيرة تحت طي غضبها وصخبها^(٢٠) الشديدين

- (١) جمع خور وهو المخلج من البحر ومصب الماء في البحر (٢) الانهر
- الكيرة (٣) الطين الرقيق (٤) صوت غليظ فيه جثة (٥) قلت
- (٦) ارض غليظة فيها حجارة ورمل وطين مختلطة (٧) المفايزات او
- الارض المنوية البعيدة (٨) مفايزات لامة فيها (٩) الفلوات والاماكن
- الصلبة الغليظة (١٠) سالت (١١) السحاب ذوالماء (١٢) يسير
- (١٣) ارض غليظة صلبة (١٤) ارض ذات حجار كأنها سكاكين
- (١٥) ما احشودب من الرمال (١٦) ارض واسعة لامة فيها
- (١٧) تُعطش (١٨) المستوي من الارض (١٩) المعوج من الرمل
- (٢٠) الخيل الكريمة الاصل (٢١) الافراس السريعة الجري
- (٢٢) الخبب اقل عدو الفرس والامامج اشدها (٢٣) الدم الذي الى
- السواد اودم الجوف (٢٤) عطشة الشديد (٢٥) الريح الشديدة المرور
- (٢٦) الريح الشديدة التي قلع الخيام (٢٧) ريح شديدة الهبوب
- (٢٨) البحر (٢٩) الريح التي تجل الغبار والتراب وتقلع البيوت
- (٣٠) شدة الصوت والجلبة



العمل بالمواهب

اذا نلنا من المولى الفائق	فلا نعين الرؤوس الى الخسائس
مواهبنا قل اذا علاها	صداء بالبطالة والوساوس
وقصداً مثل آلات قوانا	ولكن التدرب خير حارس
اذا صدأت جلواناها بشغل	ودرس في المكاتب والملاوس

سماستها بغيرين وجدي
يزين جسمونا ادب وعلم
مواهبنا مقدسة قواها
تشرتها الفضائل ناشرات
وعنة انفس وكلام صدق
جمال حياتنا يبدو سناه
وبالعمل الجليل وكل كدي
فما فقر الفتي عيب ولكن
فهبوا وامطوا صهوات شغل
وتعرب كآبطال فوارس

ليس الجليل جميل الوجه والخل
يقضي الزمان بغير الخير مجهدا
ان المواهب من مولى العباد لنا
هذي الحياة لبذل العزم قد خلقت
كل القدم بل اسي الغنائم من
بل من ثنى العزم نحو الجدي والعمل
بالكدي مشغلا كالقارس البطل
للتجرب والرج لا للهو والمطل
والشغل لا للوني والبطل والكل
جدي بعلم واعمال بلا ملل

الأسد

هذا الحيوان الكريم جدير بان يقدم على جميع
الوحوش لانه اشرها واقواها واكرمها وامضاها. وله رأس
كبير واذنان قصيرتان مستديرتان وعرق اثيث وبراق

حَادَّةٌ وَذَنْبٌ طَوِيلٌ مَنفُوشٌ الطَّرْفِ وَأَنْيَابٌ قَاطِعَةٌ. وَلَوْنُهُ
فِي الْغَالِبِ أَصْفَرٌ مُكَمَّدٌ يَضْرِبُ عِنْدَ بَطْنِهِ إِلَى الْبَيَاضِ. أَمَّا
طُولُهُ الْمَتَوَسِّطُ فَتَمَازِي أَقْدَامُ مِنْ أَنْفِهِ إِلَى مَغْرَزِ ذَنْبِهِ. وَاللَّبْوَةُ
أَصْفَرٌ مِنْهُ قَلِيلًا وَلَا عُرْفَ لَهَا. وَالْأَسَدُ كَثِيرُهُ يُوَثِّرُ فِيهِ
هَوَاءُ الْبِلَادِ تَائِيْدًا جَلِيًّا. فَإِنَّهُ فِي أَفْرِيقِيَةِ الْحَارَةِ أَهْوَلُ ذَوَاتِ
الْأَرْبَعِ وَأَبْطَشُهَا. بِخِلَافِ أُسْدِ جِبَالِ الْأَطْلَسِ الْمَكْسُوفَةِ
بِالْتَّلُوجِ إِذْ لَيْسَ لَهَا مَا لِيْلِكَ مِنَ الْبَاسِ وَالْقُوَّةِ. وَكَذَلِكَ
سَبَاعُ بِلَادِ الْجَرِيدِ وَالصَّحْرَاءِ

وَلِلذَكَرِ مَحَبَّةٌ وَهَيَامٌ بِأَنْثَاهُ أَمَّا فِي فَقْلَهَا بُبَالِي بِهِ. وَمَتَى
مَشِيَ مَعَ تَقَدُّمَتِ الْأُنْثَى إِلَّا إِذَا جَاعَتْ فَإِنَّهُ يَتَقَدَّمُهَا حَيْثُ
لِيَانِيهَا بِالطَّعَامِ. وَهِيَ تَضْجِعُ فِي خِلَالِ ذَلِكَ لِلرَّاحَةِ عَلَى أَرْضٍ
مَفْرُوشَةٍ بِأَوْرَاقِ الْأَشْجَارِ وَمَتَى وَجَدَ الذَّكَرُ فَرَسَةً أُنْثَاهَا بِهَا.
وَإِذَا اعْجَزَهُ حَمْلُهَا زَجَرَ بِنَادِيهَا لِلْعِيَّةِ فَتَأْتِي وَتُسَبِّحُ جَوْفَهَا.
أَمَّا الذَّكَرُ فَلَا يَمَسُّ طَعَامًا حَتَّى تَنَالَ كَفَاهُهَا ثُمَّ يَتَقَدَّمُ وَيَأْكُلُ
الْفَضْلَةَ الْبَاقِيَةَ

وَلَا يَخْرُجُ الْأَسَدُ مِنْ عَرَبِيَّتِهِ نَهَارًا إِلَّا مَتَى ظَمَى. وَمُدَّةُ
حَمْلِ الْأُنْثَى فِيهَا بَطْنُ سِتَّةِ أَشْهُرٍ وَزَمَانُ السِّفَادِ شَهْرٌ كَانُونِ

الثاني. ومثي وضعت الأنثى تجرو كان لحمة لا حيس بها ولا
 حركة فتعمره ثلاثة أيام. ثم يأتي أبوه بعدئذ فيفتح فيه البرة
 بعد الأخرى حتى يتحرك وينفس وتفرج أعضاؤه وتشكل
 صورته. ثم تأتي أمه فترضعه ولا يفتح عينيه إلا بعد سبعة أيام
 من تخلفه. وتضع الأنثى جروا أو اثنين إلى ثلاثة. فإذا
 وضعت اثنين كان الواحد ذكرا والآخر أنثى. وإذا كانت
 ثلاثة كان الاثنان ذكرا والثالث أنثى. وتحمو البوة على
 أشبالها كل الحنو ولا تفارقها بعد الولادة أياما. ومثي
 استطاعت الحبو^١ أخذتها وسارت بها قليلا وأنها يشقه^٢ لحم
 ومزقتها قطعاً حتى لا يعرفوا لثامها الرخصة ضرر. وحين تبلغ
 الأشبال الشهر الثالث أو الرابع تذهب مع أمها ليلافاة أبيها
 من قنصه. وبعد شهر آخر يأخذ الأسد والبوة الأشبال
 معها ليهرن^٣ نائما على الصيد. ويدفعها على البطش بالماشية.
 أمماها فيكمنان لحراستها من الأخطار حتى إذا هاجمها
 وحش أو إنسان برزا من مكنتها للدود^٤ عنها
 وإنقاذها

ومثي ناهز الشبل السنتين يستطيع التلصق بفريسي أو ثور.

وَتَأْخُذُ قُوَّتُهُ بِالزِّيَادَةِ حَتَّى يَبْلُغَ الْحَوْلَ الثَّامِنَ فَتَكْمُلُ بَرَأَتُهُ
 وَقَوَاطِعُهُ وَعُرْفُهُ وَيَقِفُ عَنِ النَّهْوِ وَتَدُومُ قُوَّتُهُ زَمَانًا مَدِيدًا وَلَا
 تَبْدُو عَلَى أَنْبَاءِهِ وَعَضَلَاتِهِ عَلَامَةٌ إِلَّا نَحِطَاطٌ . بَلْ يَظَلُّ جَلِيدًا
 ضَارِمًا^(١) إِلَى السَّنَةِ الْعِشْرِينَ بَعْدَ نُهُوهِ الْتَكْمِيلِ ثُمَّ تَأْخُذُ قُوَّتُهُ
 بِالْإِنْخِطَاطِ وَتَسْقُطُ أَسْنَانُهُ وَيُبْسِي عَاجِرًا جَبَانًا . فَقَدْ يَنْتَكُ
 بِهِ حَيْثُ يَدُ الْجَامُوسِ بَلِ الدَّوْرُ أَيْضًا . فَتَرَاهُ يَذِلُّ^(٢) إِلَى الْقُرَى
 وَالْهَزَارِعِ فَيَنْخَطِفُ خَرُوفًا أَوْ جَدْيًا أَوْ امْرَأَةً أَوْ وَلَدًا كَمَا كَانَ
 يَفْعَلُ حِينَ كَانَ شِبْلًا مَذْمُوحًا ثَلَاثِينَ سَنَةً . ثُمَّ يَعْرِو قُوَّتُهُ الْعِيَاءَ
 وَالزَّمَانَةَ^(٣) وَبَصَرُهُ الْكَلَالُ وَجَسَدُهُ الْهَزَالُ وَيَجْتَزِي^(٤) بِأَذْنَى
 الْأَطْعِمَةِ حَتَّى لَا يَبَاقَ الْجُرْدُ وَالْقَارُ . ثُمَّ يُصَابُ بِالسَّعَارِ^(٥)
 وَيَقْضِي نَجْبَةً^(٦) أَوْ تَبْطِشُ بِهِ الضَّبَاعُ أَوْ يَعْتَرُ عَلَيْهِ الصَّيَادُ تَحْتَ
 الْأَشْجَارِ مَعْضُوبًا^(٧) فِي وَهْطِهِ^(٨)

وَلَا تَسِيرُ اللَّيْثُ^(٩) عَرَاجِلَ بَلْ عِيَالًا مُؤَلَّفَةً مِنْ خَمْسَةِ
 أَوْ سِتَّةِ رُؤُوسٍ وَمَتَى . هَاجَمَ اللَّيْثُ فَرِيَسَتَهُ صَوَّبَ بَرَأَتَهُ
 وَأَنْبَاءَهُ إِلَى عُنُقِهَا تَحْتَ الْفَكِّ أَوْ إِلَى خَاصِرَتَيْهَا بِقُرْبِ الْقَائِمَةِ
 الْخَلْفِيَّةِ . وَلَا يَكْدُمُهَا^(١٠) كَيْفَ كَانَ بَلْ يَشْفُهَا شَقَّ الْجَزَارِ الثَّوْرِ
 وَيَبْدَأُ بِأَمْعَائِهَا أَوَّلًا أَوْ يَتَرَعَّمُهَا وَيَحْفَظُهَا إِلَى الْعَدِ . ثُمَّ يَلْقَمُهَا^(١١)

مُحِطًا بِالْعِظَامِ تَحْطِمْ الْقُرُوسِ الْأَخْشَابَ الْيَابِسَةَ
وَكَانَ لِلرُّومَانِيِّينَ هَيْامٌ شَدِيدٌ بِمُشَاهَدَةِ صِرَاعِ الْأُسُودِ
وَكِفَاحِهَا فِي الْمَلَاعِبِ الْعَامَّةِ مَعَ الْأَسْرَى وَالْعَجْرَمِينَ أَوْ مَعَ
بَعْضِهَا الْبَعْضِ . فَيَلِ إِنْ بُومِيُوسَ أَدْخَلَ إِلَى أَحَدِ هَذِهِ
الْمَلَاعِبِ خَمْسَ مِئَةِ أَسَدٍ حَيْثُ دَامَ الصِّرَاعُ خَمْسَةَ أَيَّامٍ
مُتَوَالِيَةٍ . فَجَنَدِلَتْ هَذِهِ الْوُحُوشُ عَنْ آخِرِدَا بِأَسْلِحَةٍ
الْمُصَارَعِينَ أَوْ جَنَدَلَ بَعْضُهَا بَعْضًا

وَتَكَثَّرُ الْأُسُودُ فِي ضَوَاحِي صَحْرَاءِ أَفْرِيقِيَّةَ وَبَاطِنِيهَا .
حَيْثُ تَسْرَحُ بِلَا مَانِعٍ وَتُهَاجِمُ الرُّكَبَ وَالْمَسَافِرِينَ
كَالْسَيْلِ الْمُنْهَمِرِ وَتُعِيدُ كَثِيرَهُمْ قَلِيلًا . فَقَدْ يَفْجَمُ اللَّيْلُ
الْوَاحِدُ الْغَافِلَةَ كُلَّهَا وَيَرْصُدُهَا بِدُونِ أَذْنَى خَوْفٍ إِلَى آخِرِ
نَسَبَةٍ مِنْ حَيَاتِهِ . أَمَّا الْأَسَدُ الَّتِي لَهَا عِلْمٌ بِهَا لِلْإِنْسَانِ مِنْ
الْقُوَّةِ وَالْبَسَالَةِ فَتَنْفِي بِأَسَهِ مَخَافَةٍ أَنْ تُرْمَى بِالنَّارِ فَتَنْجُو عَنْهُ .
وَتَنْبِرِي تَنْتِكُ بِهَا لَا بَأْسَ لَهُ مِنْ أَسْرَابِ الطُّبَّاءِ وَقُطْعَانِ
الشَّاءِ وَالْأَنْعَامِ

وَالْأَسَدُ قَابِلُ التَّطَبُّعِ وَالتَّدْرِبِ فَيَلِينُ وَيَتَقَادُ لِلْإِنْسَانِ .
بِدَلِيلٍ مَا جَاءَ فِي التَّارِيخِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَضَعُونَ قَدِيمًا الْعَرَبَاتِ

وَالنَّوَادِجَ عَلَى ظُهُورِ الْأَسُودِ فَتَجْرِي بِهِمْ طَوْعًا فِي الْبَعَارِكِ
وَفِي مَوَاسِمِ الْقَصْرِ وَتَبْدُو مِنْهَا حُبَّةً وَرَعَايَةً ذِمَّةً لَهَا لِكَيْهَا.
وَلَا تَأْلُو جُهْدًا فِي خِدْمَتِهِ وَحِمَايَةِ حُرْمَتِهِ

وَالْخَضَنْفَرُ ^(١) مُطْبُوعٌ عَلَى التَّوَدُّدِ لِصَاحِبِهِ. فَيَبْهَرُ وَإِنْ كَانَ
صَعَبَ الْهَرَّاسِ وَشَدِيدَ الشَّرَافَةِ عَالِي الْهَيْبَةِ وَالشَّهَامَةِ
كَرِيمٌ عِنْدَ الْغَضَبِ عَفٌّ عِنْدَ الْبَقْدِرَةِ وَعُرُوفٌ بِقَدْرِ
الْمَعْرُوفِ. وَمِنْ طَبِيعِهِ أَنَّهُ يَأْتِي أَفْتِرَاسَ الْحَيَوَانَاتِ
الْحَنِيذِرَةِ. وَيَعْفُ عَنْهُنَّ يُطْرَحُ بَيْنَ يَدَيْهِ لِغَيْرِ عِلَّةٍ. وَإِذَا
أَجُودَرُهُ السَّغْبُ ^(٢) تَعَرَّضَ لِأَفْتِرَاسِ كُلِّ حَيَوَانٍ صَادَقَهُ فِي
طَرِيقِهِ

وَلَمَّا كَانَتْ جَمِيعُ ذَوَاتِ الْأَرْبَعِ تَخْشَى لِقَاءَهُ وَتَبْتَغِي
عَنْهُ نَجَاتَهُ الْضَّرُورَةَ إِلَى إِعْمَالِ الْحَيَلَةِ وَمُدَاجَاةٍ ^(٣) مَا عَزَمَ عَلَى
أَفْتِرَاسِهِ. فَيَجْعَلُ مَقَامَهُ بِالْقُرْبِ مِنْ طَرِيقِ مَسْلُوكِهِ ثُمَّ يَزْحَفُ
مَنْضَمًا مُنْقِضًا وَيَثْبُتُ عَلَى مَا صَلَّى ^(٤) لَهُ وَثْبَةً وَاحِدَةً

وَزَيْدُ الضَّرْغَامِ ^(٥) جَهِيْرٌ يَخْتَرِقُ السَّمَاعَ كَالرَّعْدِ
الْقَاصِفِ. فَيُلْقِي الرُّعْبَ فِي قُلُوبِ سَائِرِ الْحَيَوَانِ وَلَوْ كَانَتْ فِي
أَمْنٍ وَنَحْصٍ. فَلَا تَسْمَعُهُ إِلَّا وَيَغْشَاهَا الْفَرَقُّ وَالْإِضْطِرَابُ

وَالْعَرَقُ . وَكَثُرَ مَا يُخَافُ مِنَ الْأَسَدِ إِذَا هَاجَهُ هَاجٌ أَوْ وَلَدَ لَهُ وَلَدٌ

وَرُبَّمَا عَمَرَ الْأَسَدُ مِئَةَ عَامٍ . قِيلَ مَاتَ أَسَدٌ فِي بِلَادِ
الْإِنْدَكِيذِ بَعْدَ أَنْ أَتَى عَلَيْهِ بِهَا سَبْعُونَ عَامًا وَآخِرُ سِتُونَ .
وَتَزَعَمُ الْعَرَبُ أَنَّ الْأَسَدَ يَعِفُّ عَنِ النِّسَاءِ وَخَالَهِنَّ آخِرُونَ .
وَقَدْ شُهِدَ مِرَارًا يَعِفُّ عَنْ حَصَلٍ تَحْتَ قُوَّتِهِ مِنْ بَنِي آدَمَ
بَلْ شَارَكَ فِي طَعَامِهِ مَنْ عَفَّ عَنْهُ كَرَّمًا إِنْقَاءً عَلَى حَيَاتِهِ كَمَا
جَاءَ فِي قِصَّةِ أَنْدَرُوكَلِسَ الْعَبْدِ وَغَيْرِهَا

قِيلَ إِنَّ لِلْأَسَدِ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى الْجُوعِ وَالْعَطَشِ مَا لَيْسَ
لِغَيْرِهِ مِنَ السِّبَاعِ . وَلَا يَأْكُلُ فَرِيسَةَ غَيْرِهِ . وَإِذَا شَبِعَ مِنْ
فَرِيسَةٍ غَادَرَهَا وَلَمْ يَعُدْ إِلَيْهَا . وَإِذَا جَاعَ سَاعَتْ أَخْلَاقُهُ
وَإِذَا شَبِعَ ارْتَاضَ . وَلَا يَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ وَلَغَ فِيهِ كَلْبٌ . وَهُوَ
يَنْهَشُ وَيَلْمُ وَلَا يَهْضَغُ وَرِيْقُهُ قَلِيلٌ جَدًّا وَلِذَلِكَ يُوصَفُ
بِالنَّجَرِ . وَبِعَرَفٍ أَيْضًا بِالشَّجَاعَةِ وَالْجُبْنِ . فَمِنْ جُبْنِهِ أَنَّهُ يَفْرَعُ
مِنْ صَوْتِ الدِّيكِ وَتَقْرِ الطَّيْتِ وَمِنْ السِّنُورِ وَيَجِيرُ عِنْدَ
رُؤْيَةِ النَّارِ

وَهُوَ شَدِيدُ الْبَطْشِ لَا يَأْلَفُ أَحَدًا مِنَ السِّبَاعِ لِأَنَّهُ

لَا يَرَى مَا يَنْظُرُهُ. وَعَلَامَةُ كِبَرِهِ سَقُوطُ أَسنَاهِ كَمَا تَنْدَمُ

- (١) مشية الرضيع (٢) للدفاع (٣) الامد الشديد
- المخلق والقوى (٤) تثنى مشية الشيخ رويداً (٥) العانة وتعطيل القوى
- (٦) اشد الجوع (٧) يموت بعد الهرم (٨) زمناً قليل الحركة
- (٩) يصرة صرعة لا يقوم منها (١٠) الأسود (١١) بعض بادني فيه
- (١٢) يأكل سريعاً (١٣) صرعت الى الارض (١٤) الامد
- (١٥) الجوع (١٦) مسانرة بالعناية ومناقفة (١٧) خاتل ورصد
- ناصباً عتة للوثوب (١٨) الامد

الاقليم المعتدلة

١

ان المنطقة الشمالية المعتدلة تحسب حانوت اشغال العالم . اما المنطقتان الباردة والحارة ففيها الطبيعة سائدة سيادة مطلقة . فالاولى تغلب عمل الانسان عليها وتحولتها . والثانية تستغني عنه بنصيبها الطبيعي . غير ان للانسان السلطة الماطة في الاقليم المعتدلة . وهذه هي الصفة الخاصة التي تميز المنطقة المعتدلة عن اخניה المذكورتين . وهي تحوي ثلاثة ارباع الجنس البشري وقد ارتقى التمدن فيها الى اسى درجات . وبها جرت اعظم حوادث التاريخ في الازمان القديمة والحديثة

ولامره في ان الاقليم عامل فعال في النشاط والحركة . قال العلامة كوين "ان تماقب الحر والبرد في الاقليم المعتدلة وتغيرات الفصول والهواء الرخيم

التي عما يدفع الانسان الى الجِدِّ الدائم واتبناه البصيرة والى سائر الاعمال العقلية الشاقة. فلا تعطي الطبيعة المتقصدة للانسان شيئاً الا بعرق جبينه فيتمتع بمزاياها جزاء خدمته وكده. وفي صدق كفايحها وصدامها راجياً بل موقفاً بالظفر والبصرة. فهي وان لم تستعمل الاسراف والتبذير تمنح اعماله العقلية النشيطة نصيباً او فرماً تقتضيه حاجته. وتستغفر ثمنه للعمل ونحوه في خلال ذلك بسراً وراحة وتسمح بترقية قوى عقله العليا. فليست قواها الطبيعية بالحاكم الجائر بل المعين النافع. فان الملاك العاملة والفهم والتمييز تحكم على الفطرة وعلى سائر القوى الحيوانية. والنفس تسود على الجسد والانسان على الطبيعة

وفي المنطقة المتجهدة ايضاً يجاهد الانسان ضد الطبيعة غير انما عنيفة ضمنية شجيحة. وذلك القتال كناية عن كفاح الممالك المستमित حرصاً على الحياة. فلا يحصل الانسان قوته الخفيف الذي بالكاد يضبط فيه رمق الحياة شتاء الا بمزيد العناية وشق النفس. وعلى ذلك اصبح الترقى في سلم المدنية تحت هذه الاحوال المعاكسة امراً مستحيلاً

ولا كانت الطبيعة في المنطقة الحارة على غاية الاسراف في هبائها. لا ترغم الانسان على اغتصاب خبزه اليومي بعلم الدائم الشاق. بل لما كان هوأوما في الغالب على حال واحدة وقصوها لا تعرف رقاداً وسباتاً كالاقاليم المعتدلة كان اعمال الفكرة والتمعن مما لا يجدي الانسان نفعا. فلا تدعوه الضرورة الى الجهاد العقلي العنيف ضد طبيعة رقت قواه الجسدية الى اسنى الدرجات. فلا يخطر على باله مصادمة قواها العاملة بل تنصرف عليه فيخضع لسلطانها ويمسك انساناً حيوانياً بنسبة اذعان له لعلها الظافرة ونسيان مقامه الادبي على ادبيها

اما الاقاليم المعتدلة فعلى غاية الملائمة لترقية قوى الانسان الجسدية والعقلية. وهي تناسب ايضاً انتشار الحياة النباتية والحيوانية في خير سبل يقوم بحاجة الالة البشرية. وعلى ذلك كانت موطن البتر والقمع وهما من ارفع الحيوانات المجترة للانسان في المنطقة المعتدلة. وانتشرت الخيل من وطئها في اسيا الوسطى الى

أكثر اقسام الكرة . وهي رفيقة لا غنى عنها للانسان في صنائعه واسفاره .
الحرب والسلم وشريكته في السراء والضراء . وتوفر ايضاً في هذا الاقليم طوائف
الطير حتى أصبحت في بعض البلاد صف الطعام الاول للانسان
ثم اذا انتقلنا الى المملكة النيبانية رأينا الغلال والحبب الوفير ملائمة في
القيام بغذاء الانسان المتعدن منتشرة في المنطقة المعتدلة انتشاراً عظيماً ولا غرو
ان الانسان لا يزرع القطناني^(١) الا متى استوطن مكاناً استيطاناً دائماً وغادر
عيشته البدوية واصبح فلاحاً يستعمر ارضاً ويستغلها . والامر واضح ان الحبوب
لا تنبت لنفسها وتنتشر كالاعشاب البرية بل لابد لها من زارع يزرعها وفلاح
يجرث الارض ويهيئها وحاصد يحصدها

قال احد علماء النبات " ان القطناني تتقدم المدن ونسبة . ولها علاقة
كبرى بالراحة والسلام والسعادة المتزلية التي يجيئها مع المادية . فلا بد للامم
في استنباتها من اراض مفررة والوطن فيها . ثم متى بهيأ لم ذلك ورشها
اقدامهم عليها اغترب ذلك الترقى في الاخلاق والعوائد . فكيف عن الظلم الى
الحروب الدموية ولم يتركوا ميدان الكفاح الا للدفاع عن الحقول التي يستغلون
منها ارزاقهم والذود^(٢) عن عيالهم "

فالحبوب اذا خير طعام بلائم الانسان في حاله الالية . فتصبح البلاد
باقات زراعتها قادرة على اعالة سكانها الواقري العدد اعالة دائمة . اما سائر
الاصناف فتتبعها وقتي ولا يمكن تخزينها الى زمن مديد . فان الجذور والفاكهة
لا تلبث حتى تنفذ وتفرغ او تفسد وتعتن . وفناقص الصيد غنيمة يشك في
وفرها ودواها . ومتى زاد الجدد في طلبها قلت اوفقيت . فتري في بعض بلدان
المصنعة الحارة لب شجرة الخبز الخلية وجذور المانيوق المغذية ونباتات اخرى
طبيعية تعول قبائل قليلة العدد متفرقة الاوطان قنوعة ببساطة العيش . غير
ان الانسان في هذه الاحوال الهيمية مخط في سلم المدنية جسداً وعقلاً يتعدّر
على ترقية اموره واصلاحها . غير ان زراعة الغلال تزوده اكثر ايام السنة

بطعام ملائم وتفرض عليه اعمالاً وتربيات تؤثر بطباعه وعوائده واخلاقه خيراً
تأثيراً وإكالة

فهذه هي النباتات التي تتميز بها محصولات الاقليم المعتدلة . فالمحطة التي
لا توجد في المنطقة الحارة تنصب في كل المنطقة المعتدلة على سائر درجات
الارتفاع . والذرة تنشر في اميركا الشمالية والجنوبية على مساحة جغرافية كبيرة .
والشعير ينمو في اوربا واسيا حيث الارض والاقليم لا يلائمان المحطة . وينصب
المرطان^(٢) في الشمال البارد ولا ينقطع الا متى بلغت المنطقة المجهدة حيث
تستحيل على الانسان الحياة في حال تمدنية اليقة . فقد هيأت العناية في تنوعات
الاقليم والثرية وصلاحية بعضها لجيوب وغيرها لآخرى الطعام الضروري
لأعالة الجنس البشري

ثم ما هي الاشجار الافيد للانسان البالغ مقاماً عالياً في التمدن لا غرو انما
التي تزوده بأوفر نصيب من الاخشاب . ولسائل ان يعترض "أليست اخشاب
الزينة الغنية التي يتأتى باقتناء ادواتها المرأة^(٣) في من محصولات البلاد
الحارة ؟" فاجيب نعم ولكن الصنوبر والارز والجوز وما شاكلها الخادمة
حاجات الانسان الضرورية تخص بالمنطقة المعتدلة . فقد يبعث سكانها الى
ثغور هوندوراس لاستغلال خشب الماموكاني الثمين . وإلى البرازيل لاحضار
خشب الورد لعل انفس امتعة قصورهم . غير ان الصنوبر والدردار والسنديان
والعرعر والجوز والخور والزان هي الاخشاب المستعملة في صنع آلاتهم وعجلاتهم
وسائر ادواتهم الفاتكة الاحياء . فقد وفرت هذه الاشجار في ادواتهم وغياضهم
فتيسر لهم الحصول عليها بأيسر مرام . لاتهم استنبوها في اقليمهم وشاركهم باستنشاق
هوائ واحد

هنا وان ما يصدق على العالم النباتي فوق الثرى يصح ايضاً على المملكة
المعدنية تحته . فترى انفع المعادن للانسان الداخلة في خدمتها المنزلية وصناعته
كالحديد والقصدير والحاس والرصاص متوفرة في المنطقة المعتدلة . ولا يخفى

ان ركاز^(٥) هذه المعادن لا يمكن اذابة ولا تنفع به في الاعمال والصنائع بدون وقود كافٍ وهذا ايضا هيأة العناية بكثرة في المنطقة المعتدلة وهو القم الحجري غير ان المنطقة المعتدلة نفسها جزيلة التباين والاختلاف لتنوعات الاقاليم والاضلاع. فان اسيا الوسطى مثلاً بل سائر اسيا الواقعة الى شمالي خط القوقاس وحملابا وسور الصين منازات مجدية . وما برحت كما كانت منذ ستة قرون موطن العميلة والسلب. فلماذا ذلك يا ترى ؟ لان صهاربها قصبة جداً عن عوامل الاجر . والجبال الشاهقة تجعل بردها قارصاً كالقطار الشمالية . ولأن انهرها تجري الى مجبرات مائحة بدون مصب او الى اوقيانوس متجدد يسد دونها ابواب التجارة

انما تفرس باوربا ترها أكثر القارات تظلاً بمياه البحر . ومع ان اسيا تريد مساحتها عن قارة اوربا اربع مرات في دونها في الارياض البحرية فان سواحل اوربا المائبة تزيد عن سواحل اسيا خمسة اضعاف . ولا تشاهد فيها محلاً بعيد عن البحر أكثر من ثلاث مئة ميل ما خلا سهول روسيا فقط . بيد ان توزع الانهر الصالحة لركوب السفن يقرب الاوقيانوس حتى في اقصى محالو تقريباً يسهل بلوغه

وما في نتائج هذا كله . فاذا القيت بصرك على خريطة اوربا انجلي لك الامر فرأيتها اوفر القارات ازدهاراً بالمدن والقرى والسكك والفنون وطرق الحديد التجارية والضياح والامصار والفساطيط^(٦) والواصلتها ببعضها وصل الشبكة . فهناك ضرب المدن اطباءة والتي عصاه وريح اقداء . والعلوم والصنائع بلغت متراثها العاصية . وهنالك ولدت ونمت الاختراعات الآلية العظيمة التي ضمت شتات العالم ونظمتها في عقد جمعية واحدة متناوثة الاستقلال . وكانت الزراعة والصناعة والتجارة كالألامثيل له

فقد تزودت اوربا من سائر القارات بمواد وافرة نغزت بها قوتها الطبيعية . ولكنها خولت العالم ايضا فوائداً ليست باقل من تلك المواد نفعاً .

فانما كانت مهذا للظلمات السياسية التي كفلت استئلال الانسان ورقّت العلوم والفنون والصنائع الى اسمى المراقي واخذت تنشرها الى سائر انحاء البسجة فاذا اخذنا مملكة واحدة مثلاً كبريطانيا او فرنسا او تركيا او المانيا او ايطاليا او النمسا رأينا كلاً منها محوراً تدور عليه المدنية والمعارف والصنائع فتدثر مهاجر الملكة الاولى نتائج همه ابناءها وحميتهم في سائر الاقطار حتى اصبح المناظرون لتقدمها ونجاحها من اولادها انفسهم

فقرى لموقعها مياه تزيد حرارتها درجات عن بلاد اخرى واقعة في هذا الطول نفسه. فليست بقارة البرد ولا بشديدة الحر. فلا يعتذر عليك الشغل في اقليمها ساعة من ساعات السنة ولا ترعج حرارها القوي الانسانية كل الازعاج حتى نخل على الوقي^(٧) والتراخي بل يربي موازها العضلات ويقوي البنية. اما مساحتها فصغيرة جداً بالنسبة الى سائر اوربا ولكنها تحوي سهولاً وجبالاً وآجاماً وغيابات وانهاراً وجبالاً وسواحل الخ حتى بانث متخف اوضاع متباينة ومتنوعة تنوع انجادهما ومهادها ومهادها. فهي وان كثرت فيها القباب ووفرت الامطار تبعث الى اقطار العالم بارصادها الفلكية. وان عجزت امرها القصيرة عن القيام بالقوة المائية ترى الارض ترتعد تحت رعود معاملها البخارية. وان لم تحو مناجم ذهب يعتد بها تشغل على كنوز تضار تفوق سائر البلدان وعلى مناجم فحم حجري وقصدير تشغل سفنها وقطاراتها ومعاملها الفاتحة الاحياء. ثم وان كان موقعها الشمالي ما لا ينحصب فيه الكرم ترى محاصيل كروم سائر البلاد ماثلة مراتبها وتعاين البرقال والليمون والتفاح رخيصة في لندن رخصها في البحر المتوسط

(١) الحبوب التي تُطبخ (٢) تدفع او تحامي (٣) حب متوسط بين الشعير والمحطة او البشلة (٤) السادة الشرفاء (٥) قطع الفضة والذهب من المعدن (٦) السراق من الابنية او كل مدينة جامعة (٧) الثور والكلال والاعماء

الاقاليم المعتدلة

٣

ثم ماذا نقول عن اسيا الصغرى وارمينيا وسوريا الواقعة في هذه المنطقة نفسها وهي جنة الله في ارضه . بلاد طاب هوأوما . وعذب ماأوما . ووفر خصبها . وتدر حبها . وانبسط خيرها . وتقلص خيرها . ماأوما غير^(١) . وروضها نصير . وجودها وفير . حلتها باسقة . ونهورها دافقة . مروجها خضراء . ومدنها فيحاء . معتدلة الموقع والاقليم . رقى فيها الماء . واعتل النسيم . متنوعة الزهور . ضاحكة الثغور . كثيرة الثمار والغلال . بديعة الحزون والجبال . اريضة الحقول . زاهية الاعشاب والبتول . تآرجت في حلتها الازهار . وغرّدت على اقنان جنانها الاطيار

وأطلق الطير فيها سجع . منطية . ما بين مخلف فيها ومتنور . وأطل يسرق بين الدوح خطوته . وللحياة ديب غير مسترق . وقد بدا الورد مقترأ مباسمة . والترجس الغض فيها شاخص الحلق . من احمر ساطع او اخضر نصير . او اصفر فاقع او ابيض يقي . والشب تبكي وتغر البرق مبسم . والطير تسبح من تيه ومن آنق . فالطير في طرب والشب في حرب . والماء في مرَب والغصن في قلق . تحترقها جبال ثناء^(٢) . ولودية نضرة غناء . وسهول وسيعة فسيحة . حوت الحقل والغابة والبحيرة والبطيخ^(٣) . ازدانت باعجب العاديات والآثار . وتباهت باقدم اللاتن والامصار . منها غرطة دمشق العجباء . وقاع حلب الشهباء . التي ترغمت بمدحنا الشعراء . وثملت بذكرها النفوس . كالشيخ عبد الغني النابلسي وغيره ما تضيق عن ذكره الطروس . فمأ قاله المذكور في وصف جلق ما يأتي

ان سامك الخطب المول فاقلنا فاترل بأرض الشام واسكن جفنا
تجد المرام بها وكل مناك بل ونرى بها عرا وتصح مصطنا
بلد سمث بين البلاد محاسنا ونمت بها واسترادت روتنا
ان تعشقوا وطننا فذي اولي لكم دون البلاد بأن تحب وتعشنا
طابت هوا للنفوس وماؤها عنب زلال سائع ان استقى
جلت محاسنها عن التعداد فساتر بما يختار منها ويتقى
يا حسن وادبها وطيب شميه قد فاج عرف الزمر فيه وعبقنا
وتراسلت أطياره بين الرئي^(٥) حرا فحييت التواد الشينا
كيف انجعت بخر فحوك ماؤه واليك بركم كل غصن أوزقا
يا حبل اشراف مرجعها التي اضح غني المم فيها مبلقا^(٦)
ضحكت أزاهرها على أغصانها فاقى النسيم يملن وصقنا
قد دندنت انهارها في جربها لما شدا ذاك الحمام وشقنا
سنت دمشق الشام صوب غامه أشقى على غيطانها^(٧) فندقنا
كم نزهة للعين فيها قد زمت وسرت على طرف المهرم فأطرقا
هي شامنا أعلى الاله منارها وبها أدام الله عيشا رينا
ومن بلادها حص وانطاكية وحماه ربيع حل بها الانس في اطيب جاه
مغان قد اطاعها العاصي وجرت امواه اليها من الاقاصي . قال ابن حجة

الحموي متشوقا الى البلد الاخير

واذا تسمت الشلا وتطرت منك الذبول وطبت باربع الصبا
عرج على وادي حماة بحرة متيها^(٨) منه صعبا طيبا
واجل لنا في طي بردك نشره فغير ذاك الطيب لن تطيبا
له ذاك السخ والوادي الذي ما زال روض الانس فيه غصبا
يا ساكني مغنى حماة وحكمكم من بعدكم ما ذقت عيشا طيبا
ومنها جبل لبنان البديع . بها فيه من العيون الباردة والينابيع . والمناظر

الساحرة الالباب . والودية الخضراء والروائي والمضاب . والساكر والقرى
والضباع . وشلا الازاهر التي تأرجع غيرها وضاع . والمراء النقي المقرى للابنان .
والرياض اليانعة والحقول والغبطان . والارز الحارد ذكره في كتب الانبياء
والزبور . والشعوب التي اشتهر تأريخها من سالف الدهور . والامهر التي عذب
ساؤها وصفا . كالباروك وابي علي وابراهيم والصفا . فهذه جداول سخ بها طيب
النيث المدرار . فأغدقت على الاملين وايل (١) اللجين (١٠) والنصار (١١)

واين انت من تغورها البحرية وتاريخها الجلل . القائمة كمراس تخال في
ابهي الجلل . كطرابلس ويبروت وصيدا وصور وعكا ويافا وغزة . المائنة في
برود النبي والتقدم والعزة . نختري بما قيل عن الاولى فقط . قال ابو الطيب
اكارم حسد الارض السماء بهم وقصرت كل مصر عن طرابلس
وقال ابن الروي

باربعة سادت وساد مقامها على سائر الامصار في البحر والبر
بأيض تلج واحرار كثيرها وخضرة مرج قد جلا رزقة البحر
ناميك ايضا بمدنها الفلسطينية ارض الميعاد ومهبط وحي التورية والانجيل .
كطبرية وصفد والناصره والقدس الشريف والخليل . ومجبرها كجيرة اضلكة
الهيئة . وافاميا والمرج والحولة ولوط وطبرية . التي يقول فيها ابو الطيب
لولاك لم أترك البحيرة وآل غور دفي وماؤها شم (١٢)
والموج مثل القبول مزينة هدر فيها وما بها قطم (١٣)
والطير فوق الحباب تحبها فرسان بلق نخومها الجم
كأنها والرياح تضربها جيش وغنى هازم ومهزم
كأنها في مهارها قبر حف بها من جاعها ظلم
تغنت الطير في جوانبها وجادت الارض حولها الديم (١٤)
فهي كارية (١٥) مطوقة جرد عنها غشاؤها الآدم (١٦)
والخلاصة انها بلاد موزها الخالق بطيب التربة والنماء . وزانها بصفاء

الافق واعتدال الهواء . وتوَّع فيها الارضاع والمواقع . وجاد عليها بكل نبت
بانع . وانبج من جوفها الماء الزلال . وطوَّق جبالها بعتود الجبال . ووقر فيها
الازاهر والرياحين . واكثر على اديمها الرياض والبساتين من كل فاكهة بها
زوجان . تسبح ورقها على منابر الاغصان . تلو آيات الثناء والطرب . فيحييها
خبر الغدير بالتصفيق والعجب . ويتلاعب النسيم بالافتان . فينقط بساطها
النبروزي بالآلآت والنعيان . وقد اوسع المولى فيها الخول والعباس . المنقة
بوشي الاخضرار والاحرار واليباض

أقنبا ذو العرش جل جلاله	سجانه من واحد منفرد
بنفض ومنهيب ومطرز	ومجهر ومعتبر ومورد
والاس بين شقائق وحلائق	والغن بين موج ومقلد
والطير بين تسج وتقدس	وتهل وتكبر وتجد
والماء بين تدفق وترقق	وتند وتسل وتجد
والدوح يرقص والنسيم مشيب	والنهر بين قصي (١٧) وتند (١٨)
والورد يحكي بالنصون مجامرا	نار على ماء الحما لم تخمد
والياسمين مفتحا ومنلقا	يحكي مجننه غول الحسد
وكذلك السرير اصبح باسمها	في ثغره تدر برائح ندي
والاقحوان بسيفه ويرمه	مذلاح يزهو كالصمام الأجر
والرند والسوسان مع ربحانها	ما بينهما شيء يعاب من الردي
والروض جامع الازاهر بسطة	وقنول الأترنج لاحت في القدي
والطير يخطب والنصون منابر	والعرق اضمي راكبا جهدي
صاح المرار مسجيا ومجدا	ومندسا بشدو بصوت مفرد
من بعد ملا قد رأيت عجائبا	والصبح بطرد للظلام الأسود
ملا صنع الله جل جلاله	قد اتقن الاشياء حتى تهدي
اما عقول اهلها فرفعة ذكية	لاسيما متى توقرت لم وسائل العلم

والصناعة العالية . وصِفوا منذ عصر النينيين واليونان والرومان . بعلوهم
وتوقد الأذهان . وقد اخذوا ينشطون لله الحمد من عقال . بعد ان اخفى عليهم
الدهر بصروف الاموال . فأنشأوا المدارس والمكاتب والمطابع والجمرائد .
وتخذوا ذرائع^(١٦) للترقية واحراز الثروات . بظل جلاله عليهم الباسط لهم
أكف الثروت والقسط والامداد . الرووف بهم رافة الاب الحب بالاولاد . فلا
يعوز هذا القطر السعيد . الا تقريب الاتصال بسكك الحديد . وتمهيد طرق
المركبات . وترقية الصنائع والآلات . وفتح المعامل وتشغيل العقول البارة .
وعقد الشركات للمشروعات النافعة . واعلاء شأن الزراعة وجلب الآباء . ودفع
اسباب انحطاطها وردع آفاتها . والعناية بالمعادن (والاحراش) . والاقتصاد
بالاثاث والرياش . وتآزر ابناء الوطن وتضامهم على الخير العام . وتناصرهم
على الحب والولاء والسلام . ولا غرو فان مرفأ تفر يديروت وصلته بخط الترموي
الجاري مع دمشق الشام . خطوة مهمة تدفعنا الى الامام . وتبشرنا بصعود سوريا
على مراقي النجاح . وسيرها في سبل التقدم والفلاح . فلا نتم ان شاء الله حتى
تستأنف سالف مجدها . وتسترد فائت عزها بكدها وجدها . تحت لواء حضرة
سلطانها وولي امورها الجليل . المسيح عليها مطارف نعمته الوارقة الظليل

- (١) الزاكي والناجح من الماء (٢) مرتفعة (٣) مسيل واسع
فيومل ودقاق الحصى (٤) اشغال وطول كل شيء وهو ما انقاد معه من
عرض وطوله (٥) جمع راية وهو ما ارتفع من الارض (٦) فتيرا
(٧) جبينات (٨) توتحي وتعبد وقصد (٩) المطر الشديد الضخم
القطر (١٠) الفضة (١١) الذهب والفضة (١٢) بارد (١٣) شهوة
(١٤) جمع دبة وهو مطر يدوم بلارعد ولا برق (١٥) ولد البقرة
الاملس الابيض (١٦) البشرة او الجلد (١٧) اشتداد الصوت
(١٨) تنم (١٩) وسائل او وسائط

فهرس الجزء الاول

من

قلادة النحر في غرائب البر والبحر

صفحة	صفحة
٢٧	٢ مقدمة
٢١	٥ العالم القطبي *
٢٢	٧ منطقة القطبة الجرداء
٢٥	١٠ غابات الاقاليم القطبية
٢٨	١١ انوار الافق الحمراء والشفق الشمالي +
٤١	١٢ بعض حيوانات الاقليم القطبي
٤٢	١٤ القطب الجنوبي *
٤٤	١٦ الزقاق الشمالي الغربي +
٤٦	١٩ كلاب المركبات والذب الايض
٥١	٢١ ميوت الفخ +
٥٢	٢٣ الكريلندي والمحوت +
٥٥	٢٦ لابلندا والابلنديون
	٢١ التابر
	٢٣ البرازيل وسكانها وصيدهم
	٢٦ وصف الصيد

* للدلالة على انه مشكل + للدلالة على انه في رسوم

صفحة	صفحة
١٦٦	جسر القروء
١٠٠	زنايق الماء الكيرة
١٠٤	حمام الاطفال الخلي وشمع الختل * ٥٨
١٠٥	سهول اللانوس + ٦٠
١٠٧	حومان سهول اللانوس وطينها ٦٣
١٠٩	الانوار في الاشجار ٦٤
١١١	ارض الجبابة * + ٦٥
١١٢	سهول البامباس ومكانها وجبالها ٦٨
١١٤	شجرة اللبن وحيوان اللاما ٧١
١١٥	الثل الابيض موطنه وطباعه ٧٣
١١٨	" " قراه العجبة ٧٥
١١٩	" " حروية + ٧٧
١٢١	" " اضراة * ٨١
١٢٣	" " الصغير ٨٤
١٢٥	" الاحمر والاسود ٨٥
١٢٦	" صفاته العامة وانواعه ٨٦
١٢٩	" واوراق الشجر الماشية ٨٧
١٣٠	آكل الثفل ٨٨
١٣٢	الاعشاش المدلاة + ٩٠
١٣٤	شجرة المغاط + ٩١
١٣٧	حيات الماء الرطاة ٩٣
١٤٠	ماس البرازيل ٩٤
١٤٢	شجرة الشينكونا ٩٥
	ياك تيهت *

صفحة	صفحة
١٩٠	١٤٢ عهد الزبدة في تبيت
١٩١	١٤٥ ميكل الذهب في تبيت
١٩٣	١٤٧ اثر قدم يوده *
١٩٥	١٥٠ الفيل قسم ١ +
٢٠٠	١٥٤ " قسم ٢
٢٠٦	١٥٨ النمر في سيلان +
٢١٤	١٦٠ النخل السيلاني
٢١٩	١٦١ الطائر الدنان *
٢٢٢	١٦٤ النبات
٢٢٤	١٦٥ الرتيلاء +
٢٢٧	١٦٧ خاطف الذباب
٢٢٨	١٦٩ جوز الطيب وكبش القرنفل
٢٣٠	١٧٠ طائر الجنة +
٢٣٢	١٧٢ الكوكو *
٢٣٥	١٧٤ الموام المضيق
٢٣٩	١٧٦ طبقات امة الهند
٢٤٠	١٧٧ مستشفى الحيوانات في الهند
٢٤٧	١٧٨ ملاس الهند
٢٥٥	١٨٠ ميوت الهند *
٢٦٢	١٨٢ النهر المقدس
٢٦٨	١٨٤ بنارس
	١٨٥ غياض الهند +
	١٨٩ شعب بوان

اصلاح خطا

صفحة	طر	خطا	صواب
٦	١١	التَّخْمِ	التَّخْمِ
٩٦	١٠	أَقْلَ	أَقْلَ
٩٨	٦	آلَانَ	آلَانَ
١١٧	١٢	سُرَّاهِ	سُرَّاهِ
١٢١	٢	تَحْوِيَا	تَحْوِيَا
١٢٤	٢٠	جِيَا	جِيَا
١٥٢	٢٠	قَرْدِيَيْنِ	قَرْدِيَيْنِ
١٦٠	٦	مَعْدِيَه	مَعْدِيَه
١٧٤	١٤	رَاعِي	رَاعِي
١٩٤	١٠	خَطَرٌ عَظِيمٌ	خَطَرًا عَظِيمًا
٢١٢	١٤	تَخَلَّدَتْ	تَخَلَّلَتْ
٢١٥	٦	الْفِيَاءُ	الْفِيَاءُ
٢٢٤	١٢	الْبَضْرِبِ	الْبَضْرِبِ
٢٢٥	٨	الْبَضْرِبِ	الْبَضْرِبِ
٢٧١	١٩	وَقْتَاوَلِ	وَقْتَاوَلِ

وقد وقع بعض اغلاط غيرهما في الطبع لا تخفى على القارئ

قلادة النحر في غرائب البر والبحر

الجزء الثاني
في خرائب البحر

لمؤلفه سليم كساب عفي عنه

بالرخصة الرسمية من مجلس معارف ولاية بيروت الجبلية نمرة ٤٧٠
٢٤ تشرين الثاني سنة ٢٠٧

حتى إعادة طبعه محفوظ للألف

طُبِعَ في مطبعة الأميركان في بيروت سنة ١٨٩٢

الجزء الثاني

غرائب البحر

قعر البحر وعمقه وقياسه وسكانه

البحر يغطي ثلاثة ارباع سطح الارض تقريباً . واذا غصنا في اعماقه نشاهد جبالاً وودياً ووعوراً وسهولاً واما حلاتق جميلة ونباتات غريبة وحيوانات عجيبه صغاراً وكباراً ثم الد وتتم وتسكن اماكن معينة حسب اجناسها وانواعها وصنوعها . فلما انكشف قعر البحر رأينا كوجه اليابسة

وقد استعمل لقياس عمق جبالاً متيناً منوطاً به قضيب حديد ثقل في طرفه الاسفل شبه كأس مطلي بشحم او مادة دهنية أخرى لاختراجه بعض الرواسب في قراره وعلقوا بهذا القضيب كرة رصاصية ثلثها شحمة ارطال مضبوطة بهرس داخل في حلقات . فاذا بلغ الجبل القعر كفت الشد وانفلت المرس من انكلايب وسقطت الكرة الى الارض وبطل ثقل القضيب فيتمتع لم جذبته . وفي خلال ذلك يلصق بالكأس المدهونة بالشحم رواسب من قعر البحر . فقد استخرجوا بهذه الوساطة انموذجات على عمق اربعة اميال

وقد سبروا^(١) هذه الآلة الاتلاتيك التالي بين ٢٥ و ٤٠ والى جنوب مخزير نيروفلند العثيمة . فوجدوا العتي هناك لا يزيد عن ٢٥ الف قدم . قال احد اولئك السابرين "ان قرار الاتلاتيك كله طويل بفصل

العالم القديم عن الجديد والإرجح أنه يتد من قطبة الى قطبة . وهو يبين
الاقويانوس الباسيفيكي عرضاً . وقد بلغ اعظم مكان سبرو بلك الآلة من
رأس كامبوززو الى قعر الانلاتيك تسعة اميال قياساً عمودياً . وقد حسب
بعضهم معدل عمق البحر من يابان الى كليفورنيا فيبلغ ١٤٤٠٠ قدم . وفي
الاقويانوس الباسيفيكي على عرض ٦٠° جنوباً و ١٦٠° شرقاً ١٤٦٠٠ قدم وذلك
نحو ميلين ونصف

اما عمق البحر المتوسط فتقليل بالنسبة الى الاقويانوسات فانه لا يزيد عن
٥٧٠٠ قدم وفي الاجبان الضيقة من ١٠٠٠ الى ٢٠٠٠ . قيل ان الادرياتيک
قليل الغور ولا يزيد عن ١٤٠ قدماً بين سواحل دلماطية ومصابت نهر بو .
وكذلك البليک فان معدل عمق الاعظم لا يزيد عن ٦٠٠ قدم . ومعدل
عمق البحر العام ١٢٠٠٠ قدم

فهذه القياسات اعانت كثيراً على مداسلاك البحر البرقية . ونخص الحيوانات
القاعية^(١) القاطنة تلك الاعماق . فقد استخرج بعضهم من عمق اربعة او خمسة
اميال ١٢٥ نوعاً من تلك الحيوانات منها ٢٢ نوعاً جديداً
وقد حسب انه لو اجتمعت مياه كل الابحر معاً لآلفت منها دائرة مساحتها
٥٠ او ٦٠ فرسخاً . فلو فرضنا وجه الكرة مسطحة لغطتها تلك المياه الى علو ٦٠
قدم وثيق . ولو فرضنا معدل عمق البحر ١٢٠٠٠ قدم لكان قياس ما حواه
من المياه الفين وميتين وخمسين مليون ميل مكعب . ولو تصورنا ان البحر قد
جف لاقضى لقنوات اليابسة وانهرها واسراها ان تنصب فيه اربعين الف
سنة كي تملأ حوضه الفسح

اما سكان اليم فاوفر عدداً من سكان اليابسة واعظم غرابة . فان جباله
ولوديته ووهاده وبطاحه ملأى ومزدانة بالاجسام الحية الفاتكة الاحياء . منها
النباتات المجموعة والمختلطة المنتصبه والمنحنية المنتشرة مروجاً او خولاً او ادواحاً
تأوي فيها وقتلات منها ملايين من الحيوانات الزاحفة والدابة والراكهة والساجدة

والطائرة . تغطس في الرمال او تلتصق بالصخور او تأوي الشُر والشفوق ان
تبقي لها اوجرة وججورا . تفر وثواب وتعدو وتلاعب وتصاد ويقا تل بعضها
بعضا . يتواد ويدل احدهما الآخر او يقتسه حتى تد حيوانات ادغال
الياسة وبرارها دونها عددا وغبابة . فالوقيانوس وإن حسب للانسان غمر
الموت والاختناق هو موطن الحياة والصحة والمجور لالوف الوف من المخلاتق
التي تذل الالباب . وهناك اشدة الاجسام رخاوة كالللم (٢) واعظها صلابة
كالاصناف وادقها جمها كالشعاعيات التي لا ترى بالعين المجردة واكبرها جمها
كالبال البالغ طولة ٧٠ ذراعا . فهو مجموع الضارع والنبات . والبساطة
والتركيب . والتدني والترقي . والسكون والاضطراب ومشهد العجائب
والغرائب وقد قلت في وصفه هذه الايات

أَقْبِلْ إِلَى أُنْبُرِ الْعَجِيبِ الزَّائِرِ وَأَنْظُرْ بِهِ صُنْعَ الْحَكِيمِ الْقَادِرِ
مِنْ كُلِّ حَيٍّ سَائِحٍ أَوْ طَائِرٍ أَوْ زَائِحٍ أَوْ عَائِمٍ أَوْ غَائِرٍ
يَنْسَابُ فِي أَمْهِ الْخَلْقِ وَالْبَرْدِ

كَمْ فِي مِائِ الْبَحْرِ مِنْ أَصْدَافٍ تَزْهُو بِقُوبِ الْحُسْنِ وَالْأَلْطَافِ
أَسْهَأُكَ نَاقَتٌ عَلَى الْأَوْصَافِ بِالتَّجَنُّسِ وَالْأَلْوَانِ وَالْأَصْنَافِ
تَأْوِي أُنْبَارَ الْوَسَائِعِ الْبَهْدِ

وَالْكُلُّ يَسْعَى سَائِحًا أَفْوَاجًا قَدْ شَقَّ فِي الْعَالَمِ الْأَمْوَاجَا
لَا يَخْشَى بَحْرًا غَدَا عَجَاجَا يَبْشَى حَيْثَا خَافَا مِنْهَا جَا
فِي جَوْفِ بَحْرِ زَاخِرٍ مَهْدِ

كَبِيرَهَا يَفْتَاتُ بِالصَّغِيرِ تَبْرِي وَلَا تُعْيِي مِنَ الْمَسِيرِ

تَزْهَوُ بِلَوْنِ الْقَصِيدِ الْمُنِيرِ أَوْ أَرْجَوَانِ لَاحٍ أَوْ حَرِيرِ
بَيْنَ الصُّخُورِ وَالْخُصُونِ الْمَلْدِ

لَا تُغْبِضُ الْأَجْنَازَ وَسَطَ الْيَمِّ فِي صَيْدِهَا رِيحٌ وَطَرْدُ الْيَمِّ
مِنْ زَيْنِهَا تُعْطَى عِلَاجُ السُّنَمِ فِي جِسْمِهَا لَحْمٌ لَذِيذُ الطَّعْمِ
مَعَ كُلِّ ذَا تَبَقَى بَغَيْرِ عَدُوٍّ

قَدَّعَتْ الْأَجْنَاسُ وَالْأَنْوَاعُ وَأَمْنَزَتْ الْأَعْضَاءُ وَالطَّبَاعُ
قَدْ صَانَهَا فِي مَهْدِهَا الْإِبْدَاعُ رَاقَتْ بِهَا الْأَبْصَارُ وَالْأَسْمَاعُ
لَهَا حَوَتْ بِدَيْعِ صُنْعِ الْفَرْدِ

قَامَتْ تُقَاعِيَّاتُهُ لِلشُّغْلِ تَنْبِي جِبَالًا رَاسِيَاتِ الْأَصْلِ
بَلْ جُرْزَانٍ مِنْ كِلْسِهَا وَالرَّمْلِ فَهِيَ الصِّغَارُ إِنْبَاهُ فِي الْفِعْلِ
بَأَنْتِ كِبَارًا فَاتَّقَاتِ الْجَهْدِ

أَزْهَارُهُ فِي رَوْضَةِ الْهَرَجَانِ تَزْهَوُ بِأَبْنَى الْوَشْيِ وَالْأَلْوَانِ
قَدْ حَاكَمَهَا الدِّيبُ كَالْعِقْيَانِ وَالْوَرْدِ وَالنَّسْرِينَ وَالرَّيْحَانِ
مِنْ قُوَّتِهِ الْمَذْخُورِ ضِمْنَ الْجِلْدِ

مَنْ يَأْتُرِي بِدَرِي بِهَا فِي الْبَحْرِ مِنْ كُلِّ مَخْلُوقٍ عَجِيبِ الذِّكْرِ
أَوْ هَائِلَاتٍ لَا تَرَى فِي الْبَرِّ أَوْ لَوْلُوهُ أَوْ أَنْجَمِهِ أَوْ دُرِّ
تَخْلُودِي الْهَرَّةِ الصَّحْحِ النَّفْدِ

حَيَاتُهُ وَالسَّيْفُ بَاتَتْ تَشْهَرُ حَرْبًا بَدَا فِيهَا الْحَسَامُ الْآبَتَرُ
وَالْكَلْبُ وَالذِّئْبُ الْخَيْفُ الْمُدْعِرُ عَنْ حَرْبِهَا مَعَ بَالِهِ لَا تَذُرُ
تَسْطُو بِعَزْمٍ فَاقَ عَزَمَ الْأَسَدِ
غَيْرُ قَسِيحٍ مُدْهِشُ الْأَبْصَارِ تَسْعَى عَلَيْهِ الْخَلْقُ فِي الْأَسْفَارِ
يُعْطِي حَيَاةَ الْأَرْضِ بِالْأَمْطَارِ يَسْطُو عَلَيْهِ وَاحِدُ الْأَقْبَارِ
فَيَقْتَدِي فِي جَزِيرِهِ وَالْهَدْيِ
فِي جَوْهَةِ الْأَنْوَاءِ وَالْإِعْضَارِ فِي جَوْفِهِ الدُّرُودُ وَالنَّبَارُ
تَارَتْ بِهَا الْأَمْوَالُ وَالْأَخْطَارُ حَارَتْ بِهَا الْأَنْهَامُ وَالْأَفْكَارُ
سُجَانٌ بَارِيهَا الْمَعِيدُ الْهَيْدِي

(١). قاحل (٢) الصغيرة المجهرية (٣) كالنخيلة (٤) سريعاً

الوان البحر

الوان البحر تختلف على الدوام . فمنها الازرق واللازودي والايض
والاصفر والاخضر والاحمر والاسود . فالازرق في الاوقيانوس واكثر الاحمر
والايض في جون غينيا . والاصفر في سواحل يابان . والاخضر في غربي الجزائر
اثناللات . والاحمر في خليج لوانتو . والاسود حول جزائر ملديف . اما البحر
الايض فيسمى كذلك لكثرة ثلوجه . والاسود لوفرة عاصفه . واما اختلاف هذه

الاولان فله اسباب محلية شتى . منها ما يتعلق بلون قعر البحر وما يجاوره من الصخور والرمال . ومنها ما ينشأ عن ألوان الحيوانات المخلوطة والشفورية

بهاء مناظر البحر النارية وأسبابها

ان فصورية البحر اى الوانه النارية اللامعة تنشأ من بعض تقاعيات وحيواناته وتعد من ابداع المناظر وابهاها . فاذا اخترت السفينة بين الحج بعض الابحر خال راكبها انه في جوف لبيب يتأجج بالوان حمره وزرقه وصفراء وخضراء . ورأى ملايين من تلك الحيوانات تتلاعب وتوثب على الحج . فتجتمع وتنترق وترتك وتخطب فيتوهما ميلان لظى فسيح الارزاء . ويزداد بهاء تلك المناظر آن العواصف والزجاج . اذ يعاين المسافر الامواج تفع وتترفع وتتكسر فييدومها زبد فضي تسبح عليه امواج برائة يظنها اما كآ نارية تطارد ويمسك بعضها بعضاً . ثم تقلت وتشتت ايضاً . ومتى ارتفعت الموجة رأيت ذلك الجسم الناري على قمها ومتى هبطت انبسط النور الى سائر الجهات . فتلتصق بالدفقة وتصلطم بمقدم السفينة وتلاعب حول الصخور المتلاطمة عليها الامواج . فيعاين الناظر مشهداً سحرياً يجلب الالباب . وتفرز هذه الحيوانات في سباحتها سبلاً متيراً يمتد ويتعرج ويتشر . وكلما سارت غادرت وراءها خطوطاً وسطوراً وسلاسل متألقة تمتد بسرعة مدهشة

ومن اغرب هذه التفاعيات صف يدعى يروسوما . وهي كيس هلامي طوله عقدة واحدة يلقى على ظهر السفينة نوراً يحاكي قضيب حديد محمى الى درجة الحرارة البيضاء . ومنها كرة ملامية لا تترى بالعين المجردة ولكنك اذا فحصتها بالجرر رأيت لما فيها ومعدة واهلياً متدلية ولوعة دقيقة يومض منها النور كوميض البرق وهو تحت سلطانها فتبدى عند اقل حركة . وقد اتخن

احد علماء الطبيعة ذلك بأن ملأناه من ماء البحر المنعم بلك الحيوانات .
فبعد ان سكن الماء كثت عن الانارة وهدأت . ثم صب في الماء قليلاً من الحمض
واذا بها اضطربت وتناوجت وتألفت بالوان بيبة كجسيم تساقطت من السماء .
ومنها حيوانات صدفة ذات قوة فصفورية شديدة حتى اذا اكها البعض
اضاعت شفاهم كأنها التهب بنار . وقد وضع بعضهم قدرًا من هذه الحيوانات
في اللبن فتأج حتى استطاع القوم القراءة على ضوءه ليلاً

قال الريان كنان الأميركي في احدي سفراتو "قطعتنا منطقة طولها ١٢
ميلاً ملأى بهذه الحيوانات الصفورية . فكانت تلتون منها المياه على امد ٨
ساعات باللون الايض واللبي ثم تحولت الى ميلان ثلج فصح الارجاء . وكان
يتراعى لنا البحر احياناً مشاعل انوار باهرة . وكانت حركة السفينة او الجنايف
تزيد لمعاتها والصخور واعشاب البحر تضطرم منها بعد انحسار المد " . وقال
المسار بيرسن في رحلته الى جزائر قرانس " بينما كانت سفينتنا تشق عباب
الامواج اذا بطقة صفورية انتشرت امامنا كبساط عظيم عائم على الغمر . وكان
اعتمها وضعاً ككرات نار حامية . والسطحية تحاكي انابيب حديد حمراء ممتدة .
وكان ظاهرها مستحفاً من غدد ثنائى كنجار كريمة . ولاح لنا ان تلك الغدد هي
علامة لمعاتها الاصلية . اما جوفها فكان حارياً ايضاً غدداً عديدة مستطيلة ضيقة
ذات قوة فصفورية شديدة . فاذا كانت تلك الحيوانات في حال السكون
رأيت لونها اصفر برافاً ممزوجاً بأخضر . ولكنها تنكش عند اقل حركة
وتقلص وتومض بالوان لامعة تختلف بين الاحمر القاني والاخضر الزمردي
والازرق اللازوردي " . وقال السر جون هرشل " رأينا على سطح ماء ساكن
نوعاً غريباً من تلك الحيوانات الصفورية من جنس البوليفون ذات صور
قوية المخطوط تغطي مساحة كبيرة انارت المياه بضع دقائق بانوار باهرة ثم
اجتازت وتولدت عن العيان كمنع البصر "

ومن الغريب انه اذا زاد تكاثر المياه بكثرة الامطار او رقت بقلتها ماتت

هذه الحيوانات . وهي توجد في كل البحر ولا سيما في الأوقيانوس الهندي
وخلج العرب

ملوحة ماء البحر وثقله

مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ مِيَاهَ الْبَحْرِ أَجَاجٌ^(١) وَثَقُلُ مِنْ مِيَاهِ الْعَذْبَةِ . وَغَلَّةُ ذَلِكَ الْأَمْلَاحُ الْمَعْدِنِيَّةُ الذَّائِبَةُ فِيهِ . فَإِذَا كَانَ ثِقَلُ قَدْرِ مِنَ الْمَاءِ الْعَذْبِ الْخَالِصِ ١٠٠٠ رَطْلٍ مِثْلًا كَانَ ثِقَلُ مِثْلِهِ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ ١٠٢٦ رَطْلًا . أَمَّا تَعْلِيلُ مِلْحَةِ مَاءِ الْبَحْرِ عَلَى مَذْهَبِ أَشْهَرِ التُّلَّكَاءِ فَكَهَذَا بَاقِي . إِنَّ فِشْرَةَ الْأَرْضِ فِي دَوْرِ سَيَّارِنَا الْأَوَّلِ قَبْلَ تَكَاثُرِ الْأَنْجَمَةِ الْهَائِئِةِ وَقَبْلَ سُقُوطِهَا عَلَى الْأَرْضِ مَطَرًا كَانَتْ تَحْتَوِي عَلَى مَوَادِّ مَعْدِنِيَّةٍ شَتَّى يَذُوبُ بَعْضُهَا فِي الْمَاءِ فَلَمَّا اخَذَتْ الْأَمْطَارُ بِالِاتِّسَاكِابِ الْهَرَّةِ الْأُولَى عَلَى الْأَرْضِ الْهَنْظِيَّةِ جَرَفَتْ مَعَهَا كُلَّ الْمَوَادِّ الْقَابِلَةِ لِلذُّوبَانِ فَتَجَمَّعَتْ وَرَسَبَتْ فِي أَغْوَارِ الْأَرْضِ وَخَفَضَتْهَا مِنْ الْأَدْوَارِ الْهَنْوَعِلَةِ فِي الْقِدَمِ . وَلَهَا لَمْ يَكُنْ فِي هَذِهِ الْأَحْوَاضِ مِنْ مَنَفَذٍ لِحُرُوجِهَا كَانَتْ تَرْتَكِمُ خِصْبَهَا إِلَى

مَا شَاءَ اللَّهُ. لَوْلَمْ يَكُنْ قَدْ سَخَّرَ الْهَوْلَى حَيَوَانَاتِ الْبَحْرِ وَنَبَاتَاتِهِ
الْوَنِيرَةَ لِلْإِنْتِفَاعِ بِهَا وَاسْتِغْنَاهَا لِحَاجَتِهَا. فَإِنَّ نَبَاتَهُ يَغْذِي
بِالْكَلْسِ وَالسَّلْسُومِ وَالْبُونَتِيسُومِ وَالْيُودِ فَتَدْخُلُ فِي تَرْكِيبِ
نَسِيجِهِ. وَحَيَوَاتُهُ يَنْسُجُ غَطَاءَهُ وَأَصْدَاقَهُ مِنْ كَرْبُونَاتِ الْكَلْسِ
وَالسَّلْسُومِ وَالْبُونَتِيسُومِ وَالْهَنْتِيسُومِ. وَالتَّقَاعِيَاتُ كَذَلِكَ
وَمِنْهَا الْحَيَوَانَاتُ الْهَرَجَانِيَّةُ

فَالْأَمْطَارُ إِذَا عَالَتْ أَجْرَ الْكُرَةِ الْأُولَى الْجَنْبَحَةِ فِي
أَحْوَاضِ قَسِيحَةٍ وَالذَّائِبُ فِيهَا كُلُّ الْمَوَادِّ الْقَابِلَةِ لِلِانْحِلَالِ
مِثْلَ كَالُورِيدِ الصُّوْدُومِ وَسُؤْلَفَاتِ الصُّودَا وَالْهَنْتِيسِيَا
وَالْبُونَتِيسُومِ وَالْكَلْسِ بِصُورَةِ سَلِيكَاتٍ ذَائِبَةٍ. فَإِذَا تَحَرَّيْنَا
الْأَمْرَ وَعَلِمْنَا أَنَّ نَوَاسِيسَ الطَّبِيعَةِ لَمْ تُغَيَّرْ مُذْ بَدَأَ الْكَوْنُ
حَتَّى الْآنَ وَأَنَّ كُلَّ مَوَادِّ الْأَبْجَرِ الْأُولَى الْقَابِلَةِ لِلتَّوْبَانِ
بَقِيَتْ هُنَالِكَ وَأَنَّ مَاءَ الْأَنْهَارِ الْعَذْبِ لَا يَكْفُ عَنْ الْقِيَامِ
مَقَامَ الْمَاءِ الصَّاعِدِ بِالتَّجْرِ نَسْتَلْنَا مَعْرِفَةَ الْعِلَّةِ الْحَامِلَةِ عَلَى
مُلُوحَةِ مَاءِ الْبَحْرِ

وَلَا يَجْنِي أَنْ مَاءَ الْبَحْرِ مُرَكَّبٌ كَالْمَاءِ الْعَذْبِ مِنْ جُزْءِ
الْكَمِينِ وَجُزْءِ هَيْدْرُوجِين. وَلَكِنْ يَدْخُلُهُ أَيْضًا مَوَادُّ مَعْدِنِيَّةٌ

مَحْلُولَةٌ فِيهِ . فِي كُلِّ أَلْفِ قَيْحَةٍ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ تُوجَدُ الْجَوَائِرُ
الْآتِيَةُ

قيحة	
٩٦٣	ماء
٠٢٧	كلوريد الصوديوم أو الملح العادي
٤	كلوريد المغنيسيوم
٤	كلوريد البوتاسيوم
١	بروميد المغنيسيا
١٢	سلفات المغنيسيا
٨	سلفات الكلس
١	كربونات الكلس
٢٩	فيبقى بقية قدرها

١٠٠٠

وَهَذِهِ الْبَقِيَّةُ مُرَكَّبَةٌ مِنْ الْهَيْدْرُوجِينِ الْهَكْبَرَتِ
وَهَيْدْرُكْلُورَاتِ الْأَمُونِيَا وَالْيُودِ وَالْحَدِيدِ وَالنَّحَاسِ وَالرَّصَاصِ
وَالْفِضَّةِ يَتَفَاوَتُ قَدْرُهَا يَتَفَاوَتُ الْحَمَلُ وَالنَّوْعُ فَتَدْفَحُصُوا
فِي فَلْبَارِيْزُو قَاعِدَةٍ سَنِينَةٍ مُصَفَّاةٍ بِالنَّحَاسِ أَطَالَتِ السَّفَرُ فِي
الْبَحْرِ فَوَجَدُوا عَلَيْهَا آثَارَ فِضَّةٍ لَصِقَتْ بِهَا مِنْ مِيَاءِ الْبَحْرِ .
قَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّ الْبَحْرَ يَحْوِي مِائَتَ مِليُونِ فِضَّةٍ ذَاتِيَّةٍ .
وَتُوجَدُ عِدَا ذَلِكَ مَادَّةٌ هَلَامِيَّةٌ حَيَوَانِيَّةٌ وَنَبَاتِيَّةٌ مَحْلُولَةٌ فِي

مِيَاهِ الْأَوْقِيَانُوسِ نَاشِئَةٌ مِنْ تَوَلِّدَاتِ حَيَوَانِيَّةٍ مُتَعَاكِفَةٍ لَا تُحْتَسَى
انْقَرَضَتْ مُذْ بَدَأَ الْعَالَمَ . وَمَلُوحَةُ الْبَحْرِ عِنْدَ الْقُطْبَيْنِ
أَقْلُ مِيَاهٍ عِنْدَ خَطِّ الْأَسْتِوَاءِ غَيْرَ أَنَّ هَذِهِ الْقَاعِدَةَ لَا تَمْلُؤُ مِنَ
الشَّدُوذِ

(١) مَرَمَح

كثافة مياه البحر وفوائدها ملوحتها

ان كثافة مياه البحر تختلف باختلاف اقسامها ومواقعها . فمياه الاوقيانوس
الانقليتيكي اكنف من مياه الباسيفيكي واقل منها . وملوحة البحر تزيد كثافته
وقوة حملة الاجسام وتجعله صالحا لحمل السفن والانتقال وتسيرها . وتزد اليابسة
بقلي ينحصب مزروعاتها . وتبين الاشعة على اختراق سطحو . وتمنع فساد الماء
الناتج من انحلال المواد الحية القاطنة فيه . وتعطي البحر قوة حركته وشدة
جاريه . فضلا عن انتفاع الانسان بحموره الملح في طعامه . هذه كلها خاصات
لا توجد في الماء العذب . اما مياهه القوية المتبخرة اي المنسكة امطارا فلا تحوي
الا املاحا قليلة تصفى في الطبقات الصخرية ثم تحل معها الى البحر المواد الحية .
فالاوقيانوس اذا مستودع كل المواد القابلة للتحلل المتجرقة اليه عن سطح
اليابسة . وملح البحر يعطي مياهه ذلك الشدوذ الغريب في ناموس التجمد
والتمدد بالحرارة . قال الباحثون في مياه البحر انه لو امتشيت املاحة على سطح
اليابسة لرسب عليها طبقة طرورها ٢٠ قدما او يزيد

حركة البحر

للبحر حركة لا تسكن على مرّ الأيام والسنين زمان هبوب الرياح وسكونها. فتضطرب امواجه وتجري تياراته وان سكنت الرياح وصفت السماء . واذا ثارت العواصف طفت العجج وخيل للناظر ان البحر بلغ السماء . واذا صعب ذلك وميض البروق وهزم الرعود رأى ما ليس اغرب منه في عجائب الطبيعة. وحركات البحر اربع الامواج الرئيسية والتيارات السطحية والتيارات السفلية وحركة المد والجزر

اما التيارات السطحية فهي ما التفت من الامواج دائماً وجرى جرياً قياسياً في جهات معينة حسب دفع الرياح اقياسية . وسميت بالسطحية لندرة بلوغ عمقها اكثر من خمس مئة قدم . منها التيار الاستوائي وعمقه في الانلاتيك ٢٠٠ قدم ونيف ومعدل سرعته في اليوم ١٨ ميلاً . ومنها تيار الاوقيانوس الباسيفيكي المتشم عند مخوم اسيا الى قسمين التيار الياباني وتيار الاوقيانوس الهندي واما التيارات السفلية فهي ما يجري تحت سطح البحر من القطبين الى المياه الواقعة في خط الاستواء . وذلك لان الحرارة تزيد حجم الماء وتغير قوة جاذبيته النوعية فيهدد او يتكاثف حسب درجة حرارته . فحين يبرد يهبط الى الاعماق لثقله حتى تبلغ حرارته اربع درجات و ٢٥ دقيقة تحت الصفر فلا يتغير . فيظل في كل الاطوال على عمق الف يرد على هذه الحال . ثم ينجف عن هذا القياس فيصعد . اذاً كلما زادت الحرارة عن ٤ درجات و ٢٥ دقيقة خف الماء وصعد الى السطح ويط الماء البارد الى العمق . وكلما قص عن هذا القياس انعكس الامر . ولا يتأ العامل الاول جاريًا عند خط الاستواء والثاني عند القطبين . فان المياه الباردة يهبط الى الاعماق لتثقلها وتجري تحت المياه الحارة . فتجري هذه الى جهتي القطبين فتشغل امكة تلك . ومتى بلغت الباردة الحال الاستوائية

ارتفعت الى سطح البحر فاقبلت جارية الى القطبتين وهكذا على التوالي
والعقاب . وهذا الناموس يضارع ناموس الهواء ويحل على تطهير الماء وتنقيته
واما المد والجزر فالاول ارتفاع ماء البحر واستدادة الى البر في وقت
معين . والثاني هبوطه وانحساره عنه كذلك . ولعلها اختلاف جنب الشمس
واقمر لاجزاء الارض باختلاف اوضاعها . فجازية القمر تزيد عن جازية
الشمس لزيادة قرب الارض اليه عن الشمس . فيجذب القمر الجزء المتجه اليه
اكثر مما يقابله . ويجذب المقابل اكثر من الماء الذي عليه فيرفع الماء على
المتجه بجذبه عن الارض ويرتفع عن المقابل يجذب الارض عنه . فعظم المد في
جهتين متقابلتين ابداً . ومعظم الجزر في جهتين متقابلتين كذلك . كل منها
على منتصف البعد بين هذين المدين . فالمد نوعان شمسي وقمري يلتقيان
ويقتربان على التوالي . فيزيد المد حين الاقتران ويسمى المد الاقتراني ويتنص
عند التريع ويسمى المد التريعي . وحينئذ يقع معظم المد القمري موقع معظم
الجزر الشمسي وبالعكس . ويزيد المد ايضاً في الاستقبال ويسمى المد الاستقبالي .
فلنا مد اعظم في كل شهر مرتان . والمدّة بين مدّين في مكان معين ١٢ ساعة
و٢٥ دقيقة . ولنا في كل موضع في البحر مدّان في كل ٢٤ ساعة و٥ دقيقة .
مدّ يجذب الماء عن الارض ومدّ يجذب الارض عن الماء . ومعدل ارتفاع المدّ
قدمان ونصف . وقد يرتفع في بعض الأماكن ٦٠ او ٧٠ قدماً وفي بعضها قد
لا يشعر به

عجاري الهواء وفعلها بالامواج

ان لجاري الهواء تأثيراً عظيماً على الامواج . فانا قصفت الرياح وصدمت
الامواج المرتفعة سمعت لما عجيماً هائلاً يخشاه سكان بعض السواحل كثيراً . فقد

عدم السدود والحواجز وتجرف امامها كل ما تصادف . وقد يضطرم المد
بصايب الانهر الكيرة حين جريانها الى البحر بسرعة تحاكي وميض البرق .
فيسوق امامه المياه ويدفعها بهياج شديد . وقد يبلغ طول الموجة اربعة اميال
وعلوها ثلاثين قدماً . فتتلاطم بالقلرب والسفن الراسية هناك فتقلب بن فيها
وترطم . ويحدث احياناً ان هذه الموجة المائلة تفتح وترتفع فجأة حين سكون
الماء وصفاء الجو فتزبد وتسمع لما صوت كهزم الرعد . ويحال الناظر سوراً
ايض تشيد لديه فلا يتالك من الزوع والذهول . فلا يهتم هلا السور حتى
يتداعى الى السقوط ويعقب ذلك السكون فترى البحر امسى صافياً كالزجاج .
غير ان الامواج تظل تتلاطم وتزبد عند الشاطئ كأن الزعازع تسوقها الى
هناك في حين لا تعين لذلك علة ظاهرة . فقد تحطم هذه الامواج مرارتي السفن
وتجرف البيوت وتهدم المدن . ولا يخفى ان مدينة ليسبون دُمِرَت منذ نحو
قرن بئيل هذه الحادثة . ولا علاقة لهذه الطوارئ بالمد بل انها من الامور
القائمة في الطبيعة

ثم نقول في الختام ان حركات البحر ناتجة من اسباب شتى منها قوة الريح .
وارتفاع المد وهبوطه في كل الابحر . واختلاف كثافة المياه بالنظر لدرجة
حرارتها . وقوة بخر الماء . وكثرة ملوحة الماء وقلتها . واختلاف الضغط الى
غير ذلك

صفة عاصفة

ذَكَرَ السُّيُوطِيُّ عَاصِفَةً حَدَّثَتْ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ
قَالَ "كَانَ فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ الثَّاسِعِ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ أَنِّي

عَارِضٌ فِيهِ ظُلُمَاتٌ مُتَكَاثِفَةٌ. وَبُرُوقٌ خَاطِفَةٌ. وَرِيَّاحٌ
عَاصِفَةٌ. فَتَقْوِيْ اِهْوِيْتَهَا. وَاشْتَدَّ هُبُوبُهَا. فَتَدَافَعَتْ لَهَا اَعْيُنُهُ
مُطْلَقَاتٌ. وَارْتَفَعَتْ لَهَا صَوَاعِقُ مُضَعِفَاتٌ. فَرَجَحَتْ لَهَا
اَلْجُدْرَانُ وَاصْطَفَقَتْ. وَتَلَافَتْ عَلَى بُعْدِهَا وَاعْتَقَتْ. وَتَارَ
بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْاَرْضِ عَجَاجٌ فَقِيلَ لَمَلٌ هَذِهِ عَلَى هَذِهِ
اُطْبِقَتْ. وَنَحْسِبُ اَنْ جَهَنَّمَ قَدْ سَالَ مِنْهَا وَادٍ. وَعَدَا مِنْهَا عَادٍ.
وَزَادَ عَصْفُ الرِّيَّاحِ اِلَى اَنْ اَنْطَفَأَتْ سُرُجُ النُّجُومِ. وَنَزَعَتْ
اَدِيمَ السَّمَاءِ وَنَحَمَتْ مَا فَوْقَهُ مِنَ الرُّقُومِ. لَا عَاصِمَ مِنَ الْخُطْبِ
لِلْاَبْصَارِ. وَلَا مُلْجَأَ مِنَ الْخُطْبِ اِلَّا مَعَاوِلُ الْاِسْتِغْفَارِ. وَقَرَّ
النَّاسُ نِسَاءً وَرِجَالًا. وَتَفَرُّوا مِنْ نُورِهِمْ خِفَافًا وَثِقَالًا.
لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا. فَاعْتَصَمُوا بِالْهَسَاجِدِ
الْجَامِعَةِ. وَادْعُوا لِلنَّازِلَةِ بِاعْتِنَاءٍ خَاضِعَةٍ. وَوُجُودٍ عَائِيَةٍ.
وَنَفُوسٍ عَنِ الْاَهْلِ وَالْاَمَالِ سَالِيَةٍ. يَنْظُرُونَ مِنْ طَرَفِ خَيْيٍ
وَيَتَوَقَّعُونَ اَيَّ خُطْبٍ جَلِيٍّ. قَدْ اَنْقَطَعَتْ مِنَ الْحَيَاةِ عُلُقُمُهَا.
وَعُثَّتْ عَنِ النِّجَاةِ طُرُقُهَا. وَوَقَعَتْ الْفِكْرَةُ فِيهَا هُمٌ عَلَيْهِ
قَادِمُونَ. وَقَامُوا اِلَى صَلَاتِهِمْ وَوَدُّوا اَنْ لَوْ كَانُوا مِنَ الَّذِينَ
هُمُ عَلَيْهِمْ دَائِمُونَ. اِلَى اَنْ اُذِنَ اللهُ فِي الرُّكُودِ. وَاسْتَعَفَ

الْهَاجِدِينَ بِاتِّجَادٍ. وَأَصْبَحَ كُلُّ بَسْلَمٍ عَلَى رَفِيقِهِ. وَيُنَبِّئُهُ
بِسَلَامَةِ طَرِيقِهِ. وَبَرَى أَنَّهُ قَدْ بَعِثَ بَعْدَ انْتَفَاحِهِ. وَأَفَاقَ بَعْدَ
الصَّبْحَةِ وَالصَّرَخَةِ. وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ رَدَّ لَهُ الْكُرَّةَ. وَأَدَّبَهُ بَعْدَ أَنْ
كَانَ يَأْخُذُهُ عَلَى الْغُرَّةِ. وَوَرَدَتْ الْأَخْبَارُ. بِأَنَّهَا كُسِرَتْ
الْمَرَاقِبُ فِي الْبَحَارِ. وَالْأَشْجَارُ فِي الْقِفَارِ. وَأَتَلَفَتْ خَلْقًا كَثِيرًا
مِنَ السُّفَارِ. وَمِنْهُمْ مَنْ فَرَّ فَلَمْ يَنْفَعَهُ الْفِرَارُ

تيار الخليج

هُوَ نَهْرٌ حَارٌّ عَظِيمٌ عَجِيبٌ لَيْسَ أَكْبَرُ وَأَعْرَبُ مِنْهُ فِي
الْمَسْكُونَةِ. فَإِنَّهُ أَسْرَعُ جَرِيًّا مِنَ الْأَمَازُونِ وَأَشَدُّ قُوَّةً مِنْ
مِيسِسِيبِيِّ وَأَكْبَرُ مِنْهُ بِأَلْفِ مَرَّةٍ. وَلَوْ لَمَّا بَعُرْضُ لَهُ مِنَ الْمَوَاقِعِ
لَجَرَى حَوْلَ الْكُرَّةِ الْأَرْضِيَّةِ كَطَبْعٍ عَظِيمٍ مِنَ الْمِيَاهِ الْحَارَّةِ.
وَلَوْ أَنَّهُ يَخْتَلِفُ عَنِ مِيَاهِ الْبَحْرِ وَلَا يَمْتَزِجُ مَعَهَا فَقَدْ يَكُونُ
نِصْفُ السَّفِينَةِ فِي هَذَا التَّيَّارِ وَنِصْفُهَا خَارِجَهُ. وَقَدْ يَجْدُبُ أَنْ
الْبَحَّارَةُ وَالرُّكَّابَةُ الْمَفْرَقَيْنِ^١ مِنْ قَرَسٍ صَبَّارَةٍ الْبَرْدِ وَالزَّمْهِرِ
يَخْرُونَ بِسَفِينَتِهِمْ إِلَيْهِ فَيَعَاوِدُهُمُ الدَّفْعُ وَالْحَرَارَةُ وَيَغْسِلُونَ

أَطْرَافَهُمُ الْخُدْرَةَ بِيَاهِهِ السَّخْنَةَ فَكَانَهُمْ أَنْتَقَلُوا مِنْ الشِّتَاءِ إِلَى الصَّيْفِ

أَمَّا نَبْعُ هَذَا النَّبَارِ فَمِنْ خَلِجِ الْهَكْسِيكِ الْهَلَانِ بِالْبَنَائِعِ
وَالْأَنْهَرِ الْحَارَةِ فَكَانَتْهُ مِنْ جَلِّ كَثِيرٍ. وَمَنْ أَنْجَسَ هَذَا النَّبَارُ
مِنْ ذَلِكَ الْهَرَجِ أَسْرَعَ فِي جَرِيهِ وَمَرَّ فِي الْأَوْقِيَانُوسِ
الْأَتْلَانْتِيكِ مِنْ شَطُوطِ أَفْرِيقِيَّةَ إِلَى مَخُومِ أَيْدِرْكَ. ثُمَّ يَنْعَطِفُ
إِلَى الشِّمَالِ الشَّرْقِيِّ نَحْوَ سِينْدَرْجِنَ فَيَنْسَجُ مَجْرَاهُ هُنَاكَ
وَيَنْخَفِضُ سُرْعَتُهُ وَتَجْهَهُ. حَتَّى إِذَا بَلَغَ جَزَائِرَ الْأَزُورِ عِنْدَ
الدرَجَةِ الْارْبَعِينَ أَنْقَسَ فَيَسْبِيحُ بِجَرِي أَحَدُهَا إِلَى أَرْيَافِ
إِرْلَنْدَا وَنَزَجَ حَمِلًا بِزُورِ الْأَقَالِيمِ الْإِسْتَرْيَاقِيَّةِ وَمَخْنَا مِيَاءِ
الْبَحْرِ الْأَجْمَدِيَّةِ. وَالْآخِرُ يَنْعَطِفُ إِلَى الْجَنُوبِ وَيَجْرِي إِلَى
سَاحِلِ أَفْرِيقِيَّةَ ثُمَّ يَرْتَدُّ إِلَى الْأَتْلَسِ وَيَعُودُ إِلَى خَطِّ
الْإِسْتَرْيَاقِيَّةِ الْأَصْلِيِّ. وَحِينَئِذٍ يَكُونُ قَدْ قَطَعَ مَسَافَةً لَا تَنْقُصُ
عَنْ عِشْرِينَ أَلْفَ مِيلٍ

وَيَجْرُفُ هَذَا النَّبَارُ مَعَهُ فِي سِيَاحَتِهِ الطَّوِيلَةِ إِلَى الْأَوْقِيَانُوسِ
أَسْهَاقًا وَنَبَاتَاتٍ وَبُزُورًا وَأَخْشَابًا وَأَمْنَعَةً وَقِيَرَةً حَتَّى أَنَّهَا كَثِيرًا
مَا تُعَيِّنُ السُّفُنَ عَنِ التَّقْدَمِ. وَبِمَخَالِ النَّظَرِ كَانَ فِي اسْتِطَاعَتِهِ

السَّيْرَ عَلَيْهَا. ثُمَّ وَجَّعَ بِالْوَابِهَا الزَّاهِيَةَ مَعَ النَّسِيمِ وَتَأْوِيهِ
 حَبَوَاتٍ صَدْفِيَّةٍ وَتَفَاعِيَاتٍ جَزِيلَةٍ. أَمَّا عَرْضُ هَذَا النَّيَّارِ
 عِنْدَ زُقَاقِ فُلُورِيدَا فَأَرْبَعَةٌ وَثَلَاثُونَ مِيلًا وَعِيقُهُ ٢٢٠٠ قَدَمٌ
 وَتَجْرِي أَرْبَعَةُ أَمْيَالٍ وَتَصِفُ فِي السَّاعَةِ. وَمَعْدُلُ حَرَارَةِ
 الْبِيَاهِ فِي جَوَارِهِ ٣٠ سَنِيغَرَاد. وَمَاءُ هَذَا النَّيَّارِ بَارِدٌ فِي الْفَرَجِ
 وَحَارٌّ فِي الْوَسَطِ تَبْلُغُ حَرَارَتُهُ عِنْدَ زُقَاقِ فُلُورِيدَا ٨٠
 فَارْتِهَاتٌ. وَهُوَ يَجْرِي بِشِدَّةٍ مِنَ الزُّقَاقِ الْمَذْكُورِ إِلَى جَنُوبِ
 شَوَاطِئِ نِيُوفُونْدَلَنْدَ. فَيَلْتَقِي هُنَاكَ بِالْبِيَاهِ الْبَارِدَةِ الْآتِيَةِ مِنَ
 الْأَجْزْرِ الشَّمَالِيَّةِ جَارِيَةً بِسُرْعَةٍ عَظِيمَةٍ إِلَى الْجَنُوبِ. فَيَرْتَدُّ
 فَيَسْمُ مِنْ هَذِهِ الْبِيَاهِ إِلَى الْقُطْبَةِ عِنْدَ سَاحِلِ غِرِينْلَنْدَا الْغَرْبِيَّةِ.
 وَقَدْ تَرَكِبَتْ شَوَاطِئُ تِلْكَ الْبِلَادِ عَلَى تَهَادِي الْقُرُونِ مِنَ الْبَقَايَا
 وَالْعَادِيَّاتِ التَّجْرُوفَةِ بِهَذَيْنِ التَّجْرِبَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ
 وَلِحَرَارَةِ هَذَا النَّيَّارِ نَفْعٌ عَظِيمٌ بِجَنِّهِ سُكَّانُ الْبِلَادِ
 التَّجَارِي بِقُرْبِ سَوَاحِلِهَا. فَلَوْلَا حَرَارَتُهُ لَمَا اسْتَطَاعَ أَحَدُ
 السُّكَّانِ فِي إِنْكِتَرَا لِبَرْدِهَا الْفَارِسِ وَسُدَّتْ مَوَانِيهَا وَمَرَاتِحُهَا
 بِالْثُلُوجِ. وَقَدْ اسْتَهْدَتْ مِنْهُ بَعْضُ أَرْيَافِ فَرَنْسَا هَوَاءً مُعْتَدِلًا
 مُقَوِّيًا لِلْأَبْدَانِ نَقَصُهَا الْهَرَضَى مِنْ سَائِرِ الْأَقْطَارِ لِلِانْتِفَاعِ

بِهَوَافِهَا الْحَسَنَةِ . وَيُظَنُّ أَنَّ بَعْضَ مَجَارِيهِ بَلْغَتِ الْقُطْبَةَ
الشَّيْئَلِيَّةَ فَتَشَأُّ مِنْهَا أَنْجَرُ السَّائِلِ وَرَاءَ الْقُطْبَةِ الْمَذْكُورَةِ كَمَا
سَيَأْتِي الْكَلَامُ عَنْ ذَلِكَ

وَلَا يَخْفَى أَنَّ اخْتِلَافَ الْحَرَارَةِ بَيْنَ هَذَا النَّيَّارِ الْعَظِيمِ
وَالْمِيَاهِ الَّتِي يَجْنِازُهَا عَلَيْهِ قَوَاصِفَ وَزَعَارِعَ هَائِلَةٍ . فَقَدْ هَلَكَ
بِهِيَاجٍ إِحْدَاهَا فِي بِلَادِ الْأَتْنِيلِسِ عَامَ ١٧٨٠ عِشْرُونَ أَلْفًا .
إِذْ طَغَى الْأَوْقِيَانُوسُ وَدَمَّرَ مَدَنًا بِرُمْتِهَا وَقَذَفَ بِجُذُوعِ
الْأَشْجَارِ وَعَادِيَاتٍ أُخْرَى إِلَى الْهَوَاءِ وَسَبَّبَ نَوَازِلَ جَهَنَّمَ .
وَلِذَلِكَ تَسَمَّى هَذَا النَّيَّارُ بِهَلِكِ الْعَوَاصِفِ . وَقَدْ دَفَّقَ عَلَيْهِمُ
الطَّبِيعَةُ وَلَا سِيَّهَا الْأَمِيرِكِيُّونَ فِي الْبَحْثِ فِي مُلْتَمَعِي هَذَيْنِ الْجُزْأَيْنِ
أَيَّ أَمْحَارٍ وَالْبَارِدِ فَاسْتَطَاعُوا الْإِنْبَاءَ عَنِ الزَّعَارِعِ قَبْلَ
هِيَاجِهَا وَاتِّقَاءَ أَخْطَارِهَا وَنَصَبُوا سَوَارِي لِلدَّلَالَةِ عَلَيْهَا

(١) متركب (٢) راجع من البرد

حرارة البحر

أن البحر درجات متفاوتة في الحرارة حسب الموقع والأقليم . فحرارة جهات
بريطانيا الغربية تبلغ ٤٦° فارغيت . وفي بعض الأوقيانوس الثلاثية الشالي

٤٤° و ٤٥°. وفي البحر المذكور عند خط الاستواء بين ٨٠° و ٥٢° ٤٥°. ومعدل حرارة الباسيفيك الشمالي ٧٠° والجنوبي ٦٧° ٢٧°. ولا تزيد في البحر القطبية عن درجة الجمد. وتبلغ قرب خط الاستواء على سطح الاجزاء المعرضة لحر الشمس المحصورة بالبر درجة ماء الاستحمام الحار. فهي في البحر قرب عدن ٩٤° وتختلف في الاوقيانوس الهندي بين ٨٨° الى ٩١° ف ومعدل حرارة البحر فوق درجة الاربعين طولاً ١٦° س

اما حرارة اعماق البحر فتتقص غالباً بازدياد العمق حتى تهبط في بعض الاعماق الى ٢٤° ٤٤° بل الى درجة الجليد اي ٢٢° وفي غيرها الى ٢١° و ٢٦°. غير ان معدل حرارة البحر على عمق خمس مئة قامة واحدة في كل الاطوال. ولا تأثير لحركات البحر الشديدة على عمق ١٢ او ١٣ قامة. فلا غرو ان ذلك حكمة المية فجعل الحيوانات على الارتفاع والمبوط حسب حرارة البحر وحركته حتى تبلغ وسطاً معتدلاً يلائم بينها

—❦—

البحر القطبية والجزائر والجمال

الجمهورية

اننا نقرأ عن هذه البحار ولكن ما ادرانا ما البحر القطبية. هنالك القرا (١) القارس البالغ خمسين درجة تحت الصفر والزهري والضباب والخلوج اللائمة ومشهد التوازل الفجوة التي المت بفحول ابطال البحر المغامرين في اكتشاف المنطقين المتجهدين والبحر السائل وراء القطبة الشمالية. مثل الرمانين ياري وكوك وسيمك ودافيس وفرنكلين والسرجون روس والدكتور كين وغيرهم.

وموطن أمة الاسكيمو سكان النيوست الثلجية واللابلنديين القصار القامة. والمحيطان الهائلة. والجزائر والجبال الثلجية العائمة على سطح البحر التي تدفعها الرياح والأمواج من الشمال الى الجنوب ويبلغ طول بعضها ٥٠٠ قدم وبمكها ٤٠٠٠. وهناك ترى البحر مبدآن تلج بلوري يهيج مرآة الناظرين لكنه يضحك ضحكاً بفصل الأرواح عن الاجساد. فاذا ذاب بعض الثلج صيفاً وانفصل عن ركاب وراع الناظر منظره وماله اخطاره. فانه يعان حينئذٍ قطع جسد كبير عاتية تصدم السفن فتهمشها مشيماً. واذا دنوت منها خلفها اطواذاً راسية او جزائر كبيرة يهتذك مرآة تلاحاً حين وقوع اشعة الشمس عليها بالوان خضراء وزرقاء وبضياء كأنها مرصعة بجواهر كريمة. هناك يدوم الليل شهوراً متوالية (والهار كذلك) يتألق في خلالها الشفق الشمالي بالوان قوس قزح فتبهر صورة الناظرين. فكان المولى ابدع هذه الانوار كي تضيء لسكان تلك الاصقاع الباردة في ظلامهم الناس الطويل وتعرض لهم عن تحجب نور الغزالة. فتبصرها معلنة فوق رأسك ترائص وتناوج في الافق المكتمر فتضي باصرتك بلعابها الغريب. تلك انوار يستطيع الاهلون السير والشفل على ضوءها ولولها كانوا في ظلام داس

فاذا رما وصف تلك البحر والاثيان على تاريخ اولئك المكتشفين العظام واعمالهم لاقتضى لذلك مجلد كامل. لكننا نقول ان الباعث الحامل هؤلاء الافاضل على المغامرة لم يكن سوى الوقوف على حقيقة الجاز الشمالي الغربي ومعركة السيل الاقصر للسفر والتجارة بين الاوقيانوسات ثلاثيكي والاقويانوس الباسيفيكي. فانهم كانوا اذا شاءوا الانتقال من احدهما الى الآخر اضطرروا الى الطواف حول اميركا الجنوبية من رأس هورن (اي الزرن) او حول افرقية من رأس الرجاء الصالح. فذهب البعض الى امكانية السفر على سواحل اميركا الشمالية التصوي ومنها الى الاوقيانوس الباسيفيكي. ومما هذه الطريق بالمجاز الشمالي الغربي وقالوا انه يتبقى لم جئت قصير المسافة مئات اميال. فاضلوا بفارون

ويقومون بالاحوال بغية نوال هذا المطلب. فعثروا على مضائق وبواغيز وخليجان عديدة سميت باسماء مكتشفها. منها جون بافين وخليج حدسن وبوغاز دافيس الخ. وكان هؤلاء البسلاء يصادمون عدواً صنديداً بدفعهم الى الوراء ويحزهم احياناً غصص المنون اعني به صبارة^(١) البرد وقد اوغلوا في المنطقة المنجدة وكافوا رياحها الباردة وصرفوا انهرأ بل اعواماً في تلك الابحر وقاسوا مع ملاحيهم امراً لا يعسر تصديقها من فرس البرد وفناد المرونة وانسلاد المسالك عليهم بالجمد. وذهب اكثرهم فريسة ملا العدو الجبار. ولكن لم تن هذه الطلارق عزهم عن الاكتشاف حتى فازوا بالارب وكشفوا الجاز الشمالي الغربي غير ان الجهد والبلح يحولان دون سلوكه

(١) البرد (٢) شدة

البحر السائل وراء القطب الشمالي

اكتشف ملا البحر حديثاً بطريقة عجيبة نذكر تمهيداً لذلك امراً غريباً أدى الى هذا الاكتشاف. وهوان من عادة صيادي الحيتان ان يتشوا على الحراب اسم السفينة وتاريخ رهبها حتى اذا نجحوا من سفينة وصادته اخرى عرف الصيادون زمن طعنوا الاول. فحدث ان قوماً صادوا حوتاً في جون بافين الواقع في اقصى شمالي اميركا فوجدوه قد طعن بحربة في بوغاز بيرين على ما انبأهم الكتابة التي عليها. فقالوا كيف امكن لهذا الحوت اجتياز تلك المسافة العظيمة مطعوناً وجريحاً ولا طريق له الا رأس هورن او رأس الرجاء الصالح. فضلاً عن ان عوائد حوت الشمال تبين حوت الجنوب فلا يأتي الابحر الحارة ولو استطاع. وعلى ذلك لا بد ان يكون قد جاء من طريق آخر يجيلر القطبة

الشمالية وذلك لا يمكن إلا أن يكون قد سمح في بحر سائل . فكانوا في ذلك بين
تصديق وتكذيب حتى جاءهم الرسل من هناك بالنبا اليقين . وكانت تلك
الرسل من ذوات الجناح . فانما كانت تطير شالاً لا جواباً فراراً من برد
الشتاء . فقالوا ما كانت تلك الطيور لتطير الى بلاد الفلج والجبد
فاستقرت الحمية احد الشبان الاذكيا اعني به الدكتور كين الابري .
فدرس الموضوع واستوعبه وبث التحفة في صدر جم غفير من ابناء وطنه
فاستفوه على هذا المأرب . وهما والة سفينتين ركب احدهما ربحر اليه . غير ان
مشروعه هلا حبط المرة الاولى فلم يقنط بل شرع برحلة ثانية امدة الاكثيز بها
بالزاد والذخائر لرغبتهم في نجاحه والوقوف على انباء السر فتركبن (المغامر
قبلة في تلك البحار) ركان الموما اليه حيثئذ مناخراً الثلاثين . فما كاد يوغل
في المنطقة الشمالية حتى ادركه الشتاء واخذ يكافحه بصردة وجمده وجمحة ستة
اشهر ضمن سدوده . فصرف الشتاء هنالك بغيرى ويستقصي . غير ان اقتر
جرع بحارة كاس الحمام ولم يبق منهم سوى ثمانية انفار ثاروا عليه وقسروه على
الاياب . فاخذ يلقهم ويعدم بوشك اكتشاف البحر المجهول . ولكن ابن
ذلك الغمر . فتقصى عليه الشتاء الثالث . وأرغم على الاستغاثة بالاسكين
لامدادهم بالقوت . فبينما كان في هذه الحال المرحجة خرج رجاله الباقون
يوماً ولوغلوا في تلك الجهات مغامرين بمجائهم من شدة القنوط . واذا
بالبحر السائل يعج ويزج لديهم وتلقط امواجه بالصخور . فرأوا المواء هنالك
معتدلاً والجو صافياً والطيور تسبح على سطحو . وكانت هجرت برد الشتاء
ولجأت الى هذا الاقليم الرخيم المواء . فمزتهم ارجحة النجب والابهاج لان
اكتشاف ذلك البحر كان قد استهدفهم وكثيرين غيرهم لغمرات المنون . ولانسل
عن سرور الدكتور كين حيث استطاع حيلة الامر ووقوع بصره على تلك
المياه الزاخرة . لكن وأسفاه قد ابداع هذا الاكتشاف بمجائوه . لان قوته كانت
قد هبطت كل المبوط بسبب ما كابده من المشاق والارزاء الفادحة ففنى

بحجة مأسوفاً عليهم من سائر رجال العلم ولا خلاف في ان الموماً اليه دنا من
القطبة اكثر من كل الذين تقدموه وكشف الاقطار المعتدلة وراها انما قضت
العناية بأن يكون هنالك رسة الابدی

الاعاصير المائية

توجد في البحر أعاصير مائية هائلة كوجود أعاصير
ريحية تجذب الماء عمودياً وتنفضه كأنها قمع فارورة. فلا
تدانيها سفينة حتى تجذبها إلى جوفها وتضبطها قسراً فيتعذر
عليها النكوص. فكانها أمسّت على فوهة بركان عظيمة.
فتسدل عليها حجب الظلام الدامس. وتأخذ العاصير بالبحر
والجيب والبيشان والرياح بالنصف والزمن كالرعود.
فترفع السفينة على غارب العاصير كأنها معلقة في الهواء.
وتهز الأشرعة قطعاً وتكاد الأصوات ترمب الركاب
والملاحين بالصمم.

أما الأعاصير المائية فأشدّ هولاً من هذه. فإنك ترى
عند قدومها ضباباً كثيفاً مخروطي الشكل منسدل الذبول.
ثم يشتد الظلام أكفهراراً وتأخذ الرياح بالهزيم والصفير.

وَيَوْمِضُ الْبَرْقُ وَيَزْمِزُ الرِّعْدُ. وَتَنْجِسُ أَنْبُوبَةُ الْبَيَاهِ وَيَرْتَفِعُ
مَخْرُوطُ مَائِي مَلَايَا مَخْرُوطِ الْهَوَا. فَيَبْيِضُ الْبَحْرُ مِنَ الزَّبَدِ
وَتَتَلَاطَمُ الْأَمْوَاجُ بِعَجْجٍ لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ. فَإِذَا سَاقَ نَكْدُ التَّقَادِيرِ



سَفِينَةٍ إِلَى هَذَا الْمَشْهَدِ الْهَائِلِ جَذَبَهَا الْبَيَاهُ إِلَى جَوْفِهَا
وَكَسَرَتْهَا. لَكِنَّهَا قَدْ تَنْجُو بِاطْلَاقِ النَّارِ عَلَى ذَلِكَ الْعُودِ الْهَائِلِ
فَتَخْرُقُ لَهَا فِيهِ سَيْلًا

هَذَا وَلَا شَيْءَ يُرِيغُ الْمَلَّاحِينَ كَالْعَوَاصِفِ. لَكِنَّهُمْ نَصَبُوا
فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ سَوَارِيَ وَأَعْلَامًا تَدُلُّ عَلَى الْعَاصِفَةِ قَبْلَ هُبُوبِهَا

فَتَرَى مِنْهَا كَثِيرًا حَوْلَ سَوَاحِلِ بَرِيطَانِيَا وَأَمِيرِكََا وَغَيْرِهِمَا .
يُشَاهِدُهَا الرِّبَابِيُّ فَيَتَرَبُّصُونَ عَنِ الْإِقْلَاعِ رِشْمًا تَسْكُنُ .
أَمَّا فِي قَلْبِ الْبَحَارِ فَلَيْسَ مِنْ عَلَامَةٍ مِثْلَ ذَلِكَ . غَيْرَ
أَنَّ الْجَارَةَ يَسْتَطِيعُونَ مِنْ مَهَبِ الْأَهْوِيَةِ وَشَكِّ قُدُومِهَا
فَيَبْذُلُونَ قُصَارَى الْجَهْدِ فِي اخْتِذِ الْإِحْيَا طَاتِ اللَّازِمَةِ . وَإِذَا
بَلَغَ الزَّعَازِعُ أَقْبَلَتْ تَلَفَتْ حَلَقَاتٍ وَاسِعَةً الْأَطْرَافِ تَكْثُرُ
وَتَجْرُفُ مَا تُصَادِفُهُ فِي سَبِيلِهَا . فَالْوَيْلُ لِلسَّفِينَةِ الْهَاحِرَةِ فِي
تِلْكَ الْأَصْقَاعِ .

(١) الرياح العبودية (٢) اعلى الموج

البحار الساكنة

لن المعلوم ان اعظم آفة يخافها الملاحون في البحار العواصف وزعازع
الرياح التي تذهب بالسفن وركابها فريسة للبحر . الا انه توجد بعكس ذلك
بحار مادية تدعى منطقة السكون واقعة تجاه خط الاستواء . وهي اشد خطراً
واعول عاقبة من الجور ذات العواصف . فانه لا حركة هناك ولا عيج ولا ماء
ولا نسيم بل جمود وسكون لازم كسكون الضريح يخشاه الملاحون وبجانبيته .
فانهم لا يسمعون في هذا البحر حتى تغشاه الغيوم وتكف الرياح عن الهبوب

وتكاثف البخار في الهواء ويصبح سطح البحر ساكناً كالرصاص . فيقتل النفس حتى يكاد البحارة يُصابون بالاختناق . ثم تكاثف الابخرة مائة فسيحة الارجاء ويمطر الامطار سيولاً لا تنقطع على ملأ السنة تقريباً . وقد نصح مدراراً حتى يتعرف ركاب السفينة ماء عذبا عن سطح البحر المالح

ويوجد خلافاً لبحر عدم الحركة كالبحر الميت . اذا فريت منه سفينة رأى ركابها الطيور اسراباً عظيمة ترف فوقها وتستقر على الاشعة فيلهون بحركاتها والوانها . ولكنهم لا تعلمون ذلك البحر الساكن حتى تفجروا وتطير وتطير عن العيان . ثم لا تشعر السفينة الا وقد انتقلت الى بلاد السكون والموت حيث لا نسيم ولا حركة ولا تفريد طائر ولا عجم امواج

اما موقع هذا البحر في الاوقيانوس الجنوبي بين تيارين عظيمين يجري كل منهما الى جهة تعاكس الاخرى . يأتي احدهما من المنطقة الجنوبية المتجمدة فيعرف ببرد الماء الحار ويدفعها الى الامام بدون ان يخرج معها . وهذا التيار تلة برد القطبة الجنوبية الفارس حيث يستحيل على الانسان والحيوان السكن . اما التيار الآخر الحار فيأتي من المخطوط الاستوائية ليلقي التيار البارد . فتكون بين هذين التيارين زاوية متفرجة في الاوقيانوس يتخللها البحر الساكن

حياة البحر الحيوانية

النقائيات

يلين بنا بعد الكلام على احوال البحر المادية ان ننتقل الى الكلام على عالم الحياة البحرية ونبدأ بأدقها حجماً كالنقائيات المدلول عليها بالاصطلاح الالوي بكلمة زوفائيس . وهي يونانية الاصل مركبة من كلمتين (زو) حيوان و(فوتون)

نبات . وقد دُعِيَتْ هذه الجُسيات كذلك لانها ممتزجة من هاتين الملكتين
الطبيعتين . ومن امثلتها الحيوانات المرجانية . فكل هذه الحيوانات احساس
اوسلينة . هذه مسئلة لا يعلم جوابها الا الخالق عز وجل . فانها ليست الا
مجرد ذرات حية حجمها نحو $\frac{1}{3}$ من العقدة . جهل وجودها القدماء قبل
اكتشاف المجهر ولم تبرز من حجب الغموض قبل القرن السابع عشر . وهي
تظهر كنبات تتغير صورته مرارا باقل من لح البصر حتى انها تبدو بنحو مئة مظهر
في دقيقة واحدة . ومن انواعها

البروتوزا

وَهِيَ اَبْسَطُ الْاَجْسَامِ الْحَيَّةِ وَادْقُهَا حَجْمًا حَتَّى اَنَّكَ تَجِدُ
مِنْهَا فِي قَطْرَةِ مَاءٍ الْوَفَا لَا تُرَى بِالْعَيْنِ الْجَرْدَةِ . وَهِيَ كُرَيَاتٌ
دَقِيقَةٌ كَالَّتِي تُرَى فِي النَّبَاتِ مُرَكَّبَةٌ مِنْ جِسْمٍ هَلَامِيٍّ ذِي
اَلْيَافٍ مُرْتَعِشَةٍ فِي اَعْضَاءِ الْحَرَكَةِ . مَغْطًى بَعْضُهَا بِغِلَافٍ لِنَفْسِ
اَوْ طَبَاشِيرِيٍّ . فَتَقْلُصُ هَذِهِ اَلْاَلْيَافُ اَحْيَانًا وَتَنْقُبُضُ فِي وَسْطِ
الْجِسْمِ وَتَغِيبُ عَنِ الْبَصَرِ حَتَّى تَخَالُهَا اَمْتَصَّتْ وَانْتَرَسَتْ
نَفْسَهَا . وَمِنْهَا طَائِفَةٌ تُسَمَّى الْاَمْنِي لَيْسَ لَهَا اَعْضَاءٌ ظَاهِرَةٌ
بَلْ تَبْدُو لِلْعَيْنِ اَحْيَانًا بِصُورَةٍ جِسْمٍ صَغِيرٍ مُسْتَدِيرٍ كَقَطْرَةٍ
مَاءٍ لَكِنَّمَا كَثِيرَةٌ التَّغْيِيرِ حَتَّى يَقْعَدُ أَخْذُ رَسْمِهَا تَحْتَ الْمِجْهِرِ .

أَمَّا كَيْفَةُ تَغْذِيَّتِهَا فَمِمَّا لَمْ يَصِلُوا إِلَى حَقِيقَتِهِ لِأَنَّهُ لَيْسَ لِهَذَا
الْحَيَوَانَ أَوْعِيَةُ هَضْمٍ لَكِنْ يُظَنُّ أَنَّهُ يَتَغَذَّى بِالْإِمْتِصَاصِ فَقَطْ.
وَكَذَلِكَ أَمْرٌ تَوَالَّدَ عَنْهَا فَقَدْ ذَهَبَ الْبَعْضُ إِلَى أَنَّ فَصُوصًا
تَنْفَصِلُ مِنْهَا وَتَنْشِئُ حَيَوَانَاتٍ جَدِيدَةً مُسْتَقِلَّةً وَمِنْهَا

الفورامنفيرا

وَهِيَ دُوِّيَّاتٌ دَقِيقَةٌ صَدْفِيَّةٌ لَا تُرَى بِالْعَيْنِ الْعَجَزَةِ
لَا يَزِيدُ تَجْمُعُهَا عَنْ ٨٠٪ مِنَ الْعُقْدَةِ. فَإِذَا قُصِّنَا حَبَّةَ رَمْلِ
بِالْعَجْرِ رَأَيْنَا نِصْفَهَا بَقَايَا أَصْدَافٍ ذَاتِ صُورٍ هَنْدَسِيَّةٍ بَدِيعَةٍ
مُتَقَوِّبَةٍ ثَقُوبًا كَثِيرَةً. فَهَذِهِ الْحَيَوِيَّاتُ كَانَتْ وَلَمْ تَزَلْ مِنْ
مُعْجَزَاتِ الطَّبِيعَةِ الْجَيُولُوجِيَّةِ. فَإِنَّ طَبَقَاتٍ كَثِيرَةً مِنْ قِشْرَةِ
الْأَرْضِ مُرَكَّبَةٌ مِنْهَا. وَلَا بُدَّ أَنَّهَا كَانَتْ فِي الْأَدْوَارِ
الْمُتَوَعِّلَةِ فِي الْقِدَمِ عَائِشَةً دَبِيَّةً لَا تُحْصَى فِي أَمْجَرِ ذَلِكَ الزَّمَانِ.
ثُمَّ دَفِنَتْ نَفْسَهَا وَأَزْتَكَمَتْ فِي قَرَارِ الْأَمْجَرِ حَتَّى نَتَأَثَّرَ مِنْهَا
بِلَالٍ وَجِبَالٍ سَبِيكَةٍ فَسِجَّةٍ الْأَرْجَاءِ. وَقَدْ لَا يَصْدُقُ الْقَارِيءُ
أَنَّ النِّسْمَ الْأَعْظَمَ مِنْ أَهْرَامِ مِصْرٍ جُزْءٌ صَغِيرٌ مِنْ هَذِهِ

الدُّوَيَاتِ . وَكَذَلِكَ قِسْمٌ كَبِيرٌ مِنْ جِبَالِ إِيطَالِيَا وَالنَّمَسَا
وَفَرَنَسَا وَتِلَالِيهَا . وَقَدْ وَقَرَّتْ جِدًّا فِي بَارِيسَ وَأَرْبَاضِهَا^١ حَتَّى
صَحَّ الْقَوْلُ أَنَّ بَارِيسَ كُلُّهَا وَالْقُرَى الْمُجَاوِرَةَ مَبْنِيَّةٌ مِنْهَا .
وَحِجَارُ يَدْرُوتَ أَيْضًا قَدْ تَرَكَّبَ أَكْثَرُهَا مِنْ هَذِهِ الْحِصُونِيَّاتِ .
فَقِيلَ إِنَّ بَعْضَهُمْ وَجَدَ فِي قِطْعَةٍ طَبَاشِيرَ لَا تَزِيدُ عَنْ عُقْدَةٍ
مُرَبَّعَةٍ ٨٠ أَلْفًا مِنْ هَذِهِ الْحِصُونِيَّاتِ . وَذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ وَجُودَ
ثَلَاثَةِ آلَافِ مَلْيُونٍ فِي مِثْرِ مُرَبَّعٍ . وَوَجَدَ غَيْرُهُمْ ٢٤٠ أَلْفًا
فِي ثَلَاثَةِ غَرَامَاتِ رَمَلٍ . فَبَيْنَ هَذِهِ الْحِصُونِيَّاتِ تَرْتَفِعُ الْأَرْيَافُ
وَالضِّفَافُ وَسُدُودٌ تَعْرِضُ السُّفُنُ فِي سَيْرِهَا بِاتِّحْجَانٍ وَالْبَوَاعِيزُ
وَتَهْلَأُ أَلْمَوَائِجُ كَمَا فِي مِينَاءِ الْإِسْكَدَرِيَّةِ . وَهِيَ تَعْدُ مَعَ
الدُّوَيَاتِ الْمَرْجَانِيَّةِ الْفَاعِلِ الْأَعْظَمِ فِي إِنْشَاءِ الْجَزَائِرِ وَتَهْلَأُ
الْأَبْجُرُوتُ تَعْمَلُ فِي الطَّبِيعَةِ أَعْمَالًا بَعُورًا تَصْدِيقُهَا
وَمِنْهَا طَائِفَةٌ تُرَى بِالْعَيْنِ الْجَرْدَةِ (بُنِيَتْ مِنْهَا أَهْرَامُ
مِصْرَ) وَهِيَ ذَاتُ أَجْسَامٍ مُرَكَّبَةٍ مِنْ مَادَّةٍ هَلَامِيَّةٍ مُسْتَدِيرَةٍ
مَقْسُومَةٍ فَلَقَاتٍ مُلْتَفَّةٍ عَلَى بَعْضِهَا كَلَوَلِبٍ . وَمُغْلَفَةٍ بِغِلَافٍ يَنْبَغِي
تَبْلُغُ مِنْهُ أَلْيَافُ أَوْ خِيوطٌ شَفَافَةٌ تَنْشُرُ كَأَغْصَانِ شَجَرَةٍ .
وَتَهْدَدُ وَتَقْلُصُ وَتَقُومُ مَقَامَ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلِ وَتَحْوِي مَادَّةَ

سَامَةٌ تَصِيدُ بِهَا فَرِسَتَهَا. وَهَذِهِ الْحَيَوَانَاتُ عَلَى دِفْنِهَا وَصِغَرِهَا
نَهْمَةٌ تَأْكُلُ اللَّحْمَ. وَمِنْ غَرَائِبِ أَمْرِهَا أَنَّهَا إِذَا تَسَلَّتْ عَلَى
إِنَاءٍ أَوْجَدَتْ لِنَفْسِهَا رَجُلًا وَثَنِيَّةً تَهْدُمَا وَتَقْضِي بِهَا الْحَاجَةَ ثُمَّ
تَعُودُ فَتَهْتَصِمُهَا. فَكَانَ الضَّرُورَةُ تَحْمِلُهَا عَلَى إِبْرَازِ عَضْوٍ جَدِيدٍ
عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَسْتَطِيعُ إِبْرَازَ شَعْرَةٍ

وَيَأْتِي تَحْتَ هَذَا النَّوعِ سِتَّةُ صُنُوفٍ تَحْتَهَا ٦٠ طَائِفَةٌ
و ١٦٠ فَصِيلَةٌ وَنِيفٍ. وَهِيَ تَزْدَادُ عِدَدًا وَنَوْعًا وَجَهًا فِي
الْأَقَالِيمِ الْمُتَحَارَّةِ عَمَّا فِي الْبَارِدَةِ. وَمِنْ أَصْنَافِهَا الْحَيَوَانَاتُ
الْفَصُورِيَّةُ الْمَسْمُوءَةُ نَوَكْتُولِيكَا الَّتِي سَبَقَ ذِكْرُهَا فِي الْكَلَامِ
عَنِ الْوَانِ الْبَحْرِيِّ. أَمَّا جَهَّهَا فَلَا يَزِيدُ عَنْ ١/١٠ مِنْ الْعُقْدَةِ
يَحْوِي جَوْفَهَا حَبِيبَاتٍ أَوْ بُزُورًا وَأَعْضَاءَ بَرَاقَةِ تَغِيبُ وَتُظْهِرُ
بِسُرْعَةٍ غَرِيبَةٍ. وَقَدْ كَثُرَتْ فِي الْبَحْرِ الْمَتَسِطِّ وَالْمَخْلُجِ
الْإِنْكِيْزِيِّ حَتَّى عَدَّ بَعْضُهُمْ ٢٥ أَلْفًا مِنْهَا فِي قَدَمِ مَكْبَةٍ

(١) اصفر الجراد او قبل ان يطير والنمل (٢) نواحي (٣) مرق
السكاج المبرد المصفي من الدهن

الانفوسوريا

هذه رتبة نقاعيات^(١) اخرى تجدد منها ملايين في قطرة ماء مالح او عذب بارد او حار. حتى ان نهر الكفك وحده يحمل منها في سنة واحدة اجساماً تزيد ست او ثمان مرات عن اهرام مصر. وهي تكثر في سلاسل الجبال الشامخة كثرها في قاع الابحر. ويتلون البحر منها في خط الاستواء وفي انقطبتين بالمران حمراء بيضاء. وقد تركب من عادياتها^(٢) على مر القرون حجار يستعملها عملة المعادن ويسمونها حجر طرابلس. ومن غرائبها انها تنفصل قطعاً (كاليدرا) ينشأ من كل منها حيوان جديد. ثم تنفصل من تلك القطع قطع اخرى تكون منها حيوانات جديدة وهكذا الى ما شاء الله. فيلد الاب في شهر واحد مليون دويبات نظيرة او يزيد. وهي تقتات باصرها وتستخدم لما مرعى تسمى^(٣) حليد ونسباً تنسج منه غلافها

ولا ينبغي ان لهذه الحيوينات اشكالاً وصوراً غريبة وجميلة تفوق الاحياء بعضها كالنجوم وغيرها كالاصناف او كريات او انايب او اهلة او مخروطيات او اجراس او حبات او ازهار الى غير ذلك. اما الصدفية فتقسم الى عدة صنف^(٤) متصلة ببعضها ومتقوية تقوية تخرج منها الياق سامة تخدر فرسها فتبتلها. قيل ان لبعضها اربع معد بل اربع مئة. وقد امتحن احد العلماء ذلك بأن وضع قطرة ماء ملون على زجاجة وقطرة ماء صافية تجاها وطرق بينها بطرف ابرة مجرى. فرأى بالبحر الحيوينات تجاز من قطرة الى اخرى. فاحصاها من جوانبها الشفافة وطاب احداها المدلية فحرك بمرعة عظيمة ثم تنجذب الى فيها وتنباع. وهي نسج كالاسماك او تنساب كالحيات او تلتف بالاملاب. فاذا رأت القرينة طاردها وعلقت بها بمصاها وسجنا معا. ثم

دفنت الصائدة نفسها في جسم الفريسة وتكاثرت بسرعة مذهلة حتى بلغت الخمسين وكلها تقتات من جسم الطريدة
ولهذه الحيوانات قوة على فصل نفسها قطعاً او اعلم ذاهما. فاذا حرّكنا الماء بريشة منموسة بالكحول وقفت حالاً ورأيت في جسمها ثقبا يتفتح تدريجاً الى ان يتلاشى الحيوان. ولكن ضع نقطة ماء طذب قبل الملائشة نرا الحيوان نوقف عن اعلم نفسه واخذ الجزء الباقي من جسده بالسباحة كأن لم يطراً عليه شيء فيا العجب العجيب . وهذه الدويبة الدقيقة المجبوبة عن الابصار تبني الجبال الشامخة والجزائر الكبيرة وشواطئ الابحر وضايف الانهر وقعر المدن والاهرام وتركب جزءا من التراب الذي ندوسه باقدامنا ونجصب مزروعاتنا

(١) يُطلق اصطلاحاً على حيوانات صغيرة مقبوعة في الماء (٢) اشغالم الكيرة (٣) نري (٤) جمع صفاق وهو الجلد الاسفل او جلد البطن

الاسفنج

والآن نتنل من عالم الخفاء الى عالم الظهور اي من الحيوانات الدقيقة التي لا تُرى بالعين المجردة الى الحيوانات المنظورة ونبدأ بادناها وهو الاسفنج فنقول . انه صنع تشاعيات خفية تصنع وتكن فيه . فقد تردد العلماء زماناً مديناً في هل يحسونه نباتاً او حيواناً ولم يعرفوا خبيته الا منذ بضعة اعوام . فان ليس لتشاعياته شعور ولا حركة انما لما حياة حيوانية . ولها آلة الطيعةيون بين ادنى مراتب الحيوان

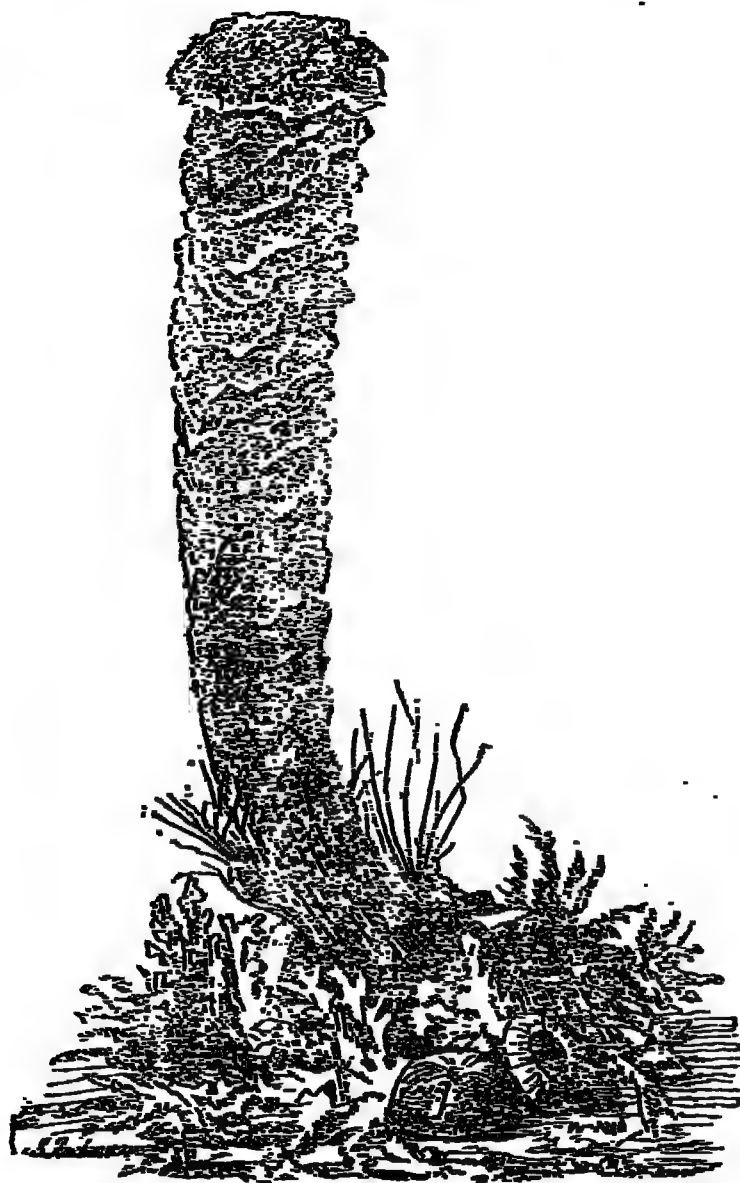
ولجسم الاسفنج نسيج قرني او ججري يشبه الشبكة كثير التخارب (١) ومغطى بمادة لينة في التشاعيات الحية . وهذه الحيوانات لا تشترك البتة بل تنص الماء من

خلال التآرييب وتفتدي بالذرات المخلولة فيه. وللأسفنج اطراف صغيرة متفرعة
من جوانبه كالبراعم ينمو منها الأسفنج الجديد. فتي كبر نبتت له املااب وانفصل



عن الاسفنجية الاصلية . ثم اخذ بالحركة بضعة ايام بواسطة تلك الاملااب الى ان
يبلغ صغراً يعلق به فتزداد حركة املاابه ثم يكف عن الحركة ويلزم مكانه

اما قاعياتها فتكون اولا فطرة ملائمة صغيرة ولكنها لا تلبث حتى تتغير
وتتحول الى الياق مركبة من الصوان ومادة قرنية تنصها الاملاب من البحر.



وتظلّ تفعل كذلك حتى تصبح الياق شبكة او نسجاً . وهذه القاعيات تكبر
ايضاً مع نمو الياق وتغلا القلوب وتحيط بها . غير انه يتعذر معها لانها اذا

مُسَّتْ تَحَوَّلَتْ إِلَى مَادَّةٍ زَيْتِيَّةٍ وَجَفَّتْ

وَالْإِسْفَنْجُ صُنُوفٌ كَثِيرَةٌ مُخْتَلِفَةٌ فِي الْأَشْكَالِ وَالْأَلْوَانِ تَرْمُو بِهَا حُلَاقِي الْمَاءِ وَخَمَائِلُهَا ^(٢). فَمِنْهُ مَا يَجَاكِي الْكَأْسَ أَوْ الْبُوقَ أَوْ الْكُرَةَ أَوْ الْأَعْشَابَ أَوْ الْغَصَنَ الْأَشْجَارَ وَمِنْهُ مَا يَتَدَلَّى فِي ثَقَرِ الصَّخُورِ كَالنَّجْمِ. وَإِذَا اسْتَحْرَجْنَا الْإِسْفَنْجَ سَقَطَ جَسْمُ نَفَاعِيَّاتِهِ الْمَلَايَةِ وَجَفَّتْ. وَلَا حَاجَةَ لَعَدَدِ صُنُوفِهِ وَكَيْفِيَةِ اسْتِحْرَاجِهِ لِأَنَّ ذَلِكَ مَعْلُومٌ عِنْدَ كَثِيرِينَ. وَلَا خَفَاءَ فِي أَنَّهُ يَقْتَضِي لَتَرَعَهُ مِنَ الصَّخُورِ عَنَاءٌ جَرِيلٌ وَطَلِيءٌ يَتَوَقَّفُ رِزْقُ كَثِيرِينَ فِي الْجَزَائِرِ الْيُونَانِيَةِ وَالْبَحْرِ الْأَحْمَرِ وَالْأُوقْيَانُوسِ الْهِنْدِيِّ وَالْبَحْرِ الْمَرْسُوطِ وَلَا سِيَّامَا خَلِجَ الْمَكْسِيكِ وَجَارَتَنَا طَرَابُلسَ وَمَحَالَ أُخْرَى

(١) ثَقُوب (٢) حُلَاقِي

البوليس او الهيدرا

الْهَيْدْرَا حَيَوَانٌ عَجِيبٌ وَغَايَةٌ فِي بَسَاطَةِ التَّرْكِيبِ. فَنَازَ جِسْمُهُ لَيْسَ إِلَّا كَيْسًا مَشْقُوبًا مِنْ طَرَفِهِ. وَفِي رَأْسِهِ سِتَّةُ خُيُوطٍ دَقِيقَةٍ. فَالْتَّقَبُ بِمِثْلِ النَّفَمِ وَالْخُيُوطُ الْأَذْرُعُ وَالْكَيْسُ الْمَعِدَّةُ. وَلِهَذَا الْحَيَوَانُ نَهْمٌ غَرِيبٌ فَإِنَّهُ يَسْتَرِطُ دُودَةً أَكْبَرَ مِنْهُ وَيَضْبُطُهَا فِي مَعِدَّتِهِ بِأَحَدِي تِلْكَ الْأَذْرُعِ. وَلَوْلَا ذَلِكَ لَأَقْلَبْتِ وَخَرَجَتْ. ثُمَّ يَهْضُمُهَا عَلَى الْفُورِ وَلَا يُصِيبُ ذِرَاعَةً ضَرَرُ الْبَنَةِ. وَأَغْرَبُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا قُطِعَ نِصْفَيْنِ وَسَقَطَ

الطَّعَامُ مِنَ الشَّقِّ الْوَاحِدِ إِلَى الْهَاءِ ظَلَّ يَزْدَرِدُ الطَّعَامُ
بِشَرَاهِ وَلَا يُبَالِي كَانَ لَمْ يُلِمَّ بِهِ أَذِيَّةٌ. حَتَّى أَنْكَ إِذَا قَطَعْتَهُ
فِطْعًا عَدِيدَةً لَا يَبُوتُ بَلْ تَتَكُونُ كُلُّ فِطْعَةٍ حَيَوَانًا جَدِيدًا
كَالْحَيَوَانِ الْأَصْلِيِّ وَلَوْ كَانَتْ خِيَطًا وَاحِدًا مِنْ خِيُوطِهِ. وَإِذَا
قَلَبْتَ جَوْفَهُ حَتَّى أَصْبَحَ الْدَاخِلُ خَارِجًا وَبِالْعَكْسِ دَامَ حَيًّا
كَالْأَوَّلِ

وَهَذِهِ الْحَيَوَانَاتُ تَتَوَبَّعُ بِسُرْعَةٍ عَجِيبَةٍ كَحَيَوَانَاتِ عَلَى جِسْمِ
الْأُمِّ. وَلَا تَكَادُ تَكْبُرُ حَتَّى تُوَلِّدَ نَسْلًا جَدِيدًا وَهَذَا يُوَلِّدُ غَيْرَهُ
وَمَكَّنَا إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ. فَتَرَى مِنْ أُمَّ وَاحِدَةٍ جِيلًا كَامِلًا وَذُرِّيَّةً
لَا تُحْصَى. وَمَتَى بَلَغَتْ الْحَيِيَّةُ النَّمُوَ الْكَامِلَ تَنْفَصِلُ عَنِ الْأُمِّ
وَتَسْتَقِلُّ. وَمَعَ أَنْ لَيْسَ لِحَيِّمِ هَذَا الْحَيَوَانِ سِوَى فَمِهِ وَكَيْسِ
وَخِيُوطِهِ وَهُوَ يَدُونَ قَلْبٍ وَرِئَةٍ وَرَأْسٍ وَأَطْرَافٍ يَسْتَطِيعُ
الْعَنَاءَ بِنَفْسِهِ وَازْدِرَادُ فَرِيْسَتِهِ وَقَدْ خَصَّه الْخَالِقُ مُبَاهَاةً
بِسَلِيْقَةٍ ثَلَاثِيَّةٍ كَسَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ

وَبَعْضُ هَذِهِ الْحَيَوَانَاتِ تَعِيشُ مَعَ أَسْرَابًا وَتَعْمَلُ لِنَفْسِهَا
أَصْدَاقًا مَرْجَانِيَّةً. فَتَرَاهَا أَوَّلًا قِطْعَةً هَلَامٍ أَنْفَصَلَتْ عَنِ الْأُمِّ.
فَتَأْخُذُ تَتَعَلَّقُ بِالصَّخْرِ أَوْ بِقِطْعَةٍ مَرْجَانِيَّةٍ وَتَحْرُكُ أَمْدَانِيَا

وَتَشْفَخُ وَتَرْفَعُ نَفْسَهَا كَانُوبِيَّةً. فَيَعْلَقُ بِهَا حِنَارٌ^{١٠} هُوَ بَدَائِعُهُ بَيْنَهَا
الْجَدِيدِ. ثُمَّ تَبْرُزُ عُقْدَةٌ مُشْفَخَةٌ فِي وَسْطِ الْهَلَاكِ مُرَكَّبَةٌ مِنْ
أَجْزَاءِ تَحْوِيلٍ إِلَى فَمِهِ وَأَطْرَافٍ. فَتَشْرَعُ تِلْكَ الْقَوَائِمُ فِي
الْعَمَلِ فَتَمُدُّ وَتَلْتَمِسُ الطَّعَامَ بِقَرَمٍ^{١١} شَدِيدٍ. وَتَبْنِي مِنْهُ جِدَارَ
الْيَتِّ وَتَصْنَعُهُ مِنْ طَبَاشِيرٍ وَفُصُورٍ تَنْتَصِهَا مَعَ الطَّعَامِ.
فَتُبْصِرُهَا أَبَدًا جَائِعَةً لَا تَكْفُ عَنْ الْأَسْطِرَاطِ وَالْبِنَاءِ حَتَّى
يَكْبُرُ الْيَتُّ تَدْرِجًا وَيُهَيِّئُ مَسْكِنًا حَيًّا تَلْتَصِقُ بِهِ بِأَوْعِيَةٍ دَقِيقَةٍ
وَكُلُّهَا بَنَتْ أَقْسَامًا جَدِيدَةً عَلَى تِلْكَ الْأَنْبُوبَةِ أَرْتَفَعَتْ إِلَى
أَعْلَى فَأَعْلَى وَبَقِيَ الْقَدِيمُ أَسْفَلَ فَمَاتَ وَنَجَّجَ. وَهَكَذَا عَلَى التَّوَلَّى
وَالْتَعَاقِبِ تَرْكُمُ هَذِهِ الدَّوِيَّاتُ بُيُوتَهَا وَتَنْصُدُّهَا بِنَاءً وَاحِدًا
مَرْصُوعًا أَسْفَلُهُ مَيِّتٌ وَنَجَّجٌ وَأَعْلَاهُ حَيٌّ وَنَجَّجٌ. وَهَذَا هُوَ سِرُّ
الْجَزَائِرِ الْهَرَجَانِيَّةِ وَسَوَاحِلِهَا. فَإِذَا رَاقَبْتَ تِلْكَ الشَّوَاطِئَ
شَاهَدْتَ مَلَائِينَ مِنْ تِلْكَ الْأَذْرُعِ أَوْ الْخَيْوِطِ تَشْتَغِلُ بِهِمُ
لَا تَعْرِفُ الْكَلَالَ وَنَهْمَهُ لَا تَدْرِي الشَّعْبَ. تَبْدُو بِصُورٍ وَالْوَانَ
شَتَّى مِنْهَا الْوَرْدِيُّ وَالْبَنْفَجِيُّ وَالْأَزْرَقُ أَلْجٌ. وَهِيَ تَلْعَنُ كُلَّ مَا
تُصَادِفُهُ فِي طَرِيقِهَا حَيًّا كَانَ أَوْ مَيِّتًا
وَقَدَمَلَتْ هَذِهِ الْخَيْوِنَاتُ الْأَوْقِيَانُوسَ وَقَاقَمَتْ أَنْوَاعَهَا

وَأَشْكَالُهَا وَأَقْدَارُهَا كُلُّ عَدَدٍ وَحِسَابٍ. وَلَهَا فِي الطَّبِيعَةِ نَفْعٌ عَظِيمٌ فَإِنَّ كُلَّ قَطْرَةٍ مَاءٍ لَا تَخْلُو مِنْ ذَرَاتٍ فَاسِدَةٍ وَتَقْتَرِبُ إِلَى التَّصْفِيَةِ وَالتَّنْظِيفِ. فَقَدْ سَمِعْنَا الْهَوَلَى لِامْتِصَاصِ تِلْكَ الْهَوَادِ الْفَاسِدَةِ بِأَفْوَاهِهَا الدَّائِمَةِ الْإِنْتِجَاحِ. فَكَأَنَّهُا كِدَاسَةُ الْأَوْفِيَانُوسِ وَخَادِمَةُ نَظَافَتِهِ. وَلَكِنَّهَا لَا تَخْلُو مِنَ الْأَعْدَاءِ وَإِنْ تَحَصَّنَتْ فِي بُيُوتِهَا الْحَجَرِيَّةِ. فَقَدْ تَسَلَّطَتْ عَلَيْهَا بَعْضُ الْأَسْمَاكِ الْبَهِيَّةِ الْأَلْوَانِ فَتَضَعُهُ عَلَى السَّاحِلِ الْمَرْجَانِيِّ مَعَ الْأَمْوَاجِ وَتَرْعَاهَا رَعَى الْمَوَاشِي الْكَلَاءِ

(١) يتلجج ابتلاعا (٢) ابتلاع (٣) حرف التي او ما استلار به (٤) شدة شهوة الطعام

الجزائر المرجانية

إذا رأيت البوليس منفردا في البحر خلقة^(١) خلقة ضعيفة جدا وهو كذلك. لكن متى تآزر معا في العل يقوى على بناء جزيرة كاملة بل مجموع جزائر. وموقع الجزائر المرجانية في الاوقيانوس الباسيفيكي الممتد الى مدى خمسة آلاف ميل وعرض خمس مئة. وهذا الاوقيانوس مرصع بجزائر بهية تدعى جزائر البحر الجنوبي او بولينيسيا وهي من بناء تلك الحيويينات. تخر حولها السفن وتلاطم على

سواحها الامواج فتزبد وتثألنى بانوار الغزاة

وما من سور وان يُقي من اصلد الصخور يستطيع مقاومة الامواج على هذا النوال . لانه يفتت ويحرف على مر الايام والسين . غير ان هذه السلاسل المرجانية باقية لم يصيبها ضرر البتة . فهي سدٌ حتى اشتغل ويشغل بالوف والوف الالوف من البنائين والمهندسين . ولا جرم فان هذه المحيوانات لا تنفأ تدأب^(٢) وتصلح خللة ونسد ثغره . فكأنها قد غلبت الطبيعة وقهرت اللجج . اما المياه الواقعة بين هذه السلاسل المرجانية فساكنة كياه بحيرة وملائمة لرسو السفن . حيث تأمن في مكها وان ثارت العواصف خارجا . وهي تدخل هذا المرفأ الامين من زقاق كوتة هذه الدويبات نفسها . ولولاها لما استطاعت الدنو من تلك الجزائر . بل كانت لتخطم قطعاً على السلاسل المرجانية

فلماذا تركت تلك المحيوانات هذا المجاز مفتوحاً . لا ريب في ان السليقة^(٣) حملتها على ذلك . لانها لو اوصدت الباب لما صلح الماء لان تمش فيه . فتري مجاري الماء العذب تدخله من الجزيرة وتترع ملوحة . ولولا ذلك لما استطاع البوليس المواظب على الشغل امتصاص مواد الغلاء من البحر . ومن غرائب الامور ان تلك المداخل واقعة تلقاء مصاب الانهر وتعاين على جانبي هذه السلاسل جزيرة صغيرة مكسوة باشجار جوز الهند يشاهدها البحارة عن بعد تخرج مع النسيم فيهندسون الى تلك البقعة

ولا تضارع هذه الجزائر المرجانية بعضها . فان منها ما يجاكي حلقة او هلالاً . فانما انحسر^(٤) المد وأبنتها صخرة صماء لان الحيوانات تكن حيتاً في بيوعها . ولكن متى عاد المد تشاهد ملايين البوليس تمد اذرعها وتنتشر على السلاسل لالتقاط طعامها . فقد ذهب انقوم قديماً الى ان البوليس يرتفع من اعماق البحر وقالوا انه سيبي على كرور الايام جزائر لا تحصى . بل قد يفهم^(٥) الباسيفيك بالجزائر ويكون فارة برمتها . ولكنهم اخطأوا بهذا الزعم . فان البوليس تعذر عليه الحياة في الاعماق العظيمة ولا يجب مجاري المياه الباردة بل يصبو الى الارقاء الى النور

فعلى ماذا يؤسس جزيرة اذا . على صخر مرتفع من قرار عجول . فيأخذ بالبناء على هذا الصخر الذي ربما كان من اصل بركاني . وتنتفى عليه قرون كثيرة في العمل تنقض في خلالها اجيال لا تحصى حتى يرتفع البناء الى سطح البحر . ومتى بلغ السطح توقف عن العمل لانه لا يستطيع العار فوق الماء
فترى الجزيرة اولاً سطحاً افنياً ممدداً ومغطى بقطع المرجان . وكلما اتى المد وانحسر ترك عليها اصداقاً فارتمت الارض تدريجاً طبقات ترتفع على التوالي وتند التقر وانقر والشقوق والتخاريب بالرمال وغيرها . وتسقط على الارض البزور المحمولة مع الهواء ومع الطيور فتأصل . ثم تأخذ الاعشاب بالنمو على مر الايام وتنبت الاشجار والانجم . وتأتي المحتجات فتجمع وتغرد . ثم يقدم الانسان في الحثام ويستولي على هذه المملكة الجديدة . ألا يعد هذا من معجزات العناية . فقد ذهب القوم الى ان بناء الاعرام معجزة انسانية ألا يرون بناء الحيوانات جزائر من آيات الله في خلقه أولاً ترى المعجزات الخارقة تجري على الدوام في اليم العظيم

(١) ظننة (٢) تجذ ونعب (٣) الطبيعة ٤ انكشف

(٥) يلاً

مروحة البحر

ان البوليس المرجاني ضروب تذهل الالياب . فنة ما يشاكل مروحة بدية يقطها الرف من هذه الحيوانات متهز مع النسيم كورقة جملة . ترى على وجهها رؤوس البوليس تلع كالنجوم . فاذا كانت المروحة حية ترعاً مكسوة بهلام صفيق^(١) يسكن البوليس في خلاياه^(٢) . واذا اخرجها من الماء رأيناها كقطعة اسفنج او عشب بحري لاجمال لها ولا لون . ولكن ضما في وثناء ماء

تر رؤوس البوايس ثنأت^(١) واضاعت كبحوم بهيمة او ازهار بديعة كل منها
حيوان مستقل . واذا مسعت هذه الرؤوس ذعرت وتقلصت وتوارت عن



العيان . ثم اذا ملكت روعها طادت فأبرزت رؤوسها وامتنعت من الماء
مقللاً يزيد عن ضعف جسمها فارتخت وضارعت^(٢) الاسفنج

(١) ضد يخيف وفي اللارج مبيك (٢) الاجزاء الفارغة ٣ ارتخت
وارتفعت ٤ شابهت

سفر البحر

(النمر)

لَمَّا رَكِبْنَا الْبَحْرَ. وَحَلَلْنَا مِنْهُ بَيْنَ السَّيْرِ وَالْبَحْرِ. شَاعَدَنَا
 مِنْ أَمْوَالِهِ. وَتَبَانِي أَحْوَالِهِ. مَا لَا يُعْبَرُ عَنْهُ. وَلَا يُبْلَغُ لَهُ كُنْهُ
 الْبَحْرِ صَعْبُ الْهَرَامِ جِنًّا لَا جُعِلَتْ حَاجَتِي إِلَيْهِ
 أَلَيْسَ مَاءٌ وَنَحْنُ طَيِّبٌ فَمَا عَسَى صَبَرْنَا عَلَيْهِ
 فَكَمْ أَسْتَقْبَلْنَا أَمْوَاجَهُ بِوُجُوهِ بَوَاسِرٍ. وَطَارَتْ إِلَيْنَا
 مِنْ شِرَاعِهِ عُقْبَانٌ كَوَاسِرٍ. قَدْ أَرْعَجْنَاهَا أَكْفُ الرِّيحِ مِنْ وَكْرِهَا.
 لَهَا نَبْهَاتُ الْحُجَّ مِنْ سُكْرِهَا. فَلَمْ تَبْقَ شَيْئًا مِنْ قُوَّتِهَا وَمَكْرِهَا.
 فَسَبَعْنَا لِلْجِبَالِ صَفِيرًا. وَلِلرِّيَّاحِ دَوِيًّا عَظِيمًا وَزَفِيرًا. وَتَقَنَّأَ
 أَنَا لَا نَجِدُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا فَضْلَ اللَّهِ مُجِيرًا وَخَيْرًا. وَإِذَا
 مَسَّكُمْ الضَّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا. وَإِسْنًا مِنْ
 الْحَيَاةِ لَصَوْتِ تِلْكَ الْعَوَاصِفِ وَالْهَيَاةِ. فَلَا حَيَاةَ لِلَّهِ ذَلِكَ
 الْهَوَلُ الْهَزْجُ وَلَا يَأْهُ. وَالْمَوْجُ يُصَفِّقُ لِسَمَاعِ أَصْوَاتِ
 الرِّيَّاحِ فَيَطْرَبُ بَلٌّ وَيَضْطَرِبُ. فَكَأَنَّهُ مِنْ كَاسِ الْجَنُونِ
 يَشْرَبُ أَوْ شَرِبَ. فَيَتَعَدُّ وَيَقْتَرِبُ وَفِرْقُهُ تَلْتَظِمُ وَتَضْطَفِقُ.
 وَتَخْتَلِفُ وَلَا تَكَادُ تَتَفَقُّ. فَتَحَالُ الْجَوِّيُّ يَأْخُذُ بِنَوَاصِيهَا. وَتَجْذِبُهَا

أَيْدِيهِ مِنْ قَوَاصِيهَا . حَتَّى كَادَ سَطَحُ الْأَرْضِ يَكْشَفُ مِنْ
خِلَالِهَا . وَعَنَانُ السَّحْبِ يُخَطَفُ فِي اسْتِقْلَالِهَا . وَقَدْ أَشْرَقَتِ
النُّفُوسُ عَلَى التَّلَفِ مِنْ خَوْفِهَا وَأَعْيَلَالِهَا . وَأَذْنَتِ الْأَحْوَالُ
بَعْدَ انْتِظَامِهَا بِاخْتِلَالِهَا . وَسَاءَتِ الظُّنُونُ . وَتَرَاهَتْ فِي
صُورِهَا اللَّهْنُونَ . وَالشِّرَاعُ فِي فِرَاعٍ مَعَ جُيُوشِ الْأَمْوَاجِ .
الَّتِي أُمِدَّتْ مِنْهَا الْأَفْوَاجُ بِالْأَفْوَاجِ . وَنَحْنُ فَعُودٌ . كَكُودِ
عَلَى عُودٍ . مَا يَنْ فُرَادَى وَأَرْوَاجٍ . وَقَدْ نَبَتْ بِنَا مِنَ الْفَلَقِ
أَمْكِنْتَنَا . وَخَرِسَتْ مِنَ الْفَرْقِ السِّنْتَنَا . وَتَوَهَّمْنَا أَنَّهُ لَيْسَ فِي
الْوُجُودِ أَغْوَارٌ وَلَا نُجُودٌ . إِلَّا السَّمَاءُ وَالْبَهَاءُ وَذَلِكَ السَّيْفِينُ .
وَمَنْ فِي قَبْرِ جَوْفِهِ دَفِينٌ . مَعَ تَرْقُبِ هُجُومِ الْعَدُوِّ فِي الرُّوْحِ
وَالْعَدُوِّ فِرَادَنَا ذَلِكَ الْخَذَرُ . الَّذِي لَمْ يَبْقَ وَلَمْ يَذَرُ . عَلَى مَا
وَصَفَّنَاهُ مِنْ هَوْلِ الْبَحْرِ قَلَقًا . وَأَجْرَيْنَا إِذْ ذَاكَ فِي مِيدَانِ
الْإِلْقَاءِ بِالْيَدِ إِلَى التَّهْلُكَةِ طَلَقًا . وَتَشَتَّتَتْ أَفْكَارُنَا فِرَقًا . وَذُبْنَا
أَسَى وَتَدَمَّا وَفِرَقًا . إِلَى أَنْ قَضَى اللَّهُ بِالْجَاهِ وَكُلُّ مَا أَرَادَ فَهُوَ
الْكَاثِنُ . وَإِنْ نَهَى عَنْهُ وَأَخْطَأَ الْهَائِنُ . فَرَأَيْنَا الْبَرَّ وَكَأَنَّنا
قَبْلُ لَمْ نَرَهُ . وَشَفِيتْ بِهِ أَعْيُنُنَا مِنَ الْهَرَّةِ . وَحَصَلَ بَعْدَ
السِّدَّةِ الْفَرَجُ . وَشَمَمْنَا مِنَ السَّلَامَةِ أَطِيبَ الْأَرَجِ .

ريش البحر

ان ريش البحر لأعجب من ريش الطيور وأجس . وهو ريشٌ حيٌّ ملان بالبوليس . والاغرب من ذلك ان ما ياكله حيوان يقتات به الآخر . على ان كلاً كاملٌ مستقلٌ عن الآخر . فقد ذهب البعض اولاً الى ان ذلك الريش البحري عائم على الماء لئلا يمتد ان جذعه مدفون تحت الصلصال في اعماق البحر . فاذا وضعت ريشة منه في اناء ماء رأيتها ساكنة لا تتحرك . ولكنها تحتوي على مادة فصفورية تخرجها فتتلاّ باللون الازرق . وهي تفعل ذلك حين يفاجها عو لتخوفه والدفاع عن نفسه

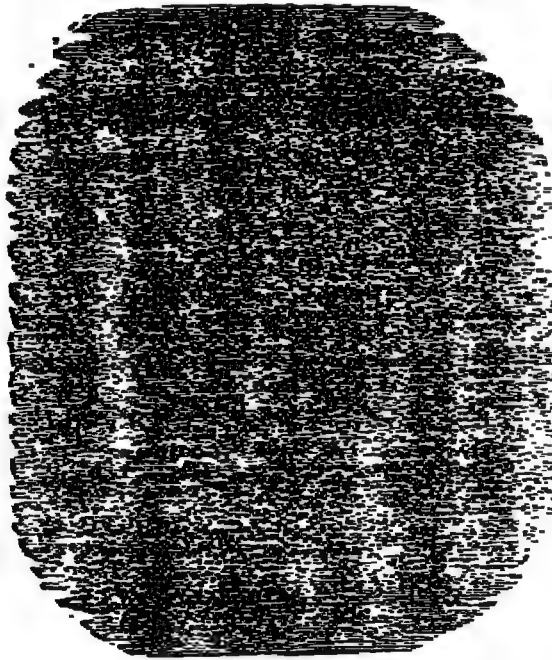
حجر التخاص

هو نوع آخر من البوليس . وقد سمي بهذا الاسم لما كان في التخاص البشري . وكثيراً ما تصطم به السفن الماخرة حول الجزائر الاستوائية فتترطم . وهو من صنع هذه الحيوانات العجيبة . فتصنع قاعدة او ساقاً كساق شجرة او كراس انسان تملوها عجر وتحتات وخطوط كالتي في التخاص الانساني . وهذا الرأس مكسور بلحم يضارع الملام يقطنه البوليس . وموطن هذه الحيوانات في البحر الاستوائية حيث تدأب وتجد بسرعة مذهلة وتكون حجراً تسهدف المراكب للاخطار . اما بناء بيوتها فمن مادة كلسية تلتقيها صفائح كصفائح الورق وتسنها على شكل شعاع لا يرى حتى يرتفع البناء الى سطح البحر . وحينئذ تبرز الرؤوس كالشعة طابشيرية اذ تعان الصخرة او الشجرة تزدهم بالرؤوس الحمراء المموجة فتخرج الازمارع النسيم . ولا نهاية لاشكال بيوت هذه الحيوانات فتشبه آوة الاشجار

وطوراً حَزَمَ السَّنَابِلُ او اوراق النبات او الازهار او رؤوس البشر. ومتى
مَرَّتْ بها السفن دُهِشَ رُكَّابُهَا من بدائع تركيبها حين يرونها مُثَلَّلاً وتزهر بجبال
الجمال تحت المياه

المرجان الاحمر

المرجان جزء من غاب ائيث^(١) ثابت تحت المياه من صنع البوليس ايضاً.
خاله الناس قديماً نباتاً وسماه اليونان بابنة البحر. حتى اخذ العلماء منذ نحو
قرن بالتحرري والامتحان فعرفوا انه من بدائع البوليس. وموطنة في الغالب



البحر المتوسط والبحر الاسود وغيرها. والمرجان اغصان منقطة بخلايا الحيوان.
غير ان اذرعهُ لا تشبه الخيوط بل الاشعة او النجوم والمرجان محبوب تحت
القشرة او الجذع^(٢). ولذا النوع مغاصات يستخرجهُ منها الغواصون ويستعملونه
صنفاً من صنوف التجارة. ويأخذونه في حالهِ الاصلية الى المعامل للفصل والجلي.

وقد اُقيم لذلك في كولكوهورن من اعمال ايطاليا معامل لقطع وصقله ويصنعون منه ادوات كثيرة للالعاب والزينة . اما الذي يلوّن المرجان الاحمر فاده



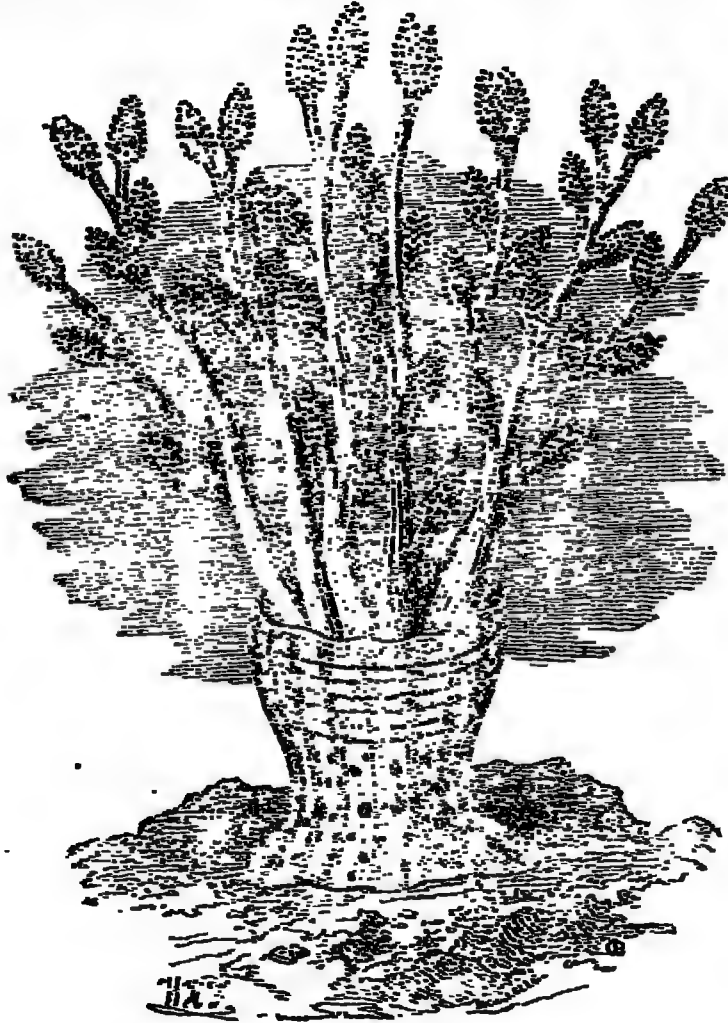
يرشحها المبحوثات تخرج مع كلس خلاياه او طباشيرها وتلوّنها باللون الاحمر .
وبعضه احمر فان يدعى مرجان الدم

(١) كبير عظيم (٢) ساق النحلة

ازهار البحر

فِي الْبَحْرِ أَزْهَارٌ رُبَّمَا فَاتَتْ أَزْهَارَ الْبَرِّ جَبَالًا. وَمِنْ
 الْغَرِيبِ أَنَّ تِلْكَ الْأَزْهَارَ حَيَوَانَاتٌ يَسِيرُكَ مَنَظَرُهَا نُبَارِي
 الْوُرُودَ وَالْأَقَاخِي وَالزَّنَاقِي. فَتَرَى أَغْشَابَ الْبَحْرِ تَلْتَفَتْ عَلَى
 الْهَرَجَانِ. وَتُكَلِّلُهَا بِالذَّهَبِ وَالْأَرْجُوَانِ. وَتُسَجِّجُ بَيْنَهَا الْأَسْمَاكُ
 الْهَلَامِيَّةُ بِالْوَانِيَا الْبَنَفْسِيَّةِ وَالْوَرْدِيَّةِ بِأَشْكَالٍ مُرْطٍ^(١) وَأَعْدَابِ
 وَلَوَالِبِ وَأَجْرَاسٍ فَتَحَالُهَا مَشْهَدَ جَانٍ أَوْ أَرْوَاحٍ سَحَرِيَّةٍ. فَلَا
 يُرْخِي اللَّيْلُ سُدُودَهُ^(٢) حَتَّى تَنْجَلِيَ لَدَيْكَ حَدَائِقَ وَخَمَائِلَ^(٣) بَدِيعَةٍ
 تُبْهِرُ الْأَبْصَارَ. تَنَاقُ فِيهِ مَلَائِكَةُ نُجُومٍ وَمَصَائِحُ كَمَشَاعِيلِ
 نَارٍ مُتَاجِجَةٍ تَزْهُوُ بِالْوَانِ الْحَقِيقِ وَالزَّمُرْدِ وَالْبَهْرْمَانِ. فَلَا يَدْعُ
 إِذَا حَسِبَ الْقَدَمَاءُ هَذِهِ الْبَشَاهِدِ الْإِلَهَاتِ وَعَرَائِسَ وَأَرْوَاحًا
 تَجَلَّتْ بِجَبْرِ^(٤) الْحُسْنِ وَالْبَهَاءِ. عَلَى أَنَّ تِلْكَ الْحَدَائِقَ لَيْسَتْ
 بِأَزْهَارٍ حَقِيقَةٍ بَلْ حَيَوَانَاتٍ سَمِيَتْ أَزْهَارًا لِشَبَاهَتِهَا النَّبَاتِ
 وَأَسْمَاهَا زُوفَانِسُ. وَهِيَ مِنْ رُبَّةِ الْبُولَيْبِسِ الْبَانِيَةِ الْجَزَائِرِ
 الَّتِي مَرَّ الْكَلَامُ عَلَيْهَا. وَمِنْهَا نَوْعٌ يُسَمَّى شَقَائِقَ الْبَحْرِ نَذْكُرُ بَعْضَ
 صِفَاتِهِ بِالْإِخْتِصَارِ

إِنَّ جِسْمَ هَذَا الْيَمِينِ مُرَكَّبٌ مِنْ سِتَّةِ أَجْزَاءٍ . أَوَّلُهَا
الْجَذْعُ أَوْ الْعُودُ النَّامِي كَجَذْعِ نَبَاتِ أَوْسَاقِ شَجَرَةِ تَعْلُوهُ
أَعْدَابٌ كَثِيفَةٌ وَعَلَى سَطْحِهِ عَجْرٌ أَوْ خُطُوطٌ أَوْ أَنْلَامٌ مُجْمَعَةٌ . وَقَدْ



يَكُونُ هَذَا الْجَذْعُ جَلْدِيًّا أَوْ هَلَامِيًّا أَوْ لَحْمِيًّا مُتَّوَعًا لِأَشْكَالِ
وَمُغْطَى بِتَوَاتٍ تَنْصِقُ بِكُلِّ مَادَّةٍ تَخَارُهَا . أَمَّا الْجِلْدُ فَمِلَانٌ

بِمَسَامٍ دَقِيقَةٍ . وَلِلْجَذْعِ قَاعِدَةٌ عَرِيضَةٌ مُسَطَّحَةٌ يَتَشَبَّهُ بِهَا
 الْحَيَوَانُ بِالصُّخُورِ . وَلَهُ أَيْضًا فِي أَعْلَاهُ قُرْصٌ مُسْتَدِيرٌ ذُو أَدَابٍ
 مُجَوَّفَةٍ حَوْلَ حَافَتِهِ . وَلَيْسَ لِشَفَائِقِ الْبَحْرِ مِنْهُ أَعْيُنٌ وَلَا أَذَانٌ
 بَلْ لَهَا أَفْوَاهٌ وَشَفَاهُ . أَمَا الْفَمُ فِي وَسْطِ الْقُرْصِ وَالشِّفَاهُ
 حَوْلَهُ . وَيَتَدَلَّى مِنَ الْفَمِ تَجْوِيفٌ أَوْ كَيْسٌ مُلْتَفٌّ طَبَقَاتٍ
 يُدْعَى مَعْدَةً تُشْغِلُ تَجْوِيفَ الْعُبُودِ مَقْسُومَةً صَفَقًا كَثِيرَةً .
 فَتَكُونُ إِذَا بَنِيَتْ هَذَا الْحَيَوَانِ مَرْكَبَةً مِنْ قَاعِدَةٍ وَسَاقٍ وَقُرْصٍ
 وَقَمَرٍ وَشَفَةٍ وَمَعْدَةٍ وَأَدَابٍ

وَهُوَ يَحْبُ السَّكَنَ بَيْنَ نَقَرِ الصُّخُورِ وَالشُّقُوقِ وَالثَّقُوبِ
 حَيْثُ يَشِيرُ أَهْدَابُهُ كَهْدَاقٍ وَيَمْوِجُهَا فِي الْهَاءِ فَيَتَبَدَّرُ بِالْوَانِ
 بِرُتْقَانِيَةٍ وَحُمْرَاءٍ وَبَيْضَاءٍ وَبِنَفْسِيَّةٍ بِرَاقَةٍ إِذَا لَهَسَتْهَا تَقَلَّصَتْ
 وَاجْتَبَبَ لَوْنُهَا وَتَحَوَّلَتْ إِلَى عَجْرَةٍ أَوْ هَلَامٍ . وَإِذَا أَقْلَنَهَا
 عَاشَتْ وَأَنْفَخَ الْعُبُودُ وَبَسَطَ الْقُرْصُ أَهْدَابَهُ وَزَهَتْ بِحُلَلِ
 الْجَمَالِ وَأَخْلَتْ تَفْشٍ عَنْ طَعَامِهَا

وَلَمَّا لَمْ يَكُنْ لَهَا أَعْيُنٌ تَحْرُكُ الْأَهْدَابَ فَيَعْلُقُ بِهَا دُودٌ
 وَحَشَرَاتٌ أُخْرَى تَرْشِخُ عَلَيْهَا سَمًا فَتَخْدَرُ وَتَقِفُ عَنِ الْحَرَكَةِ
 فَتَسْرِطُهَا فِيهَا الْكَبِيرُ الْمَفْتُوحُ . فَإِذَا فَحَصَتْ الدُّودَةُ

بِالْجَهْرِ رَأَيْتَ عَلَيْهَا سِهَامًا قَصِيرَةً كَالْأَبْرِ أَتَشْتَمِنُ مِنْ قُوبِ
الْحَيَوَانِ وَفِيهِ كَيْبُوطٌ أَوْ حِرَابٍ مُشْتَبِكَةٍ تُمَاكِي حُرْمَةً قَطِينٍ.
وَإِذَا خَرَجَ الْخَيْطُ مِنَ الثَّقْبِ رَأَيْتَهُ بِشِبْهِ الْعُرْوَةِ. فَتَنِي مَا جِ
الْحَيَوَانُ أَقْلِتَ طَرَفُ الْعُرْوَةِ. ثُمَّ عَادَ بَعْدَ حِينٍ فَدَخَلَ فِي
الثَّقْبِ الَّذِي أَقْلِتَ مِنْهُ

وَهَذِهِ الْحَيَوَانَاتُ وَإِنْ دَقَّتْ وَصَغُرَتْ فَأَقْلُ خَطِيرُ
يُنِيرُ أَخْلَاقَهَا فَتَفْرُزُ سَهَامًا لِلدِّفَاعِ عَنْ نَفْسِهَا. وَقَدْ تَشَبَّهَ
مَخَالِهَا بِأَجْسَامِ الْبَشَرِ قَتَلَدَتْهُمْ لَدَغًا مُؤَلِمًا حِينَ يَسْتَحْيُونَ فِي
الْبَحْرِ. قِيلَ إِنَّ أَحَدَ الطَّبِيعِيِّينَ وَضَعَ تِلْكَ الْأَهْدَابَ عَلَى لِسَانِهِ
فَنَشَبَتْ بِهِ حَتَّى اضْطُرَّ إِلَى نَزْعِهَا عِنْفًا فَجِرَحَ وَتَأَلَّمَ جِلًّا.
وَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ بَعْدُ مَكَانَ ذَلِكَ السَّمِّ وَلَا كَيْفَ يَرْشِخُهُ الْحَيَوَانُ

- (١) جمع شريط (٢) استاره (٣) جمع خيملة وفي المواضع الكثيرة
- الشجر (٤) أبواب مزينة (٥) جمع صفاق وهو جلد البطن
- (٦) جمع مدق وهو آلة يَدُقُّ بِهَا (٧) المر الغليظ الذي لا يُطَاق شربة
- (٨) ينظر يكبر الاجسام

المدوسا او عروس البحر

تُسمّى هذا الحيوان في اساطير^(١) جاملية اليونان بعروس البحر وخالو امرأة
لقت حول رأسها حبات بدلاً من الشعر. وفي خرافاتهم ان من نظر اليها



تحوّل الى حجر. والمدوسا اشكال والوان شتى. وقد تبدو شفافة كالماء. ولاكثرها

قوة على الاضائة ليلاً وفي من الحيوانات التي يتلون بها البحر . فاذا التفتها على الشاطئ رأيتها جسمًا هلاميًّا يذوب في حرارة الشمس . ويسمونها احيانًا قرص البحر لان لها اهدابًا شائكة تلسع لامسها . ومتى ذابت بجمرة الشمس رأيت بقيتها مادة قليلة تشاكل نسيج العنكبوت ذات ثقب كثيرة لما قرص كظلة يتدلى منه ساق متفرع فروعًا كجذور النبات . وللقرص ابداب تقوم في الماء تحاكي الحيات وفي يودي الى عدة بلنهم كل ما يصادفه في طريقه .

ويطوي تحت هذه الرتبة انواع شتى مختلفة التركيب والحجم واللون . وقد فحص احد العلماء الفرنسيين جسم هذا الحيوان بأن صب في فيه قدرًا من اللبن فانتشر في ثقبه واوعيته فتمكن من النظر اليها . وعلم انه حيوان حقيقي له قوة الحركة وصيد الفريسة فتقرر الامر . وكان العلماء قبل ذلك يذهبون الى انه قطعة هلام حية . ولما كان النعم الاكبر من جسم هذا الحيوان ماء فيذوب بعد الموت بجمرة الشمس

ومن نوع يشبه الجرس وهو اقل من الماء . لكنه يعم باسحتمل قرصه المضارع المظلة . فيقتلص^(١) هذا القرص ويتدد ككرة الانسان ويضرب به الامواج فيعمم واذا تار البحر غاص الى العمق ووجد لنفسه محلاً لا يصله الموج ومنه طاقة تدعى منطقة الزمرة تشبه الشريط لما اهداب تستعملها كجاذب فتعينها على السباحة . وهي ذات الوان متألثة جميلة جداً تضيء في الماء كصباح ومنه نوع آخر مستدير يشاكل البطيخ وصاف كالبلور . ينغم جسمه الى ثنائي طبقات متألثة ملتقة على بعضها ذات اهداب مسطحة كجاذب بعضها فوق بعض يعم بواسطتها . وله فضلاً عن ذلك قرنان بارزان كرايتين ينقلصان ويتددان حين الارادة وعليها خيوط كشبكة يصيد بها الطريدة

(١) احاديث مكتوبة كذباً (٢) ينغم ويتروى

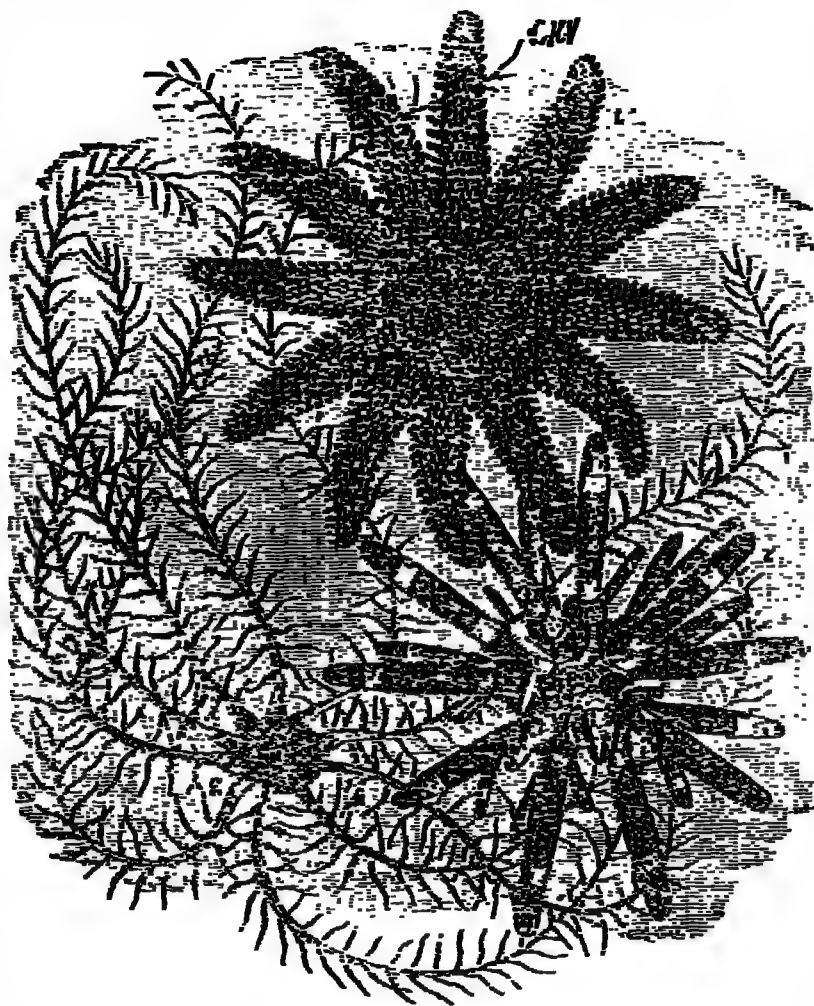
زنابق النجم

في من رتبة تدعى ايشينودرماتا وبعضها يشبه النجوم . وهذه الحيوانات
تفرز مادة حجرية ضمن جسمها بدلاً من خارجها خلافاً للحيوانات المرجانية .
أما نسيج هذا الحيوان فمركب من قطع صلبة تشبه الحجارة مبطنة معاً بمادة
غضروفية وبعضها اجسام مستطيلة لا تشبه النجوم بل الحيات او الدود .
والاوقيانوس ملآن من هذه الحيوانات التي تفوق سائر حيوانات البحر المنظورة
عدداً . حتى يصح ان يقال ان غوره مبلط بها . وفي شديدة النهم قاطعة الملاح
فتجشأها سائر الحيوانات . ولا تقتصر على نوع واحد من الطعام بل تزدد
كل ما تصادفه . وقد وفرت في البحر الادوار الاولى وفرتها الآن . غير ان
انواعها الاولى انقرضت ولم يبق الا عادياتها النجمية . وكانت اشعثها او اذرعها
طويلة لينة الملس تشبه الريش وتحكي زهرة الزنبق مرتبطة بساق يخفي الى كل
الجهات . وكان لونها وردياً جميلاً جداً . ويوجد من عادياتها الآن في سواحل
تروج حتى البحر المتوسط لكنها اصغر من سالفاتها جداً . واذا ماتت هذه
الحيوانات وجف لحمها تكثرت قطعاً تشبه الحمرز يستعملونها الآن في بعض
البلدان للزينة

سبك النجوم

مِنَ النَّوعِ الْمَتَقَدِّمِ ذِكْرُهُ فَصِيلَةٌ تُدْعَى سَبَكُ النُّجُومِ
الْقَصِيمِ . فَإِذَا تَزَعَّتْ زَهْرَةُ النُّجُومِ عَنْ حِذْعِهَا رَأَيْتَ حَيَوَانًا

ذَا جِسْمٍ صَغِيرٍ مُسْتَدِيرٍ تَشَعَّبُ مِنْهُ أَذْرُعٌ كَثِيرَةٌ دَقِيقَةٌ
كَالْأَشْعَةِ مُرَكَّبَةٌ مِنْ قِطْعِ حَجَرِيَّةٍ أَيْضًا. وَتُعَايَنُ فِي وَسْطِ



الْجِسْمِ تَقْبًا يَدْبُلُ فَمِ الْحَيَوَانِ ثُمَّ تُبْصِرُ تِلْكَ الْأَشْعَةَ الطَّوِيلَةَ
نَائِثَةً مِنَ الْجِسْمِ كُلِّ مِنْهَا مُتَفَصِّلٌ عَنِ الْآخِرِ. وَقَدْ تَكَثَّرَ هَذِهِ
الْأَذْرُعُ فِي بَعْضِ أَنْوَاعِهِ فَيَتَفَرَّعُ مِنْهَا فُرُوعٌ وَفُرُوعٌ فُرُوعٌ

يَرْحَفُ الْحَيَّوانُ بِوَاسِطَتِهَا إِلَى قَرَارِ الْبَحْرِ وَيَلْتَفُّ بِأَعْشَابِهِ.
وَمَتَى سَجَّ مَدَّهَا. وَإِذَا دَنَتْ مِنْهُ فَرَائِسُ صَادَهَا بِتِلْكَ الشَّبَكَةِ
وَدَفَعَهَا إِلَى فِيهِ. أَمَّا أَذْرُعُهُ فَتَشَاكِلُ أَذْنَابَ الْحَيَّاتِ تَتَخَفُّ
إِلَى كُلِّ اتِّجَاهٍ فَيَسْتَعْمِلُهَا كَأَرْجُلٍ لِلزَّحْفِ وَكَرَعَائِفٍ
لِلْمَوَازَنَةِ فِي الْمَاءِ

وَحِسْمٌ هَذَا الْحَيَّوانُ مُؤَلَّفٌ مِنْ قِطْعٍ كَثِيرَةٍ مُلْتَمِيةٍ مَعًا
بِصَنَعَةٍ دَقِيقَةٍ. وَفِيهِ مُحَاطٌ بِأَثْلَامٍ مَقْبُورَةٍ تَدْخُلُ فِيهَا مِمَصَّاتٌ
قَائِمَةٌ عَلَى أَنْبُوتٍ مَجُوقَةٍ تَحْتَهَا كَيْسٌ مَلَانٌ عَصِيرًا. فَتَقِي
أَسْتَعْمِلُ الْحَيَّوانُ الْمِمَصَّاتِ عَصَرَ تِلْكَ الْمَادَّةِ السَّائِلَةِ فِي
الْأَنْبُسِ فَاتَّخَذَتْ وَدَفَعَتْ الْمِمَصَّاتِ إِلَى الْخَارِجِ فَأَمْسَكَتْ
بِالْفَرِيَسَةِ وَأَبْتَلَعَتْهَا. وَإِذَا فَرَغَ الْحَيَّوانُ مِنَ الطَّعَامِ جَذَبَ
الْعَصِيرَ إِلَى الْكَيْسِ وَأَفْرِغَتْ الْأَنْبُسُ فَتَقَلَّصَتْ وَتَوَارَتْ فِي
الثُّقُوبِ. فَيَفْتَرِسُ عَلَى هَذَا الْهِنْوَالِ حَيَّواناتٌ جَمْعٌ حَتَّى أَنَّ
السَّرَّطَانَ الْكَبِيرَ لَا يَسْلُمُ مِنْ نَهْيِهِ بَلْ يَتَقَبُّ غِلَافَهُ وَيَبْصُصُهُ.
وَيُظَنُّ أَنَّهْ يَصُبُّ قَدْرًا مِنَ الْعَصِيرِ فِي الصَّدْفَةِ فَيَخْتَرُ الْحَيَّوانُ
ضِمْنَهَا وَيَسْنِي لَهُ أَكْلَهُ. وَقَدْ وَجَدَ أَحَدُ الطَّبِيعِيِّينَ سَرَّطَانًا
كَبِيرًا فِي وَسْطِ أَشْعَةٍ هَذَا الْحَيَّوانِ عَلَى وَشِكِّ الْإِتِّصَاصِ.

وَلِهَذَا النِّجْمَانِ خَبَسَهُ الْكَاسِ حَوْلَ عُنُقِهِ حَتَّى يَمُوتَ بَعْضُهُمَا قَدْرُ
 التَّجْوِزَةِ قَائِمَةً عَلَى سَاقٍ صَغِيرَةٍ . وَفِي أَعْلَاهَا ثَقَبٌ مُسْتَدِيرٌ
 يُرِيحُ الْعَصِيرَ فِي الْأَصْدَافِ . فَإِذَا مَسَّتْ هَذَا النِّجْمَانِ
 تَنَلَّصَتِ الْكَاسُ وَتَوَارَتْ عَنِ الْعِيَانِ . وَلِهَذَا الِتَّهَمَاتُ تَمُوتُ
 عَلَى ضَبْطِ الْفَرِيَسَةِ وَحِفْظِ طَعَامِ النِّجْمَانِ إِلَى أَنْ يَهْضَمَ
 وَلَوْ زَايِقِ النِّجْمِ غَايَةً فِي الْبَهَاءِ وَالْجَمَالِ . وَإِذَا
 مَسَّتْهَا أَوْ دَنَوَتْ مِنْهَا تَخْلَعُ عَنْهَا ذِرَاعًا ثُمَّ أُخْرَى حَتَّى لَا يَبْقَى
 شَيْءٌ . وَكَثِيرًا مَا يَصِيدُونَ عَدَدًا وَفَرَا مِنْهَا فِي شِبَاكِهِمْ فَتَلْتَفُ
 عَلَى نَفْسِهَا أَشْكَالًا غَرِيبَةً وَتَطْرَحُ أَذْرُعَهَا وَتَفْكُ جِسْمَهَا فِطْعَةً
 فِطْعَةً حَتَّى يَبْعَافَ الصَّيَادُ مَنَظَرَهَا وَيَقْدِفَ بِهَا إِلَى الْبَحْرِ . غَيْرَ
 أَنَّ الْعَالِمَ الطَّيِّبِيَّ يُوَدُّ تَحْرِيَّ أَمْرِهَا . فَيَضَعُهَا بِسُرْعَةٍ فِي الْبَهَاءِ
 الْبَارِدِ الْعَذْبِ فَتَهْوُتُ عَلَى الْفَوْزِ قَبْلَ أَنْ يَتَسَرَّلَهَا تَفْكُكُ
 جِسْمِهَا . وَإِلَّا حَلَّتْ نَفْسُهَا إِرْبًا إِرْبًا فَفَاتَتْهُ الْفُرْصَةُ
 وَإِذَا التَّقَى سَمَكَ النِّجْمِ بِالْفَرِيَسَةِ حَتَّى أَشْعَتْهُ وَجَعَهَا
 كَكَّاسٍ وَصَادَ بِهَا كَمَا بِشَبَكَةٍ . ثُمَّ تَتَنَّى الِتَّهَمَاتُ الْوَبِيرَةُ
 مِنْ ثُتُوبِ الْأَشْعَةِ الْمَذْكُورَةِ أَنْفًا . وَتَضْبُطُ الْفَرِيَسَةَ حَتَّى
 يَتَعَذَّرَ عَلَيْهَا الْإِفْلَاتُ . وَمِنْهُ الِتَّهَمَاتُ تَحْتَ سُلْطَانِهِ فَيُخْرِجُهَا

مَتَى شَاءَ وَهِيَ مِنْ أَغْرَبِ الْأَعْضَاءِ الْحَيَوَانِيَّةِ . وَإِذَا وَضَعَتْ
هَذَا الْحَيَوَانَ فِي وَعَاءٍ مَاءٍ عَذْبٍ تَجْمَعُ عَلَى بَعْضِهِ وَتَقْلُصُ
أَشْعَتُهُ وَتَسْكُنُ حَتَّى تَخَالَهَ مَائًا . وَلَكِنَّهُ لَا يَعْنِي أَنْ يَعِيشَ فَتَسُدُّ
الْأَشْمَةُ وَتَبْرُزُ مِثْلُ الْمِهْصَاتِ مِنْ الثُّقُوبِ وَتَتَشَبَّهُ
بِحَيَوَانِيبِ الْوَعَاءِ . فَيَا الْغَرَابَةَ هَذَا الْحَيَوَانَ الدُّنْيَا الْبَسِيطِ
وَيَا الْحِكْمَةَ خَالِيَهُ الْقَلْبِ

(١) سريع الانكسار . (٢) اجنحة الملك (٣) فحس وامعان

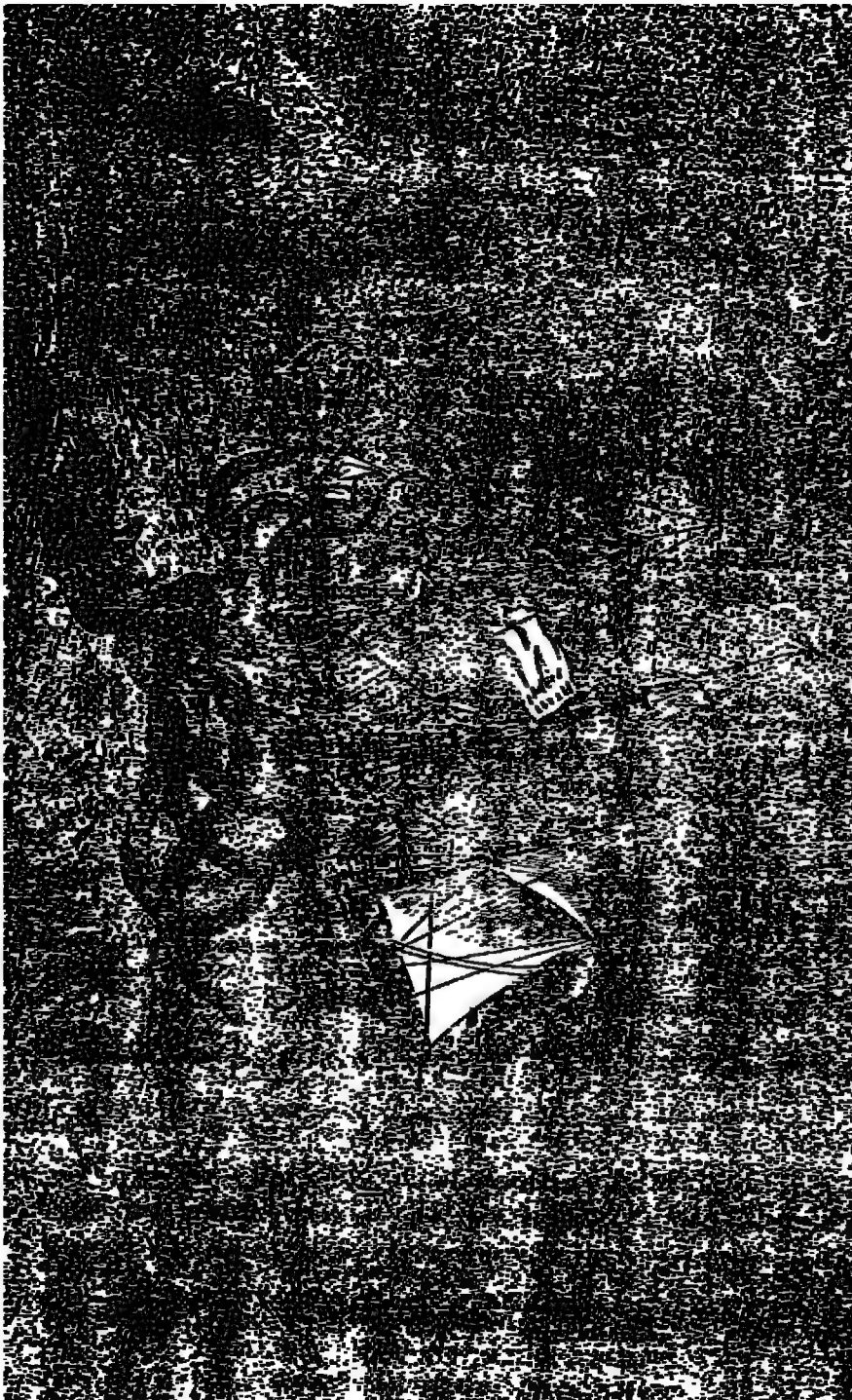
النظر

دود البحر

يوجد في البحر دود كما في البر وهو من حيوانات الرتبة المسماة انيلايدس
ومن اوصافها انها ذات منظر جميل جداً وتزهر بالوان قوس قزح . تتدلى
منها اعصاب تشبه الشعر تنفس بها . ولها رأس كراس الحية طول بعضها نحو
اربعين قدماً . وهي تعيش في قعر الصخور وفتحات بالاصداف الصغيرة . ومنها ما
ينسج اوجرة تشبه الاناييب الحجرية تصرف حياها في بذاتها . فاذا اتى المد
اخرجت الحيات الكثيرة رؤوسها من هذه الاناييب لالتهام فرائسها فهاكت
ازمار الحقائق البديعة

الخطاط أو الأخطبوط

إن رتبة الحيوانات الملامية كثيرة الانواع والطوائف ويدخل تحتها اشكال وحجوم تكاد تفوق الاحصاء ومن اشهرها واشهرها الخطاط . وهو من رتبة تدعى سيفالوبودا ومعناها رأس واقدام وفي كذلك لان الاقدام او الاذرع نائمة من الرأس والحيوان يسبح بها الى القعر ويلتقط فريسته ويكبر الخطاط في بعض البلدان كبرا فاحشا . وله في كل ذراع ممصات تسعة على التثبيت بفريسته حتى انه لا يفلتها ولو قطعت ذراعه . واللبص نسيج من غشاء عضلي يضارع الكأس يعلوه طرف لحمي صفيق . فاذا قبض الحيوان شيئا تدلت الاطراف كلها والنصفت بكعوب الكؤوس . ولبعض اصنافه ذراعان اطول من البقية يتدلى من وسط كل مصص شبه كلابية قوية تقبض على الفريسة وتدفعها الى فم الحيوان . فاذا كانت حيوانا صدفيا سحقه الخطاط بمتار قرني صلب يحاكي متار اليفاء . غير انه اقصر وليس له ثغرة عظمية في فكّه بل يقوم بدلها غضروف قوي . وفك هذا الحيوان مغلف بمصلات تنفتح وتنطبق بقوة عظمية . فتمت جذبت الفريسة الى فيه اماثل ابتلعها على النور اما لسان الخطاط فيسحقه على ذوق الطعام واستراطه . فان له كلاليب فريته حادة نائمة من جانبيه تنحني الى الوراها وتعين على جذب الطعام الى البلعوم . وله عيمان قبيحا المنظر مركزها في بعض انواعه على جنوع المصلات ثمرة كان وتنظران الى كل الجهات . واما عظامة فادة غضروفية لا تتأكل عظام الحيوانات الفقارية بفرزها المهيمن مثل البوليس ومعك الفجوم فتصلب وتنظم طبقة طبقة على ظاهره كعلف الحيوانات الصدفية . وتماجي في بعض طوائفه الحراب وفي بارزة من ظهوره . فاذا نفرست فيها خلتها ضخمة وقبيلة وتعين



المحويان عن السباحة . لكنها بالحنيفة خفيفة جداً مركبة من صفحات رقيقة منفصلة بعضها عن بعض بأوتاد عديدة صغيرة فتعين المحويان على السباحة بدلاً عن ان تعبته . ومنها عظم جميل جداً يضاهي الريشة يلعب كعرق اللؤلؤ . ومحموق هذه العظام يستعمل لتبييض الاسنان

وهذا المحويان يتنفس كالسمك من متفتحاته المتولارية في تجويف ضمن جسمه وفي تهدد وتنقلص كركة الانسان وتنفخ نحو الماء بباطنة صامية^(١) احداً يُدخِل الماء والآخر يُخرِجه . وقد يدفع هذا المحويان الماء بقوة من الانبوبة حتى انه ينشب في الهواء كالسمك الطيار . فقد طار منه مرةً عدة وافر على احدى السفن فسقط بعضه على سطحها والآخر حلق الى الجانب الثاني

والخباط بغير^(٢) في أكثر الابحار وفرة سمك النجوم . ومنه صنف قبيح المنظر يعيش منفرداً في بعض السواحل الصخرية خلافاً لساكن طوائفه التي تحب المعيشة اجالاً . ومن صفاته شدة النهم حتى انه كثيراً ما يبذل الاسماك كلها بقرب بعض الشواطئ حتى لا يغادر للصيادين رزقاً . فقد حاكي بهم وشراسته نمر البر الذي يقتل الفرائس لمجرد محبة التل والنساية . قبل انهم وضعوا خباطة في بركة مع اسماك كثيرة فقتلت الجميع ولم تاكل سمكة واحدة . ومع ان الخباط مقلد سلاح قاطع وطبيعة شرسة كثيراً ما يستط فرصة لاعداء قتل عدده . منها الانسان والمخيتان وطيور البحر . ويكثر الخباط في البحر المتوسط وينتشر عنه الصيادون في قر الصخور ويطعنونه بالحرايب فيقتلونه

والخباط كبس في جسمه ملآن بسائل اسود يشبه الحبر فاذا هاله شيء دفع منه كمية فاسود الماء واحجب نجه لكي لا يهتدي احد اليه فيفر من قاصده . وهذا الحبر يُسمى سيبيا ويستعمله المصورون بعد جفافه في نقوشهم ويدوم زمناً مديناً لا يعرف فساد

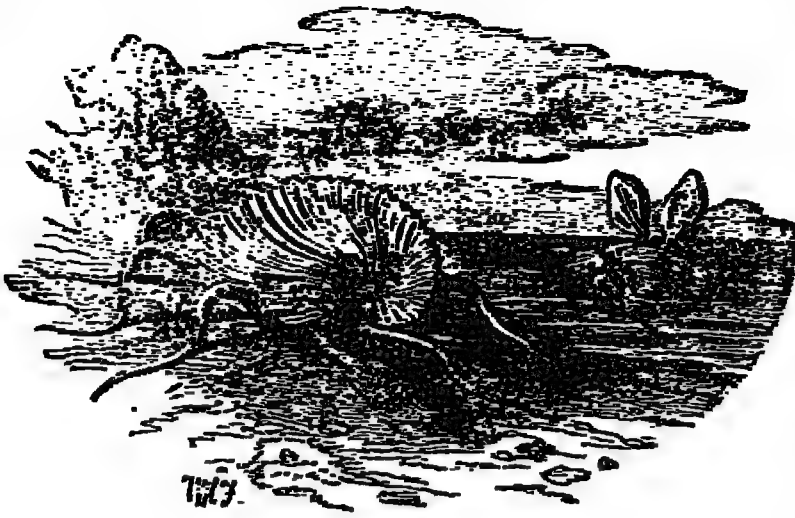
وهذا المحويان يتوالد بكثرة تفوق التصديق . فترى صغره^(٣) متلاصفاً كعقود عنب مرتبط بعشب البحر . فاذا بعد عن البر رأيت هذه العناقيد

عائمة على سطح المياه وتنقف من حرارة الشمس . ثم تسير اسراباً للتفتيش عن
طعامها وقد تكبر هذه الحيوانات كبراً هائلاً . قال ربان سفينة انه رأى حيواناً
من نوع كبيراً جداً يثقل في البحر تحاكي اذرعهُ الثعابين العظيمة طول كلِّ
منها ٧ اقدم

ومنهُ نوع يُسمى ارغونو يقطن صدفةً غايةً في الجمال يتعلق بها بعضهين .
وقلما يُنظر هذا الصنف ساجداً بل يدب باذرعهِ التي يستعملها كاقدم وينوص
الى قاع البحر . واذا سمع دفع الماء من انبوبة الهواء كالتخبط . وقد يتلص احياناً
من الصدفة ويعوم على الامواج . ولكن حالما يجفئ شيء يعود الى الصدفة ويختبئ
فيها . ولذلك يصير النظر اليه ويصعب صيده ايضاً

ولملا الحيوان ذراعان كبيرتان كسراعين يسطها على الصدفة فينطيمها
كأنه ليحييها عن الابصار . فهاتان الذراعان تنجان الصدفة وتصلحها اذا ألم
بها ضرر لانها تفرزان مادة ترابية تتركب منها الصدفة تدريجاً . وانجنت
ذلك احدى السيدات بأن ربت صغار هذا الحيوان بعد خروجها من اليضة
وراقبت بزيد التحري والدقة فرأت افراز تلك المادة وتراكبها التدريجي . ولما
كملت الصدفة كسرها ثم تركبها في الماء لتشاهد ماذا يحدث . ثم اتت في الغد
ورأت تلك المادة المشاكلة نسج العنكبوت منتشرة على انقطع المكسورة . وفي اليوم
تفسوخرت وزادت الحافات متانة . وما فتئت تراقب العمل يوماً فيوماً والمادة
تجمد وتصلب حتى التحمت الاطراف وأصلحت الصدفة وعادت الى حالها السابقة
فقررت هذه السيدة ان الذراعين هما اللتان اشتغلتا الصدفة

(١) سلاطين (٢) يكثر (٣) صغار السمك



ارغون

الحيوانات المدرعة

هذه الحيوانات من رتبة أسبها كروستاسيا من أصل
 لايني معناه متصلب. منها السرطان البحرى
 ولا يخفى أن درع هذا الحيوان أو غلافه منسوج من
 مادة تشبه الغراء يفرزها جلده فتتخرج مع الكلس. وذنبه
 حلقات متراكبة منوطة ببعضها بغشاء صفيق مرن. وذرجه
 مغلقة كظهره بدرع متين ومرتبطة بمفاصل تسهل له الحركة.
 فقد علم الخالق الأخطار المستهدف لها هذا الحيوان اللين

الْجِسْمِ فَجَهَزَ لَهُ دِرْعًا يَتَّقِي بِهِ الْخَطَرَ
وَلِيَهَذَا الْحَيَوَانَ ثَلَاثَةُ أَطْرَافٍ عِنْدَ فِيهِ يَبْضُ بِهَا عَلَى الْفَرَسَةِ
وَيُكْسِرُهَا. وَلَهُ أَيْضًا عَشْرُ أَقْدَامٍ عِنْدَ صَدْرِهِ يَبْشِي عَلَيْهَا.
وَأَطْرَافٌ أُخْرَى عِنْدَ ذَنْبِهِ يَسْتَعْمِلُهَا لِلْسَّبَاحَةِ تَحْمِلُ بِهَا
الْأُمُّ صُعْقُهَا ثُمَّ تَطْبِرُهَا فِي الرَّمْلِ كَيْ تَنْفُثَ^١. وَلَهُ فِي مَتْنِهِ
أَطْرَافُهُ الْعُلْيَا مَخَالِبُ أَحَدُهَا كَالْمِنْشَارِ يَصِيدُ بِهِ الْفَرَسَةَ.
وَالْآخَرُ يَتَشَبَّهُ بِهِ بِأَعْشَابِ الْبَحْرِ لِيَقِي نَفْسَهُ مِنْ صَدَمَاتِ
الْأَمْوَاجِ. فَإِذَا جُرِحَتْ هَذِهِ الْمَخَالِبُ كَسَرَهَا وَوَقَفَ جَرِي
الدَّمِ وَلَوْلَا ذَلِكَ لَأَتَرَفَ دَمُهُ وَمَاتَ لِلْبَيْنِ جِسْمِهِ. فَيَنْتَأَى لَهُ
مَخْلَبٌ آخَرٌ يَقُومُ مَقَامَ الْأَوَّلِ

وَحِينَ يَأْخُذُ هَذَا الْحَيَوَانُ بِالنَّمْرِ يَضِيقُ عَلَيْهِ الدِّرْعُ
وَيُؤْلِيهِ. فَيَكْفُ عَنْ الْأَكْلِ وَيَحْتَنِي فِي وَجَارٍ أَوْ فِي زَاوِيَةٍ
فَيَتَقَلَّصُ جِسْمُهُ وَيَضْرُرُّ وَيَأْخُذُ بِالْإِخْنِاطِ وَاللَّوِي حَتَّى
يَنْكَسِرَ الْغِلَافُ وَيَنْقَبُ. فَتَخْرُجُ مَخَالِبُهُ مِنْ غِلَافِهَا خُرُوجَ
الرَّجْلِ مِنَ النَّعْلِ. ثُمَّ يَمْلَأُ الْخُوَذَةَ وَيَخْرُجُ مِنَ الْغِلَافِ.
فَتَظْهَرُ الصَّدْفَةُ بَعْدَ خُرُوجِهِ كَامِلَةً كَأَنَّ الْحَيَوَانَ لَمْ يَزَلْ
ضِمْنَهَا. أَمَّا السَّرَطَانُ فَيُهْنِي ضَعِيفًا لَوْ رَأَى السَّرَاطِينَ رِفَاقَهُ

لَا كُلُّهُ. فَجَنَّبِي فِي زَاوِيَةٍ مُتَعَبًا مِنْهُوَ كَمَا فَتَيْدُهُ الطَّيْبَةُ حَالًا
بِدِرْعٍ جَدِيدٍ وَيَأْخُذُ جِسْمَهُ بِإِفْرَازِ مَادَّةٍ لَزِجَةٍ وَهُوَ فِي خِلَالِ
ذَلِكَ يَهْتَضُّ مَاءَ الْبَحْرِ. فَيَهْتَرِجُ مَعَ تِلْكَ الْمَادَّةِ الْغَرَوِيَّةِ
وَيَرْشُخُ كُلِّسًا. فَتَخْلُطُ الْمَادَّتَانِ مَعًا وَتَكُونَانِ الدَّرْعَ الصَّلْبَ
الْمُجْدِيدَ عَلَى التَّهَادِي. فَيَعُودُ كَمَا كَانَ وَتَرْجِعُ لَهُ شَهْوَةُ
الطَّعَامِ كَالْأَوَّلِ. وَلَوْ أَنَّ السَّرَطَانَ الْأَصْلِيَّ أَسْوَدَ وَلَكِنَّهُ إِذَا
أُغْلِيَ عَلَى النَّارِ صَارَ أَحْمَرَ

وَالسَّرَطَانُ أَنْوَاعٌ عَدِيدَةٌ تَعِيشُ فِي الْبَحْرِ وَالْأَنْهَارِ
وَالْبُرُكِ بَلْ عَلَى الْيَابِسَةِ أَيْضًا. وَمِنْهُ نَوْعٌ يَجْهَلُ تَحْتَ مَتْنَفْسَاتِهِ
كَيْسٌ يَهْلَاهُ مَاءٌ. فَإِذَا سَارَ عَلَى الْأَرْضِ اتَّجَافَةً فَطَرَمَ مِنْ ذَلِكَ
الْكَيْسِ عَلَى مَتْنَفْسَاتِهِ فَطَرَبَتْ تَبَرَّدُ حَرَارَتُهُ. وَمِنْهُ طَائِفَةٌ لَهَا
مُخَلَبٌ قَدَرُ جِسْمِهَا. فَإِذَا دَخَلَ أَحَدُهَا وَجَارَ اسْدَبَ بِهِ الْبَابَ
وَأَمَّنَ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الْأَعْدَاءِ. وَمِنْهُ نَوْعٌ آخَرُ يَتَسَلَّى الْأَشْجَارَ
وَيَقْتَاتُ بِجُوزِ الْهِنْدِ. وَذَلِكَ بَأَنَّ يَتَرَعُ أَوَّلًا الْأَلْيَافَ بِخَالِبِهِ
خَيْطًا فَخَيْطًا ثُمَّ يَكْسِرُهَا بِكَيْتَيْنِ فِي طَرَفِ الْخَالِبِ وَيَأْخُذُ
بِامْتِصَاصِهَا. وَهَذَا النَّوْعُ لَدِيدُ الطَّعْمِ كَثِيرُ الدَّمَنِ حَدِيدُ
الْخَالِبِ يَثْقُبُ بِهَا أَحْيَانًا الْقَصْدِيرَ. حِكْمِي إِنَّ رَبَّنَا لَطَفَ بَوْمَا

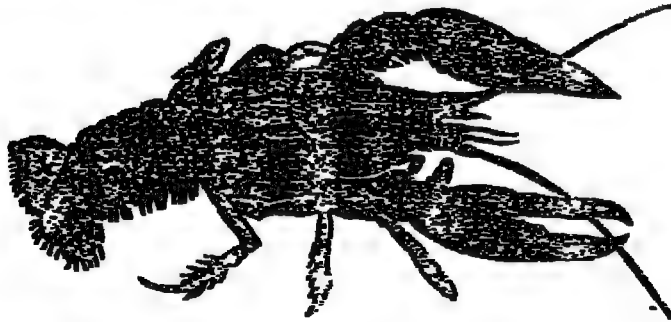
هَذَا السَّرَطَانُ وَوَضَعَهُ فِي صِوَانٍ^(١) مِنْ قَصْدِيرٍ وَرَبَطَ غَطَاءَهُ
بِشَرِيطٍ . فَمَا لَبَثَ السَّرَطَانُ حَتَّى قَرَضَ بِكَالْبِنَةِ حَافَةَ
الصَّنْدُوقِ فَثَقَبَهُ وَخَرَجَ مِنْهُ . وَالسَّرَاطِينُ شَكِسَةٌ^(٢) الْأَخْلَاقِ
شَدِيدَةُ الْخَصَامِ لَا تَقْنَأُ تَقَاتِلُ بَعْضُهَا بَعْضًا وَيَقْتَرِسُ كِبَرُهَا
صَغِيرَهَا

وَمِنْهَا نَوْعٌ لَا غِلَافَ لَهُ فَيَسْرِقُ غِلَافَ غَيْرِهِ . وَذَلِكَ أَنَّهُ
يَرَى صَدَفَةً مُلْقَاةً عَلَى الشَّاطِئِ فَيُدْخِلُ فِيهَا ذَنْبَهُ غَيْرَ مَبَالٍ
هَلْ فِي مَسْكُونَةٍ . فَإِنْ كَانَ فِيهَا حَيَوَانٌ يَنْشِبُ مَحَالِيَهُ فِيهِ ثُمَّ
يَلْبَسُ الْغِلَافَ وَيَنْشِبُ بِهِ . وَإِذَا كَبُرَ وَضَاقَ عَلَيْهِ الْغِلَافُ
خَلَعَهُ وَقَشَّ عَنْ غَيْرِهِ . وَاسْمُ هَذَا الصِّنْفِ السَّرَطَانُ النَّاسِكُ
وَكَانَ الْأَوَّلَى أَنْ يُسَمَّى السَّرَطَانُ السَّارِقَ . وَمِنْ غَرَائِبِهِ أَنَّهُ
يَجْهَلُ عَلَى ظَهْرِهِ أَحْيَانًا حَيَوَانًا آخَرَ نَبَاتِيًّا مِنْ نَوْعِ الزُّوْفَانِيَسِ
ضِدًّا لِإِرَادَتِهِ . لِأَنَّ ذَلِكَ الْحَيَوَانَ يَنْشَبُ بِظَهْرِهِ وَلَا يُفْلِتُهُ
فَيَذِلُّ الْهَسَكِينَ قُصَارَى جُهُدِهِ فِي النِّجَاةِ مِنْهُ وَلَا يَسْتَطِيعُ

(١) ثَقَبَ الْيَفْثَةَ (٢) وعاء الخوب الذي يُصَانُ بِهِ (٣) صعبة

سرطان جزائر الهند الغربية

ومن الأمور العجيبة ان في جزائر الهند الغربية عددًا لا يُحصى من السرطانات المسماة بصراطين البشع . وهي تخفي في قعر الصخور أو تجاوب الأشجار فتتوارى عن العيان . ومتى هطلت الأمطار تخرج أسرابًا أسرابًا على نظام غريب . لأنها تؤم^(١) شواطئ البحر حيث تضع صغارها فتتظم مطورًا يبلغ طول احدها ثلاثة أميال . وتلأ الطرق والغابات والمحلات حتى تغطي وجه الأرض . فتسمع لصويعها جلبة وطفقة على امد شامع . وهي تسافر ليلاً أثناء الاخطار . فيزحف اقوامها في الطليعة لتجسس الطريق ثم تليها الاناث ثم الاضعف ثم الشيوخ . ولا يوقنها شيء عن السير فتهمط المحفر وتسلمق السباحات وتاكل ما تصادف في سبيلها . فاذا التقي بها انسان جملت بخيالها كأنها تريد ان تخيفه . واذا فتح باب دخلة . غير ان السليقة علمها معرفة الطريق الاقصر



الى البحر فتسير على خط قوم لا تعرج بمنة أو برة . واذا حلت بسرطان نازلة اوسقط في الطريق بادرت رفاقة العناية واكلته . ومتى بلغت الشاطئ اخذت اولاً بالاستحمام ثم وضعت الاناث صغارها واعتزلت بعدئذ الى قعر الصخور لتطلع غلافها . فتصبح حينئذ وامنة القوى ثم تمكث هناك امداً حتى تنسج دروعاً جديدة وتقلب راجمة لكنها تكون متعبة مسترخية فيصيد الناس اكثرها ولا

يسلم منها إلا القليل . أما الاجنة فتخرج بعد حين من الاصداق حيوانات غريبة الاشكال لا تقارع الوالدات بل تحاكي رؤوسها خوذة في اعلاها شوكة ذات ظهر طويل وعيين كبيرتين . ثم تأخذ بالسباحة في الماء ويطرأ عليها اطوار وتغيرات شتى حتى تتحول الى صورة الأم . واذ ذاك تعاف ^(٢) السباحة وتشرع بالسفر الى الجبال فتري تلك السراطين الصغيرة غطت الطرقات وحملت السير تقودها السليقة العجيبة . فتصادف في سبيلها اخطاراً حجة . لان الحيوانات والجوارح تنقض عليها وتقرسها . غير انها تظل سائرة حتى تبلغ بقية الجبال وتلتقي بوالديها وتعيش معها

(١) قصد (٢) تكرر

القريدس

هو من طوائف السرطان . وله ذنب كجناح يطوى وينشر . وقرنان طويلان في رأسه قدر جسمه . وجناح كمروحة على جانبيه ريش صغير شفاف يساعده على الحركة في الماء . والقريدس اذرع وارجل كثيرة لا يقص عددها عن ٢٢ . ومن صفاته انه يقلص ذنبه ويشب في الماء . ومنه طائفة تحيل انشائه صغارها في كيس لحمي يتدلى من جسمها كردن يحاكي ردن ابوسوم البر

قنفذة البحر

في من رتبة سمك النجوم ولكنها لا تشبهها . فاذا فحست غطاءها رأيت مركباً من قطع حجرية عديدة ذات اقلر مختلفة ملتحمة بعضها ببعض كل الالتحام .

والصدفة ملآنة بماء البحر والحیوان معلق ضمنها وفي اعلاها ثقب یمثل فم الحیوان فاذا كبرت الفتحة وضافت عليها الصدفة تنطت بغشاء رقيق او جلد يهبط بين ثنوات قطعها . ثم يأخذ ذلك الغشاء بايداع مادة تریة حول حافة كل قطعة . فتضخم وتجسم بدون ان یطراً على شكل الصدفة تغیر حتى تبلغ الحجم الملائم . ثم تنأى من تلك القطع اشواك تنفع الحیوان في دفن نفسه في الرمال . وللفتحة ممصات كثيرة كسك النجوم نعيمها على الحركة

واشواك الفتحة نائمة على عجرة ومرتبطة بها بفصل یسهل حركتها وهي تنشأ من مادة یفرزها الحیوان كما یفعل البولیس . وقد فحص احد الطبعین شوكة بالبحیر فراًها مؤلفة من طبقات متناسقة بنایة الدقة والضبط وعلم انها من عمل ذلك الغشاء نفسه الذي ابدع الصدفة . وهي تستطيع اخراج فمها من الصدفة للالهام . فترى فيه خمسة اسنان حادة تحن اقصى الاصناف . وهذه الاسنان تنجد وتصل على مر الايام ولولا ذلك لمراما الكلال ووهنت قوتها ولهذا الحیوان خمسة فكوك في كل منها واحدة . وهي ملتصقة بعضها ببعض بغضاريف حتى تبدو كهرم یصل اعلاه بالفم . وقد سمي هذا الهرم مصباح ارسطوطالین فانه هو الذي دعه بهذا الاسم . وقد تدفن هذه التناخذ نفسها في ثقر الصخور والشقوق وتعلق عليها بالممصات حتى یتعذر اخراجها . وهي تحفر تلك الثقر لنفسها بطرق مجهولة . والبعض یتعاملون هذه التناخذ طعاماً ولاسیا في بلاد البحر المتوسط

الحیوانات الصدفة

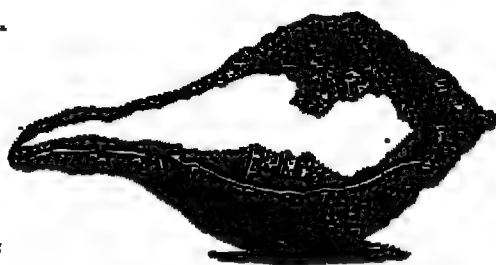
إِنَّ هَذِهِ الْحَيَوَانَاتِ تُولَدُ مَغْطَاةً مَجْلَدَتَيْنِ فَوْقَ بَشَرَتِنَا

الرَّقِيقَةُ. الْأُولَى رَخْوَةٌ وَمِرَّةٌ تُشَبِّهُ الرِّدَّةَ وَتُسَمَّى أَصْطِلَاحًا
بِالْبُرْنُسِ وَهُوَ مُسْتَوْدَعُ الْهَوَادِ الصَّانِعَةِ الصَّدْفَةَ. وَهَذِهِ
الْهَوَادُ كِلْسٌ وَغَرَاءٌ وَالْيَوْمِينَ تَدْخُلُ جِسْمَ الْحَيَوَانِ مِنْ طَعَامِهِ
وَتَبْرُ سَائِلَةً فِي ذَلِكَ الْبُرْنُسِ فَتُذْخِرُ الْهَوَادُ الْهَكُونَةَ الصَّدْفَةَ.
ثُمَّ يَرْشُخُ ذَلِكَ السَّائِلُ اللَّزْجُ مِنْ كُلِّ أَجْزَائِهِ أَوْ أَطْرَافِهِ فَيُخْتَرُ.
وَإِذَا تَرَكَّبَتِ الصَّدْفَةُ مِنْ قِطْعَةٍ وَاحِدَةٍ دُعِيَتْ ذَاتَ



الْبِصْرَاعِ الْوَاحِدِ أَوْ مِنْ قِطْعَتَيْنِ فَذَاتُ الْبِصْرَاعَيْنِ
فَإِذَا تَخَصَّصَتْ طَوَاقَ ذَلِكَ الْبُرْنُسِ رَأَيْتَهُ مُخْطَطًا بِالْوَانِ
بِهَيْئَةٍ نَاشِئَةٍ مِنْ مَادَّةٍ بَحْرِيَّةٍ يَسْتَعْمِلُهَا الْحَيَوَانُ لِنَقْشِ بَيْتِهِ. فَهِيَ
رَكْمٌ بِوَسِطَةِ الْبُرْنُسِ طَبَقَةٌ فَطَبَقَةٌ مِنْ رِذَاغٍ^(١) وَالْيَافِ

ازدادت الألوان وضوحاً بنهوض الصلح. وإذا راقب
الإنسان بناء الصدفة استطاع معرفة اللون الآتي بعد اللون
الأول. فإنه يعاين الخطوط الحمراء فالزرقاء فالأرجوانية
ولبعض الأصداف أضلاع تشابهاً تدفع الحيوان برئته
إلى الخارج حتى يلتفت كأنبوبة. وهو يفعل ذلك كي ينص
الماء إلى فيه. فيخرج السيل الصدفي من البرنس ويهلاً



أطراف الأنبوبة فتشكل بشكل ضلع نائي. وهذا عمل
يتكرر مراراً حتى تكثر الأضلاع في الصدفة. ويصدق هذا
التولد على كل الأصداف من أصغرها مما لا يرى إلا بالجهر
إلى أكبرها مما تستعمل مغاسل أو أجراتا يوضع فيها الماء
القدس في الكنايس الكاثوليكية. وقد تعددت أنواع
الأصداف وتفاوتت قيمتها حتى يباع بعضها بخمسة ثقلها ذهباً.
فيل إن جمهورية فينيسيا أهدت الملك فرنسيس صدفة

كَبِيرَةً اسْتَعْمَلَتْ جُرْنَا لِلْهَاءِ الْمَقْدَسِ فِي بَيْعَةِ الْقَدِيسِ
سُولِيسَ فِي بَارِيسَ . وَلَا يَخْفَى أَنَّ مَادَّةَ صِبَاغِ الْأَرْجَوَانِ
الصُّورِيِّ الَّذِي كَانَتْ تَتَفَاخَرُ بِهِ الْهَلُوكُ وَالْأَمْرَاةُ مِنْ صُنْعِ
هَذِهِ الْمَحْوَانَاتِ الصَّدْفِيَّةِ

إِنَّ صَدَفِيَّ الْمَحْوَانِ الثَّنَائِيَّ مُرْتَبِطَانِ إِحْدَاهُمَا بِالْأُخْرَى
بِمَفْصِلٍ مِنْهَا الْخَزُونُ أَوْ التَّرَائِقُ وَالْهَوَسِلُ . فَإِذَا شَاءَ الْمَحْوَانُ
فَتَحَّ صَدَفِيَّتَهُ فَتَحَمَّهَا بِإِرْخَاءِ الْمَفْصِلِ ثُمَّ عَادَ فَأَغْلَقَهَا بِشِدَّةٍ .
وَإِذَا تَعَذَّرَ إِغْلَاقُهَا كَانَ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى مَوْتِ الْمَحْوَانِ
ضِيْنَهَا

أَمَّا عَلَةُ إِخْتِيَاءِ هَذِهِ الْمَحْوَانَاتِ ضِيْنِ الْأَصْدَافِ فِيهِ
لِأَنَّ لَيْسَ لَهَا رُؤُوسٌ وَلَا أَرْعُفٌ فَلَا تَسْتَطِيعُ الْمَحْوَلَانِ لِلتَّفَتِيشِ
عَنْ طَعَامِهَا . فَإِذَا لَمْ يَأْنِهَا الطَّعَامُ هَلَكَتْ . وَلِذَلِكَ أَمَدَتْهَا
الطَّبِيعَةُ بِالْآلِ تَسْتَحْدِمُهَا لِلتَّشْبِثِ بِالصُّخُورِ وَالْأَمْنِ مِنْ
الْعَوَاصِفِ . فَتَنْسُجُ بِقَوَائِمِهَا خِيُوطًا مِنْ مَادَّةٍ قَرْنِيَّةٍ تَقْرِزُهَا
مِنْ غُدَّةٍ مَرْكَزُهَا تَجْوِيفٌ فِي أَسْفَلِ الرَّجْلِ ثُمَّ تَرْتَبِطُ طَرَفُ
الْخِيْطِ بِالصُّخْرِ وَتَجْذِبُ قَوَائِمَهَا إِلَى الدَّخْلِ . فَيَمْتَدُّ الْخِيْطُ
بِقَدْرِ مَا نَشَاءُ . ثُمَّ تَنْتَحِيهِ لِتَعْلَمَ إِذَا كَانَ مَتِينًا وَتَقْدُمُ لِنَسْجِ غَيْرِهِ .

وَتَظَلُّ آخِذَةً بِالْحِمَاكَهٖ إِلَى أَنْ تَصْنَعَ مِثَّةً وَخَمْسِينَ خَيْطًا
فَتَكْمُلُ مِرْسَانُهَا وَتَعْلُقُ بِهَا عَلَى الصَّخْرِ أَمِنَةً مِنَ الْخَلَجِ.

فَبَلَ شَرَعَ الْبَعْضُ فِي إِحْدَى الْمَذْنِ بَيْنَاءٍ جَسِرٍ عَلَى
فَنَاطِرٍ كَثِيرَةٍ . فَكَابَدُوا فِي بِنَائِهِ عَنَاءً شَدِيدًا . لِأَنَّ الْأَمْوَاجَ
كَانَتْ تُلَاطِمُهُ وَتَهْدِمُهُ حَتَّى كُلَّ الْعَمَلَةِ وَشِسْوَ مِنْ النَّجَاحِ .
فَخَطَرُ لَهُمْ أَنْ يَسْتَغِيثُوا بِالْحَيَوَانَاتِ الصَّدْفِيَّةِ . فَهَلَاؤُا قَوَارِبَ
مِنْ تِلْكَ الْأَصْدَافِ وَطَرَحُوهَا عِنْدَ قَوَاعِدِ الْجَسْرِ . فَعَمِدَتْ
تِلْكَ الْحَيَوَانَاتُ الْعَجِيزَةُ إِلَى الدَّابِّ وَالْعَمَلِ وَتَابَرَتْ عَلَى رَبْطِ
خُيُوطِهَا بِقَوَاعِدِ الْجَسْرِ . فَمَا لَفَتْ مِنْ تِلْكَ الْخُيُوطِ حِبَالٌ
وَثَبَتْ دَعَمَتْ تِلْكَ الْقَوَاعِدَ وَثَبَّتَهَا . فَهَبْنِ الْجِسْرُ وَاسْتَطَاعَ
إِنْقَاءَ خَطَرِ الْأَمْوَاجِ . وَمَا فَنَى فِي مَكَانِهِ إِلَى الْيَوْمِ .

وَمِنْ طَوَائِفِ هَذَا الْحَيَوَانِ صَدْفَةٌ تُدْعَى السِّكِّينَ إِذَا
فَاجَأَهَا صَيَادٌ (لِأَنَّ كَثِيرِينَ يَسْتَطِيبُونَ لَحْمَهَا) غَاصَتْ فِي
الرَّمْلِ وَتَوَارَتْ . فَيَخْزِرُ بِقَضِيبِ حَدِيدٍ مُهْتَدِيًا إِلَيْهَا بِفَطْرَاتِ
مَاءٍ تُلْقِيهَا عِنْدَ فِرَارِهَا . وَإِذَا لَمْ يَعْزُزْ عَلَيْهَا كَفَّ عَنْ
النَّفْثِيشِ لِعِلْمِهِ أَنَّهَا تَعَمَّقَتْ فِي الْأَرْضِ حَتَّى لَا يَسْتَطِيعَ
الْقَضِيبُ الْبُلُوغَ إِلَيْهَا

وَمِنْهَا صَدَفٌ يَتَوَاسَبُ وَيَتَلَاعَبُ أَسْمُهُ الْكَوْكَلُ . لَهُ
رَجُلٌ كَبِيرَةٌ كَلِيسَانٍ . فَإِذَا شَاءَ الْوُثُوبُ ثَبَتَ قَائِمَتُهُ فِي
الْأَرْضِ وَاسْتَعَانَ بِالْعَضَلَةِ عَلَى الْوُثُوبِ فِي الْهَوَاءِ . فَيَطِيرُ
إِلَى عُلُوٍّ مَعْلُومٍ ثُمَّ يَهْبِطُ ثُمَّ يَنْبُ مُرَّةً أُخْرَى . فَيُحِثُّ السَّيْرَ
عَلَى هَذَا الْهِنَوَالِ كَأَنَّهُ طَائِرٌ فِي الْهَوَاءِ

وَمِنْهَا طَائِفَةٌ أَسْمُهَا فُولَاسُ تُثَقَّبُ أَجْجَارَ . وَذَلِكَ لِأَنَّ
صَدَفَتَهَا رَفِيقَةٌ جِدًّا فَلَا تَقِيهَا مِنَ الْخَطَرِ . فَتَحْفِرُ لِنَفْسِهَا قَبْرًا
تَدْفِنُ ذَاتَهَا فِيهِ مَدَى الْحَيَاةِ . وَلَيْسَ هَذَا الْجَدَثُ بِأكْبَرَ مِنْ
جِسْمِهَا لِذَلِكَ لَا تَحْرُكُ صِهْنَهُ إِلَّا حَرَكَةَ بَسِيرَةٍ . وَتَسْتَخْدِمُ
قَائِمَتَهَا أَنْبُوبَةً تُثَبِّتُ بِهَا بِحْدَرَانِ صَدَفَتِهَا وَتَقَرِّزُ مِنْ جِسْمِهَا
عَصِيرًا بِذَيْبِ الْحَجَرِ . فَهَذِهِ الْحَيَوَانَاتُ عَلَى صِغَرِهَا تَضُرُّ
بِالْهَرَاتِي الصَّنَاعَةِ ضَرَرًا جَسِيمًا لِأَنَّهَا تُثَقِّبُهَا ثَقُوبًا كَثِيرَةً
حَتَّى تَدْعَى إِلَى السَّقُوطِ . وَلَهَا كَانَ هَذَا الْحَيَوَانُ يَقْضِي زَمَانَهُ
مَدْفُونًا بِأَنِيهِ غِنَاءُهُ مَحْمُولًا مَعَ حَجَارِي الْهَيَاءِ مُكْتَفِيًا بِالْبَزْرِ
الْمَحْمُولِ إِلَيْهِ مَعَ الْهَاءِ . وَلَهُ أَعْنَاءُ كَثِيرَةٌ مِنْهَا الطُّيُورُ
وَسَمَكُ النُّجُومِ وَالْإِنْسَانُ

الحلزون البحري او التراق

الحلزون البحري ملك الاصناف لانه الذما طعمًا . وهو ايضا ملتوف بخلاف كسائر طوائفه . غير ان غلافة مشقوق من الامام . حتى اذا فتحت الصدفة رأيت جسم الحيوان كله . اما برنسة فصنيق الاطراف محاط باهداب او قرون . وهو نظير سائر الاصناف يبني صدفته بواسطة ذلك البرنس واضعًا طبقة فوق طبقة حتى ترتكف فوق بعضها كقطع قريميد . وليس للتراق رأس ولا قوائم بل فم طسان تتدلى حولها الاهلاب

ومتفتحات الحلزون مركبة من اربع صفائح رقيقة تعوم على الماء الا من طرف واحد حيث في منوطة بالجسم . فاذا فتحت هذه الصفائح بالمجهر رأيت عليها شعورًا لا عدد لما تنفتح مجاري صغيرة وتسوق الطعام الى فم الحيوان . وهذا الزاد نقاعيات وبنائيات دقيقة مجهرية . اما مركز فم وفي وعاء يحاكي القنطرة عند موصل متفتحاته يحفظ به مجاري الماء ويدفع عنه ذرات الطعام التي لا تالفة

ويشتغل التراق كل الصيف بوضع صغره حتى تبلغ عددًا يفوق الصديق . قبل ان الواحدة تضع مليونين في فصل واحد . وتحفظ الصغار تحبًا في برنسها ومتى كبرت قليلًا تأخذ بالسباحة بواسطة حزمة خيوط حول جسمها . ولكنهما لا تبعد أولًا عن الأم كثيرًا . واذا فاجأها خطر اخبات في صدقة والدعما . ثم تعلق بعد برهة بجسم صلب وتشرع ببناء صدقتها . فتواظب على العمل ثلاث سنين حتى تبلغ النمو الكامل

ولا ينبغي ان الانكليز وغيرهم يربون التراق في حياض وصهاريج فيحكر ويسمن ويعملونه صفتًا من صنوف التجارة

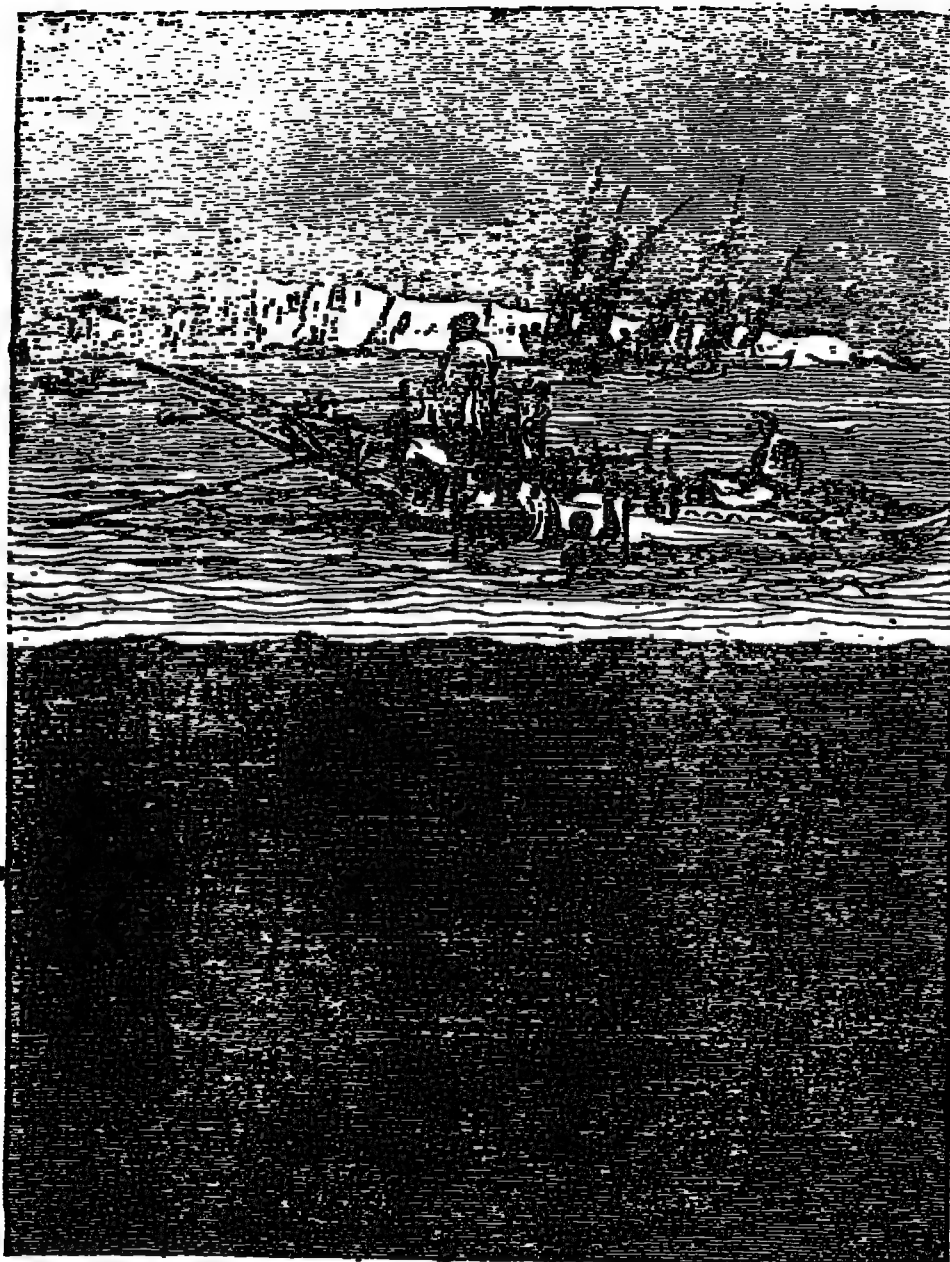
اصناف اللؤلؤ

في حيوانات عجيبة الصنع والتركيب . نعلم في أوّل نشأها على وجه الماء وتنغذي . ثمّ يحيط الى الاعماق وتسكن فيها وتحمل اليها اللبّة المراء والغلاء . ويتكوّن عليها الصدف كبيرها من المواد الكسبية للوقاية من الاخطار . ولهذه الحيوانات خطوط او متفتحات مؤلفة من صفائح رقيقة كثيرة الوعية تحاكي نسج الثياب . فتكون لما كصاف ترسل الى جوفها الماء والهواء وتنق الرمال وما شاكلها من الضارّات من الدخول . وتلك الانوف واسطة للشمّ والتنفس والتغذية . وخبوط نسيجها مشاة باهلاب تغرك ما دامت حيّة ولا تمكن ابداً فتجذب ما فوق تلك الانوف من الهواء والماء وما فيها من القاعيات في قناة واحدة الى المعدة . وتحت انوفها اقواه لكلّ منها اربع شفاة تجذب الملائم من تلك المواد وتدفع غيره . ومعدّها تشبه الاكياس وهي منوطة بالاقواه . واذا قطعت المعدة نظّر فيها اوعية كبيرة متعددة تأتي اليها المرّة او الصفراء من مفرزات الكبد . وكبدها كبيرة خضراء او سوداء تحيط بكلّ المعدة مؤلفة من حبيبات متساوية الاقطار . وفي وسط الاحشاء القلب ويقع الى قسمين الاذنين والبطين . والاذنين جدران لطيفة جدّاً مؤلفة من الباف عضليّة دقيقة تحمل الدم من اعضاء التنفس ولكلّ هذه الاعضاء غلاف سطحه شديد الحسّ حسن الوضع والترتيب

وقد اجمع الجمهور اليوم على ان اللؤلؤ ينشأ من تجميع رمل او حيويّات ضارّة تدخل الصدفة فسرّاً . فيفرز حيوانها مادّة لزجة يغطيها بها ثمّ يجمد وتُحجّر . فيضارع بذلك النحل في تغطيتها الزناير التي تدخل خليتها بالشمع فتملأها

اما مغاصات اللؤلؤ وكيفية استخراجها فمعلومة عند كثيرين فلا حاجة

لايضاحها



لغز في درة

أَيُّ شَيْءٍ مِنَ التَّجَمُّدَاتِ يُلْفَى وَتَرَاهُ مِنْ بَعْدِ ذَا حَيَوَانَا
وَتَرَى ذَلِكَ التَّجَمُّدَ عَزِيزًا غَالِيًا مِنْهُ رَصَعُوا نِجَانَا
وَتَرَى الرُّوحَ مِنْهُ فِي حَيَوَانٍ ذِي جَنَاحٍ وَيَأْلَفُ الطَّيْرَانَا
وَإِذَا مَا شَدَا عَلَى الْعُودِ يَوْمًا فَوْقَ دُفٍّ بِمَجْرِكَ الْأَغْصَانَا
أَوْ بَنَا فِي مَقْصٍ فَأَبْنُ بُرْدٍ عِنْدَ أَتْجَاعِهِ يَصِيرُ مَهَانَا
كُلُّهُ طَائِرٌ وَفِي ثَلَاثِهِ لَكَ ذُو أَرْبَعٍ مَعَ الْعَكْسِ بَانَا
كُلُّهُ عَاطِلٌ بِهِ تَحَلَّى كُلُّ خُودٍ وَتَسْتَقِلُّ التَّجَمُّدَانَا
وَتَرَاهُ عِنْدَ الْهَلُوكِ عَظِيمًا وَبِتَضْيِيفِهِ حَتِيرًا مَهَانَا
عَكْسُهُ فِي تَضْيِيفِهِ زِدْ يَنْتَصِ فَالْهَمَى هُنَا فَكُنْ يَقْظَانَا
وَإِذَا لَمْ تَذَرِ التَّصَاحِيفَ ذَرَهُ لِلَّذِي فِيهِ فَهُوَ يَذَرِي الْيَبَانَا
وَيُجَرِّبُهُ يُؤَدِّبُ مَنْ شِئْتَ إِذَا كَانَ يَجْهَلُ الْعِرْفَانَا
ثَلَاثُ دُرِّ نَفِيسٍ وَفِي فِيهِ إِذَا جَاءَ يَصْصَبُ الْهَرَجَانَا
لَكِنَّ الثَّلَاثَ عِنْدَهُ نِصْفٌ وَحَشِي ذَبَّ عَنَّا تَضْيِيفُهُ مَا أَعْتَرَانَا
وَهُوَ فِي الْبَرِّ نَافِرٌ وَإِذَا مَا حَضَرُوهُ قَدْ يَأْلَفُ الْإِنْسَانَا
فَافْتَرِسَهُ بِأَحْمَلٍ إِنْ كُنْتَ لَيْثًا فَهُوَ لُغَزٌ عَنْ فَضْلِهِ قَدْ أَبَانَا

(صاحب دولون الانشاء بدمشق الحرصه)

الاسماك التي تمشي على اليابسة

لَا يَجْنِي أَنْ الْأَسْمَاكَ تُنَفِّسُ مِنْ خَيَاشِيمِهَا. فَهِيَ لَهَا
بِمَثَرَةِ الرِّمَّةِ. وَالْمَاءُ يَدْخُلُهَا مِنْ أَفْوَاهِهَا بِوَاسِطَةِ حُضْوِ
كَالشَّبَكَةِ فَيَنْطَبِقُ عَلَيْهِ غَطَاءٌ فِي الْخَيَاشِيمِ وَيَصْدَأُ عَنْ
الْخُرُوجِ. ثُمَّ يُلْهِئُ الْمَاءَ الْأَغْشِيَةَ الْمَوْضُوعَةَ فِي جَوْفِ الْخَيَاشِيمِ
وَهَذِهِ الْأَغْشِيَةُ مَغْطَاةٌ بِأَوْعِيَةٍ دَمٍ رَقِيقَةٍ. فَيَسْتَبِدُّ الدَّمُ قَدْرًا
كَافِيًا مِنَ الْأَكْسِجِينِ. وَهَذَا عَمَلٌ يَتَكَرَّرُ عَلَى التَّعَاقُبِ
بِانْفِتَاحِ الصِّهَامَيْنِ^(١) وَانْطِبَاقِهَا كَرَّةً الْإِنْسَانِ. فَإِذَا خَرَجَ
السَّمَكُ مِنَ الْمَاءِ مَاتَ لِأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى تَنَاوُلِ الْأَكْسِجِينِ
مِنَ الْهَوَاءِ. وَحِينَئِذٍ تَنْطَبِقُ الْخَيَاشِيمُ وَتَجِفُّ فَيَبْطُلُ النَّفْسُ
غَيْرَ أَنَّ خَيَاشِيمَ بَعْضِ الْأَسْمَاكِ ضَبَقَةٌ جَدًّا وَلَا تَجِفُّ
بِسُرْعَةٍ وَلَهَا تَجْوِيفٌ صَغِيرٌ يَحْمِلُ الْمَاءَ مَدَّةً طَوِيلَةً وَيُوصِلُهُ
إِلَى الْخَيَاشِيمِ وَيُنْدِيهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ. وَلِذَلِكَ تَسْتَطِيعُ الْبَحِيشَةُ
عَلَى الْيَابَسَةِ أَيْامًا بِوَاسِطَةِ ذَلِكَ الْكَيْسِ الْمَلْئِيِّ. فَتَسْلُقُ
الْأَشْجَارَ وَتَنْفُشُ عَنِ الْحَشَرَاتِ فَتَقَاتُ بِهَا. وَقَدْ سَلَّحَتْ

الطبيعة هذه الأسماك مجل صغير وشص^(١). أما الحبل
فقرن ناتي في رأسها تصيد به الفريسة. وله مفصل يسر له
الحركة. وفي طرفه غشاء صغير لامع تستعمله (كالطعم). ولا
تستطيع هذه الأسماك السباحة جيداً ولا النش على فرائسها
ومطارديها. على أن شهوتها مفتوحة ولا تحب الانقطاع عن
الأكل فتجأ إلى المكر والحيلة. وذلك بأن تختبئ في
الوحد أو الرمل ثم تحركه حولها حتى يثور منه غبار
كالغيم. ثم تنصب الشراك أي (الطعم) بأن تبرز ذلك
الغشاء البراق وتحركه إلى كل اتجاه. فتراه الأسماك
الصغيرة وتخاله حيويًا يصلح للطعام لأنها تكون جماعة
كثيرة فتأخذ بنهشه فتجذب بذلك (الطعم) وتفتح الصائدة
فأما الكبير وتبتليها ثم تعود لتنصب الشص والكمون لأخرى.
وتحبها شراحتها على أسراط كل ما يأتي في سبيلها

(١) مثني صام وهو السداد (٢) كلابة عقناء لصيد السمك

(٢) ابتلاع

الاسماك البانبة الاوجرة

معلوم ان ليس للأسماك دمٌ حارٌ كدمننا ولا تفتني بصغارها بل تضع صُغُرُها في الماء وتغادرها حتى تنقف من ذائها. هذه في صفات الاسماك العامة. غير ان هذه القاعدة لا تخلو من الشذوذ فان لنوع من اسماك بحيرات اميركا وانهرها (واسمها هاسار) كيساً نخله تحت خياشيمها فتسير على اليابسة وتختل حرارة الشمس وتبني اوجرةً لصغارها. فتشرع بالعمل في فصل الربيع وتقر الوجار على شكل كرة مخرقةً مسطح الرأس فتدخله وتخرج منه بواسطة ثقب كالالباب. اما مواد البناء فاللياف الجبر واعشابها. وقد علم البشر هناك مكان هذه الاسماك فيأتيها الصيادون بالسلال والقضبان ويضعون السلة عند التشب وينكشون الوجار بالقضيب. فتحقق السمكة وتنشر زعانفها وتقفز فتستقط في السل وتُصاد.

ومنها نوع يُسمى الظهر الشائك تبني وجارها بنسج اعشاب البحر وتقرتها بمادة لزجة تفرزها من جسمها فتصنع كخيوط شبكة تضارع الاجاصة لما من جانبيها بايان. وهذه السمكة تفتني ببناء وجارها فترمته وتصلح مراراً حتى يمي ملاناً لسكنها. واذا وضعت صُغُرُها حرسها بزيد الاهتمام حتى اذا فاجأها عدو ورام اقتراس صغارها وثبت عليه ودفعته ودافعت عنها ييساله. والعلماء الطبيعيون يصبون جداً الى مراقبة هذه الاسماك لانها تذكرهم بالدجاجة وفراخها. واذا ابتعد احد صغارها عن الوجار سمجت اليه وحملت بها وانت به الى الوكن

السك الطيار

السك الطيار زعانف كأجنحة الطير ومثانة^(١) هواء كبيرة . ففي طار
لا ينشر زعانفه فقط بل ذنبه ايضاً . ويرتفع بعضه الى علو عشرين قدماً في
البحر ويقطع في كل طيرة مسافة ستين او سبعين ذراعاً ثم ينحدر الى الماء ليبل



متنفساته ويستأنف الطير ان فراراً من اعدائه . اما أكثر وجوده في البحور

الاستوائية حيث ترى عصابات من السمك الطيار تطير معاً وتلع بالوانها الزرقاء وزعانفها النضية في نور الشمس فتبدو لناظرها مشهداً جميلاً. غير ان طيراتها لا يقبها من الاعلاء فان طيور البحر تنفض عليها وتقرسها. وكذلك الدلفين بطاردها ويصيدها. وبحارة السفن ايضاً وركاها يراقبونها ويلهون بقنصها. وذلك بأن يضرموا ناراً او مصباحاً على سطح السفينة فيجوع حوله السمك الطيار فيتمكنون من صيده ويقولون انه لذيذ الطعم. فلا راحة لهذه الامماك ولا سلامة سواء كانت في الماء او في الهواء

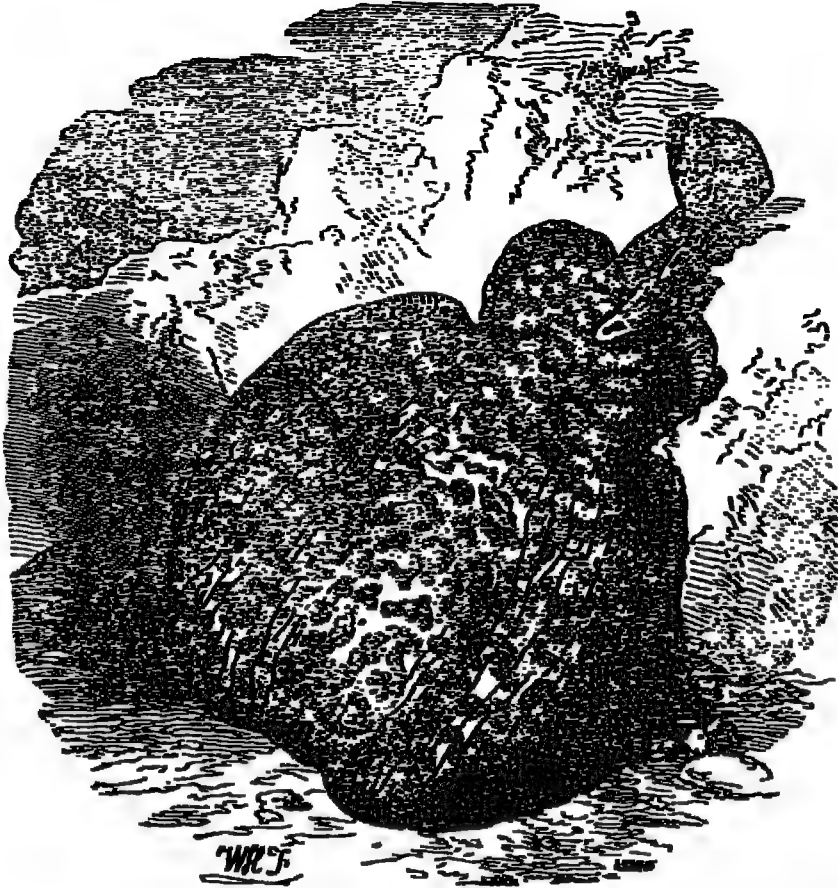
(١) شبه كيس جلدي

السك الرعاد

ان موطن هذا السمك البحر المتوسط. وهو سمك كهربائي اذا امسكه الانسان يديه خدرتا وارعدت. وهو ضخيم الجسم بجأكي شكله الرباب وله على بدنه ثقب تشبه قرص الشمد تفرز مادة مخاطية لزجة. والسمك الرعاد تخافة سائر الاسماك لقوته الكهربائية فانه يصعق اعلاءه ويقرسها. وفي البحر الاستوائية اسماك كبيرة من هذا النوع اذا مسست احداها عرتك رعدة كأنك ممسك بدولاب البرق. وهو حيوان بعلي الحركة يجب ان يدفن نفسه في الرمال. فاذا امسك به انسان على سيل الصدفة ثار عليه وارعدت وخدرت اعضاءه

وقد عثر الناس في هذه الايام على منافع الكهربائية واستخدم منها الاطباء آلات لعلاج الامراض العصبية. غير ان في الزمان القديم في عهد انطونوس

وكلبوتيرا كانوا يستعملون السمك الرعاد لهذه الغاية ايضاً . وذهبوا الى ان هزنته
تبرئ الصداق والاما أخرى . وفي الازمان الحديثة ايضاً كانوا يتصحبون للمصاين



بمرض الفرس اوداء الملوك بوضع ارجلهم على السمك الرعاد حتى تخدر

سك الكرة الشائك

لبعض الأسماك صور وأشكال غريبة . منها سبك
الكرة . فتأته رأس سمكة كبيرة بدون بدن . وهو صنوف

شَتَّى كَبِيرَةٌ وَصَغِيرَةٌ وَكُلُّهُ مُسَلَّحٌ بِمِجْرَابٍ أَوْ سِهَامٍ كَالْمُنْفَذَةِ .
فَإِذَا فَاجَأَ إِحْدَاهَا خَطَرٌ تَفَحَّتْ ذَاتُهَا وَانْتَصَبَ شَوْكُهَا .
وَمِنْ صُنُوفِهِ طَائِفَةٌ لَهَا حَوْصَلَةٌ كَحَوْصَلَةِ الدَّجَاجَةِ فَإِذَا أَدَمَّ
إِحْدَاهَا الرُّعْبُ تَفَحَّتْ تِلْكَ الْحَوْصَلَةُ كِهَيْطَادٍ وَقَلْبِنَا وَعَامَتٍ
عَلَى ظَهْرِهَا وَتَصَبَّتْ حِرَابُهَا . وَإِذَا ذَاكَ تَقَدُّفُوهَ فَيَادَةُ نَفْسِهَا
فَتَجَرُّفٌ مَعَ الْأَمْوَاجِ . وَإِذَا مَلَكَتْ رَوْعَهَا فَرَّغَتْ أَلْهَوُهَا
تَدْرِيجًا مِنْ فِيهَا وَخَيَاشِيبِهَا فَسَبَّحَ لَهُ أَرْزٌ وَصَفِيرٌ . وَتَدَّ
تَنْفُخٌ هَذِهِ الْأَسْبَاكُ نَفْسَهَا حَتَّى تَخَالَهَا صُنْدُوقًا عَائِيًا . وَهِيَ
لَا تَسْجُ بِزَعَانِفِهَا كَسَائِرِ الْأَسْبَاكِ بَلْ تَسْتَعِدُّهَا لِتُوزَانَ
نَفْسَهَا بِهَا مُوَازَنَةً الْقَارِبِ فِي الْبَحْرِ . وَأَشْوَاكُ هَذِهِ السَّبَكَةِ
وَلَحْمُهَا سَامَةٌ تُبَيِّتُ أَكْلِهَا

صفة اسطول

إِعْجَبْ لِأُسْطُولِ الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ
وَلِحُسْنِهِ وَزَمَانِهِ الْمُسْتَعْرَبِ
لَيْسَتْ بِهِ الْأَمْوَاجُ أَحْسَنَ مَنْظَرٍ
يَبْدُو لِعَيْنِ النَّاطِرِ الْمُسْتَعْجِبِ

مِنْ كُلِّ مُشْرِفَةٍ عَلَى مَا قَابَلَتْ
 إِشْرَافَ صَدْرِ الْأَجْدَلِ الْمُنْتَصِبِ
 دَهْمَاءُ قَدْ لَبِسَتْ ثِيَابَ تَصْنَعُ
 تَسْبِي الْعُقُولَ عَلَى ثِيَابِ تَرْهَبُ
 مِنْ كُلِّ أَيْضٍ فِي الْهَوَاءِ مُنْشِرٍ
 مِنْهَا وَأَسْحَمَ فِي الْخَلِجِ مُغِيبِ
 كِهْرَاهُ فِي الْبَرِّ يَقْطَعُ سَيْرَهَا
 فِي الْبَحْرِ أَنْفَاسَ الرِّيَّاحِ الشَّدْبِ
 مَحْفُوفَةٍ بِجَادِفٍ مَصْفُوفَةٍ
 فِي أَجْنَابَيْنِ دُونَيْنِ صُلْبِ صُلْبِ
 كَقَوَادِمِ النَّسْرِ الْمُرْفَرِفِ عُرِيَتْ
 مِنْ كَاسِيَاتِ رِيَاشِهِ الْمَتَهَدِّبِ
 وَنَحْنُهَا أَيْدِي الرِّجَالِ إِذَا وَتَتْ
 بِمَصْعَدٍ مِنْهُ بَعِيدٍ مَصُوبِ
 خَرَفَاءُ تَذْهَبُ إِنْ يَدُّ لَمْ تَهْدِهَا
 فِي كُلِّ أَوْبٍ لِلرِّيَّاحِ وَمَنْهَبِ

جَوْفَاءُ تَحِيلُ كَوْكَبًا فِي جَوْفِهَا
 يَوْمَ الرِّهَانِ وَتَسْتَقِلُّ بِرَكْبِ
 وَلَهَا جَنَاحُ يُسْتَعَارُ بِطَرِهَا
 طَوْعُ الرِّيَاحِ وَرَاحَةُ التَّمْطَرِ
 يَعْلُو بِهَا حَتَبَ الْعُبَابِ مَطَارَةٌ
 فِي كُلِّ لَحْزَةٍ زَاخِرٌ مُغْلُولِبِ
 تَنْصَاعُ مِنْ كَتَبٍ كَمَا نَفَرَ الْقَطَا
 طَوْرًا وَتَجَنَّبُ أَجْنِيعَ الرَّهْبِ
 وَلَوَاحِفِ مِثْلُ الْأَهْلَةِ جُحْ
 لَحَقَ الْمَطَالِبِ فَائِثَاتِ الْمَهْرَبِ
 يَنْهَبْنَ فِيهَا يَنْهَبْنَ لَطَافَةً
 وَبِحَيْثُ فَعَلَ الطَّائِرُ الْمَغْلَبِ
 وَعَلَى كَوَاكِبِهَا أُسُودُ خِلَافَةٍ
 تَخَالُ فِي عُنْدِ السِّلَاحِ الْمَهْرَبِ
 فَكَأَنَّا الْبَحْرُ اسْتَعَارَ بِرِيهِمْ
 ثَوْبَ الْجَمَالِ مِنَ الرَّيِّعِ الْمَهْزَبِ

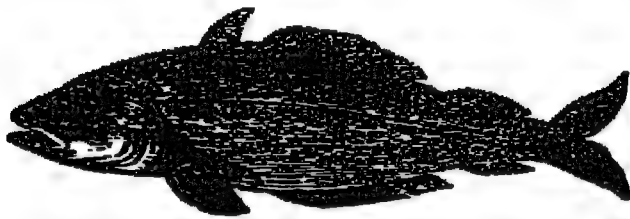
سبك الانايب

هَذَا السَّبْكُ لِحَوِيلٍ دَقِيقٍ مُنْدَحِجٍ يُشَبِّهُ الْأَنْبُوبَةَ . وَلَهُ
فَكَانَ مُلْتَصِقَانِ بِبَعْضِهِمَا . وَهُوَ يَلْتَفُّ عَلَى نَفْسِهِ بِصُورٍ
وَأَشْكَالٍ غَرِيبَةٍ وَيَبْتَضُّ فَرِسَتَهُ أَمْنِصَاصَ الطُّلُبَةِ الْهَاءِ .
وَمِنْ سَجِيَّتِهِ أَنَّهُ مُوَلِّعٌ بِصِغَارِهِ وَبِمَجْهَلِهَا (الذَّكَرُ لَا الْأُنْثَى)
فِي كَيْسٍ يَجَاكِي الرُّذْنَ مُنَوِّطٍ بِحُسْنِهِ . وَإِذَا أَلَمَّ بِهَا خَطَرٌ
رَكَضَتْ إِلَى أَبِيهَا وَأَخْبَبَاتٍ فِي رُذْنِهِ
وَلِبَعْضٍ هَذِهِ الْأَسْبَالِ أَذْنَابٌ طَوِيلَةٌ تَشْتَبِهُ
بِالْأَعْشَابِ وَتَلْتَفُّ عَلَيْهَا حَتَّى تَنْقَطِعَ . وَإِذَا مَاتَ السَّبْكُ
تَقْلَصَ جِسْمُهَا وَتَلْتَفَّ وَضَارَعَ عَنْقَهَا وَرَأْسُهَا عَنْقَ الْحِصَانِ
وَرَأْسُهُ . وَقَدْ حَفِظَ الْبَعْضُ هَذِهِ الْحَيَوَانَاتِ فِي الْمَنَاحِفِ
لِلزَّيْنَةِ وَسَوَّيْنَهَا فَرَسَ الْجَرِّ . وَكَثِيرًا مَا تَرَى بَعْضَهَا مَلْفُوفًا
فِي صَدَفَةٍ حَلَزُونٍ

(١) اصل الهم كان العرب تضع فيه الدراهم والدنانير

سمك القد

لَا يَخْفَى أَنَّ الْبَحْرَ مُتَوَدِّعٌ قُوَّةٌ لِلْإِنْسَانِ لَا يَفْرُغُ. وَهُوَ
خِزَانَةٌ زَادٍ وَمَوْوَنَةٌ لَا قَرَارَ وَلَا تَفَادَلَهَا. وَمِنْ صُنُوفِ هَذَا الزَّادِ
سَمَكُ الْخُوتِ أَوْ الْقَدِّ وَهُوَ حَيَوَانٌ نَهُمٌ لَا يَعْرِفُ الشَّيْءَ.
فَيَلْتَهُمْ كُلُّهَا بِصَادِفَةٍ بِأَيِّسٍ مَرَامٍ حَتَّى أَنَّهُ يَلْتَقِمُ السَّرَطَانَ
بِصَدَفَتِهِ بِغَايَةِ السَّهُولَةِ. وَمِنْ غَرَائِبِ هَذَا الْحَيَوَانِ أَنَّ أَثْنَاهُ



تَضَعُ صُعُقَرًا يَفُوقُ عِلْدَهُ النَّصِيقَ. فَقَدْ تَوَلَّدَ مِنْ سَمَكَةٍ
وَاحِدَةٍ ثَلَاثَةُ مَلَايِينِ بَيْضَةٍ. وَعَلَى ذَلِكَ لَا خَوْفَ مِنْ
انْقِرَاضِهِ. وَقَدْ أَكْثَرَهُ الْهَوَلَى فِي الْبَحْرِ لَوْفَرَةِ فَوَائِدِهِ
وَمَنَافِعِهِ. فَإِنَّ كُلَّ جُزْءٍ مِنْ أَجْزَائِهِ يَنْفَعُ الْإِنْسَانَ. مِنْ ذَلِكَ
لَحْمُهُ الْمَكْتَنَزُ الْآبِضُ اللَّذِيذُ الطَّعْمُ. وَلِسَانُهُ الَّذِي يَبْلُغُ
وَبَقْدَدُ وَيَعُدُّ مِنْ إِنَافَةِ الْهَوَائِدِ. وَيَسْتَعْمِلُ الصَّيَادُونَ
خِيَاشِيمَهُ (طُعْمًا) لِلْأَسْمَاكِ. وَزَيْتُهُ الْمَسْمِيُّ بِزَيْتِ السَّمَكِ

نَافِعٌ لِلتَّقْوَةِ وَإِصْلَاحِ الدَّمِ وَأَمْرَاضِ الصَّدْرِ. وَمِثْلُهُ
 تُسْتَعْمَلُ لِلْغَرَاءِ. وَالصَّيَادُونَ يَطْبُخُونَ رَأْسَهُ وَيَسْتَعْمِلُونَهُ
 طَعَامًا. وَأَهْلُ نَرُوجَ يَعْلِفُونَ بِهِ أَبْقَارَهُمْ مَهْرُوجًا مَعَ
 أَغْشَابِ الْخَرَفَتِينَ وَيَغْزِرُ لَبَنًا. وَفِي إِسْلَانْدَا يَعْلِفُونَ
 مَوَاشِيَهُمْ بِعِظَامِهِ. وَفِي كَشْتَكَا يَقُونُونَ بِهِ الْكِلَابَ. وَأَهْلُ
 سَاحِلِ الْبَحْرِ التَّجِيدِ يَسْتَعْمِلُونَ عِظَامَهُ وَقُودًا
 أَمَّا أَشْهُرُ مَصَايِدِهِ فَيُؤْفَنْدَلَنْدَ. حَيْثُ يَصِيدُ الصَّيَادُ
 نَحْوَ أَرْبَعِ مِثَّةِ سَمَكَةٍ فِي الْيَوْمِ. وَقَدْ اخْتَرَعَ الْأَنْكِلِيزُ حَدِيثًا
 نَوْعًا مِنَ الْأَبَارِ يَضَعُونَهَا فِي سُنَنِ الصِّيدِ وَيَجْلِبُونَ بِهَا سَمَكَ
 الْقَدِّ حَيًّا إِلَى بَرِيطَانِيَا. وَقَدْ حَفَرُوا لِصِيدِهِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ
 حِيَاضًا وَصَهَارِيجَ^(١) كَالَّتِي تُوجَدُ فِي هَبْرِيدِسَ وَإِيْقُوسِيَا بِأَنْبِيهَا
 السَّمَكُ فَيَأْخُذُ الصَّيَادُ بِالْعِنَايَةِ بِهَا وَيَطْعِمُهَا قَتَالَهُ. حَتَّى
 إِذَا رَأَتْهُ أُنْيَا تَمُوتُ بِسَلَّةِ الطَّعَامِ سَجَّتْ إِلَيْهِ وَفَتَحَتْ أَفْوَاهَهَا
 لِلْأَكْلِ بَلْ قَدْ تَأْكُلُ مِنْ يَدِهِ. وَلِهَذَا السَّمَكُ مَصَادٌ عَظِيمٌ
 فِي سَوَاحِلِ نَرُوجَ يَصِيدُ فِيهِ الْقَوْمُ مِذَّ أَلْفِ سَنَةٍ وَيَنْفِ

(١) الحُصْنُ النَجِيبُ (٢) سمك مجري هو سمك الحوت (٣) جمع

صهرنج وهو حوض يمنع فيه الماء

ذئب البحر

ان عالم الاوقيانوس ميدان قتال دائم . فترى حيواناته قضي اكثر اوقاتها بالحرب والكفاح او بالفرار . لان قوتها يهاجم ضعيفها وكبيرها يقتل صغيرها . فلا تعرف الشبع ولا الرحمة . ومنها ذئب البحر المائل . ولهذا الحيوان في كل فك ستة صفوف اسنان يطحن بها السرطان طحن الدقيق ويلتهمه . وقد يعض المرساة الحديدية الغليظة ويترك فيها اثرا من اسنانه . قيل انه عض يوما بندقيّة صياد صوّت نغمة فككها قطعاً كما لو كانت قطعة زجاج . ولذلك يخشاه الملاحون جداً خشية القوم من ذئب البر . اما طوله فيبلغ سبع اقدام او يزيد

— 100 —

سماك السيف

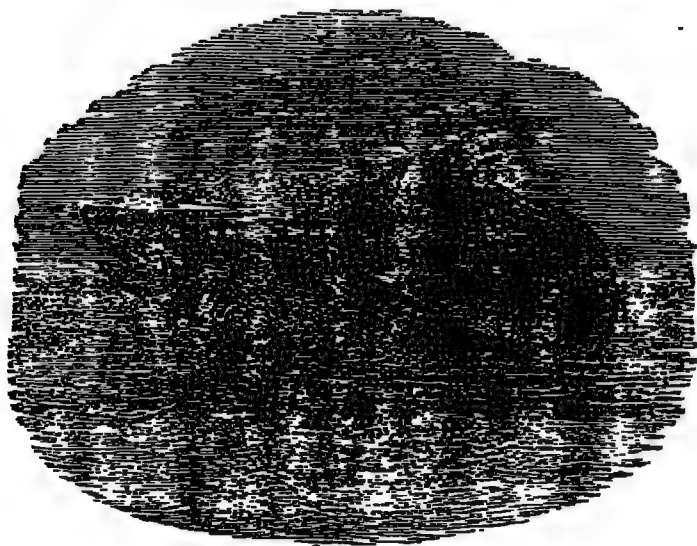
ومن حيتان البحر المائلة السيف . وهو حيوان طوله من عشر اقدام الى خمس عشرة . ويمتد من اعلى خطمه عضو كالسيف يبلغ ثلاثة اعشار طوله . وهو سريع السباحة جهور شديد البأس ومن الداء اعلاء البال . فانه يهاجمه بسيفه المرفق ويحرقه ويصبغ ألجته بدمه . اما البال فليس له من سلاح سوى ذنبه العظيم فاذا ضرب به السيف قتله . غير ان السيف يحاول الاعتماد عن ذئب البال . فاذا التقيا اقتسب بينهما صدام عنيف سمعت له صلصلة وحلجة من امد شاع . ولا تكف المعركة الا بقتل احدهما . واحياناً ينشب ملا الحيوان عضبة^(١) بقاعدة السفينة فيتمدّر عليه جذبة . فقد شاهد احد الطبيعين هذا الحوت منشبا سيفه في قعر سفينة يختبط اخباطاً عنيفاً حتى تملص وفي السيف منشبا

بالسفينة . ولكنة ما لبث حتى مات وعام على اللجة . اما موطنة فالبحر المتوسط
والانلايتيك

(١) السيف الفاطم

كلب البحر

من اشرس الحيوانات المائية واشدها فتكا وضرا كلب البحر . فان له ستة
صفوف اسنان مثلثة الزوايا عرض كل منها قيراطان وفي حادة كالمنشار
واقطع من السيف . فاذا كانت فارقة من العمل رأيتها مسطحة مبسطة واذا



دنت منه فريضة اقتصبت واستعدت للطن . وهذا الكلب يتبع السفن رجاء ان
يتلع ما يطرح منها . وهو خفيف الحركة يلحق اسرع السفن دون ادنى تكلف
واذا سقط احد من السفينة اسرع اليه واقترسه
واتى هذا الحيوان قنص يضيق فقط مغطأتين بمادة قرنية يتأ منها شيء

كالظفور^(١) يشبك باعشاب البحر ويضبط البيضة في مكانها والجنين^(٢) ملتف^(٣) ضمنها . ثم يخرج الجنين ويفعل على شاكلة والدير ويقضي حياته بالانتراس



والازدراد . فاذا ثارت العواصف واكثر^(٤) الظلام رأى الملاحون نوراً يتألق على الحج فيعروم الرعب ويشيدون الى بعضهم . لانهم يعلمون ان ذلك

النور اومض من حراشف كلب البحر فيهما أن لتأله أو الفرار منه
وكلب البحر انواع منه صنف اخضر اللون يضرب الى الزرقه وهو جميل
المنظر طوله ثنائي اقل من ليس دون غيره شراة وضرباً . ومنها صنف آخر
ايض اللون طوله ثلاثون قدماً . ومنها ما يشبه رأس الثعلب يضرب
بذنيه الامواج فتريد الى آمد اميال . ومنها ماله عضو طويل يضارع المنشار
محدد الطرفين يهاجم به البال والسفن كحوت السيف . فقد ينشب منشاره
المُرْدَف (٤) بالسفن ويخرقها . فالويل لمن التفت التنادير في افواه هذه الحيتان
المائلة

(١) مادة قرنية تلبط على اطراف الاصابع والدقيق الذي يلتوي على قضيب
الكرم (٢) الولد ما دام في الرحم (٣) اشتد ظلامه (٤) محدد قاطع

عجل البحر

يَسْكُنُ هَذَا الْحَيَوَانُ غَالِبًا الْبَحْرَ الْعَجَبَةَ . وَهُوَ نَافِعٌ
لِسُكَّانِ تِلْكَ الْبِلَادِ الْبَارِدَةِ . فَإِنَّهُمْ يَغْتَذِرُونَ بِلَحْيِهِ وَيَسْتَضِيئُونَ



بِزَيْتِهِ وَيَكْتَسُونَ بِحِلْدِهِ . وَمِنْ هَؤُلَاءِ أُمَّةٌ الْأَسْكِيْمُ

وَالْكِرْبَلَنْدِيُونَ. وَجَسَدُهُمْ ضَخْمٌ جِدًّا وَأَفْرِ الزَّيْتِ فِيهِدُ أُولَئِكَ
الْقَوْمَ بِطَعَامٍ جَزِيلٍ وَوَقُودٍ كَثِيرٍ. وَهُوَ يَعِيشُ بَرًّا وَبَحْرًا
لِكِنَّهُ بَطِيءٌ الْحَرَكَةِ جِدًّا عَلَى الْيَابَسَةِ وَلِذَلِكَ يُؤَثِّرُ السَّكَنُ فِي
الْبَحْرِ. وَلِهَذَا الْحَيَوَانُ أَرْبَعُ أَقْدَامٍ أَثْنَانِ فِي مَقْدَمِ جِسْمِهِ
وَأَثْنَانِ فِي طَرَفِهِ. وَعَلَى قَدَمَيْهِ الْخَلْفَتَيْنِ غِلَافٌ مِنْ جِلْدٍ.
وَهُمَا مُتَصِفَتَانِ إِحْدَاهُمَا بِالْأُخْرَى وَبِالذَّنْبِ فَتَقُومَانِ مَقَامَ
زَعَانِفَ مَتِينَةٍ. وَلِلْخَلْفَتَيْنِ الْهَقْدَمَيْنِ أَيْضًا غِلَافٌ جِلْدٍ وَعَلَيْهَا
أَصَابِعُ وَأُظْفَارٌ. وَلِذَلِكَ لَا تَتَسَرُّ لَهُ الْحَرَكَةُ بِتِلْكَ الْأَقْدَامِ
الْمُشَاكِلَةِ الزَّعَانِفِ. لَكِنَّهُ خَفِيفُ الْحَرَكَةِ فِي السِّبَاحَةِ إِنَّمَا
لَا يَسْتَطِيعُ الْإِسْتِغْنَاءَ عَنِ النَّفْسِ فِي الْهَوَاءِ فَيَنْقُبُ فِي التَّلْحِ
تَقْوَبًا يَتَنَفَّسُ بِوَسِطَتِهَا

وَالصَّيَادُونَ يَعْلَمُونَ ذَلِكَ فَيَكْنُبُونَ لَهُ صَامِتِينَ حَتَّى
إِذَا رَأَوْهُ بَدَأَ مِنَ التَّنْبِ طَعْنُهُ بِالْحِرَابِ فَيَقْتُلُوهُ. وَمَتَى فَازَ
أَحَدُهُمْ بِهَذِهِ الْغَنِيمَةِ سُرٌّ وَعَائِلَتُهُ كُلُّ الشُّرُورِ لِأَنَّ مَعِيشَتَهُمْ
تَتَوَقَّفُ بِالْأَكْثَرِ عَلَى لَحْمِهِ وَزَيْتِهِ وَجِلْدِهِ. فَقَدْ فَاقَ نَفْعُهُ
عِنْدَهُمْ نَفْعَ الْغَنَمِ وَالْبَقَرِ فِي الْبِلَادِ الْمُعْتَدِلَةِ. وَلِجَلِّ الْبَحْرِ
عَدُوٌّ آخَرٌ هُوَ الدَّبُّ الْقَضِي فَإِنَّهُ يَرَاقِبُهُ عِنْدَ خُرُوجِ التَّلْحِ

مُرَاقِبَةُ الصَّيَادِ أَوْ يَفَاجِئُهُ إِذَا يَكُونُ مُضْجِعًا فَيَقْتَالُهُ
وَمِنْ عَجَلِ الْبَحْرِ صِنْفٌ يَعْشُ فِي الْأَجْرِ الْإِسْتَوَائِيَّةِ طُولُهُ
عِشْرُونَ قَدَمًا وَيُفُّ لَذِيذُ اللَّحْمِ كَثِيرُ الزَّيْتِ تَحْمِلُ أَثْنَاءَهُ
وَلَدَهَا فِي صَدْرِهَا . وَرَأْسُهَا أَشْبَهُ بِرَأْسِ امْرَأَةٍ . فَقَدْ ظَنَّ



الْبَحَّارَةُ الْقَدَمَاءُ هَذَا الصِّنْفُ مَرْكَبًا مِنْ رَأْسِ امْرَأَةٍ وَجِسْمٍ
مَسَكَةٍ وَبِحَسَبِ حَلَقَةٍ بَيْنَ عَجَلِ الْبَحْرِ وَالْبَالِ
وَمِنْهُ صِنْفٌ آخَرٌ يُدْعَى الْفِيلَ مَوْطِنُهُ الْقَطْبُ الْجَنُوبِيُّ .
تَقْصِدُهُ السُّفُنُ ظَهْمًا بِزَيْتِهِ وَجِلْدِهِ . وَهُوَ لَطِيفُ الْخَلْقِ قَلِيلُ

الضَّرَرِ . حَتَّى أَنَّهُ يَسْمَحُ لِلصَّادِينَ بِطَعْنِهِ بِدُونِ أَنْ يُدَافِعَ
عَنْ نَفْسِهِ أَوْ تَبْدُو مِنْهُ شَرَّاسَةً إِلَّا لِلذَّوْدِ عَنْ صِغَارِهِ إِذَا
هَاجَمَهَا عَدُوٌّ غِيَّاتِي مِنْ وَرَاءِ الصَّيَادِ وَيَعْضُهُ بِأَسْنَانِهِ الْحَادَّةِ
حَتَّى يَكَادَ يَقْتُلُهُ . وَهَذَا الْحَيَوَانُ سَمِينٌ جِدًّا جَزِيلُ الشَّحْمِ
يَضَعُ عَلَيْهِ الْمَشْيُ عَلَى الْيَابِسَةِ . وَإِذَا فَعَلَ اضْطَرَّ إِلَى
أَخْذِ الرَّاحَةِ كُلِّ بَضْعٍ دَقَاتِي . وَلِذَلِكَ لَا يَجْرَأُ عَلَى الْخُرُوجِ
مِنَ الْبَحْرِ إِلَّا نَادِرًا . وَإِذَا حَيِيَ عَلَيْهِ الْقَهِيرُ فِي الْبَرِّ طَهَرَ نَفْسَهُ
فِي الرَّمْلِ . وَجِلْدُ هَذَا الْحَيَوَانِ يُسْتَعْمَلُ لِلشُّرُوجِ وَزِبْتُهُ فَاخِرٌ
جِدًّا لَا تَنْبَعِثُ مِنْ وَقُودِهِ رَائِحَةٌ كَرِيهَةٌ كَثِيرَةٌ . وَيَصْنَعُونَ
مِنْ جُلُودِهِ أَرْدِيَّةً وَعَبَاءَاتٍ وَجَبِيًّا

وَمِنْ عَجَلِ الْبَحْرِ نَوْعٌ لَهُ فَرْوٌ نَفِيسٌ يَقَطُنُ جُرَائِرَ شَيْتَلَنْدَ
الْجَنَبِيَّةِ . لَهُ فَوْقَ الْفَرْوِ شَعْرٌ طَوِيلٌ أَشْبَهُ اللَّوْنَ بِتَرْعُونَةٍ
عَنْهُ فَيَبْدُو نَحْنَهُ فَرْوٌ كَثِيفٌ لَيْنٌ أَسْهَرُ يَضْرِبُ إِلَى الصُّفْرِ .
وَهَذَا الصِّنْفُ مَطْمَحُ أَبْصَارِ الصَّادِينَ أَبَدًا فَيَقْصِدُونَهُ طَبْعًا
بِفَرْوِ الثَّيْبِينَ . وَاسْمُهُ الْحَقِيقِيُّ أُونَارِي

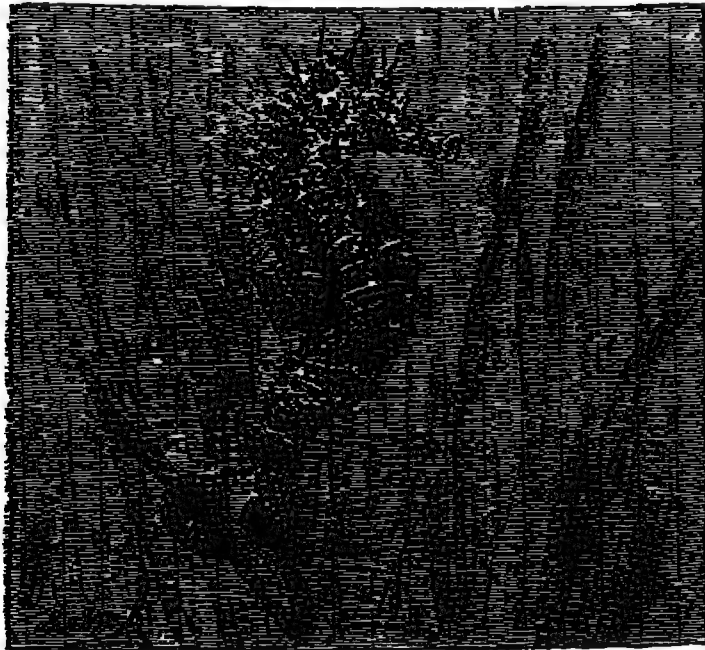
وَمِنْ هَذِهِ الْأَرْبَةِ صِنْفٌ يُدْعَى أَسَدَ الْبَحْرِ لَهُ شَعْرٌ طَوِيلٌ
كَثِيفٌ مُسَدِّلٌ عَلَى عُنُقِهِ كَعَرَفٍ يُوجَدُ فِي الْأَبْجَرِ الشَّمَالِيَّةِ

وَالْجَنُوبِيَّةُ وَيَعِيشُ بَعْضُهُ مَعَ بَعْضٍ قِطْعَانًا . وَهُوَ قَوِيُّ الْبَنِيَّةِ
ضَخْمُ الْجِسْمِ قَلِيلُ الضَّرَرِ كَسَائِرِ عَجُولِ الْبَحْرِ

— ❦ —

حصان البحر

هو نوع آخر من حيتان البحر من رتبة تُسمى امفibia تعيش في البر والبحر معاً .
وهو مكسو بشعر قصير يضرب الى الصفرة . وكبير الجسم يبلغ طوله عشرين قدماً



ثقل الحركة شديداً . وله انايب حاجية يستعملها للخرق على الحيوانات الصدفية
ونباتات البحر ولجرح جسمه الثقليل على الصخور والجمد ولحاربة الدب القطبي

النضاري اذ تشب منها حرب عوان . غير ان الدب كبيراً ما يفوز بالنصرة
فيقتل الحصان ويفترسه

واذا طُرِحَتْ جثة حصان بحر على الشاطئ حدث مرج ومرج بين
الطيور والحوانات فتسب الطيور نسب السرور وتشم الثعالب الرائحة من
بعيد ولا تجرأ على الدنو الى ان تشبع الدية . فتتف وتضج (١) وقد عمل صبرها
حتى يوافيها الدور . واذا حضر الوليمة انسان تنازع عليها مع الحيوانات . لان
سكان تلك البلاد القطبية يحبون لحم حصان البحر لذيذاً جداً . ويصنعون من
جلده مخبأناً . وعاجه ثمين جداً في الصناعة

ومع ان حصان البحر كبير الجثم حاد الانياب يمكن نروضة فيدجن
ويألف صاحبه ويحبه . فقد ربت سيده روسية حصان بحر صغير ودلته
فكان يتبعها من مكان الى آخر وييدي ارتياحاً وسروراً بالناء وأنه على حضنها

(١) الضبايح صوت الثعلب

خنزير البحر

هو حوت مقترس طوله نحو ست اقلط غليظ المقدم دقيق المؤخر اسود
الظهر يضرب الى الزرقة ابيض البطن . وهو مشهور بمهارته في الصيد
والاقتراس شديد البطش والفتك والاحتبال . يمكن للصيد ويموتة من جون
الى آخر وينقسم عليه وهو كثير متفرق في كل بحر

كركدن البحر

موحوت بشبه العيف في القرن المتد كالرمح من فكّه الاعلى وطوله من
عشر اقلد الى عشرين . وهو من الحيتان المائلة سريع الحركة شديد المطوعة
يطعن خمسة برعوا التال فيورده مولد الملاك ويطع الاقران ولا يهاب اعظم
حيوان في البحر . فيجسم على البال ويطعته بقرته الحاد ويخص دهنه . وعاجه
التيس ثمن عند الصيادين

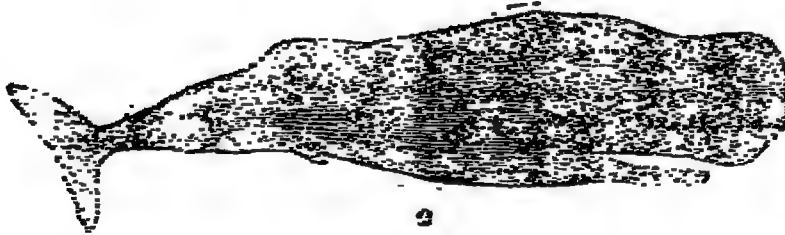
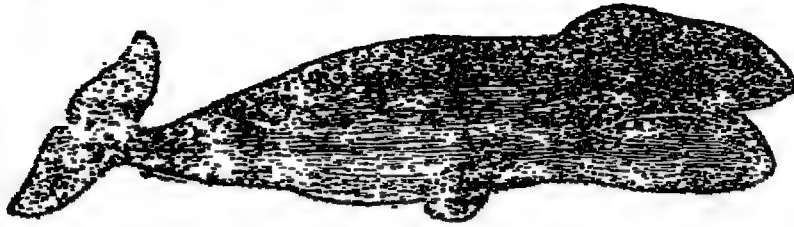
—

البال

موحوت عظيم قيل لله اكبر مخلوق في ارضنا من الحيوانات المعروفة
طوله من خمسين الى سبعين قدماً وقد يبلغ مئة ومحيطه من ثلاثين قدماً الى
اربعين اما انواعه فكثيرة تعيش في الابحر الجنوية والشالية . منه الحوت
الكريلاندي تزيل المنطقة المتجمدة . وله دم حار كدم الانسان واثاه ترضع
صغارها وتحبها حباً شديداً . ويخص في الهواء ولذلك يعد من رتبة الوحوش .
على انه يستطيع المكث تحت الماء ساعة او ساعتين لكنه لا يفعل ذلك الا عند
الضرورة . فانه يصعد كل عشر دقائق اربع ساعة للتنفس وانتصاص الاكسجين
اما استطاعته على البقاء تحت الماء هذه البرهة فلان له حوضاً من الدم
ممتلئ بالاكسجين مهياً للاستعمال عند الحاجة . ويثشر في صدره واصلاعه
وسلمته القنارية الناتجة من الجمجمة . فاذا غاص البال في الماء وتعدر عليه
انتصاص الاكسجين من الهواء استعان بهذه المؤونة الدموية . فيدور الدم في
اعضائه زماناً ولا يعرف العباء . ولكنه يقصر اخيراً على العوم لتجديدها . فيجتمه

الدم نصيباً من الأكجين يذهب قسم منه إلى الجسم وآخر إلى الحوض المذكور.
فيُذخَر للاحتِطام حين الحاجة

أما قسبة رئة الحوت فليست مفتوحة نحو الفم كرتبة الإنسان بل نحو قبة
الرأس . ولها في طرفها مصراع يُوصَد ويدفع الماء ويحتل الضغط . فتتس
الحوت قبل بلوغ سطح الماء اتجسس الماء كانبوبة . وإذا طعن بمرءٍ أسرع وشاح
إلى قصر البحر جازعاً جرحاً شديداً . وربما ضرب الأرض بدماعه فكسره
ولا ينبغي أن الحوت يعيش بين جَد المظلة الباردة فكيف بمطبخ



المحافظة على حرارة جسمه . ذلك لأن جلده شحِيصٌ ضيق بقيه من قوس البرد .
وليس البال بالخبثه سوى صفيحة دهن كثيفة يسميها الصيادون شحم الحوت .
وهو كثير الألياف كجلد الإنسان وملآن (زيتاً) . وهذا (الزيت) كثر البال
الحامل البشر حتى صيدهُ وينفع البال من وجعين . أولاً ليحفظ حرارة جسمه .
ثانياً بقدرة على العبادة لانه اخف من الماء

ومع ان البال كبير الحجم لا يمتلأ بالحميات الكيرة لضيق بلعومه .
فيقتدئ بالملك الملاهي . والحيتونات فيفتح فاه الكير ويلعها . ولكن هل يلع

الماء معها . كلاً . فانه لو فعل ذلك لامتلات معدته ماء بدلاً من الطعام
ولاعوزه القوة . فلاتقاء ذلك امدته العناية بصنائع في فكها الاعلى ذات مادة
قرنية متناسقة تدلى منها اقلاب شعرية اكبرها الصفيحة الوسطى . ثم تستدق على
الجانين الى ان ثلاثي في الطرف . اما فكها الادنى فليس فيه صنائع بل
يحاكي في شكله الملعقة الكبيرة . فاذا اطبق فاه التجمت عليها الصنائع فيرجع
الماء . غير ان الاقلاب تضبط الحيويينات الصالحة لغذائه فتكون هذه الصنائع
كمصافٍ تدفع الضار وتأخذ النافع . وفي عظام البال الحقيقية او عاجه وفي
ثبته ونافعة كثرته

وللبال على كبره وضخامة جسمه اعداء كثيرون في البر والبحر . منها كلب
البحر الذي يضربه المحوت احياناً بذنبه الطويل فتسمع لذلك هزياً كصوت
مدفع . ومنها سمك السيف الذي يطعنه بمحسامه بدون رافة . فقد رأى ريان
كلاب بحر وسمك السيف تقاثل البال معاً والجثة مصبوعة بدمه الى امد فصيح .
وعلى ذلك كانت ضخامة جسمه لا تنفي من الاخطار . فليس له من وسيلة يفتي
بها الاسواء سوى القوص الى قعر الم حيث لا تستطيع اعداؤه مطاردته

غير ان ارباب اعدائه الانسان . فاذا جرح الصيادون ملا المحوت المائل
خاص الى عمق ميل والحرية في بدنه منوطة بالحبل بسرعة يقطع بها عشرة
اميال في الساعة . ويبقى تحت الماء نحو نصف ساعة . ثم يرمي بالماء وقد اعبا
من كثرة الحركة وما انترف من دمه فيسرع . الصيادون ويرمونه بالحرايب
فيغوص ثانية بضع دقائق ويعوم . فيطعنونه طعنات كثيرة ويخنونه بالجراح .
فيصبغ الجثة بدمه ويعيل (الزيت) من جراحه ويهيج كل المياح . وقد ينصف
القوارب بذنبه . وكثيراً ما كسرها في مثل هذه الحال . ثم يموت عائماً على جنبه
او ظهره . فيأتون بجثته الى قرب السفينة ويدوس عليها الرجال بعال محدة
(ذات شوكة حديد حذراً من التزنج) خوف الزلق ثم يأخذون بتقطيع شحمه
شرائح طويلة يأتون بها الى السفينة . ويقطعونها بضعاً صغيرة ويضعونها في

البال

١٠٥

براميل . ثم يتزعون العاج من فم ويتركون جثته في الماء فتصبح ولية للجراح
وكلاب البحر . ويوجد نوع آخر غير الآنف الذكر يزيد طوله على مئة قدم
يعيش في بحر كريتلاندا قلما يتعرض له الصيادون لسرعة جريه وشراسة اخلاقه
وليس له شحم او عاج كلاك واسمه الرور كل

قيل ان من هذه الحيتان ما يبلغ وزنه الف قنطار وشحمه نحو تسعين
قنطاراً وطول فمها ١٦ قدماً ويمر الف سنة . فاذا حسبنا معدل وزن
الرجل البالغ ٢٢ رطلاً كان ثقل البال الواحد ثقل ثلاثة آلاف رجل او
يزيد . واذا كان طول احد متديات يبروت العلوية اربعين قدماً كان البال
الواحد اطول منها بنحو مرتين ونصف

ولما كان البال يحب صغاره كثيراً يبذل الصيادون قصارى الجهد في
صيد احدها فتصرع الأم لانقاذ والدفع عنه فتعمد معه وتحميه على زعنفتها وفي
يطعنونها بالرماح والحرايب وفي لا تبالي ما دام فيها رفق . وقد وجد جماعة
من الصيادين بالاً ميتاً في البحر سنة ١٨٢٧ طوله ٦٧ قدماً وطوله ١٨ قدماً
وزنه نحو الف قنطار استخرجوا من دهنه اربعين قنطاراً (زيتاً) ونظر بعض
العلماء في امره فحكموا ان عمره نحو الف سنة . ولا عجب اذا غامر الصيادون
بصيد الحيتان فان رجيم من ذلك لا يتقص عن نحو مئة الف ليرة انكليزية
ومن انواع البال القرش وهو حوت هائل تخشاه كل حيوانات الماء
يكثُر في البحرين المتجديين وينتات بجول البحر والاسماك الكبيرة . حكى ان
الصيادين صادوا واحداً منه قرب انكلترا بعد عناء جريل بلغ طوله ٦٢ قدماً
وكان سمياً جداً استخرجوا منه ٣٦ قنطاراً زيتاً

خاتمة

وقد تركت كثيراً من حيوانات البحر واسماكها وحياتها وجوارحها وهوائها
وزخاتها ودباباتها ونباتاتها فانها مما لا تدخل تحت عدد او حساب . ويتنضي
للشرح عنها مجلدات برمتها . لم اذكر الا قليلاً من كثير على سبيل المثال .
كيف لا والموضوع كاسو مجرّ زاهر وسبع . وفرت فيه الابحاث والمطالب
والمواضيع . وما املت ذكره الحفاه واكثر الاسماك والحجرات والحشرات
واعشاب البحر العجيبة . من ذلك نباتات تصلح للصنع القرمزي وغيرها للطعام
او للعلاج او للصناعة . مثل الصودا الممتعة في صنع الزجاج وتنظيف الالتمعة
التي يجمعون منها في بريطانيا وحدها ٢٠ الف وسق انكليزي قيمة كل وسق
من عشر ليرات انكليزية الى عشرين . ومن ذلك البودين النافع في تقشّر الندد
الدرقية وطل أخرى وينفع مصوري الشمس ايضاً في صناعتهم . فضلاً عن ان
البحر سكة عظيمة للام والتاجر وعماً يعطيه من الهواء الصافي الرقيق الحامل
الصحة للتميم والقوة للضعيف . ومن الامطار والثلوج طنة البناء
والانهر والجداول . وما هذه الا حياة الانسان والحيوان
واليابسة واصل المخلّات والحائل والرياض
والغياض والمحتول وخزانة القوت
ومشهد السرور والجمال
فعبان المبدع
الحكيم



خلاصة رحلة ستانلي الافريقية الحديثة للتفتيش عن امين باشا

١

بلغ ستانلي زنجبار في شباط عام ١٨٨٧ حيث عقد محادثة مع تيبوتيب امير العرب بالنيابة عن ملك البلجيك. ووداهما ان يرفع الامير الموما اليه راية ولاية الكونغو الموضوعة تحت حماية الملك المشار اليه فوق شلالات ستانلي. ويمنع قبائل البدو الضاربة في تلك الانحاء من التعدي على ستانلي وجماعته. وان يقدم له الرجال والامدادات اللازمة لهذه الخدمة على مبلغ معلوم اتفقا عليه ثم اقلع هذا الرحالة الشهير واعوانه حول رأس الرجاء الصالح ووصلوا الى موقع بانانا في ١٨ آذار من ذلك العام. فركبت هذه التجريدة باسرها في بواخر قدمتها شركة ولاية الكونغو (غربي افريقية) ومخرت بها في النهر المذكور ثم اضطرت ان تمير على الضفاف عند شلالات ماداتي الى ليوبولدفيل (يُقصد الشروع بانشاء سكة حديدية بين هذين المكانين اللذين نحلها بقعة فسيحة حسنة الثربة والهواء)

ثم رحل ستانلي من ليوبولدفيل في نيسان وركب مع جماعته اربع بواخر وثلاثة زوارق مصفحة وبلغ نهر ارومي في حزيران حيث شاد محلة حصينة واحاطها بوشيع^(١) وغادر قسماً من الذخائر والكراع ونحو ٢٥٠ قنراً من رجاله تحت رئاسة الملاجور بارتولوت ضابط التجريدة الاول بسعة اربعة قواد انكليز آخرون. ثم واصل السير الى كافالي بصحبة طبيب ونظار اورميون ونحو ٤٠٠

رجل حمال زنجباريين وسوماليين وسودان . وكانت انباء الرحلة تصل الى
 نخلة ارويي بضعة ايام بعد سفر ستانلي ثم انقطعت كل الانقطاع . ففتشت
 الاشهر الطوال واخبار التجريدة في طي الخفاء والكان تذايع بدلا الاكاذيب
 والاراجيف عن هلاك ستانلي وامين باشا وجماعتها عن آخرهم
 ثم تبّع هذا الرحالة في ٢٨ حزيران سنة ١٨٨٧ ضفّة ارويي تاركا مؤخرة
 جيشه متحصنة في يامبوي واخذ منذ هذا الحين يغامر ونغم اخطاراً واهوالاً
 ترتد لما الفرائص ، لانه طالما كانت يدنو بسرّيته^(٢) الى قري تلك الاقطار
 الهجيّة وتسمع القبائل دردة طبل الخفير كانوا يحرقون خصاصهم واحشاشهم
 ويوغلون في مكامن الادغال يرقبون قدوم هولاء الغرياء . فكان الدثوث من
 هذه الضياع في وادي هذا النهر مثلاً راتماً يُجَبّ منه عن دماء دلا الجبل في
 المحروب الوحشية . فانهم كانوا يحضرون على مدى المسالك خفراً تضارع
 الشباك بلاونها بشظايا حادة الرؤوس تشبه السنافيد وينطونها باوراق
 الاشجار والاغصان بحيث لا يهندي لرويتها سواهم . وكان سكان هذا الغاب
 العجيب يتظفون منذ مئات من السنين طرق هذه القرى فتلوح سكة قومية
 حسنة تتحدّج سالكها . اما الطريق الحقيقية المدانية الضياع فكانت ضيقة متعرجة
 تنيه واطمها . وكان اهلها القزم^(٣) يقفون للسياح بالمرصاد ويوجهون نجوم
 السهام العامة يرمونهم بها حين كانوا يطأون تلك الخفر المتخاطة وتطنن الحراب
 اقلامهم فتختمهم بالمجراح وتوقعهم في الارتباك والتشويش . فليصوّر القارئ تأثير
 هذه المكيدة في كتيبة كذه مؤلفة من رجال زنجباريين حفاة الاقدام حاملين
 الاحمال الثقيلة . وليتأمل في ما كابده قائدهما ستانلي من العناء في جمع شرادم
 رجاله المشتتين واعادة نظامهم مراراً لا تحصى لاستئناف الكفاح مع اعدائهم
 المستترين عن الابصار على جانبي ذلك الدغل المشبك الاشجار
 ثم ظلت هذه التجريدة تعبر على ضفّة ارويي من ٥ تموز الى اواسط
 تشرين الاول . وكان لهذا النهر منظر بديع يختلف عرضه من ٥٠٠ يرد الى ٢٠٠

تجيلة جزيرات مكسوة بدوح وغياض غياض ناضرة . مرتكم بعضها باصداق
كبيرة جداً لا يقل طول بعض ركامها عن ٢٠ قدماً وعرضها عند قاعدتها
١٢ قدماً وطولها اربع اقدم

وما فتئت هذه السرىة تواصل السير رغماً عما الم بها من جراح السفايد^(٤)
وطعن الحراب بدون خسارة تذكر الى اليوم الاول من شهر آب اذ حدثت في
الوفاة الاولى . ثم اخذوا يشعرون خلال التسعة الايام التالية بالحاجة الى الزاد
وأصيب كثيرون بالمعار^(٥) فهلك عدد وفير من انفار التجريدة . ومن هذا المحين
اخذ الخطيب يتفام . وفي ١٢ آب قُتل خمسة انفار بالمهام المسمومة وجُرح
الملازم ستيرس . ثم ضلّت بعد يومين فرقة كاملة تحت رئاسة المستر جينغن .
فعراسا رجال الرحلة مزيد القلق والاضطراب . ولكنهما عادت فالتقت
برفاقها بعد تيه ستة ايام . وفي ٢٥ آب حلّ ستانلي بميماعه حذاء نهر نيبوكو
المضارع اروي عريضا حيث بندق جندلاً (شلاًلاً) شاهقاً بديعاً ويصب في النهر
المذكور . وبعد ستة ايام صادف قافلة عبيد تحت رئاسة اوغاروا . فعرفت ستانلي
انه كان غلاماً خادماً عند القبطان سيل رفيق القبطان برتن مكشف بجيرة
تاتكانيكما مع المستر غرانت (هؤلاء الثلاثة كانوا قد بلغوا ضفاف فيكتوريا
نياترا وشاهدوا النيل الايض خارجاً من طرفها الشمالي الانصى)

اما ستانلي فتشاهم كل التشاوم من هذا اللقاء مع تاجر الرقيق المذكور
وظن ان ذلك سيكون بدء التوازل . لانه لم يجتر طريق الكونغو البعيدة
ويؤثرها على طريق ماسيلاند في بلاد انياموزي او الاسكوما الا قراراً من شر
هؤلاء اللصوص وخرباً من غاراتهم ومغازيم بل من مخازيم ومواقعهم^(٦) . ولم
يكن خوفاً في غير محله اذ قرّر من رجاله باغواء هذا التاجر ٣٦ نفرًا ولحقوا
بالزعيم المذكور . ثم نالت عليه الخطوب وتراكت وكانت النازلة تعقب
الاخرى ما يضيق ابل الابطال ذرعاً^(٧) عن احتمالها . من ذلك وفي^(٨) رجاله
وكلام من خرق طريق لم في ذلك الايك^(٩) المثبتك بعد ان فحكت بهم اسنة

ومن العجب العجيب ان ستاني وانباعه داملو بخرقون طرفهم بالفوس
والماعول مشاة مئة وستين يوماً من اواخر حزيران الى اواسط تشرين الثاني
وسط غابر واحد بتشكّل في الموت الرطام ^(١١) اشكالا تروع السامع فكيف بين
ملكه وعارك بنصفه امواله . فقد كتب هذا الرحالة الى صديقه المستر بروس
بما يأتي

”تصور غاباً اثنيًا (١٢) ينظر ماء متلبداً بالانجم والرتم (١٤) والعوج تحت ظل
اشجار انواعها تنوع الاحصاء لا يخرقها نور الشمس علوها من مئة قدم الى مئة
وثمانين . وقد تكاثفت في ارضها الاشواك كالعلق والفتاد . والموى والوداد
متعرجة في ارجائها تجري فيها احيانا اهر كبيرة . وارس على لوح فكرك هذه
الآحة الوسيلة الشجر (١٥) المتعاقبة عليها كل اطوار الحياة النباتية بين درجتي
الانحلال والتمو وبين الفسيل (١٦) والدوحة (١٧) قري هنا شجرة قديمة معلقة فوق
رأسك كما بشجرة ثلثي للمعوط وتكاد يهبط عليك فحطبك ، ومثالك اخرى
مقاطعة في خط عرضي تمتد عليك الميول . والنبل والهوام والحشرات من كل
الاجناس والانواع والافئار تطن (١٨) وتقع وتكش وتخت وتصر خولك . والقرود
والشبابزي فوق رأسك تفحك وثوابب والطيور تعر (١٩) وتصرصر وتصر وتهدر
وتتفقع وتنجح باصاوعها الغريبة . والحوانات ترأر (٢٠) وتغوي وهمر وتود وتغضب
وتجبل . وترى حراجل الاقيال عرول وتعدو على الجانيين . وجبل الحشرات (٢١)

المظلة كاصنام جامدة او كجنوح يابسة بايديهم الحراب المسمومة موجهة نحوك ليرموك بها على غرة^(١٢). والامطار تغدق شائب^(١٣) ويعاليل رذاذاً وودقا وابللاً اكثر ايام السنة. والهواء حامل جرائم الحبيبات الويلة والقتام منتشر بهاراً والظلام مدلم ليلاً. ثم تصوّر غابة كهذه ممتدة من يليموث الى يترهيد (اي من اول أنكلترا الى آخرها) فاذا استطعت ان ترسم في فكرك صورة كهذه امكنت معرفة بعض ما كابدناه في هذه الرحلة الهائلة

اما الشهر الاخير الذي صرفته هذه التجربة في خرق طريقها بين تلك الجاهل الشاسعة فكان زماناً يكل اللسان والبراع عن وصف شؤمه ودوامه. لان البدو كانوا اخلوا هذه الممالك والاقاليم من الاقوات والبشر فلم يجد ستانلي وقومه للزاد اثراً. فخارت قواهم وونت عزائمهم ونفك بهم السعار فتكاثروا دونه مصارع البنادق النارية في معامع الحروب. ففقد من رجال الرحلة بين حلة اوغارو وبين هجر كيلينكا لونكا (اسم وكيل تاجر عبيد ونجباري) خمسة وخمسون نفراً جوعاً او فراراً. وكان طعام القافلة الاول الفطر وثراً آخر برياً يشبه الخرنوب وهذا الزاد اضطرهم الى التفتيش عنه وجمع قدر عظيم منه لاشباع قمر^(١٤) هؤلاء القوم الجياع. ثم لما بلغوا كيلينكا لونكا تذر على ستانلي نفسه منع اتباعه من بيع لباسهم وذخائرهم حتى سلاحهم ايضاً الذي هو واسطة دفاعهم ووقايتهم الوحيدة في تلك الادغال الملائى بالاختطار لشراء اخس الطعام واحقره. مع ان قائدهم الموماً اليه بذل قصارى جهده ونفذه وسطوته في حلمهم على العدول عن ذلك. ولما رحلت التجربة عن هذا المهجر كان رجالها الافريقيون في حال يكاد يرق لما الحماة وتمزق لاجلها القلوب صفر الوجوه عراة الابلان حاة الاقلام ضيلون^(١٥) كأنهم شحاذو بني سامان او اشباح خارجة من قبور

فترك ستانلي في هذا المهجر القبطان نلنن احد قواده تحت عناية جراح التجربة الماهر الدكتور بارك. لان فرط السم والعناء كانا قد اضعفا الموماً

اليه وارجأه على التريض هناك للراحة . ووضع تحت عناية هذين الرجلين سبعين حملاً من المؤونة والبضائع ليجر حاملها عن حملها بعد . ولودع هناك ايضاً سفينة كبيرة كانوا فككوها وحمل المحملون اجزاءها على ظهورهم وكانت هذه السفينة معدة للمير على بحيرة البرت نياترا . وكذلك غادروا في هذا المحل تحت قيادة الموما اليها ثمانية وثلاثين نفرًا زنجباريًا من كان قد اتهمهم الرقي والسغب . فتك بهؤلاء بعد رحيل التجربة المرض والجوع وشظف العيش حتى لم يبق منهم سوى احد عشر نفرًا انضموا بعدئذ الى رجال القافلة . اما الذين لبثوا في محلة اوغاروا وعددهم ستة وخمسون فهلكوا ايضاً ولم يسلم منهم الا ستة عشر نفرًا

ثم بلغ ستانلي وسريته بعد اثني عشر يوماً اقليم ايبوري وهو طرف الدغل الشرقي الاقصى . فاقمت ابصار السفر على فلولات السهول القسيمة الخضراء حتى كادوا يطربون فرحاً وجوراً وهتفوا باصوات الابهاج والجزل . قال ستانلي ان هذا الغاب تبلغ مساحته خمسة اضعاف مساحة انكلترا برمتها وتعدل ٢٥٠٠٠٠ ميل مربع . فتصور سرور الرجال في رؤيتهم الحقول الناضرة بعد ان اضنام الايقال في هذه الاحة المائلة واياها اكثرهم بالحبيات والديسطاريا وسهام القزم . وبعد ان غشيتهم الغيوم وكابة القلب من ظلام هذه الفيضة وتلبذ غيومها . اما الآن فانقضت بوصولهم الى هذه السهول الثوابت والنوازل اقلة الى حين

وكتب المستر ستانلي الى السير وليم ماكنن ما يأتي

”كنا ورجالنا عجافاً كهيكل عظام . وانحط عددنا من ٢٨٩ الى ١٧٤ وقد فسد اكثرنا من الحياة . لان الارزاء الفادحة والدواهي المائلة كانت قد نوات علينا وتعاقت حتى ظننا ان لانهاية لهذا الدوح التاسع . ولم يصدق رجالنا الا فريقون انا سوف نرى سهولاً ومواشي ونصل الى بحيرة نياترا ونرى الرجل الايض (امين باشا) بل كانوا لا يعبأون بالبحج واليوانات ولا يكثرثون

بكلامنا اللطيف. فان الجوع والآلام المبرحة كانت قد ذهبت بصبرهم وبذدت
 آمالهم ادراج الرياح. ففسدت اخلاقهم وانحطت آدابهم فباعوا السخنة وثيابهم
 قبضة سنابل حنطة او بيضة حبوب ذرة وفروا بصناديق الامتعة الخ. فلبننا
 في ايسويري ثلاثة عشر يوماً نشج اجوافنا بالنهام الدجاج والماعز والموز
 وخبز الحنطة والبطاطا الخ... وكنا لا نزال بعيدين عن البحيرة ١٢٦ ميلاً.
 ولكن لما كانت قد تجددت قوانا بما تناولناه من الزاد لم نعبأ بهذه المسافة
 الباقية... وبعد ان سدل علينا الظلام بجوف الكعبة ١٦٠ يوماً شاهدنا في
 الختام انوار الغزالة نأتق على تلك الحقول النضرة والطبيعة متوشحة بمطارف
 الجبال حتى كدنا لا نصدق ما نراه ببيوتنا. ولم يدُر في خلدنا اننا ستظفر
 بروية اقاليم خضراء كهذه. فتعائب الرجال سروراً ودوت تلك الاقطار
 باصوات المتعاف والتهليل. ووقضت^(٢٦) الاوقاض^(٢٧) تعدو باحمالنا على تلك
 البقاع كأنها استأنفت ما كان لها من النشاط والجزل في يوم رحلتها الاول
 ثم دخلت الثجريدة في اليوم التاسع من كانون الاول بلاد زعيم يدعى
 مازامبوني. وكان هذا القطر آملاً بالسكان والضياح تكاد تصل بعضها ببعض
 حتى كأن السكة كلها شارع واحد مديد. فلما رأى مازامبوني هذا الجيوش
 الغريب الطارق بلاده ساءه الامر وعول على طرده. فدردبوا طبول
 الحرب ونفخوا بالابواق واندفع القوم يعدون من سائر الجهات. وانتشروا على
 تلك الروابي والآكام يزعمون زعقات دوت لها الاودية واجابها رجع الصدى
 على غوارب المضارب. واخذت كتائب الهمج وكرادبعها المرأة تخدر على تلك
 العربة الى المنوح اختلار السيل. فنظم ستانلي عمكره وجعل له جناحين على
 المينة والميرة وقدم بالقلب الى الامام. فدحر جيوش الهمج وردّها ناكسة
 على الاعقاب تستعبد بالهتما من شياطين البنادق النارية بعد ان استبشرت
 صباحاً بالحصول على غنيمة باردة. غير ان الكناج لم يكن قد انقضى بل
 استأنف الهمج الكرة في اليوم التاسع وما حمل الثجريدة اربع مرات. وفي اليوم

الثالث كان القتال مستمراً . فلم يكف هولا البرابرة عن الاندفاع من قرام فوق الروابي على ساقفة عسكر ستانلي اندفاع الميول . قال الموما اليه " ولم نستطع ان نعلم على المكينة والثاني كي نفقد معهم صلحاً بل اضطررنا الى منازلهم بينادق رامتن ورميم بالنار ضارين في السير الى الامام حتى بلغنا يلة نياترا حيث ظفنا بالراحة والفرج "

ثم بعد ان نزل الركب في ١٢ كانون الاول سنة ١٨٨٧ الساعة واحدة بعد الظهر زمناً قصيراً للراحة ومناولة الطعام اوغل في سيره الى الامام شرقاً . قال ستانلي ما ترجمة ملخصه

فنهنت بعد ربع ساعة قائلاً هبوا انفسكم لمساعدة نياترا فتأقف الرجال وارتابوا وقالوا بعضهم لبعض ترى لماذا يتكلم معنا القائد هكذا . أحذه في نياترا أما ترى سهلاً فسيماً والجبال تبعد عنه مسافة اربعة ايام على الاقل . ولكن لم تأت الساعة واحدة ونصف بعد الظهر حتى ظهرت نياترا تفرق مياهها الصافية امامنا . فسألت الجماعة ماذا ترون هناك ؟ واذا بكثيرين اقبلوا يقبلون يدي معترفين بخطاتهم ومعذرتهم عنه . فما استطعت ان افوه بكلمة وحسبت ذلك جزاء يبعث على السرور والعزاء . وكانت كافالي تلتفنا على مسافة ستة اميال . وفي حد التجربة البري الاقصى ووراءها مياه البرت نياترا الزاخرة الزرقاء

اما بحر الاروبي الذي مشى ستانلي في واديه اميلاً عديدة واشتغل في قطعه اباناً لا تنقأ حوادثه الخطيرة تذكر كلها قري تاريخ هذا الاكتشاف العظيم فخرج من نحو شمال غربي البحيرة . ويبعد عن صعيد يامبوا نحو مائة ميل ثم يُبدل اسمه بصومالي . ولكن متى دنوت من ملتقى فيبوكو يتغير اسمه الى نيقولا . ثم متى قطعت هذه الحماس يتحول اسمه الى نوويل . وعلى بعد ٢٠٠ ميل من اتصاله مع الكونفو يدعى ايتوري وهو نفس الاسم الذي يُسمى به عند منبعه . وكان الاقليم الذي اجتازوه على ضفة النهر متقدراً قليلاً من صعيد نياترا الى وادي الكونفو الاعلى . اما هذا الميل فيبلغ اربعة آلاف قدم . ولم تكن في الشال

ارض اعظم ارتفاعاً من خمسة آلاف الى ستة آلاف قدم. اما في الجنوب فقرى على مسافة خمسين ميلاً جبال روبيتوري الشاهقة (مناج النيل) وكان يتكلم النور بين يامبوا ونياترا بخمس لغات متميزة . والقرى وفيرة العدد والاقوات كثيرة الا في الحال التي عاث فيها عرب البادية فجعلوها اطلالاً دارة . قال ستانلي " منذ وطننا الحقل النضرة على امد ٥٠ ميلاً عن نياترا لم نر عمياً يسم ولا عواطف وافكار تنفث عن اللطف والرفقة ولا مبادئ واخلافاً اديبة بل همجا بربرة في اقصى التوحش دأبهم القدر والحجامة . اما النور من قبائل اليامبوني فاسوأ خلقاً وخلقاً من هولاء "

ثم بلغ ستانلي البحيرة ولكنه لم يسمع شيئاً عن امين باشا وقومه . ولما اعيتته الوسائل في الوقوف على انبائه عزم ان يقفل راجعاً بين قبائل الباريفا العدوانية . ولما وصل الى ايسويري بنى صرحاً سماه "فورت بودو" وبعث من هناك الى كيلينكا لوتكا البعيدة ١٢٠ ميلاً بمئة رجل تحت قيادة الملازم ستيرس ليأتي بالسفينة والذخائر والامتنع والقبطان نلسم والطبيب يارك. ثم آب عند رجوعهم المرة الثانية الى البحيرة تاركاً في فورت بودو اثنان من رجاله تحت قيادة ضباطه الامريين. حيث مكثوا شهوراً زرعوا في خلالها وحصدوا واستغلوا وتزودوا . اما ستانلي فعاد برجاله في الثاني من نيسان عام ١٨٨٨ . وكانت هذه الرحلة الثالثة بين القبائل الهيمية والبلاد النضرة . فحاول استعطاف خواطر الامالي واسترضاهم بالملاطفات والهدايا وعقد مع زعمائهم صلحاً خطاً بالدم حسب العوائد الجارية . وكان الزعيم مازامبوني اول من ابرم معه هذه المحادثة

ثم ارسل ستانلي المسترجعين في السفينة الى موقف مصراً الواقع في اقصى تخوم منصر امين باشا الجنوبية . بناء على رقيم ورد له من الموما اليو في غيايو . اذ كان قد بلغه قدم رجل اميض الى طرف البحيرة الجنوبي . فحل ملا الرحالة في نفس المحل الذي كان قد بلغه في كانون الاول الغابر

وفي التاسع والعشرين من نيسان سنة ١٨٨٨ الماعة الخامسة بعد الظهر
ترامت لة العفينة المعاة بالحدديوي تمير على مياه البحيرة . ولم تنقضي ساعتان
من ذلك الحين حتى اتى اللحظة امين باشا نفعة والعمير كاساتي والمتر جيفسن
ولا تسَل عن عواطف الحبور والابتهاج التي سادت حيثئذ على هذين الرجلين
المجولين الفاضلين في هذا اللقاء الغريب بعد مغامرات واخطار ترقد لهما
فراقص الابطال الصناديد. فتعزى ستانلي بهذا الاجتماع عما ألم به من النوازل
والتائب كل العزاء وتبادل مع خليله الجديد صهبا الاحاديث والمعارف
وبث أحدهما للآخر اسرار الحوادث والمآجريات وما طرأ عليها من السراء
والضراء. وكانت حيثئذ ابصار اوربا قاطبة والعالم العلمي بأسره متجهة الى هذه
الاصقاع لاستطلاع انباء هذين الرجلين الخطيرين

- (١) ما جيل حول الحديقة من الشجر والشوك (٢) الجماعة من
- الناس من خمسة انفس الى ثلاث مئة او اربع مئة (٣) الصغار البنية
- (٤) جمع شؤد وفي حديقة يشوى عليها (٥) شدة المجموع (٦) هالك
- (٧) قدرة او بسط اليد (٨) تعب (٩) الشجر الكبير الملتفت
- (١٠) جماعات (١١) قصار القامة (١٢) الموت الكريه
- (١٣) كثير ملتفت (١٤) نبات دقيق (١٥) كثيرة الشجر
- (١٦) الشجرة الصغيرة (١٧) الشجرة العظيمة (١٨) هذه الكفة وما
- بعدها حكاية بعض اصوات الطيور (٢٠) هذه الكفة وما بعدها حكاية
- بعض اصوات الوحوش (٢١) جمع حرقق وهو القصير الدميم
- (٢٢) غلة (٢٣) درجات مطلق الامطار في القلة والكثرة
- (٢٤) شدة المجموع (٢٥) فجيلون (٢٦) اسرعت (٢٧) فِرَق
- من الناس او الجماعات

خلاصة رحلة ستانلي الإفريقية الحديثة

للتفتيش عن أمين باشا

٣

ثم بعد بضعة أيام من هذا اللقاء نقل ستانلي محله إلى مكان أوفر ملاءمة حيث مكث إلى ٢٥ أيار. أما أمين باشا فأبى الرجوع ومغادرة رجاله والأقليم الخصب الذي كان سائلا عليه. وصرف ستانلي الشهر كله في محاجته وإفناعه على العود لكن على غير طائل حتى كاد ينفد صبره ويأس وتذهب النفقات والبشقات التي كابدتها لأجله أدراج الرياح. ولورؤنا بسط المحاورات والآحاديث التي دارت بينهما ذا الصدد لشغل ذلك صفحات كثيرة. فأضربنا عن ذلك خشية التطويل والخروج عن الموضوع.

ولما رأى ستانلي تردد أمين باشا وضياح الزمان عبثا خطر على باله الهاجور بارثلوت وسائر رجال التجريدة

الَّذِينَ كَانَتْ قَدْ تَرَكَهُمْ فِي يَامُبُوْيَا وَلَمْ يَسْمَعْ عَنْهُمْ شَيْئًا مِنْذُ
فَارَقَهُمْ فِي بَدْءِ الرِّحْلَةِ. فَعَزَمَ عَلَى الْآيَابِ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُ يُلَاقِيهِمْ
قَادِمِينَ فِي الطَّرِيقِ نَفْسَهَا. وَمِنْ ثَمَّ وَدَّعَ أَمِينَ بَاشَا تَارِكًا
مَعَهُ الْمِسْتَرِ جِيفْسُنَ وَتَعَاهَدًا عَلَى أَنَّ الْبَاشَا يُنْجِي قَوْمَهُ بِمَقَاصِدِ
سْتَانَلِي وَمَرَاجِلِهِ. ثُمَّ يَزُورُ صَرْحَ "فُورْت بُوْدُو" وَيَأْتِي بِقُوَادِ
الرِّحْلَةِ وَرِجَالِهَا الْبَاقِينَ هُنَاكَ بَعْدَ إِخْلَافِ الصَّرْحِ وَمَعْدَمِهِ.
ثُمَّ سَارَ سْتَانَلِي بِرِجَالِهِ الزَّنْجِيَّارِيِّينَ وَلَمْ يَأْخُذْ مَعَهُ إِلَّا كَبِيَّةً
قَلِيلَةً مِنَ الزَّادِ وَالْأَمْتَعَةِ وَالْكَرَاعِ "بُغِيَّةَ التَّخْفِيفِ عَنْهُمْ
وَلِزِيَادَةِ الْحَثِّ عَلَى السَّيْرِ. فَبَلَغَ فُورْت بُوْدُو فِي ٨ حَزِيرَانَ
سَنَةِ ١٨٨٨ وَرَأَاهُ فِي حَالٍ زَائِرَةٍ لِأَنَّ أَعْوَانَهُ كَانُوا قَدْ زَرَعُوا
خِلَالَ هَذِهِ الْمُدَّةِ الْحِنْطَةَ وَالْفُولَ وَالْمُوزَ وَاسْتَغْلَوْا الْخِلَالَ
وَبَنَوْا بُيُوتًا حَسَنَةً وَبَيَّضُوهَا بِالْكِلْسِ وَالْجَصِّ وَكَانَتْ صِحَّةُ
الْجَمِيعِ فِي خَيْرِ حَالٍ

فَأَعْطَى سْتَانَلِي الْأَمِيرَ الْأَازِمَةَ لِقُودِهِ الْمُلَازِمِ سَتِيرِسَ
وَالْقُبْطَانَ نِلْسَنَ وَالدُّكْتُورَ بَارَكَ. وَأَخَذَ يَضْرِبُ مَعَ
أَنْصَارِهِ الْبَالِغِ عِنْدَهُمْ ٢١٢ فِي ذَلِكَ الدَّغْلِ الْهَائِلِ إِلَى أَنْ
وَصَلَ بَعْدَ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ إِلَى كِيلِينْكَالُونْكَ. وَبَعْدَ شَهْرِ بَلَغَ

أَوْغَارُوا. فَوَجَدَ تَاجِرَ الرَّفِيقِ الْمَذْكُورَ قَدْ سَلَبَ الْعَاجَ كُلَّهُ
 مِنْ سُكَّانِ تِلْكَ الْبِلَادِ وَرَحَلَ بِقَوْمِهِ إِلَى مَكَلَّةَ^(١٠) جَدِيدَةٍ.
 فَاسْتَنْبَ لِسَنَائِي الْحُصُولُ عَلَى قَوَارِبَ رَكِبَهَا وَجَدَفَ بِهَا فِي
 النَّهْرِ إِلَى أَنْ لَحِقَ بِالتَّاجِرِ أَوْغَارُوا بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَسَابِيعَ فِي ١٠
 أَبٍ وَاجْتَمَعَ بِنَيْفَةِ رِجَالِهِ. وَبَطُولُ بِنَا الْوَقْتُ إِنَّ رُؤْمَنَا
 الْأَنْصَاحَ عَمَّا أَلَمَ بِهِاتَيْنِ الشَّرِذِمَتَيْنِ الْهُدُوعَيْنِ فِي
 الْمَكَائِنِ الْبَارِ ذِكْرُهُمَا. غَيْرَ أَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا
 بِالنِّسْبَةِ لِلنَّازِلَةِ الْفَادِحَةِ^(١١) الَّتِي حَلَّتْ بِالْمَاجُورِ بَارْتُلُوتَ
 وَرِجَالِهِ فِي يَامُؤَيَا. فَإِنَّ الْهُومَاءَ إِلَيْهِ بَعْدَ أَنْ بَنَى لِنَفْسِهِ هُنَاكَ
 حِصْنَ مَكَّةَ اثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا يَنْتَظِرُ إِمْدَادَ تَيْبُوتِيبَ إِيَّاهُ
 بِالْحَمَالِينِ وَلَمْ يَفُزْ بِالْمَرْغُوبِ. فَقَدْ تَصَوَّرَ الْمَذْكُورُ عَقِيبَ
 إِيغَالِ^(١٢) سَنَائِي فِي تِلْكَ الْغِيَاضِ وَانْقِطَاعِ أَخْبَارِهِ شَهْرًا أَنَّهُ
 هَلَكَ مَعَ رِجَالِهِ وَأَمْسَى صَكُّ الْمِعَاهِدَةِ مَلْغَى. وَخَالَ أَيْضًا
 أَنَّ لِلْمُشَارِ إِلَيْهِ مَارِبَ أُخْرَى فِي تِلْكَ الْفَارَةِ فَضْلًا عَنْ
 التَّفْتِيشِ عَنْ أَمِينٍ بَاشَا غَايَمَهَا الطُّهُوحُ إِلَى الْمَلِكِ وَالسِّيَادَةِ.
 فَأَخَذَ يُوجِلُ إِيْفَاءَ الْوَعْدِ وَيُهَاطِلُ مُتَعَلِّلًا بِأَنَّهُ لَمْ يَتَسَنَّ لَهُ
 وَجُودُ حَمَالِينِ إِلَى أَنْ عِيلَ صَبْرُ بَارْتُلُوتَ وَعَرَاهُ الْيَأْسُ

وَالْقَنُوطُ. فَحَلَّ مَعَ الْبَسِيزِ جَيْهَنُ لِلْإِجْبَاعِ يَتَّبِعُونِي
وَقِيَامِ أَنْجَةٍ عَلَيْهِ شَخْصًا. فَأَتَجَلَّتِ النَّيْجَةُ عَنْ إِذْعَانِ هَذَا
الْأَمِيرِ لِبَطَالِبِ بَارْتُلُوتَ حَسَبَ الظَّاهِرِ وَلِمَدَايِهِ بِالرِّجَالِ
مُضْمَرًا الْإِيقَاعَ بِهِ ^{١٧} وَأَخَذَهُ غِيلَةً ^{١٨}. فَأَمَرَ أَعُوَانَهُ سِرًّا بِقَتْلِ
الْمَاجُورِ مَتَى أَسَاءَ مُعَامَلَتَهُمْ

وَكَانَ بَارْتُلُوتُ قَدْ قَدَّ أَثَاءَ ذَلِكَ فَائِدَيْنِ مِنْ قُوَادِ
الْحِمْلَةِ وَهُمَا الْبَسِيزُ رُوزِنَرُوبُ وَالْبَسِيزُ وَارِدُ. فَإِنَّ الْأَوَّلَ
أُصِيبَ بِالنَّحْيِ وَرَحَلَ إِلَى إِنْكَلِيرَا وَالثَّانِي سَافَرَ إِلَى السَّوَاخِلِ
لِمَكَاتِبَةِ لَجَنَةِ الْإِعَانَةِ فِي بَرِيطَانِيَا. فَاتَّهَزَ أُولَئِكَ الرَّعَاعُ
الْبَغَاةَ الْفُرْصَةَ وَفَتَكُوا بِالْمَاجُورِ بَارْتُلُوتَ فِي ١٩ نَهْزِ
عَامِ ١٨٨٨ فَاسْرَعَ الْفَائِدَانِ الْبَاقِيَانِ وَهُمَا الْبَسِيزُ جَيْهَنُ
وَالْبَسِيزُ بُونِي بَعْدَ مَقْتَلِ بَارْتُلُوتَ إِلَى بَنْغَالَا لِاسْتِخْدَامِ
حَمَالَيْنِ آخَرَيْنِ. غَيْرَ أَنَّ الْأَوَّلَ أُصِيبَ بِالنَّحْيِ وَقَضَى ^{١٩}
بَعْدَ زَمَنِ وَجِيرٍ. فَبَقِيَ الْبَسِيزُ بُونِي الضَّابِطُ الْأَصْغَرُ وَحْدَهُ
فَائِدَا لِسَائِرِ رِجَالِ التَّجْرِيدَةِ الْبَاقِينَ. وَهُوَ وَحْدَهُ لَاقَى سَتَانِلِي
فِي بُونَا لَابَا عَلَى مَسَافَةٍ بَضْعِ مَرَاكِجٍ عَنْ يَامْبُويَا. فَلَا تَسْلَ عَمَّا
عَرَاهُمَا الرَّحَالَةُ مِنَ الْغُومِ وَالْأَحْزَانِ عِنْدَ رُؤْيِهِمَا حَلَّ

بِقُوَادِهِ وَرِجَالِهِ مِنَ النَّوَازِلِ وَالْخُطُوبِ . بَعْدَ أَنْ سَارَ ثَلَاثَةَ
شُهُورٍ يَنْشُدُهُمْ^(١) مَعَانِيًا فِي مَرَاحِلِهِ أَشَقَّ الْخَطَايِرِ وَالْأَتْعَابِ
الَّتِي يَكِلُ اللِّسَانُ عَنْ وَصْفِ بَعْضِهَا . فَإِنَّهُ لَمْ يُصَادِفْ مِنْ
قُوَادِهِ الْخَمْسَةِ إِلَّا إِلَى عَهْدِ إِلَيْهِمْ رِثَاسَةً مُؤَخَّرَةً أَتَجَشَّ سِوَى
رَجُلٍ وَاحِدٍ . وَمِنْ سَرِيَّتِهِ الْبَالِغَةِ ٢٧٥ نَفَرًا غَيْرَ ٧١ وَمِنْ
الدَّخَائِرِ وَالْأَمْنَعَةِ وَالْمُونِ وَالْهَلَابِسِ وَالْأَدْوِيَةِ الَّتِي تَرْكُهَا
إِلَّا قَدْرًا زَهِيدًا لَا يُعْتَدُّ بِهِ . غَيْرَ أَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ مَا كَانَ لِيُخْبِدُ
عِزَّمَ هَذَا الصَّنْدِيدِ الْبَاسِلِ أَوْ يُضَعِفُ هِمَّتَهُ . فَكَتَبَ فِي أَحْمَالِ
إِلَى تِسْوِيبٍ وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُذَرِّكَ بِالرِّجَالِ وَالْهَدَدِ فِي ٢٧
أَبْ إِذَا امْكَنَ . وَأَوْغَلَ فِي ذَلِكَ الدُّوْحَ^(٢) الْهَرَّةَ الثَّلَاثَةَ .
فَأَحْجَبَ بَيْنَ أَيْكِهِ^(٣) الْمَشْتَبِكِ عَنْ أَبْصَارِ الْهَلَا . وَمَا عَمَّ
حَتَّى أَمْسَى هَدَفًا لِحِرَابِ الْقَبَائِلِ الْعَجِيَّةِ وَقَتْلِ طَوَائِفِ الْقُرْمِ
وَأَنْيَابِ الْوُحُوشِ وَحُمَاتِ الْحَشَرَاتِ
غَيْرَ أَنَّ الْعِنَايَةَ أَسْعَفَتْهُ بِالنَّجَاةِ فَبَلَغَ مَحَلًّا يَبْعُدُ قَلِيلًا عَنْ
مَحَلِّهِ أَوْغَارًا السَّابِقَةِ . ثُمَّ حَاوَلَ السَّيْرَ عَلَى ضَفَةِ الْأَرُوبِيِّ
الْبَهْنِيِّ الْمَسْمِيِّ هُنَا نُوُوبِلَ أَوْ إِبْتُورِي . فَتَبَعَ مَجْرَاهُ شِمَالًا
لِلنَّفْتِيشِ عَنْ مَكَانٍ يَتَسَرَّدُ بِهِ قَطْعُهُ . فَعَثَرَ عَلَى فَرْعٍ يَتَشَعَّبُ

إِلَيْهِ النَّهْرُ حَيْثُ جَازَ بِرِجَالِهِ إِلَى الصَّفَةِ الْأُخْرَى . وَقَبَضَ
عَلَى بَضْعَةٍ قُرْمِ أَنْبَاؤُهُ أَنَّ أَسْمَ هَذَا الْجَدُولِ دُوي . أَمَّا هَذَا
الْأَفْلِيمُ فَلَمْ تَطَاهُ بَعْدُ أَرْجُلُ السَّيَاحِ وَتُجَارُ الْأَرْقَاءِ وَهُوَ
مُزْدَحِمٌ بِقَبَائِلِ الْيَامْبُونِي الْحَنَادِلِ ^(١٠) . وَهُوَ أَبْكُ قَصِي لَا يُنْزِكُ
لَهُ الْهَاسَفُ حَنًا

فَحَلَّتْ بِسَتَانِلِي وَتَجَرَّيْدَتِهِ بَيْنَ فَرَعِي هَذَا النَّهْرِ نَازِلَةً
كَادَتْ تَدْمُرُهُمْ تَدْمِيرًا . وَهِيَ جُوعٌ شَدِيدٌ أَصَابَهُمْ بِسَبَبِ نَفَادِ
الزَّادِ حَتَّى أَشْرَفُوا عَلَى الْهَوْتِ . قَالَ سَتَانِلِي لَمْ أَصْبِ فِي سَائِرِ
أَيَّامِ اسْفَارِي الْأَفْرِيقَةِ بِهَيْئِلِ هَذَا السَّغْبِ . فَأَرْسَلْتُ ١٥٠
رَجُلًا يَنْتَشُونَ عَمَّا يُؤْكَلُ فِي تِلْكَ الْأَرْجَاءِ وَعَيَّنْتُ خِلَالَ
نِسْعَةِ أَيَّامٍ لِلْمَيْتَةِ وَالثَّلَاثِينَ نَفَرًا الْبَاقِينَ مَعِيَ مَرَقًا مُرْكَبًا مِنْ
مِزْوَدٍ زُبْدَةٍ وَمِزْوَدٍ لَبَنٍ خَائِرٍ وَكَاسٍ دَقِيقٍ وَمَاءٍ وَعَلَّلْتُ
بِهَذَا الْقَدْرِ الْقَلِيلِ هَوْلَاءِ الْقَوْمِ الْجَمَاعَ الْوَافِرِي الْعَدَدِ . إِلَى
أَنْ أَنْكَفَأَ رِفَاقَهُمْ بِحِمْلُونَ الزَّادِ . وَلَكِنْ بَعْدَ أَنْ فَتَكَ السَّعَارُ
بِوَاحِدٍ وَعِشْرِينَ نَفَرًا فَقَضَوْا فَرِيسَةَ الْجُوعِ فِي هَذِهِ الْمَسْجَةِ ^(١١)
ثُمَّ قَطَعُوا فِي ١٨ كَانُونِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ١٨٨٨ نَهْرَ تُوْرُو
وَبَعْدَ يَوْمَيْنِ بَلَّغُوا صَرْحَ بُدُو . فَوَجَدَ سَتَانِلِي رِجَالَهُ مَآكِنِينَ

هَذَاكَ خِلَافًا لِعَهْدِهِ مَعَ أَمِينٍ بَاشَا وَلَمْ يَسْمَعْ عَنِ الْهُومَا إِلَيْهِ
 نَبَأًا وَلَا عَنْ الْبِيسْتَرِ جِيْفَسُنْ وَسَائِرِ الرِّجَالِ الْبِيزِي فِي
 الْأَبْرَثِ نِيَانْزَا. وَكَانَ قَدْ تَقَضَّى عَلَيْهِ مِنْذُ فَارَقَهَا سَبْعَةُ شُهُورٍ
 عَلَى أَنَّ الْبَحِيرَةَ لَمْ تَكُنْ تَبْعُدُ عَنِ الْحِصْنِ أَكْثَرَ مِنْ خَمْسِ
 عَشْرَةِ مَرَحَلَةٍ. وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى عُسْرِ الْإِتِّصَالِ فِي قَلْبِ هَذِهِ
 الْقَارَةِ الْهَلَايَ بِالْغَرَائِبِ.

وَلَمَّا كَانَتْ أَفْكَارُ سَنَائِي مُضْطَرِبَةً عَلَى أَمِينٍ بَاشَا وَالْبِيسْتَرِ
 جِيْفَسُنْ رَحَلَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ إِلَى الْبَحِيرَةِ وَجَارَ سَهُولَ
 إِيْبِيْرِي وَبِطَاحَ الْبَارِيغَا الْهَرَّةِ الْخَامِسَةِ. وَكَانَتْ عَشَائِرُ
 هَذِهِ السُّهُولِ وَزُعَمَاؤُهَا الْآنَ فِي وُدَادٍ وَمُصَافَاةٍ مَعَ هَذَا
 الرَّحَالَةِ فَأَمَدُوهُ بِالْأَفْوَاتِ وَأَمَدَّهُمْ بِالْهَدَايَا حَتَّى كَادَ يَبْلُغُ
 الْبَحِيرَةَ وَلَمْ يَسْمَعْ نَبَأًا عَنْ أَمِينٍ بَاشَا. ثُمَّ لَمَّا أَوْشَكَ الْبُلُوغُ
 إِلَيْهَا أَنَاهُ رَفِيعٌ كَانَ قَدْ خَطَّهُ الْبِيسْتَرُ جِيْفَسُنْ وَرِسَالَتَانِ كَانَتْ
 بَعَثَ بِهِمَا أَمِينُ بَاشَا يُخْبِرَانِهِ أَنَّهَا فِي أَسْرِ الْعَسَاكِرِ الْعَصَاةِ
 وَأَنَّ الْبَهْدِيِّينَ يَعْثُونَ^(١) فِي ذَلِكَ الْإِقْلِيمِ وَقَدْ اسْتَوْلَوْا عَلَى
 لَادُوا. فَانْسَى هَذَا اتَّخَطَبُ الْجَدِيدُ سَنَائِي نَازِلَةً يَأْمُوبَا .
 وَأَمْسَى غَرَضًا لِعَوَامِلِ الْفَلَقِ وَالْبَحِيرَةِ. وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ

الْهَدْيُونَ قَدْ اسْتَظْهَرُوا عَلَى ضَبَاطِ أَمِينٍ بَاشَا الْعَصَا رَأَى
 هَؤُلَاءِ الْقَوَادِ أَنْفُسَهُمْ فِي حَاجَةٍ إِلَى مَهَارَةِ الْبَاشَا الْعَسْكَرِيَّةِ
 فَأَطْلَقُوهُ مِنَ الْأَسْرِ. غَيْرَ أَنَّ سُلْطَنَهُ كَانَ قَدْ تَلَّصَّ ظِلِّهَا
 فَأَعْتَرَلَ مَعَ الْهَيْسَرِ جَيْفُسَنَ وَالسَّنْيُورِ كَاسَانِي إِلَى وَاْدِلَايَ.
 ثُمَّ لَمْ تَعْمُ الْأَحْوَالُ حَتَّى عَادَتْ إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ. فَإِنَّ
 الْهَدْيِيَّيْنَ ظَلُّوا يَتَقَدَّمُونَ جَنُوبًا ظَافِرِينَ. فَفَرَّ أَمِينُ بَاشَا
 وَرَفِيقَاهُ إِلَى تَوْرُجُو الْبَعِيدَةِ عَنْ مَحَلَّةِ سَنَائِي نَحْوَ مَرَحَلَتَيْنِ.
 وَهَذَا جَرَى حِينَ كَانَ سَنَائِي فِي غَيْضَةِ أَرْوَيْي وَلَمْ يَلْغُ
 أَمِينُ بَاشَا خَبْرَ قُدُومِهِ حَتَّى بَعْدَ هَذِهِ الْحَوَادِثِ بِشَهْرَيْنِ.
 فَبَعَثَ سَنَائِي فِي أَحْمَالٍ يَطْلُبُ مِنَ الْهَيْسَرِ جَيْفُسَنَ الْعَمِيَّ
 إِلَيْهِ فَإِنَّ بَعْدَ مُغَامِرَاتٍ يَطُولُ شَرْحُهَا. لِأَنَّ زَعِيمَ تُوْجُورُو
 قَاوَمَ سَفَرَهُ أَشَدَّ الْهَقَاوِمَةِ وَقَبِيلَةَ الْهَيْلَنْدُو عَدُوَّةُ أَمِينِ
 بَاشَا اللَّدُودَةِ تَرَصَّدَتْ لِلْفَتْكِ بِهِ عِنْدَ مُرُورِهِ فِي أَرْضِهَا.
 وَكَذَلِكَ سَافَرُ الْأَعْدَاءِ عَلَى ضِفَافِ الْجَبْرِ. فَضَلَا عَنْ
 الْأَخْطَارِ الَّتِي كَابَدَهَا عَلَى الْبِيَاهِ بِهِيَاجِ الْأَنْوَاءِ وَالْعَوَاصِفِ.
 ثُمَّ بَلَغَ مَحَلَّةَ سَنَائِي عَلَى صَعِيدِ كَاغَالِي فِي ٦ شِبَاطِ سَنَةِ ١٨٥٥
 وَحِينَئِذٍ فَصَّ عَلَى سَنَائِي أَنْبَاءُ نَهْرِدِ الضَّبَاطِ وَالْجُنُودِ

عَلَى أَمِينٍ بَاشَا . وَأَنَّ الْهُومَاءَ إِلَيْهِ مَا يَرْحَ وَاجِبًا مُتَرَدِّدًا عَنْ
الْخُرُوجِ مِنْ إِقْلِيمِ الْجَبَرَةِ مُتَعَلِّلًا بِهَا مُودَاهُ إِذَا رَضِيَ
قَوْمِي الذَّهَابَ ذَهَبْتُ مَعَهُمْ وَإِذَا لَبِثُوا لَبِثْتُ . أَمَّا كَسَانِي فَلَمْ
يَنْفَكْ عَنِ الْقَوْلِ " إِذَا أَنْطَلَقَ أَمِينُ بَاشَا أَنْطَلَقْتُ وَإِذَا
مَكَتَ مَكَتْتُ " . فَعِيلَ صَبَرْتُ سَنَانِي وَكُتِبَ إِلَى أَمِينِ بَاشَا بِحُجْمِ
عَلَيْهِ بِالْجَزْمِ فِي الْأَمْرِ إِيْجَابًا أَوْ سَلْبًا لِأَنَّ التَّطَوِيلَ عَاقِبَتُهُ
مَشْوُومَةٌ وَخِيْبَةٌ . وَإِذَا بَرَفِمْ وَارِدَ عَلَى سَنَانِي يُنَبِّئُهُ أَنَّ الْبَاشَا
رَاسٍ بِسَفِينَةٍ عِنْدَ السَّاحِلِ

فَالْتَقَى هَذَانِ الرَّجُلَانِ الْهَرَّةَ الثَّانِيَةَ وَدَارَتْ بَيْنَهُمَا
مُحَاوَرَاتٌ وَأَنْجَاحٌ مُسَهَّبَةٌ لَيْسَتْ مِنْ مَطَالِبِ هَذِهِ الْخُلَاصَةِ .
وَبَعْدَ مُوَامَرَاتٍ وَدَسَائِسٍ وَمَكَايِدَ (مِنْ قِبَلِ الْعَسَاكِرِ الْبَصْرِيَّةِ
وَقُوَادِهِمْ) وَنَاهِيَاتٍ يَطُولُ شَرْحُهَا عَزَمَ سَنَانِي وَأَمِينُ بَاشَا
وَجَبَا عَنْهُمَا التَّحَدُّدَ عَلَى الْآيَابِ . فَرَحَلُوا مِنْ كَافَالِي فِي ١٠
نَيْسَانَ سَنَةِ ١٨٨٩ وَكَانَ عَدَدُ اللَّفِيفِ الرَّاحِلِ مَعَهُمَا ١٥٠٠
نَفْسٍ بَيْنَهُمُ النِّسَاءُ وَالشُّبُوحُ وَالْأَوْلَادُ . ثُمَّ حَلُّوا بَعْدَ يَوْمَيْنِ
فِي مَازَمُونِي حَيْثُ أَصَابَتْ سَنَانِي حُمَّى شَدِيدَةٌ أَشْرَفَ بِهَا عَلَى
الْمَوْتِ . فَتَوَلَّى الدُّكْتُورُ بَارَكُ عِلَاجَهُ وَتَهَرَّضَهُ نَحْوَ شَهْرٍ

ثُمَّ اسْتَنْفَتِ الْقَافِلَةُ السَّيْرَ وَبَلَغَتْ نَهْرَ سَهْلِيكِ يَنْبُوعَ النَّيْلِ
 الْأَيْضِ وَظَلَّتْ تَهْشِي فِي خَطِّ جَنْوِي قَوْمٍ. وَكَانَ عَشُورُهُمْ
 عَلَى هَذَا النَّهْرِ الْكَبِيرِ مِنْ الْأَكْتِشَافَاتِ الْخَطِيرَةِ. لِأَنَّ
 الْجُغْرَافِيِّينَ كَانُوا يَذْهَبُونَ حَتَّى الْآنَ إِلَى أَنَّ فَيْكْتُورِيَا نِيَاثَرَا
 أَصْلُ النَّيْلِ وَمَخْرَجُهُ الْأَوَّلُ. أَمَّا هَذَا النَّهْرُ فَيُضَارِعُ عَرْضَهُ
 ثَلَاثِي بَحِيرَةٍ فَيْكْتُورِيَا وَمَعْدَلُ عُمُقِهِ نِسْعُ أَقْدَامٍ.
 ثُمَّ أَخَذَ الرُّكْبُ يَضْرِبُ فِي وَادِي سَهْلِيكِ وَهُوَ مِنْ
 تَغُورِ قَبَائِلِ الْأَوَامِبَا. وَإِذَا بِجِبَالِ رُويْتُورِي الشَّاهِقَةِ
 الْمَكْسُوفَةِ فِيهَا بِالْثُلُوجِ الدَّائِمَةِ تَلُوحُ لِلْأَبْصَارِ. فَادْرَكَ
 سَنَائِي أَنَّ هَذَا الطُّودَ هُوَ جِبَالُ الْقَمَرِ تَفْسُهَا الْهَلْهَلُ الْبَاهِي فِي
 جُغْرَافِيَةِ الْعَرَبِ مِنْذُ أَرْبَعِ مِئَةِ سَنَةٍ وَهِيَ عِنْدَهُمْ مَنَابِجُ النَّيْلِ.
 أَمَّا هَذَا الْحَشَامُ^(١) فَيَقْطَعُ خَطَّ الْأَسْتَوَاءِ عَلَى مَسَاحَةِ شِمَالِيَّةٍ
 وَتَنْبَعُ مِنْهُ أَنْهَرٌ كَبِيرَةٌ تَلْتَفِي فِي الْبَحِيرَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي مِنْهَا
 تَخْرُجُ النَّيْلُ. وَهُوَ مِنْ أَبْدَعِ أَنْهَارِ الْمَسْكُونَةِ وَأَطْوَلِهَا
 وَأَعْظَمِهَا. وَقَدْ كَتَبَ سَنَائِي إِلَى الْجَمْعِيَّةِ الْجُغْرَافِيَّةِ الْمَلِكِيَّةِ
 فِي بَرِيطَانِيَا بِمَا بَاتِي "إِنِّ فَرَعَ النَّيْلِ الْأَعْلَى الْغَرْبِيِّ يَخْرُجُ
 مِنْ هَذَا الْجَبَلِ الْمَلْتَحِفِ بِالْثُلُوجِ وَمِنْهُ تَنْبَعُ أَنْهَرٌ وَافِرَةٌ

الْعَدَدِ ثَلَاثِي بِنَهْرٍ سَهْلِيكِ وَتَصُبُّ فِي مَجْمَرَةِ الْبَرْتِ نِيَانِزَا
الْعَظِيمَةِ . وَتَصُبُّ فِي هَذِهِ الْمَجْمَرَةِ أَيْضًا فَرْعُ النَّيْلِ الشَّرْقِيِّ
الْأَعْلَى وَمِنْهَا تَخْرُجُ النَّيْلُ الْحَقِيقِيُّ أَشْهُرُ أَنْهَرِ الْبَسِيطَةِ

فَرَقْنِي الْهَلَاكُ سَتِيرُسُ هَذَا الْجَبَلِ إِلَى أَرْتَقَاعِ ١١٠٠٠
قَدَمٍ بِضَبْعَةٍ ٤٠ نَفَرًا زَنْجَارِيُونَ حَتَّى أَمْسَى عَلَى مَسَافَةِ نَحْوِ
مِائَتٍ عَنْ ذُرْوَتِهِ الثَّلْجِيَّةِ . وَلَكِنْ لَهَا رَأْيُ الْأَخَادِيدِ
وَالْهَوَى تَعْرِضُهُ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ مِنَ اللَّيَاسِ وَالزَّادِ مَا يَقُومُ
بِحَاجَتِهِ وَحَاجَةُ رِجَالِهِ أَنْكَفَأَ^(١) هَابِطًا . فَشَاهَدَ فِي سُنُوحِ هَذَا
الْجَبَلِ أَنْهَرًا وَجَنَاحًا تَجْرِي إِلَى سَهْلِيكِ ثُمَّ تَصُبُّ فِي الْبَرْتِ
نِيَانِزَا . أَمَّا هَذَا الْجَبَلُ الْكَبِيرُ فَبُرْكَائِي وَفِي قِمَمِهِ الْعُلْيَا
وَالدُّنْيَا فُوهَاتُ بَرْكَانِيَّةٍ أَنْطَفَأَتْ نَارُهَا وَخَدَّهَا مَاجَهَا مَعَ
كُرُورِ الزَّمَانِ . وَلَمْ يُعَايِنِ الْهَوَا إِلَهَهُ عَلَى شَوَاحِجِهِ حَيَاةَ نَبَاتِيَّةٍ
وَلَا حَيَوَانِيَّةٍ إِلَّا بَضْعَةَ طُيُورٍ رِمَادِيَّةٍ تَضْرِبُ إِلَى السَّوَادِ .
خِلَافًا لِسَائِرِ الْجِبَالِ فِي خَطِّ الْأَسْنَوَاءِ وَلَا سِيَّامَا فِي غِنْيَا
الْجَدِيدَةِ حَيْثُ وَقَرَّتِ الطُّيُورُ الْبَهِيَّةُ الْأَلْوَانِ وَبَعْضُ
صُنُوفِ النَّبَاتِ وَالْحَيَوَانِ

ثُمَّ بَعْدَ أَجْيَازِهِمْ وَادِي سَهْلِيكِ بَلَّغُوا سَهْلًا مُعْشِبًا

تَحْلَلُهُ أَشْجَارُ الطَّلْحِ^(١) وَغَيْرُهَا. وَكَانَتْ أَرْضُ ذَلِكَ الْوَادِي
تَرْتَفِعُ تَدْرِيجًا إِلَى أَنْ بَلَغَتْ بَعْدَ سَيْرِ ٧٥ مِيلًا عُلُوَّ أَلْفِ قَدَمٍ
عَنِ الْبَحِيرَةِ. وَعِنْدَ هَذِهِ النُّقْطَةِ يَتَّصِلُ طَرَفُ رُوَيْتُورِي
الْغَرْبِيِّ بِوَادِي النَّهْرِ. وَقَدْ نَسَبَ سَنَانِي كَثْرَةَ الْأَصْحَالِ^(٢) فِي
الْبَرْتِ نِيَانْزَا إِلَى رَوَاسِبِ نَهْرِ سَهْلِيكِي الْوَافِرَةِ. ثُمَّ وَصَلَتْ
الْقَافِلَةُ إِلَى إِقْلِيمِ الْأُوْكُونْجُو وَالْأُوسُونْجُورَا الْكَثِيرِ الْعُشْبِ
وَالْكَلَا. وَمِنْهُ إِلَى بَحِيرَةِ مُونَا زِيْنِجَ (الْبَرْتِ أَدُورْزِ نِيَانْزَا)
حَيْثُ تَصُبُّ كُلُّ الْأَنْهَارِ الْوَاقِعَةِ فِي طَرَفِ مُجْتَمَعِ النَّيْلِ
الْجَنُوبِيَةِ الْغَرْبِيَةِ. أَمَّا بَحِيرَةُ فَيْكْتُورِيَا فَتَصُبُّ فِيهَا حِيَاضُ
مِيَاهِ النَّيْلِ الْجَنُوبِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ. ثُمَّ يَصُبُّ الْجَمِيعُ عَلَى خَطِّ
مُوازٍ فِي بَحِيرَةِ الْبَرْتِ نِيَانْزَا

وَقَدْ عَانَى سَنَانِي أَثْنَاءَ سَيْرِهِ فِي وَادِي سَهْلِيكِي أَشَدَّ
الْعَنَاءِ وَالْبَقَاوَمَةِ لِاعْتِصَابِ سُكَّانِهِ مَعَ كَعْبَةٍ رِيْنَا مَلِكِ
أَنِيُورُو أَتْجَانِي الطَّبَاعِ الشَّدِيدِ الْبَاسِ. أَمَّا بِلَادُ هَذَا الْأَمِيرِ
فَوَاقِعَةٌ إِلَى غَرْبِي رُوَيْتُورِي. ثُمَّ لَهَا بَلْعَ سَنَانِي كَانَتْ
وَهِيَ تَغْرُ كَبِيرَةً عَلَى سَاحِلِ مُونَا زِيْنِجَ الشَّمَالِيِّ الْغَرْبِيِّ مَشَى
فِي جِهَةِ شَمَالِيَّةٍ شَرْقِيَّةٍ إِلَى شَمَالِي الْبَحِيرَةِ. ثُمَّ وَجَّهَ خَطَاهُ

جَنُوبًا وَدَخَلَ ثُغُورَ الْأَنْبَامِيَاكَ فَصَادَفَ مِنْ مَلِكِهَا خَيْرَ لِقَاءٍ
وَتَرَحَّبَ. وَسَارَ بَعْدَئِذٍ فِي خَطِّ قَوْمٍ إِلَى بِلَادِ الْأَنْكُورِيِّ
فَالْكَارَاجُورِيِّ فَالْأُوْهِيرَا فَالْأُوزُنْجَه. وَهَذِهِ الْبِلَادُ كُلُّهَا مَلَأَى
بِالْبُدْنِ وَالْأَمْصَارِ وَالْقُرَى وَبِالزُّرُوعِ مِنْ سَائِرِ الْأَنْوَاعِ
وَالْغِيَاضِ الْغَنَاءِ وَالْأَشْجَارِ الْبَاسِقَةِ مِنْ كُلِّ الْأَجْنَاسِ
وَالْأَصْنَافِ وَالْهَيَاءِ وَقَدْ ذُكِرَتْ فِي رِحْلَةِ سَتَانِلِي الْأُولَى فِي
التَّنْقِيشِ عَنْ لِيْفِنْسْتِن. فَقَبِلَ مُلُوكُ هَذِهِ الثُّغُورِ الرَّكْبَ بِأَفْضَلِ
الْوَفَادَةِ وَالْجَمَالَةِ. غَيْرَ أَنَّ هَوَاءَ هَذِهِ الْأَقَالِيمِ لَمْ يُلَاقِ صِحَّةَ
الْمَسَافِرِينَ. فَإِنَّ مِثَّةً وَخَمْسِينَ نَفَرًا أُصِيبُوا بِالنَّحْيِ فِي يَوْمٍ
وَاحِدٍ

وَلَمَّا كَانَ سَتَانِلِي فِي أَوْزُنْجَه أَكْشَفَ اكْتِشَافًا آخَرَ
جَدِيدًا بِالْأَعْيَارِ. وَهُوَ فَرْعٌ جَدِيدٌ جَنُوبِيٌّ غَرْبِيٌّ لِيَجْبُرَةَ
فِيكْتُورِيَا نِيَانْزَا. زَادَتْ بِهِ مَسَاحَةُ هَذِهِ الْجَبْرَةِ سِتَّةَ آلَافِ
مِيلٍ مُرَبَّعٍ. أَمَّا طَرَفُ هَذَا الْفَرْعِ الْجَنُوبِيِّ فَوَاقِعُ فِي ٢٨٤
مِنَ الطُّولِ الْجَنُوبِيِّ وَلِذَلِكَ تَلَانَتْ جَبْرَةُ فَيَكْتُورِيَا مِنْ
جَبْرَةِ تَانْكَانِيَا ١٥٥ مِيلًا. وَالظَّاهِرُ أَنَّ تَأْخِيرَ هَذَا الْاِكْتِشَافِ
حَتَّى الْآنَ نَشَأٌ مِنْ وَفَرَةِ الْجَزَائِرِ الْمُعْتَزَّةِ الْفَاصِلَةِ هَذَا

الْجَوْنِ الْجَنُوبِيِّ الْغَرْبِيِّ الْعَظِيمِ عَنِ الْبَحِيرَةِ الْأَصْلِيَّةِ وَلَا غَرْقَ
 مِنْ أَنَّ أَهْمِيَّةَ هَذَا الْاِكْتِشَافِ تَقُومُ بِتَقَرُّبِ هَاتَيْنِ الْبَحِيرَتَيْنِ
 الْعَظِيمَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا مِنَ الْأُخْرَى فَيَنْسَى بَعْدَئِذٍ رُكُوبُ
 الْهَيَاءِ الْأَفْرِيقِيَّةِ الدَّاخِلِيَّةِ مِنْ مَصَبِّ النَّيْلِ إِلَى مَصَبِّ
 الزَّامِسِيِّ وَهَذَا مَوْضِعٌ خَرَجَ الْآنَ مِنْ حِزِّ الْوَهْمِ وَالْخَيَالِ إِلَى
 عَالَمِ الْوُجُودِ وَالْحَقِيقَةِ. وَلَا يَحْتَاجُ أَنْ السَّيَّاحُ رَكِبُوا الزَّامِسِيَّ
 وَبَلَغُوا عَلَيْهِ نَهْرَ شِيرَهْ ثُمَّ رَكِبُوا النَّهْرَ الْمَذْكُورَ وَقَطَعُوا إِلَى
 نِيَّاسًا وَمِنْ هُنَاكَ إِلَى تَانْكَانِيكََا. وَكَانَتْ طَرِيقُ سِتِيْنَسُنْ
 الصَّلَاةِ يَنْهَمَا. أَمَّا الْآنَ فَلَمَّا عَرَفُوا أَنَّ بَحِيرَةً فِيكَتُورِيَا الَّتِي
 كَانُوا قَدْ أَتَوْهَا مِنْ الْخَرْطُومِ فِي النَّهْرِ مِرَارًا أَقْرَبُ إِلَى
 تَانْكَانِيكََا مِمَّا كَانُوا يَظُنُّونَ تَشَدَّدَتْ أَمَالُ مُجِيِّ الْاِسْتِعْمَارِ
 فِي أَفْرِيقِيَّةِ الرَّاعِيَيْنِ فِي تَهْدِيْنِ هَجَمِ تِلْكَ الْأَصْفَاعِ
 وَالْاِتِّتِنَاعِ بِأَقَالِيْمِهَا الْخَصِيْبَةِ وَهَزْنِمْ أَرْجِيَّةِ الْحَيَةِ
 وَالْخَمْسِ وَالْاِتِّتِنَاعِ. فَإِذَا اسْتَوْلَتْ مَبْلَكَةُ مَهْدَنَةِ عَلَى
 تَانْكَانِيكََا وَحِيَاضِهَا الشَّرْقِيَّةِ وَالشَّالِيَّةِ وَخَفَرَتْ فَنَاءَ لِوَصْلِ
 الْبَحِيرَتَيْنِ تَلَاثَتْ أَعْظَمُ الْعَوَاقِفِ وَالْمَصَاعِبِ مِنْ أَمَامِ
 اسْتِعْمَارِ بَاطِنِ أَفْرِيقِيَّةِ الْقَسْرِ بِرُمْتِهِ. لِأَنَّ تِلْكَ الْبَسَالِكَ

وَالْبَاحِلَ الشَّاسِعَةَ نُعِي الْخَيْلَ وَالْبَغَالَ وَتَجَعَّلَهَا عَدِيمَةً
 أَتَجَدَّوْى. أَمَّا الطَّرِيقُ الْمَائِيَّةُ فَمِنْ خَيْرِ وَسَائِلِ الرَّاحَةِ
 وَالْإِتِّصَالِ فِي الْأَسْفَارِ وَالْمَشْرُوعَاتِ التِّجَارِيَّةِ. وَعَلَى ذَلِكَ
 جَدَّدَ سَتَانْلِي فِي أَقْدَةِ الرَّاعِيَيْنِ فِي خَيْرِ هَذِهِ الْقَارَةِ
 رَجَاءَ الْفَلَاحِ وَالْعُمُرَانِ بِتَقْرِيبِهِ هَاتَيْنِ الْبَحِيرَتَيْنِ الْوَاحِدَةِ
 مِنْ الْأُخْرَى تِلْكَ أَمَّا كَانَتْ قَدْ ذَوَتْ غُصُونَهَا بِسُقُوطِ
 هَذِهِ الْأَقَالِمِ الْإِسْتَوَائِيَّةِ تَحْتَ جُورِ الْهَمِّ الْهَوَاحِشِيْنَ
 ثُمَّ وَصَلَ سَتَانْلِي وَجْهَاعَتُهُ إِلَى أَوْسَامِيرُو فِي ٢٥ آب
 فَوَجَدَ بَيْعَةً مَسِيحِيَّةً لِبُرْسَلِي الْكَنِيسَةِ الْإِنْكِلِيزِيَّةِ وَاقِعَةً إِلَى
 جَنُوبِي بَحِيرَةِ فَيْكْتُورِيَا حَيْثُ كَانِ الْهَيْسِرُ مَاكِي عَامِلًا مُنْذُ
 طَرْدِهِ مِنْ أَوْغَانْدَا وَكَانَ هَذَا الْهَوَقِفُ خِتَامَ مَرَاكِجِ الْقَافِلَةِ
 فِي الْأَقْطَارِ التَّجْهُولَةِ

قَالَ الْهَيْسِرُ سَتَانْلِي فِي رِسَالَةٍ بَعَثَ بِهَا إِلَى الْهَيْسِرِ
 مَارْتِنْسُنْ "وَصَلْنَا أَخِيرًا كَنِيسَةً دَلَّنَا صَليْبُ قَبْتِهَا عَلَى أَنَا فِي
 مَهْجَرِ مَسِيحِي. فَأَيُّقْنَا يَا نَنَا أَمِينَنَا فِي ضَوَاحِي الْعَالَمِ الْهَيْسَرِيِّ.
 ثُمَّ نَزَلْنَا ضُيُوفًا بِالرُّحْبِ وَالسَّعَةِ عَلَى الْهَيْسِرِ مَاكِي. فَأَكْرَمَ
 وَفَادَتَنَا وَمَكَّنَّا عِنْدَهُ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا تَمَتُّعًا فِي خِلَالِهَا

مُخَيَّرَ بِرَاحَةٍ وَهَنَاءَ بَعْدَ عَنَاءِ الْأَسْفَارِ الشَّاقَّةِ
وَسَرَّ سَتَانِلِي بِأَن رَأَى أَحْصَالَ الْبَضَائِعِ وَالطَّرُوسِ
وَالرَّسَائِلِ تَتَطَرَّهُ فِي هَذَا الْمَكَانِ مِنْذُ ثَمَانِيَةِ عَشَرَ شَهْرًا ثُمَّ
طَرَقَ هَوْلَاءُ السَّيَاحِ بِلَادَ الْأُسْكُومَا الْجَنُوبِيَّةِ الْبَتَاخِيَّةِ
الْأَوْكُوكُو وَمِنْ ثَمَّ إِلَى مَبَاوِئِهِمَا وَهِيَ مِنَ الْأَقْطَارِ الدَّاخِلَةِ
تَحْتَ حِمَايَةِ أَلْمَانِيَا. وَهَنَا يَجْدُرُ بِنَا أَنْ نُلْخِصَ بَعْضَ مَا قَالَهُ
هَذَا الرَّحَّالَةُ الشَّهِيرُ بِشَأْنِ هَذِهِ الْاِكْتِشَافَاتِ الْجَدِيدَةِ فِي
التَّنْقِيشِ عَنْ أَمِينٍ بَاشَا

إِنَّهُ فَضَّلَا عَنْ وُضُوعِنَا إِلَى الْغَايَةِ الْمَرْغُوبَةِ فِيهَا
وَأَتَمَّامِ وَاجِبَاتِنَا الْأَصْلِيَّةِ الْخَطِيرَةِ (أَيُّ وَجُودِ أَمِينٍ بَاشَا)
أَسْعَدَنَا الْحُظَّ بِأَن فُزْنَا بِاِكْتِشَافَاتٍ جُغْرَافِيَّةٍ تُذَكِّرُ مِنْهَا أَنْجِلَاءَ
حَقِيقَةِ الْأَرْيُوبِيِّ مِنْ مَنَبَعِهِ إِلَى مَصَبِّهِ. وَاِكْتِشَافِ غَابِ
الْكُونُغُو الْعَظِيمِ الَّذِي تَعْدِلُ مَسَاحَتُهُ مَمْلَكَتِي فَرَنْسَا وَإِيطَالِيَا
مَعَ أَشْجَارِهِ الْمَتَنُوعَةِ الْأَجْنَاسِ وَالْأَنْوَاعِ وَنَبَاتِهِ وَحَيَوَانِهِ
وَقَرْمِهِ الْخ. ثُمَّ عَرَفْنَا مَوْقِعَ جِبَالِ الْقَهْرِ مَعْرِفَةً لَا رَيْبَ فِيهَا وَرَأَيْنَا
رُويْتُرُورِي مَلِكَ الْجِبَالِ الْمُنْتَطَوِّلِ فَوْقَ الْغُيُومِ الْمُتَعِمِّمِ
بِالْثُلُوجِ الدَّائِمَةِ وَتَفْصُنَا بَعْضَ سَلَاسِلِهِ وَسُفُوحِهِ. وَعَلَيْنَا

أَنَّ قُبَمَهُ الْمَسْمَاةَ "غُورْدُون". وَبَيَّنْتَ. وَمَا كُنْتُ لَيْسَتْ
 سِوَى حُرَاسٍ جَبَابِرَةٍ تَحْرُسُ مَدَاخِلَ سَيِّدِ الْجِبَالِ وَخُومَهُ
 الْقُصُوى. وَقَدْ قَطَعْنَا سَلَاسِلَ أَطْوَادٍ وَفِيرَةٍ تَفْصِلُهَا بَقَاعُ
 خَضْرَاءٍ نَضْرَةٍ تَحْتَنِي رُعَاةُ سَائِرِ الْبِلَادِ لَوْ سَمِحَ لَهُمْ بِتَسْوِيمِ
 مَوَاشِيهِمْ عَلَى أَدْيِهِمَا. وَقَدْ تَلَذَّذْنَا نَحْتِ أَشْعَةِ شَمْسٍ خَطٍّ
 الْإِسْتِوَاءِ بِأَكْلِ الثَّوْبِ وَالْهَوَزِ. وَأَطْفَانًا أَوَّارَ ظَهَانًا بِيَاهِ
 بَارِدَةٍ تَرَقَّرُقُ كَالْبُلُورِ نَابِعَةٍ مِنْ مَنَاجِحِ الْجِبَالِ. وَتَهَكُّمًا مِنْ
 مَعْرِفَةٍ زِيَادَةٍ سِتَّةَ آلَافِ مِيلٍ مُرَبَّعٍ مِنَ الْمَاءِ إِلَى فَيْكْتُورِيَا
 نِيَانْتَرَا. وَلَا بُدَّ أَنْ يُفِيضَ عَلَيْنَا الطَّبِيعِيُّ الْكَلَامَ عَنْ أَنْوَاعِ
 الْحَيَوَانَاتِ وَالطُّيُورِ وَالنبَاتَاتِ الْجَدِيدَةِ الَّتِي كَشَفْنَا عَنْهَا الْفَنَاعَ.
 وَكَذَلِكَ سَتُنِي طَبِيعَانَا عَنْ هَوَاءِ هَذِهِ الْبِلَادِ وَأَقَالِيهِمَا
 وَتَرْكِيبِ تَرْبِيَّتِهَا الْحَيُولُوجِيَّ الْح. وَلَوْ رُمْنَا تَعْدَادَ مَا ظَفَرْنَا بِهِ
 مِنْ كُنُوزِ الْمَعَارِفِ الْجَدِيدَةِ فِي حُقُولِ هَذِهِ الْإِكْتِشَافَاتِ
 الْغَيْرِ الْمُنْتَظَرَةِ لَطَالَ بِنَا الزَّمَانُ. وَلَا بُدَّ أَنْ يَرَى الْقَادِمُونَ
 إِلَى هَذِهِ الْأَصْقَاعِ فِي الْأَقْلِيمِ الْمَرْكَزِيِّ بَيْنَ خَطِّ الْإِسْتِوَاءِ
 وَالْبَحِيرَةِ غَرَائِبَ وَفَوَائِدَ أُخْرَى جَدِيدَةً بِالذِّكْرِ وَالْإِعْتِبَارِ.
 وَلَا جَرَمَ أَنَّ هَذِهِ الرَّحْلَةَ كَانَتْ مِنْ أَعْجَبِ أَسْفَارِي فِي

أَفْرِيقَةَ وَأَغْرِبَهَا

ثُمَّ بَلَغَتْ التَّجْرِيدَةُ مَصُوعَ فِي الْيَوْمِ الْأَخِيرِ مِنْ تَشْرِينَ
الثَّانِي. وَوَصَلَتْ فِي أَوَّلِ كَانُونِ الْأَوَّلِ إِلَى مِيكِي وَهِيَ قَرْيَةٌ
تَبْعَدُ عَنِ السَّاحِلِ أَرْبَعَ مَرَاحِلَ فَصَادَفَ سَنَائِي هُنَا وَقَدْ
بَعَثَ بِهِ صَدِيقُهُ الْقَدِيمُ مُدِيرُ "النِّيُيُورِكْ هِرَالْد" بِمُحَلُّونَ
لَهُ أَمْقُوتَاتٍ وَوَسَائِلَ الرَّاحَةِ. وَكَذَلِكَ أَمِينُ بَاشَا لَقِيَ ضَاطِبًا
أَلْمَانِيًا يَحْمِلُ لَهُ مِثْلَ تِلْكَ الْهَدَايَا. وَقُنْصُلُ إِيطَالِيَا فِي زَنْجِبَارَ
أَرْسَلَ مِثْلَ ذَلِكَ لِلْقُبْطَانِ كَاسَانِي. وَتَوَارَدَتْ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا
رُزْمُ الرِّسَائِلِ وَالرُّقُومِ. وَمَا بَلَغَتْ التَّجْرِيدَةُ زَنْجِبَارَ حَتَّى
أَمْسَتْ مُوَكِّبًا حَافِلًا عَظِيمًا. وَكَانَتْ التَّهَانِي الْبَرْقِيَّةُ تَتَوَارَدُ
تَبَاعًا بِمُحَلِّهَا السَّعَاءُ وَالْمُكَارُونَ

ثُمَّ فِي ٤ كَانُونِ الْأَوَّلِ لَاقَى الْهَاجُورُ وَبَسْمَانَ الْهَيْمِ
حِينَئِذٍ فِي بَاكَا مَوِيوُ الْحَيَاةِ الْبَصَاحِ الْأَلْمَانِيَةِ الْهَيْسَرِ سَنَائِي
وَرَفِيقَهُ أَمِينَ بَاشَا عَلَى ضِفَافِ نَهْرٍ كِبَاهِي. فَأَمْنَطَى هَذَا النِّيْلَانِ
فِي الصَّبَاحِ الثَّانِي جَوَادِينَ مَطْهَبِينَ قَدَمَهُمَا لَهَا الْهَاجُورُ
الْهُومَا إِلَهَ وَسَارَ فِي مَعِينِهِمَا. ثُمَّ دَخَلَ أَجْمَعٌ مَعًا بَاكَا مَوِيوُ
وَجِبَ مِينَاءُ زَنْجِبَارَ. وَكَانَتْ الْبَدِينَةُ مُزْدَانَةٌ بِالْأَعْلَامِ

وَأَغْصَانِ النَّخْلِ وَأَفْوَاسِ الظُّفْرِ. وَكَانَ الْقَوْمُ يَجُيُونَ سَنَائِي
وَأَمِينَ بَاشَا نَحِيَّاتِ الْهِنَافِ وَالْتَرَحَابِ. وَخَرَجَ لِمُلَاقَاتِهِمَا
الْقَوَادُ وَالْكُبَرَاءُ وَالْأَعْيَانُ مِنْ قِبَلِ إِمْبِرَاطُورِ الْهَانِيَا وَمَلِكَةِ
إِنْكَلِتْرَاوَمَلِكِ الْبَلِيكِ وَالتَّجَامِعِ الْعَلِيَّةِ. ثُمَّ أُطْلِقَتِ الْمَدَافِعُ
تَبْشِيرًا بِقُدُومِهَا. وَفِي الْمَسَاءِ أَدَبَ الْهَاجُورُ وَتَسَبَّاهُ
مَادِبَةً أُنِيقَةً لِضَيْفِهِ الْجَلِيلِينَ سَفَطًا فِي خِلَالِهَا مِنْ شُومِ
الطَّالِحِ أَمِينُ بَاشَا مِنْ طَاقَةِ الرِّدْهَةِ^(١) الْعَلِيَا الْمُرْتَفِعَةِ عَنْ
الْأَرْضِ نَحْوَ ٢٠ قَدَمًا فَأَغْيَى عَلَيْهِ وَتَهَشَّمَ وَأُصِيبَ بِجِرَاحٍ
خَطِيرَةٍ أَشْرَفَ بِهَا عَلَى الْمَوْتِ. لَكِنَّهُ أَخَذَ يَتَعَاثَى تَدْرِيجًا
تَحْتَ عِنَايَةِ الدُّكْتُورِ بَارَكٍ وَالطَّيِّبِ الْأَلْهَانِي وَبَعْدَ عَشْرَةِ
أَيَّامٍ حَكَمَ الطَّيِّبَانِ بِزَوَالِ الْخَطَرِ

وَكَانَتْ تُؤَادُّ عَلَى سَنَائِي وَأَمِينَ بَاشَا فِي خِلَالِ ذَلِكَ
رَسَائِلُ التَّهْنِئَةِ الْبَرَقِيَّةِ مِنْ سَائِرِ الْأَتَحَاءِ. وَأَقْرَأَ الْعَالَمُ
الْمُهَنْدِسُ بِفَضْلِ الرَّجُلِ الْأَوَّلِ الَّذِي قَامَ بِأَعْمَالٍ تَكَادُ
تَفُوقُ طَاقَةَ الْبَشَرِ. وَمُدَّتْ أَيْدِي الْأَنْعَاطِ وَالرِّقَّةِ نَحْوَ
الرَّجُلِ الثَّانِي الطَّرِيجِ عَلَى فِرَاشِ الْأَسْقَامِ فِي حَيْثُ كَانَ
يَجِبُ أَنْ تَدُورَ بِهِ كُؤُوسُ الْأَفْرَاحِ وَالْمَسَرَّاتِ. وَإِذَا رُمْنَا

إِفَاضَةَ الْكَلَامِ فِي مَا جَرَى لِسَانِي فِي زَنْجَبَارَ وَمِصَرَ وَسَائِرِ
الْعَوَاصِمِ الْأَوْرُثِيَّةِ مِنَ الْجَلَّةِ وَالْإِحْفَاءِ وَالْكَرَامَةِ وَاللَّاتِقَةِ
بِمَلِكٍ جَلِيلِ الشَّانِ لَشَغْلِ ذَلِكَ مُجَلَّدًا كَامِلًا. لَكِنَّا نَجْتَرِي^٣
عَنِ الْإِسْهَابِ بِرِسَالَةِ تَهْنِئَةٍ بَرْقِيَّةٍ وَرَدَتْ لَهُ مِنْ جَلَالَةِ
مَلِكَةٍ أَنْكَلَرًا وَهِيَ وَاحِدَةٌ مِنَ أُلُوفِ الرِّسَائِلِ الَّتِي طَارَتْ
إِلَيْهِ عَلَى أَخْنَعَةِ الْبَرْقِ مِنْ مُلُوكٍ وَأُمَرَاءَ وَعُلَمَاءَ وَبُلَهَاءَ يُشَارُ
إِلَيْهِمْ بِالْبَنَانِ. أَمَّا مُودَى الرِّسَالَةِ الْهَنُوءِ عَنْهَا فَكَمَا بَاقِي
”إِنَّ أَفْكَارِي لَا تَقْنَأُ مَعَكَ وَمَعَ أَتْبَاعِكَ الْبَسَاءِ
الَّذِينَ قَدِ انْتَهَى زَمَانُ مَشَقَّاتِهِمْ وَأَخْطَارِهِمْ فَأَهْنِ الْجَمِيعَ
تَهْنِئَةً قَلْبِيَّةً. وَأَهْنِ أَيْضًا الزَّجَبَارِيْنَ الشَّجْعَانَ الْبَاقِينَ فِي
قَيْدِ الْحَيَاةِ الَّذِينَ أَبَدُوا وَلَا وَجَلَادَةَ كَهْدِهِ فِي رِحْلَتِكُمْ
الْعَجِيبَةِ“

- (١) بفرغ (٢) القصر وكل بناء عال (٣) الحجل والبنال
والحيدر (٤) مكان كثير العشب (٥) ثقبلة باهظة (٦) بُد
(٧) مبالغة في القتال (٨) خديعة واغتيال (٩) مات (١٠) يطلم
(١١) اشجار عظيمة (١٢) غيضة او شجر كبير ملتفت (١٣) فصار
القائمة (١٤) مكان الجوع (١٥) يفسدون (١٦) انضم وانزوى
(١٧) الجبل العظيم الطويل (١٨) جمع أخدود وهي خرة مستطيلة

(١٩) رجع (٢٠) جبل (٢١) شجر عظام من شجر العضاة ترعاها
الابل والطلع والموز (٢٢) الماء القليل على الارض لا عني له (٢٣) قدوم
وورود (٢٤) مشاة او خلة يرتاح بها للندي (٢٥) ذبلت
(٢٦) جمع رقيم اي كتاب او مكتوب (٢٧) بارعين في الجمال
(٢٨) البيت التاسع (٢٩) نكتفي

حالة سوربة العلمية

وجنات العلم فردوس الكمال	وقفر الجهل هاوية الضلال
وكثر العقل معرفة تنادي	هتفا للذي يغني نوالي
وفخر المرء بالدنيا احوال	على حسن الحامد والمخال
ومحور رفعة الاوطان علم	بدور به مدى ونظام حال
وأفضل ما جنى فطن ليب	نار حقائق لا كسب مال
وغاية خلق بارينا لعبد	إذاعة مجده السامي الجلال
فبالآداب تتهج البرايا	وتسفر عن حياء ذي جمال
فهب للعارف فنجتها	وهذا بالمصاعب لا نبالي
ولا تأذن قوانا بالتراخي	ولا تشك الفوس من المال
ألم تك أرضنا للعلم قطبا	وللآداب في الحبس الخوالي
ألم ترفع صروح العلم فيها	لواء عز عن ابي المثال
وكم فافت مدارسنا قديما	يجمع مكاتب مثل الرمال

وكم نامت منابرنا وياضت
وسوريا رقت قدما لجدر
حبها مئة الباري بقطر
ولكن الزمان بقي عليها
وسار العلم يبغي قطر غرب
وحيتها عشائره مجهد
وقالت يا حياة العقل أقبل
وتقربك القلوب تحمل فيها
تناضل عنك يا خلا وقبا
مدارسنا لعزك قد أقيمت
واسرار الطبيعة قد تجلّت
وكم طرحت مناجها الهم
وكم ولجت غنول في اراض
عنصرها تجارت خادمت
غدت سبل الجار له شهودا
تطير بها طيور من بخار
تفيض بضاعة من كل جس
وكم طرحت معاملهم اثنا
وكم رجحت نتائجها نقودا
وسلك البرق ضمّ شتات بعد
وبات النور يجري في قناة
فلاسقة سمت بشهر فضل
فأبنت العلوم رفاة حال
وما هي قد انتت نسي البنا

بارباب التصاحف في المال
علا فلك الدواي في المال
خشب ذي رخاء واعتدال
فبادرت المعارف لارتحال
فقابلته بعزّ واحتال
ترفع عن قنور او كلال
نجلك بالكلام وبالعالم
محلا بالكرامة والدلال
بهرق عزمنا حق النضال
مطامعنا لشرك باشتغال
عرائسها تنادي للوصال
كنوزا في الوهاد وفي الجبال
وعادت بالجوهر والآلي
تسي العقل بالسير الحلال
كلا طرق البراري واللال
تجول لنشر اشغال الامالي
قوم برفع اقال تقال
بأجرة وآلات عجال
تشيد مقام اوطان غوال
فقرّب يننا بعد الجبال
وحاكي المرء طيرا في الاعالي
جائرة حكّت أمد الدحال
غدا بطأ المجاهلة بالعال
تنادي في المحي يا للرجال

تَمَنَّجَ صَاحِرٌ فِي وَتُولَ مَنِي
وَدُونِكَ فِي ابْتِغَائِي فِرْطَ جَهْدِي
وَدَعُ مَا كُنْتُ تَأَلَّفُ مِنْ خَبُولِي
فَقَوْمُوا يَا بَنِي الْوَطَانِ نَلْقَى
وَنَتَرَلَهَا الْغِلَاةَ قُلُوبَ قَوْمِ
وَجِئْنَا فِي الْعُلُومِ لِنُعَرِّزُوهَا
وَدُونَكُمْ الصَّنَاعَاتِ أَنْ فِيهَا
يَمْلِكُ الصَّنَاعُ خَيْرٌ نَصِيرِ
يَفُوقُ سِلَاحُهَا عَمَلًا وَتَفْعًا
إِذَا حَسُنَتْ صَنَاعَتُنَا كُنْهِنَا
وَبَاتَ الْفَتْرُ مَقْتُولًا وَحُلَّتْ
أَمَّا بِالْغَرْبِ لِلشَّرْقِ اقْتِدَاءُ
بِمِشْكِ هَلْ رَأَيْتَ رِبُوعَ قَوْمِ
فَازِمَةُ الْغِبَاوَةِ قَدْ تَقَضَّتْ
فَقَطْ يَا قَوْمُ يَلْزِمُنَا ثِبَاتٌ
وَإِحْكَامُ الصَّنَاعِ بِاعْتِنَاءِ
فَيَصْبِحُ ذَا الْمَلَالِ يَتَبَرُّ بِدَوَا
وَنُرجِعُ مَا خُصِرْنَاهُ بِجَهْلِ
نَبْشَرْنَا الْمَلَارِسُ قَائِلَاتِ
نَبْشَرْنَا الْمَجْرَائِدُ مَا تَقَاتِ
مَجَلَّاتِ الْعُلُومِ تَذِيعُ فِيهَا أَلْ
وَتَرْقِيَةُ الزَّرَاعَةِ خَيْرٌ أَمْرِ
وَشُرَكَاتُ السَّرَاقَةِ بِهَا فَلَاحُ
بِأَعْمَالِ بِكُلِّ الْفَرْدِ عَمَّا

غَفَى لَكَ لَمْ يَكُنْ يَخْطُرُ بِيَالِ
تَنَالُ بِهِ وَجِبَ حَسَنَ الْمَالِ
سَقَطَتْ بِهِ وَأَخْلَاقِ كَسَالِ
صَدِيقَتُنَا الْقَدِيمَةِ بِاقْتِبَالِ
لِفَرْقَتِهَا تَلْظَتْ بِاشْتِعَالِ
فَمَا تَبْقَى الْعُلُومُ عَلَى الْوَبَالِ
نَجَاحًا لِلْعِيدِ وَاللَّوَالِي
مِيقَاتِ لَا يَمْلِكُ الْقِتَالِ
سِلَاحُ الْمَشْرِفِيَّاتِ الْعَوَالِي
مَشَقَاتِ اغْتِرَابِ وَاقْتِبَالِ
سِلَاسُ عَسْرَتَا خَيْرِ اقْتِبَالِ
أَمَّا بِمَجْدُونَا الْغُرِّ الْأَوَالِي
تَلْذُّ بِلَا سَبَاقِ أَوْ تَزَالِ
وَعَصْرُ النُّورِ أَقْبَلَ كَالْمَلَالِ
وَكَدُّ مَعَ سَخَاءِ وَاحْتِمَالِ
وَاقْتِنَانُ الْفَنُونِ عَلَى التَّوَالِي
يَضِيءُ بِلَا خُصُوفِ أَوْ زَوَالِ
لَأَنَّ الدَّهْرَ كَالْحَرْبِ الْعِجَالِ
عِلَاجِي صَحَّةٌ بَعْدَ اعْتِلَالِ
غُلَاظِي قُوَّةٌ بَعْدَ الْهَزَالِ
فَوَائِدُ دُونَ دَعْوَى وَاقْتِبَالِ
نِيَّاسُ دَرْسُهُ لِحُجَى الْغِلَالِ
تُقَمُّ بِهَا الْقُوَى دُونَ انْتِبَالِ
وَقَصِيرِ الْمَسَافَاتِ الطَّوَالِ

ورجمة	لألف	منير	بشد له	التي أقوى الرجال
خراثة	نبي	أسي	المعاني	مطالبة
فلا	تقبل	لموطننا	مقاماً	تراثنا
فما	مرفاتنا	للغز	الأ	نأزرننا
على	طلب	التقدم	والترقي	بجسم
وخذ	سنان	مبتنا	كسيف	صقيل
وحث	مطينا	بالجد	حتى	بيافينا
وقنم	من	صناعنا	كنوزاً	بطل
ملك	في	علائه	اضاعت	شموس
وقد	أحيا	المعارف	في	حمانا
فتسأل	رنا	يفيد	دوماً	كمال
				الفتح
				بل
				فخر
				الكمال

فهرس

الجزء الثاني

من

قلادة النحر في غرائب البر والبحر

صفحة		صفحة	
٢٦	الاعاصير المائية * +	٢	قعر البحر وعمقه وقياسه وسكاته *
٢٨	الجار الساكنة	٧	الوان البحر
	حياة البحر الحيوانية	٨	مياه مناظر البحر
٢٩	القناعات	١٠	ملوحة ماء البحر وقلة *
٣٠	البروتوزا	١٢	كثافة مياه البحر وفوائده ملوحة *
٣١	الفورامنيبرا *	١٤	حركة البحر
٣٤	الانفوسوريا	١٥	مجارى المياه وفعالها بالامواج
٣٥	الاصفج +	١٦	صقة عاصفة *
٣٨	البوليس او الهيدرا *	١٨	تيار المخلج *
٤١	الجزائر المرجانية	٢١	حرارة البحر
٤٣	مروحة البحر +		الاجبر القطبية والجزائر والجمال
٤٥	سفر البحر *	٢٢	الجمدية
٤٧	ريش البحر	٢٤	البحر السائل وراء القطبة الشمالية

* للدلالة على انه مشكل + للدلالة على انه في رسوم

صفحة		صفحة	
٨٥	المك الرعاد +	٤٧	حجر الخناع
٨٦	مك الكرة الشاتك *	٤٨	المرجان الاحمر +
٨٦	صفة اسطول *	٥٠	ازهار البحر + *
٩٠	مك الاناييب *	٥٤	المدوسا او عروس البحر +
٩١	مك القد * +	٥٦	زناقي النجم
٩٢	ذئب البحر	٥٦	مك الفجوم + *
٩٢	مك السيف	٦٠	دود البحر
٩٤	كلب البحر +	٦١	الخنباط او الاخطبوط +
٩٦	عجل البحر + *	٦٥	الحيوانات المدرعة *
١٠٠	حصان البحر +	٦٩	سرطان جزائر الهند الغربية +
١٠١	مختبر البحر	٧٠	القرديس
١٠٢	كر ككن البحر	٧٠	قنفذ البحر
١٠٢	البال +	٧١	الحيوانات الصدفية + *
١٠٦	خاتمة +	٧٧	الحلزون البحري او التراق
	خلاصة رحلة ستانلي الافريقية	٧٨	اصداق اللؤلؤ +
١٠٨	الحديقة قسم ١	٨٠	لغز في درة *
	خلاصة رحلة ستانلي الافريقية	٨١	الاسماك التي تعيش على اليابسة *
١١٨	الحديقة قسم ٢ *	٨٣	الاسماك البانية الاوجرة
١٢٨	حالة سورية العلمية	٨٤	المك الطيار +

